جامعة قاريونس
كليـــة الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

الروابط المعنوية بين الجمل القرآنية الخبرية

دراسـة أسلوبيـة

بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة التخصص العالي (الماجستير)
في البلاغة العربية

إعداد
محمـد عيسـى علي أبو نجيلـه

إشراف
أ. د . عمر خليفة بن إدريس . أ. د. شعبان عوض العبيدي
مشرفاً **مشرفاً ثانياً**

العام الدراسي
1374 / 1375 م
2006 / 2007

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة قاريونس
قسم اللغة العربية وآدابها

كليـــة الآداب
الدراسات العليا

الروابط المعنوية بين الجمل القرآنية الخبرية

" دراسة أسلوبيـة "

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الإجازة العالية (الماجستير) في البلاغة العربية
بكلية الآداب . قسم اللغة العربية

إعداد
محمد عيسى علي أبو نجيله

لجنـة الإشراف والمناقشـة

الاسم	الصفـة
1 - أ . د . عمـر خليفة بن إدريس	مشرفاً
2 - أ . د. شعبـان عوض العبيدي	مشرفاً ثانياً
3 - أ . د . محمد مصطفى صوفيـة	ممتحناً خارجياً
4 - أ . د . رجـــب غيـــث	ممتحناً خارجياً

تاريخ المناقشة 8 / 9 / 2007 ف

بسم الله الرحمن الرحيم

[كِتَابٌ أَنْزَلْنَهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُواْ الأَلْبَابِ]

صدق الله العظيم

الإهـداء

إلى روحِ والدي الكريمُ

الذي بذر في نفسي حب القرآن ولغته العربيّة

فنما الحبُّ حتى أثمر وُدّاً وأُلفة لهما ولتراثهما المجيد .

المقدمـــة

الحمد لله خلق الإنسان ، علمه البيان ، وأنزل القرآن ليكون مورداً يرده أولو الأحلام ، ومنهجاً وشرعة لجميع الأنام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح الخلق لساناً ، وأبلغهم مقالاً ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإنَّ البلاغة العربية عنيت عبر تاريخها بدراسة فصاحة الكلمة والكلام ، وبلاغة الجملة وتركيبها ، فجاءت مباحث علم المعاني والبيان والبديع بمواضيعها المعروفة ، ومع هذا لم تلق بلاغة الجمل عناية كبيرة كما هي الحال في بلاغة الكلمة والجملة ، وبالنظر إلى أبواب علوم البلاغة يجد الناظر غِنىً في مادة بلاغة الجملة ويقف على موضوعات الخبر والإنشاء ، والذكر والحذف والتقديم والتأخير ، والإيجاز والإطناب . . . إلخ ، وفيما يتعلق بالكلمة تأتي موضوعات : الحقيقة والمجاز ، والجناس والطباق . . . إلخ ، أما ما يتعلق ببلاغة الجمل ، فلا يكاد يظفر الناظر إلا بالقليل ، حيث مبحث " الفصل والوصل " الذي يعد عمدة البحث في بلاغة الجمل ، ويضاف إليه بعض أوجه القصر .

وبناءً على ذلك فإن البحث في بلاغة الجمل يكتسب أهمية كبيرة لأنه يُثْرِي باباً من أبواب البحث البلاغي ، ويؤسس لبحث أسلوبي نصي يهدف إلى الكشف عن الخصائص الأسلوبية للنصوص .

إن الناظر المتأمل للنص القرآني المتدبر لمعانيه ، المتذوق لجماله يعجب من تناسق أفكاره ، وتناسب جمله ، وترابط أجزائه ، وتآلف معانيه ، وإذا أمعن المتأمل النظر وأجال الفكر وجد أن سر ذلك راجع إلى الترابط المعنوي أو اللفظي بين أجزاء النص الشريف ، من أجل ذلك فإن بحث ترابط جمل القرآن يُعَدُّ جانباً مهماً من جوانب التدبر الذي أمر به الله ـ جل وعلا ـ في قوله : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ﴾ .

وانطلاقاً من هذه الأهمية جاءت فكرة بحث " بلاغة الروابط المعنوية بين الجمل القرآنية الخبرية " ، لما يمثله هذا البحث من كشف عن بعض الوسائل الأسلوبية التي يستخدمها النص القرآني في تعبيراته من أجل إبلاغ المعاني المقصودة ، وأداء المضامين المرادة ، ولا تنحصر أهمية بحث الروابط المعنوية في هذه الأمور المشار إليها فحسب ، بل تتعداها إلى مجموعة من الأسباب التي كانت دافعاً وراء اختيار هذا الموضوع أذكر منها :

أولاً : الرغبة في قراءة آيات القرآن الكريم قراءة نصية تعتمد على بحث الربط بين الجمل بغية تأويلها وكشف بعض أسرارها البلاغية من أجل الوصول إلى المعاني المقصودة .

ثانياً : السعي إلى الخروج من دائرة الجملة في البحث البلاغي إلى دائرة أرحب مجالاً ، وأكثر اتساعاً ، حيث البحث في الجمل المتجاورة ، ومن ثم الانتقال إلى دائرة النص ، وهذا العمل يعد رداً عملياً على القائلين : إن البلاغة العربية بلاغةٌ تُعْنى باللفظ أكثر من عنايتها بالمعنى .

ثالثاً : تمثل دراسة الروابط المعنوية بين الجمل جانباً تطبيقياً ، يُضَمُّ إلى الجانب النظري ليكوِّنا معاً البلاغة العربية ، ويمثل الجانب التطبيقي وسيلة من وسائل التواصل مع التراث : تراث العلماء الذين درسوا البلاغة، ووضعوا أُسّها وأساسها ، فعبدالقاهر الجرجاني ـ مثلاً ـ جمع أساس البلاغة ، وحدّ حدودها النظرية في كتابي : دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، وجاء الزمخشري وبعض المفسرين الآخرين كالبيضاوي وابن عاشور وقدموا نماذج تطبيقية لنظرية الجرجاني ، فدرسوا بعض آيات القرآن في ضوء نظرية النظم التي وضعها عبدالقاهر الجرجاني ، ويمثل بحث الروابط المعنوية بحثاً أسلوبياً امتداداً للدراسة التطبيقية التي بدأها هؤلاء العلماء .

رابعاً : إنّ الباحث المتأمل لتراث البلاغة العربية يعلم أنّ الدراسة التطبيقيّة مصدر من مصادر حياتها ، ووسيلة من وسائل نموها وتطورها ، فالتطبيق البلاغي فضلاً عن أنه ينمّي الذوق الأدبي ، ويطوّر الإحساس بمواطن الجمال فإنه يبعث الحياة في النظريّة البلاغيّة ، ويمدّها بمادّة جديدة تكون شواهد على قضاياها فتثريها .

خامساً : تخلو المكتبة العربية ـ على ما أعلم ـ من بحث يتناول موضوع الروابط المعنويّة بين الجمل ، ولأجل ذلك فإنّ بحث هذا الموضوع يُعدُّ إسهاماً متواضعاً في مجاله ، وخطوة على الطريق ، وربما فتح ذلك باباً لتطوير البلاغة العربيّة لتدرس على أسس جديدة . وبحث هذا الموضوع في أقلّ تقدير يفيد تدريب الباحث على خوض غمار البحث العلمي ، ويعلمه وسائل التحليل والدراسة البلاغية .

وبالنظر في المصادر التي يمكن الرجوع إليها في هذا الموضوع ، وبعد التفكير في طبيعته أدركت أنه ـ مع جدّته ـ واسع المساحة ، مترامي الأطراف ، ولابد من التركيز على جزئية من جزئياته لتكون الدراسة ممكنة ، فحددت للموضوع حدوداً ، وجعلته محصوراً في الروابط المعنوية التي تربط بين الجمل ذات الأسلوب الخبري فكان العنوان " الروابط المعنوية بين الجمل القرآنية الخبرية " , وبهذه الحدود خرجت الروابط اللفظية من نطاق البحث كما خرجت الجمل ذات الأسلوب الإنشائي .

ولكي تكون الدراسة واضحة مركزة اخترت منهجاً ملائماً للبلاغة هو المنهج التحليلي الأسلوبي ، إذ إن التحليل الأسلوبي يعتمد طريقتين في الدراسة ، الأولى : أن يبدأ التحليل من الدلالة والمعنى ليصل إلى الصيغ والوسائل التعبيرية ، والثانية : أن يبدأ من الصيغ والوسائل التعبيرية للوصول إلى المعنى والدلالة المقصودة . وهذا البحث يتبع الطريقة الثانية ، فالتحليل يبدأ بالنظر إلى الجملة وعناصرها وعلاقتها بالجمل التي قبلها ، ووجه التناسب بينهما ، وبهذا يتضح الترابط ونوعه ، وتتكشف العلاقة الرابطة بين الجملتين ، وبمجموع ذلك كله نصل إلى المعنى المراد .

إن طبيعة العمل الأسلوبي تستوجب الإفادة مما أنجزه علم الأسلوب ، وما وصل إليه من قواعد لكنه في الوقت نفسه لا يقبل أن تكون هذه القواعد الأسلوبية قوالب جامدة يقولب فيها النص المراد دراسته ، وإنما يستفاد من هذه القواعد بقدر ، فلكل نص خصوصياته وطرائقه التعبيرية التي تميزه عن غيره ، ولذلك فإن التأمل الذاتي والتدبر العقلي لابد منه في التحليل الأسلوبي ، ويكتسب هذا التدبر والتأمل مشروعيته من القرآن الكريم نفسه ، قال الله ـ تعالى ـ : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) [ص : 29] . والدراسة الأسلوبية تقبل ذلك فهي تردف الاعتماد على المنجزات والقواعد بالتأمل والتدبر وإعمال الحدس والذوق .

والهدف من وراء اختيار هذا المنهج الأسلوبي هو السعي إلى الكشف عن الروابط المعنوية التي تربط بين جملة وأخرى والتي تجعل هذه الجملة متسقة في سياقها، متلائمة في تجاورها ، وبعد ذلك أحاول أن أتحقق من صحة الفرض الرئيس الذي قام عليه هذا البحث والمتمثل في : أنَّ ترابط الجمل في النص القرآني ترابط قَوِيَ بعلاقات قد تكون معنوية أو لفظية ، وهذه العلاقات تناسب السياق العام للنص القرآني الذي جاءت فيه الجمل المترابطة .

وبعدما وضعت هدف البحث ، واخترت المنهج المناسب له ذهبت أبحث عن الموضوع في بطون الكتب القديمة والحديثة لأضع خطة تكون طريقاً لرحلة البحث من أجل الوصول إلى النتائج ، فوضعت الخطة وحددت عناصرها ، وعرضتها على أساتذة قسم اللغة العربية ، فأبدوا ملاحظاتهم التي أفدت منها ، ورحت أجمع المصادر والمراجع ، وأستخرج مادة البحث ، ولكنّ الإشكالات كانت تعترض طريق العمل فأحاول حلَّها ، والتغلب عليها معتمداً على الله ـ سبحانه ـ متوكلاً عليه ، مسترشداً بآراء المشرِفَيْنِ الكِريَمين وملاحظاتهما ، وكانت أكبر العقبات في طريق العمل قلة المصادر والمراجع الموجودة ، وندرة وجود كلمة " الربط " فيها ، وشحَّ الإشارات إليها ، لكنّ ـ توفيق الله ـ هداني إلى هذا الشحيح النادر ، ثُمّ إنّني اعتمدتُ في استخراج الجمل المترابطة ـ في كثير

من الأحيان ـ على النظر في القرآن الكريم والتأمل فيه حتى جمعت الجمل الخبرية التي ارتبطت ارتباطاً معنوياً بجمل خبرية أخرى .

ومع قلة المصادر والمراجع التي تناولت قضية الربط فإن الباحث في المكتبة العربية لا يعدم كتباً تناولت هذه القضية ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الكتب التي حصلت عليها ، ونظرت فيها لا يوجد منها كتاب متخصص في بحث موضوع الروابط، وإنما كان ذكر الروابط فيها عرضاً .

فمن هذه الكتب القليلة التي أشارت إلى الربط كتب في النحو والبلاغة وكتب في علوم القرآن وتفسيره ، وكتب أخرى في علم اللغة وعلم النص ، وعلم الأسلوب ، فحاولت أن أفيد منها جميعاً في بحث مفهوم الربط والترابط ، ويبرز من هذه الكتب كتاب " دلائل الإعجاز " لعبد القاهر الجرجاني ، فقد كان هذا الكتاب سبباً في لفت انتباهي إلى موضوع الروابط ، فقد قرأت موضوع " الفصل والوصل " و رأيت أن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث ودراسة بمنهج جديد ، وفي هذه المرحلة أمدني أستاذي الدكتور " عمر خليفة " بكتاب " التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية" للباحث " أحمد سعد محمد " الذي أشار إلى موضوع الفصل والوصل إشارة موجزة ، وذكر أن هذا الموضوع يمكن أن يدرس بطريقة جديدة ـ وهذا وافق ما كان يدور في خلدي من قبل ـ وقد بحث " أحمد سعد " الموضوع بعنوان " تغاير القراءات وتنوّع الروابط " وجعل ذلك مبحثاً في كتابه ، وذكر أنه أخذ تسمية " الربط " من باحث آخر هو " محمد شادي " الذي قسم الربط في كتابه " مدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي " إلى قسمين هما : الربط المعنوي والربط الظاهر ، وقد بحثت عن كتاب " محمد شادي " فلم أعثر عليه .

وبالنظر في تناول " أحمد سعد " لموضوع تنوع الروابط نجده أبقى على تسمية " محمد شادي " واكتفى بذكر أمثلة معدودة وحللها تحليلاً موجزاً اعتمد فيه على كلام المفسرين وقد كانت فائدة هذا الكتاب أنه شجعني على تناول الموضوع تناولاً جديداً ، كما أنه أمدني بتسمية " الربط " فقمت بتقسيم الربط إلى قسمين هما : الربط المعنوي وهو

يبحث موضوع " الفصل " ، والربط اللفظي وهو يبحث " الوصل " ، وكانت هذه التسمية أدق وأنسب كما سيظهر في الفصل الأول من هذه الرسالة .

وقد أفدت من كتب كثيرة أخرى منها المصادر ومنها المراجع ، وتنوعت هذه الكتب فمنها كتب اللغة والنحو ، ومنها كتب علم الأسلوب وعلم اللغة الحديث ، ومنها كتب التفسير وعلوم القرآن ، ومنها كتب البلاغة والنقد ، ولكل نوع من هذه الكتب فائدة لكن هذه الكتب لم تتناول موضوع الربط تناولاً مباشراً موسعاً ، وكان ما فيها لا يعدو الإشارات.

فمن كتب النحو كتاب " المقضب " للمبرد ، وكتاب " شرح الكافية " للرضي " ، وكتاب " المفصّل في صنعة الإعراب للزمخشري " ، و " الأشباه والنظائر " للسيوطي ، و " مغني اللبيب " لابن هشام ، و" اللغة العربية معناها ومبناها " لتمّام حسان ، و " بناء الجملة العربية " لمحمد حماسة عبداللطيف ، و " إعراب الجمل وأشباه الجمل " لفخر الدين قباوة وغيرها من كتب النحو .

ومن كتب علم اللغة الحديث وفروعه أفدت من كتاب " علم اللغة والدراسات الأدبية " لبرند شبلنر ، وكتاب " وكتاب " دروس في الألسنية العامة " لفردينان دوسوسير ، وكتاب " علم الأسلوب " بصلاح فضل ، و " علم لغة النص " لسعيد حسين يحيى .

وأما كتب البلاغة فقد اعتمدت على كتاب " دلائل الإعجاز " لعبد القاهر الجرجاني ، وكتاب " مفتاح العلوم " للسكاكي ، وشروح المفتاح المعروفة ، وكتاب " من بلاغة القرآن " لأحمد بدوي " و " خصائص التراكيب " لمحمد أبي موسى ، وغيرها من الكتب .

ومن كتب الدراسات القرآنية أفدت من كتاب " دراسات لأسلوب القرآن الكريم " لمؤلفه محمد عبدالخالق عضيمة، الذي جمع الجمل القرآنية المستأنفة ، والجمل الواقعة بدلاً ، فوفر عليَّ جهداً كبيراً ، ووقتاً ثميناً ، لأنَّ جمع هذه الجمل يحتاج إلى قراءة القرآن الكريم كاملاً عدة مرات . متأنية ، والرجوع إلى إعراب القرآن ، ومع هذا فإنني كثيراً ما كنت

أحتاج إلى الرجوع إلى النص القرآني ، والنظر في كتاب الإعراب لاستخراج الإعراب الأقرب إلى المعنى ، والأوفق للساق .

وكان لكتب علوم القرآن أهمية كبيرة في هذا البحث ، فقد اعتمدت على مجموعة منها ؛ ككتاب " البرهان في علوم القرآن " للزركشي ، و " الإتقان " للسيوطي ، ومن كتب إعراب القرآن كتاب " التبيان في إعراب القرآن " للعكبري ، وكتاب " التفسير الكبير " لأبي حيان الأندلسي ، و " الكشاف " لجار الله الزمخشري ، و " التحرير والتنوير " لابن عاشور .

ومن كتب القراءات القرآنية أفدت من كتاب " الكشف عن وجوه القراءات السبع " لمكي بن أبي طالب ، وكتاب " النشر في القراءات العشر " الابن الجزري ، و " إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر " لابن البناء .

وقد تنوعت المصادر والمراجع بتنوع قضايا البحث ، وما ذكرته هنا هو بعض هذه المصادر ، وقد جمعت أسماء المصادر والمراجع في آخر هذا البحث مبيناً ما يتعلق بها وبمؤلفيها .

وبعد جمع المادة العلمية قمت بتوزيعها على فصول البحث وصياغتها ، فجاء البحث في خمسة فصول ، كان الفصل الأول بعنوان : الروابط في الدراسات اللغوية والأدبية والقرآنية ، وتناول هذا الفصل مفهوم الربط والروابط من الناحية اللغوية وحاولت أن أجمع فيه أطراف موضوع الربط ليكون بناءً متكاملاً يمكن أن يُجعل مصطلحاً من مصطلحات البلاغة الدالة على علاقات الجمل المتجاورة ، وجعلت للربط أنواعاً وأقساماً استنبطتها من إشارات العلماء إلى الموضوع .

ثم حاولت التقاط هذه الإشارات المتناثرة للربط والروابط التي تفرقت في كتب اللغة القديمة والحديثة ، وكتب النقد والبلاغة وكتب علوم القرآن وتفسيره ، والهدف من وراء ذلك إعطاء صورة واضحة عن " الربط " وتتبع مراحل تطور ذكره ، ووروده في هذه

الدراسات ، وهذا الأمر يمنح الباحث مشروعية لاتخاذه مصطلحاً يمكن أن يجد له مكاناً في حقل الدراسات البلاغية خاصةً .

وبعد تقديم صورة متكاملة عن الربط والروابط في الفصل الأول ، جاء الفصل الثاني بمبحثيه الأول والثاني ليبحث مفهوم الجملة العربية وروابطها وأقسامها وخصائصها ، أمّا المبحث الثالث من هذا الفصل فقد جاء مبيناً لخصائص الجملة القرآنية ، وكان هذا الفصل مبنياً على الفصل الأول ، وبمجموعها تكتمل صورة الربط والروابط بين الجمل ، ثم يأتي الفصلان الثالث والرابع ليبحثا الربط والروابط بين الجمل القرآنية الخبرية .

فأما الفصل الثالث فقد بحث الروابط المعنوية التي تربط بين الجمل الاسمية ، وهي روابط معنوية تربط الجمل المستأنفة المجردة عن حرف الاستئناف ، أو الجمل المستأنفة استئنافاً حرفياً ، أو تلك الجمل التابعة لجمل قبلها. وجاء الفصل الرابع ليبحث الروابط المعنوية التي تربط بين الجمل الفعلية بأنواعها.

ويكشف البحث في الفصلين الثالث والرابع عن مجموعة من العلاقات المعنوية الرابطة التي تفهم من السياق كعلاقة البيان والسببية والتناظر والنقض والتوجيه والتنبيه ، وغيرها من العلاقات المعنوية الرابطة بين الجمل .

أما الفصل الخامس ففقد بحث تنوع الروابط وأثره على اختلاف القراءات ، وما يؤدي إليه ذلك التنوع من اختلاف المعنى بين قراءة وقراءة أخرى ، ويحاول هذا الفصل مع ذلك أن يتلمس أهمية تنوع الروابط من الجانب البلاغي .

وختمت البحث بخاتمة عرضت فيها أبرز النتائج التي تمخض عنها التحليل ، وكشف عنها التأمل والتأويل ، ثم جاء فهرست المصادر والمراجع بعد ذلك ليعرض الكتب التي استقيت منها مادة البحث ، وأفدت منها أفكاره .

ولمّا كان إرجاع الفضل إلى أهله واجباً ، وإسناده إلى مستحقيه لازماً فإني أرجع فضل إتمام هذا البحث إلى توفيق الله وكرمه أولاً ، ثم إلى أستاذيّ الكريمين ، ومرشديَّ المخلصين : الأستاذ الدكتور " عمر خليفة بن إدريس " ، والأستاذ الدكتور " شعبان عوض العبيدي " اللذين أشرفا على هذا البحث ـ وقد تشرفت بذلك ـ وتابعا العمل فيه خطوة خطوة وقد أفادني ذلك ، وكم كانت توجيهاتهما نافعة ، وملاحظاتهما مجدية دقيقة ، فأسأل الله أن يبارك فيهما وفي علومهما ، وأن يديم نعمه عليهما .

وبعد فقد كان الطموح بعيداً ، والأمل كبيراً في تحقيق ما أصبو إليه لكنّ الطبيعة البشرية المتقلبة ، والقدرة الإنسانية المتغيرة قد تحول أحياناً دون بلوغ الأماني ، وتحد من الوصول إلى غاية الطموح ، كما أن خبرة الباحث المتواضعة ، وعلمه المحدود جعلا البحث يخرج على هذه الصورة التي هو عليها الآن ، ويشفع لي أن ما تحقق هو محاولة

جادة ، والمحاولة جهد واجتهاد ، وللاجتهاد نصيب إن أصاب وإن أخطأ ، فإن أصبت فإنما هو بتوفيق الله وكرمه ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي وعجزي .

(وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) من الآية [88 / سورة هود] .

الباحث

الخميس 29 - من ذي الحجة - 1375هـ

18 - من أي النار - 2007 م

الفصل الأول

الرّوابط في الدّراسات اللغويّة والأدبيّة والقرآنيّة .

المبحث الأول : الرّبط والرّوابط في الدّراسات النّحويّة واللّغويّة .

المبحث الثاني : الرّبط والرّوابط في الدّراسات النّقديّة والبلاغيّة .

المبحث الثالث : الرّبط والرّوابط في الدّراسات القرآنيّة .

تمهيـــد

لـم يكـن موضـوع الـربط والـروابط مـن الموضـوعات التـي فرضـت وجودهـا فـي الدراسات العربية بصفة عامة ، وإنما اقتصر ذكر الـربط والـروابط فـي المصـادر العربيـة على الإشارات العابرة ، واللمحات الفاترة ، والباحث في هذه المصادر لا يجد كتاباً واحداً بعنوان " الربط أو الروابط " ، بل لا يجد باباً أو فصلاً مستقلاً من أبواب هذه الكتب أو فصولها يتناول هذا الموضوع ، ونجد أنّ الإشارات إلى هذا الموضـوع مبعثرة فـي بطـون الكتب لا يجمعها جامع ، ولا ينظمها سلك ، وهي إشـارات تـأتي لشـرح مسـألة مـا ذات علاقة بالتعلق ، فلا تَعْدُو كونها بياناً للمعنى اللغوي لكلمة الربط .

ويحـاول هذا الفصـل التقـاط هذه الإشـارات ، وجمـع تلـك العبـارات ليقدم تصـوراً شاملاً حول ذكر الـربط والترابط فـي كتـب الدراسـات العربيـة : معاجمهـا ونحوهـا وأدبهـا وبلاغتها ، ولسانياتها وعلوم قرآنها ، والهدف من ذلك هو جمع شتات الموضوع ليفاد منـه وليكون محاولة في وضع أساس جديد للدراسة البلاغية : أساس يحاول دراسة بلاغة النص بالاعتمـاد علـى مفهوم الـربط والتـرابط. ولكـي يكـون التصـور لموضـوع الـربط والتـرابط شاملاً فإنَّ البحث لابد أن يتعدى حدود كتب البلاغـة ، ويتجـاوز مصـادر الأدب إلـى علـوم أخرى ذات علاقـة بالموضـوع كعلوم اللغـة واللسـانيات وعلـوم القرآن وتفسيره . ويحـاول البحث هنا تقديم مفهوم الربط والترابط منطلقاً من المعنى المعجمي لهذه الكلمة وصولاً إلى مفهوم اصطلاحيّ يحاول هذا البحث تقديمه ، ويمر فـي هـذه المسيرة بكتـب علـوم العربيـة وعلوم القرآن .

- معنى الرّبط في اللّغة :

تدل مادة " رَبَطَ " في اللغة على معانٍ هي " الشّدُّ والثبات والحفظ " ، يقول ابن فارس (ت 395 هـ) [1]: " الراء والباء والطاء أصل واحد يدل على شدٍّ وثبات . من ذلك ربطت الشيء أربطِه ربطاً ، والذي يشد به رِباط "[2] ، وحول هذه الدلالة تدور معاني الكلمات المشتقة منها، وهذا ما يظهر من تتبع معانيها في معاجم اللغة القديمة والحديثة ؛ فابن منظور (ت 711 هـ) [3] يقول: " ربط الشيءَ يَرْبِطُه ويَرْبُطه ربطاً، فهو مَرْبُوط وربيط : شدَّه . والرّباط : ما ربط به ، . . . ورجل رابطُ الجأش ورَبيط الجأْشِ أي شديد القلب كأنه يرْبُط نفسه عن الفِرار . . . "[4] .

ومعنى الحفظ ذكره الفيروز آبادي (ت 817 هـ) ، حيث قال : " . . . والمرابطة : المحافظة . . . "[5] ، وارتبطت كلمة" ربط " في معاجم اللغة بمجموعة أشياء هي : الدابة والثغور ، والقلب ، ومكان إقامة الفقراء " الصوفية " [6] ، وفي الجملة فإنَّ المعنى العام واضح في كل هذه الاستعمالات ؛ فربط الدابة والمرابطة في الثغور ، والربط على القلب ، والإقامة في المكان كل هذه الأمور تحمل معنى الثبات والشدّ والحفظ والملازمة إما حقيقة أو مجازاً ، ويبدو أنَّ المعنى الحقيقي الأول لكلمة " ربط "، هو " الشد " ، والمعاني الأخرى تطورت عن المعنى الأول .

---

(1) ينظر : السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، من غير تاريخ ، 1 / 352 .

(2) ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى / 1366 هـ ، مادة " ربط " .

(3) ينظر : السيوطي : بغية الوعاة ، 1 / 248 .

(4) ابن منظور ، جمال الدين محمد : لسان العرب ، دار لبنان للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، طبعة / 1375 هـ = 1956 م ، مادة " ربط " .

(5) الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق: محمد علي النجار ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، طبعة 1387 هـ ، مادة " ربط " .

(6) ينظر : الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 151 .

وبالنظر إلى الربط بكل عناصره فإنه يتطلب : الفعل وفاعله ومفعوله ؛ وآلته ؛ فأمَّا الفعل فهو " رَبَط " ، والفاعل للربط يقال له " رابط " ، والمفعول " مربوط ، وآلته " الرِّباط والمِربط وهو الحبل "[1] ، وجمع " رباط " هو " رُبُطٌ مثل كِتاب و كُتُب " [2]، واستناداً إلى ما سبق من هذه المعاني المعجمية يمكن استخلاص ما يأتي :

1 - استعمال كلمة " الرّبْط " في عملية التماسك والترابط بين الكلمات في الجملة الواحدة أو في الجمل المتجاورة في النص الواحد .

2 - تستعمل كلمة " الرابط " للشخص الذي يقوم بعملية ربط الكلمات بعضها ببعض أو ربط الجمل بعضها ببعض ، والذي يقوم بعملية ربط الكلمات أو الجمل في الحقيقة هو المتكلم أو الكاتب " منتج النص " . لكنَّ الملاحظ أن كلمة " الرابط " تطلق في كتب اللغة والنحو على الحرف الذي يربط بين أجزاء الجملة أو تطلق على الضمير العائد الذي يربط بين جملتين ونحو ذلك ، وهذا من باب الاستعمال المجازي .

3 - الكلمة التي يتم ربطها بغيرها ، أو الجملة التي تربط بجملة أخرى تسمى " مربوطة " اسم مفعول من " ربط " .

4 - الرِّباط " هو العلاقة المعنوية أو العَلاقة اللفظية[3] التي تربط بين الكلمات أو الجمل ، وتجمع على " رُبُط " ، وذلك تشبيهاً لهذه العلاقة بالحبل الذي يربط به . ونجد أن العلماء الذين أشاروا إلى الربط لم يستعملوا كلمة " الرّباط " وجمعها " رُبُط " وإنما استعملوا اسم الفاعل للدلالة على العلاقة المعنوية أو اللفظية التي تربط بين الكلمات أو الجمل ، وجمعوها على " روابط " ، وقد اختار هذا البحث التسمية المستعملة الشائعة ، وتجدر الإشارة إلى أنَّ أول من استعمل جمع كلمة " رابط " وجمعها على " روابط " هو ابن قيم الجوزية (ت 751 هـ) [4] ، في كتابه " بدائع الفوائد في سياق حديثه عن الحروف الرابطة بين الجملتين ، يقول: " الروابط بين جملتين هي الأدوات التي تجعل بينهما تلازماً لم يفهم قبل دخولها "[5] غير أنَّ ابن القيم حصر الربط في نوع واحد هو الروابط اللفظية التي تشمل عنده حروف الشرط البسيطة ، و " لمَّا " التي تدخل على الفعل الماضي أو المضارع ، و " لو " ، و " لولا " الشرطيتان .

---

(1) المصدر السابق .

(2) الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي : المصباح المنير ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، صيدا وبيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1418 هـ = 1997 م ، مادة " ربط ".

(3) العِلاقة : بكسر العين يستعمل في المحسوسات ، وبالفتح في المعاني " ، ينظر : الجرجاني ، علي بن محمد : التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ ، ص 199 .

(4) ينظر : ابن العماد ، أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ ، 6 ، 168 .

(5) ابن القيم ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر : بدائع الفوائد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، من غير تاريخ ، 1 / 43 - 44 .

وبعد عرض هذا التوضيح الذي بينت فيه دلالة الربط والروابط المعجمية ، فإنني سأستخدم بعض هذه الكلمات لتكون مصطلحات دالة على قضايا موضوع هذا البحث ، فاستخراج المصطلحات من رحم اللغة عن طريق الاشتقاق ، أو الاستعمال المجازي يكسبها مشروعية علمية .

إنَّ قضية تحديد المصطلحات قضية ضرورية يفرضها البحث العلمي الذي يسعى إلى الوصول إلى نتائج واضحة ، وذلك لأن المصطلحات تعد مفاتيح العلوم، ودوالّ جزئياتها ، وانطلاقاً من هذه الحقيقة فإن هذا البحث آثر تقديم هذا التوضيح ليُبيّن المصطلحات من جهة ، وليحاول تقديم معالم فكرة جديدة يمكن أن تدرس البلاغة في ضوئها .

- الربط في القرآن الكريم :

بعد هذا العرض الذي يبين معنى الربط اللغوي أقوم هنا بالبحث عن ورود مادة " ربط " ومشتقاتها في القرآن الكريم ، فقد وردت مادة " ربط " في القرآن الكريم بصيغ أربع هي[1] :

1 - الاسم : فالاسم من " رَبَط " هو " رِبَاط " ، وقد ورد في قول الله - تعالى - : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) [الأنفال : 60] .

2 - الفعل الماضي : وجاء الفعل الماضي في موضعين هما :

أ - (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) [الكهف : 14] .

ب - (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [القصص: 10] .

3 - الفعل المضارع : ووردت صيغة المضارع في موضع واحد هو : (وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ) [الأنفال : 11] .

4 - فعل الأمر : وقد جاءت بصيغة فعل الأمر في قول الله - تعالى - : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [آل عمران : 200] .

فهذه خمسة مواضع وردت فيها مادة " ربط " في القرآن الكريم بأربع صيغ ، وبالرجوع إلى كتب التفسير تتبين معاني هذه الصيغ ، فقد جاءت بمعنى : الملازمة

---

(1) ينظر : محمد فؤاد عبدالباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 1406 هـ = 1986 م ، ص 299 - 300 .

والحبس في الآية الأولى والخامسة ، " فإن المرابطة عند العرب : العقد على الشيء حتى لا ينحل " [1]، وقد قرئت الآية الأولى بصيغة الجمع (ومن رُبُط الخيل) بضم الراء والباء ، وهي قراءة الحسن [2]. وجاء الربط في الآية الثانية والثالثة والرابعة بمعنى : الشد والقوة ، ويظهر مما سبق أن استعمال القرآن الكريم لكلمة " ربط " ومشتقاتها جاء موافقاً للمعنى اللغوي .

- الربط في الحديث الشريف :

وردت مادة " ربط " بتصاريفها في الأحاديث الشريفة ، وهي أحاديث كثيرة ويدور معنى هذه التصاريف حول المعنى اللغوي الذي جاء في المعاجم اللغوية ، وهو المعنى نفسه الذي وجدناه في الآيات القرآنية السابقة الذكر ، ومن هذه الأحاديث التي وردت فيها كلمة " ربط " و مشتقاتها ما رواه الإمام البخاري [3]، عن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " إن عفريتاً من الجن تفلّت عليَّ البارحة ـ أو كلمة نحوها ـ ليقطع عليَّ الصلاة ، فأمكنني الله منه ، فأردت أن أَربِطَهُ إلى ساريةٍ من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) . قال رَوْحٌ : فرَدَّه خاسئاً " .

فمعنى " أربطه " في الحديث : أشده ، وهناك حديث آخر رواه الإمام مسلم : عن أبي هريرة ، أنَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ " قالوا : بلى : يا رسول الله" قال : " إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخُطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرّباط " .

---

(1) القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن ، دار الشام للتراث ، بيروت ، لبنان ، من غير تاريخ ، 8 / 36 ، 10 / 365 ، 13 / 256 ، 4 / 323 .

(2) ينظر : البناء ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، تحقيق : أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، طبعة 1422 هـ = 2001 ، ص 299 .

(3) البخاري ، محمد بن إسماعيل " الجامع الصحيح " مع " فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبدالزيز بن باز ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1416 هـ = 1996 م ، كتاب الصلاة ، الحديث رقم (461) .

فقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذالكم الرباط أي الرباط المرغب فيه ، وأصل الرباط الحبس [1].

مما تقدم يتبين لنا أن معاني مادة " ربط " التي وردت في اللغة والقرآن والحديث تدور جميعها حول معنى " الشد والثبات والحفظ والحبس " ، وهذا هو المعنى الذي يستمد منه هذا البحث التسمية الاصطلاحية لـ " الربط " ، وقد يعزز هذه التسمية ما سيسفر عنه البحث عن الربط والروابط في الدراسات النحوية واللغوية والنقدية والبلاغية والقرآنية ، وهو ما سيتناوله الفصل الأول بمباحثه الثلاثة .

---

(1) ينظر : مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، من غير تاريخ ، كتاب الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ، الحديث رقم (251) .

المبحث الأول

الرّبط والرّوابط في الدراسات النحوّية واللّغويّـة

يسعى هذا المبحث إلى تلمس مفهوم " الربط " وما يتعلق به من المصطلحات التـي استعملها علماء العربية منذ عصر التدوين حتـى قبيل عصرنا هذا ، كما يحـاول أن يتتبع بدايات استعمال لفظـة " الـربط " ومراحل تطـور مفهومهـا فـي كتـب النحـو وعلم اللغـة ، والبحث إذ يَتَبَع في هذا المنهج الاستقرائي التحليلي ، إنما يهدف من رواء ذلك إلـى البحث عن مدى أصالة " الرّبط " ، وإمكانية اتخاذه مصطلحاً دالاً على تماسك الجمل وترابطهـا ، ومن ثَمَّ البحث عن تنوع " الروابط " ، وأقسامها .

ـ الرّبط والرّوابط في الدراسات النحوّية القديمـة :

بالبحث فـي كتـب النحـو التـي نقلت إلينـا علـم الأوائـل مـن النحـويين يمكـن أن يجـد الباحث ما يدل علـى إدراك كثير منهم لمفهوم " الربط " الحادث بين كلمات الجملة الواحدة ، أو بين جمل النص ؛ فسيبويه (ت 180 هـ) [1] وإن لم يصرح بلفظ " الـرابط " إلا أنـه عند حديثـه عن أثر حـروف الجر فـي الكلام يقول : " وأمـا البـاء ومـا أشـبهها فليست بظروف ولا أسماء ، ولكنها يضاف بها إلى الاسم ما قبله أو مـا بعده . فـإذا قلت : يـا لبكـر فإنما أردت أن تجعل ما يعمل في المنادى من الفعـل المضمر مضـافاً إلـى بكـر بـاللام. وإذا قلت:مررت بزيد ، فإنما أضفت المرور إلى زيد بالباء."[2].

فحروف الجر حروف إضافة ـ كما سماها سيبويه ـ أي هـي حـروف ربـط ، تـربط الفعل بالاسم ؛ فحرف الجر " الباء " في الجملة التي مثّل بها ربطت الفعل " مـرَّ " بـالاسم " زيـد " فحـدث مـن هـذا الـربط إضـافة المـرور إلـى " زيـد " ، وبهـذا " الـرَّبط " يكتسـب

---

(1) ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1 / 1367 هـ = 1948 م ، 1 / 134 .

(2) سيبويه ، عمرو بن عثمان : الكتاب ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دار القلم ، مصر ، 1966م ، 1 / 420 - 421 .

الكلام معنى إضافياً هو التعدية كما في المثال السابق ، وهذا ما عناه السيرافي (ت 363 هـ) [1] بقوله ـ معلقاً على كلام سيوبه ـ : " ومعنى إضافتها الفعل ضمّها إياه وإيصاله إلى الاسم كقولك : رغبت في زيد ، وقمت إلى عمرو ، ففي أوصلتْ إلى زيد الرغبة ، وإلى أوصلت القيام إلى عمرو " [2].

ولم تقتصر إشارات سيبوبه ـ التي تدل على علاقة ترابط أجزاء الكلام ـ على باب الحروف الجارة ، وإنما توجد له إشارات أخرى ، كما هو الحال عند حديثه عن أسلوب الشرط ، وعلاقة جملتي الشرط بالأداة[3] ، وما يقاس عليه من الطلب والنهي والتمني والاستفهام ، فتراه يقول : " فأما ما انجزم بالأمر فقولك : ائتني آتِك . وأما ما انجزم بالنهي فقولك لا تفعل يكن خيراً لك . . . وإنما انجزم هذا الجواب كما انجزم جواب إن تأتني ، بإن تأتني ، لأنهم جعلوه معلقاً بالأول غير مستغن عنه إذا أرادوا الجزاء ، كما أنَّ إنْ تأتني غير مستغنية عن آتِك " [4].

ويصرح سيبويه هنا بلفظ " مُعَلَقاً " الذي يفيد معنى الترابط بين جملتي الشرط وجوابه ، إلا أنه لم يبين نوع هذا " التعلق " ، وربما يرجع ذلك إلى هدف تأليف كتابه حيث إن الغاية من تلك المؤلفات النحوية صون اللسان من اللحن ببيان الإعراب لا التدقيق في تركيب الكلام وعلائق ترابطه ، وتحليل تلك العلائق .

وقد فطن باحث معاصر إلى ما يقصده سيبويه بالتعلق ، حيث علَّق على نصّ سيبويه السابق قائلاً : " وواضح أنه يريد أن يقول إن جوابَ الطلب يرتبط بالطلب ارتباط جواب الشرط بأداة الشرط وفعل الشرط . . . " [5].

غير أن الباحث لم يحدد نوع الترابط هنا ، بل جعل الترابط بين مجموع جملة الشرط من جهة وجملة الجواب من جهة أخرى ، والذي يظهر لي أن الرابط الذي ربط بين

---

(1) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 1 / 361 .
(2) سيبويه ، الكتاب ، 1 / 421 . " الهامش " .
(3) ينظر : المصدر السابق ، 1 / 99 .
(4) المصدر نفسه 3 / 93 - 94 .
(5) محمد حماسة عبداللطيف : بناء الجملة العربية ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط / 2003، ص 221 - 222 .

الجملتين هو أداة الشرط ، التي إن حذفت انتفى الترابط بين جملتي الشرط والجواب، ولم يعد لهما معنى ، كأن تحذف أداة الشرط من جملة " إن تأتني آتك " فتصير " تأتني آتك " فقد تجردت بذلك عن المعنى المقصود ، وخلت من الترابط الذي أوجد المعنى : معنى الشرط .

ومع أن سيبويه لم يرد عنده لفظ " الربط " ، فقد استعمل ما يدل على معناه من مثل : التعلق ، والعائد ، والإضافة .

وإذا انتقل البحث إلى جانب الدراسة النحوية التطبيقية ، فإنَّ أول ما يبرز في هذا المجال كتاب الفراء (ت 207 هـ)[1] " معاني القرآن " الذي عمل مؤلفه على بيان معاني بعض الآيات القرآنية عن طريق الإعراب ، وتفسير غريب اللغة ، والذي يعني البحث هنا جانب بيان المعنى وهو جانب له علاقة بالإعراب ، الذي يُعَدُّ امتداداً للدراسات النحوية .

وقد استعمل الفراء المصطلحات النحوية المشهورة عند النحويين مثل مصطلح " العائد " للضمير الرابط [2]، أو مصطلح " العطف " للربط بالواو العاطفة ، نحو بيانه لمعنى قول الله تعالى : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ) [آل عمران: 191] .

يقول : " يقول القائل : كيف عطفت بعلى على الأسماء ؟ فيقال : إنها في معنى الأسماء ألا ترى أن قوله : (وَعَلَى جُنُوبِهِمْ): ونياماً " [3] أي بمعنى: نياماً .

وهو يستعمل مصطلح " الرَّد " ويقصد به " العطف " أكثر من استعماله لـ " العطف " ، كما في بيان معنى قول الله ـ تعالى ـ : (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً) [النحل : 8] .قال : " (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ) تنصبها بالرّد على خلق . . ."[4].

---

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 5 / 229 .

(2) ينظر : الفراء ، أبوزكريا يحيى بن زياد : معاني القرآن ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور ، بيروت ، من غير تاريخ ، 1 / 150 - 151 .

(3) المصدر السابق ، 1 / 250 .

(4) المصدر نفسه ، 2 / 97 .

وعندما يتحدث الفراء عن الكلام المفتتح به يستعمل المصطلح المشهور "الاستئناف "[1] أو ربما سماه كلاماً منقطعاً ، نحو قوله : " والاستفهام كله منقطع مما قبله لخلقةِ الابتداء به "[2] .

وقد يفهم من قوله : " منقطع " أنه لا صلة لهذا الكلام المستأنف بما قبله، ويبدو أن هذا المصطلح موهم خلاف دلالته ، إذ إن أكثر الجمل المستأنفة في النصوص اللغوية الأدبية مرتبطة بما قبلها وبما بعدها بنوع من الروابط ، وإن كان الشكل يظهر انقطاعها .

أما النحاس (ت 338 هـ) [3] في كتابه " إعراب القرآن " فقد التزام مصطلح النحويين ، ولم يرد في كتابه ـ فيما يظهر ـ مصطلح " الرَّبط " واكتفى بمصطلح " العائد "[4] والعطف "[5] .

ويبدو أن لفظ " الربط " لم يستعمل في الدلالة على تماسك أجزاء الجملة والجمل عند النحويين الأوائل ، ولم يكتب له الوجود حتى جاء أبوعلي الفارسي(ت 377هـ)[6] وأشار إلى معنى الترابط عند حديثه عن ائتلاف الكلام ؛ فالكلام عنده يتآلف من اجتماع اسم وحرف ظاهراً ـ أحياناً ـ لكنه في حقيقته متآلف من فعل واسم ، أو من اسم واسم آخر ، فجملة نحو : " زيد في الدار ، والقتال اليوم ، فهو كلام مؤتلف من اسم وحرف . . . ولكنه من حيز الفعل والاسم ، أو الاسم والاسم ، ألا ترى أن قولك " في الدار " ليس بزيد ، ولا القتال باليوم ، فإذا لم يكونا إياهما كان الكلام على غير هذا الظاهر ، ويحتاج إلى ما يربطه بما قبله ويعلقه ، وأن يخلو ما تعلقه به من أن يكون اسماً أو فعلاً ، وكلاهما جائز غير ممتنع تقديره " [7].

ويبدو من تأمل كلام أبي علي الفارسي " فإذا لم يكونا إياهما كان الكلام على غير هذا الظاهر ، ويحتاج إلى ما يربطه " أنه يرجع تآلف الكلام والتركيب إلى كون أجزائه

---

(1) ينظر : المصدر نفسه ، 2 / 286 .
(2) المصدر نفسه ، 1 / 142 .
(3) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 1 / 83 .
(4) ينظر : النحاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل : إعراب القرآن الكريم ، تحقيق : زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط 3 / 1409 = 1988 م ، 1 / 182 .
(5) ينظر : المصدر السابق ، 1 / 73 .
(6) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 1 / 363 .
(7) الفارسي ، أبو علي الحسن بن أحمد ، المسائل العسكريات ص 42 ، نقلاً عن : محمود أحمد نحلة ، صور تأليف الكلام عند ابن هشام ، ص 12 .

الرئيسة شيئاً واحداً في اللفظ والمعنى ، فإن لم يكن الأمر كذلك احتاج الكلام إلى ما يربطه كالحرف في جملة : زيد في الدار ، والظرف في جملة : القتال اليوم .

وهذا النص يفتح أفقاً لاستنباط أنواع للترابط ، ويؤسس لقاعدة مفادها أن الأصل في الترابط أن يكون معنوياً ، كأن يكون جزء التركيب الثاني هو جزءه الأول في المعنى كما هو الحال في : قولي لا إله إلا الله ، ونطقي الله حسبي ؛ فجملة الخبر هي في المعنى المبتدأ ، فالرابط معنوي هنا ، فإن لم يكن كذلك احتاج الخبر الجملة إلى رابط لفظي كالضمير أو اسم الإشارة ، أو تكرار لفظ المبتدأ ، ونحو ذلك ما هو مقرر في كتب النحو في باب الخبر .

وبناء على ما سبق فإنَّ أبا عليّ الفارسي ـ فيما يبدو ـ هو أول من صرح بـ " الترابط " واستعمله ، وألمح إلى تنوع الروابط بين أجزاء الكلام .

وبتتبع مصطلح " الربط " عند النحويين ـ بعد أبي علي الفارسي ـ نجد الزمخشري (ت 538) [1] يشير إليه دون أن يصرح به ، لكنه يستعمل " العقد " للربط. فالعلاقة التي بين المبتدأ والخبر التي هي الإسناد هي سبب الإفادة " لأنهما لو جردا لا للإسناد لكانا في حكم الأصوات التي حقها أن ينعق بها غير معربة ، لأن الإعراب لا يستحق إلا بعد العقد والتركيب . . . " [2].

فالزمخشري يشير هنا إلى رابط الإسناد ، وهو رابط معنوي يربط بين المبتدأ والخبر فيفيدا معاً معنى يحسن السكوت عليه .

وعلى الرغم من أن الزمخشري لم يذكر " الربط " صراحة عند حديثه عن الإسناد ـ مع أنه رابط معنوي ـ فإنه ذكر في موضع آخر أنَّ اللام الواقعة في جواب الشرط لـ " لو

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 4 / 259 .
(2) ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي ، شرح المفصل ، تصحيح : مشيخة الأزهر ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، من غير تاريخ ، 1 / 83 .

ولولا " ما هي إلا رابط " ودخولها لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى " [1] ، وذلك نحو قول الله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) [الأنبياء : 23] ، ونحو (وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ) [النساء: 82] .

وقول الزمخشري : " لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى " يدل على أن هناك ارتباطاً موجوداً قبل دخول " اللام " وجاءت اللام لتؤكده ، فتُرى ما هو مصدر هذا الارتباط بين جملتي الشرط والجواب ؟

لعل الزمخشري يقصد الارتباط الحادث بين الجملتين بسبب حرف الشرط ، إذ إن حرف الشرط يربط بين جملة الشرط وجملة الجواب ، وبانتفائه ينتفي معنى الشرط ، وينتفي الارتباط بين الجملتين ، وعليه فإن الارتباط بين الجملتين حادث بحرف الشرط ، وهو رابط لفظي ، وباللام أيضاً وهي رابط لفظي يؤكد الترابط بحرف الشرط ، إن هذا المفهوم يؤسس لما يمكن أن يُسمَّى تعدد الروابط وتضافرها ، إذ قد ترتبط الجملتان بأكثر من رابط .

وإن كان الزمخشري قد عدَّ اللام الواقعة في جواب " لو " أو " لولا " رابطة في أسلوب الشرط ، فإن ابن يعيش (ت 643 هـ) [2] شارح " المفصل " عدّ حرف الشرط نفسه رابطاً يربط جملة الشرط بالجواب حتى تصيرا كالجملة الواحدة ، فجملة نحو : " زيد إن يقم أقم معه ، فهذه الجملة وإن كانت من أنواع الجمل الفعلية ، وكان الأصل في الجملة الفعلية أن يستقل الفعل بفاعله نحو : قام زيد ، إلا أنه لما دخل هاهنا حرف الشرط ربط كل جملة من الشرط والجزاء بالأخرى ، حتى صارتا كالجملة الواحدة نحو : المبتدأ والخبر ، فكما أنَّ المبتدأ لا يَسْتَقِلَ إلا بذكر الخبر ، كذلك الشرط لا يستقل إلا بذكر الجزاء ، ولصيرورة الشرط والجزاء كالجملة الواحدة جاز أن يعود إلى المبتدأ منهما عائد واحد . . . " [3].

---

(1) الزمخشري ، أبوالقاسم محمود بن عمر ، المفصل في صنعة الإعراب ، تحقيق : علي بوملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط 1 / 1993 م ، ص 451 .
(2) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 6 / 51 .
(3) ابن يعيش ، شرح المفصل ، 1 / 89

فهذا النص يركز على عمل الرابط ـ الذي هو حرف الشرط هنا ـ مع ورود مصطلح " الربط " صراحة ، ثم هو يوضح نوعاً محدداً من الربط ، ذلك هو الربط اللفظي بين جملتي الشرط والجواب ، فأما من جهة استعمال مصطلح الربط فمن البيِّن أنه يعني به ذلك الأثر المعنوي الذي حدث بسبب دخول حرف الشرط على الجملتين الفعليتين ما أدى إلى اندماجهما فصارتا كالجملة الواحدة ، وصارت الجملة الأولى كالمبتدأ والثانية كالخبر ، أي : كركني الإسناد .

وهذه الإشارة الأخيرة التي شبه فيها ترابط جملتي الشرط بركني الإسناد ، هي الإشارة الثانية في كلام ابن يعيش ، ويمكن أن يفهم منها أنّ ابن يعيش يريد أن يقول : إن الترابط الذي أحدثه حرف الشرط بين الجملتين ترابط يشبه الترابط الإسنادي بين المبتدأ والخبر ، أي أنه يُشبِّه الأثر المعنوي الناتج عن الرابط اللفظي في جملتي الشرط والجواب بالعلاقة الإسنادية التي هي رابط معنوي ،ومن هذا يفهم تعدد أنواع الربط ، فمنها الربط اللفظي ، ومنها المعنوي ، والروابط اللفظية كأداة الشرط ، والمعنوية كالإسناد .

أما الأمر الآخر الذي يفهم من كلام ابن يعيش فإشارته إلى عمل الرابط اللفظي وأثره الذي وَلّد نوعاً من الوحدة بين الجملتين فصارتا كالجملة الواحدة لِما نتج من علاقة سببية بين الجملتين كما في " زيد إن يقم أقم معه " حيث إن قيام زيدٍ سببٌ في قيام المتكلم ، وهذه العلاقة يمكن أن تسمى " العلاقة الرابطة" التي تتنوع بتنوع الروابط.

وفي كتاب " التبيان " للعكبري (ت 616 هـ) [1] ما يمكن عدّه تصريحاً بالربط ، وذلك عند إعراب قول الحق ـ تعالى ـ : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [البقرة : 246] . فالواو في (وما لنا) دخلت " لتدل على ربط هذا الكلام بما قبله ، ولو حذفت لجاز أن يكون منقطعاً عنه . . . " [2].

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 2 / 286 .
(2) العكبري ، أبو البقاء عبدالله بن الحسين : التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط 2 / 1407 هـ = 1987 م ، 1 / 196 .

ومع أهمية هذه الدقيقة في كلام العكبري ، فأنه لم يصرحْ ـ في أغلب الظن ـ إلى قضية الربط في كتابه " التبيان " إلا هذه المرة ، وهي تقتصر على الربط بالحرف ، أي : الربط اللفظي .

على أن هذا الذي فهمناه من عبارة ابن يعيش السابقة قد صرح به الرضي (ت 686هـ)[1] عند حديثه عن الإسناد ، وعدَّه جزءاً من أجزاء تركيب الكلام كالمسند والمسند إليه ، " وذلك لأن أحد أجزاء الكلام هو الحكم أي : الإسناد ، الذي هو رابطة ، ولا بُدّ له من طرفين : مسند ، ومسند إليه " [2] والإسناد بطبيعته جزء غير منطوق في الجملة ، وإنما هو معنى رابط بين المسند والمسند إليه .

وهذه " إضافة بارعة تدل على بصرٍ حديد بالأجزاء التي يتألف منها الكلام .... إذ لا ينعقد الكلام إلا به (أي الإسناد) وهو في ذلك يتفق اتفاقاً عجيباً مع ما جاء به أصحاب نحو التعلق " [3]. بل إن الرضي له فضل السبق إلى إدراك هذه الحقيقة وبيانها.

إلا أن النحويين بعد الرضي لم يلتفتوا ـ فيما يبدو ـ إلى ما قرره الرضي في نصه السابق ، فلم يعنوا بدراسة الإسناد ، وهو جزء من أجزاء الجملة ، بل كانت عنايتهم بدراسة ركني الإسناد : المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية ، والفعل والفاعل في الجملة الفعلية ، فكان اعتناؤهم بأجزاء التركيب الملفوظة أكبر من عنايتهم بالجزء غير الملفوظ منه .

ويأتي هذا البحث ليعتني بالروابط المعنوية التي لم تلقَ عناية كافية ، ومن هذه الروابط المعنوية الإسناد الذي يعد رابطاً رئيساً من الروابط المعنوية التي تتركب منها الجملة ، ويسعى البحث من خلال دراسة الروابط المعنوية إلى إبراز أهمية هذا النوع من الروابط .

---

(1) السيوطي ، بغية الوعاة ، 1 / 567 .

(2) الرضي ، محمد بن الحسن : شرح الكافية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / 1405 هـ = 1985 م ، 1 / 8 .

(3) محمود نحلة : صور تأليف الكلام عند ابن هشام ، ص 26 .

ويذهب الرضي مذهباً أبعد من هذا إذ يقرر أنه " قد تحقق فيما سبق أن عمل كلمة في أخرى إنما هو بحسب ارتباط بينهما في المعنى إذ بذلك يحدث في الأخرى معنى يحتاج إلى وضع علامة له وليس بين المبتدأ والخبر ارتباط إلا باعتبار كون الخبر مسنداً إلى المبتدأ ، فلو جعل الخبر عاملاً ومعمولاً معاً بالقياس إليه لم يكن ذلك إلا بحسب هذا الارتباط فيلزم تقدمه عليه وتأخره عنه من هذه الجهة لأنها جهة كونه عاملاً وجهة كونه معمولاً . . . " [1].

فالرضي يرى أن العمل إنما يحدث بسبب الارتباط بين العامل والمعمول ، وهذا الارتباط ينتج عنه معنى يستلزم بدوره علامةً إعرابية ، وفي هذا الكلام دلالة على أن نظرية العامل بنيت على أساس فكرة الربط ، التي انطلق النحاة من أصداء فلسفتها ، وإن لم يصرّحوا بذلك ، أو يتخذوا لفظ " الربط " مصطلحاً معبراً عنها ، ومعلوم أنّ الربط بين العامل والمعمول هو أساس المعاني النحوية : كالابتداء ، والخبرية، والفاعلية ونحو ذلك ، وأنَّ هذه المعاني هي التي استدعت العلامات الإعرابية .

ومهما يكن من أمر فإن هذا الرأي يدل على أن الرضي أدرك أهمية الترابط والرّبط بين عناصر التركيب حين جعله أساس المعاني النحوية ، وسبب جلب العلامات الإعرابية الدالة على تلك المعاني .

أما ابن هشام الأنصاري (ت 761 هـ) [2] فقد ذكر الترابط عند حديثه عن "لو"، التي قد يعقل بها ارتباط مناسب بين جزأي الكلام ، وتارة لا يعقل ارتباط مناسب بين جزأي الكلام [3]، فالارتباط الحاصل بين الشرط وجوابه بعد دخول " لو " قد يكون حاصلاً لعلاقة السببية أو الضدية فيكون قريباً إلى العقل فيدرك بيُسْر ، وقد يكون كذلك فلا يدرك الارتباط بيسر ويحتاج إلى تأمل وتدبر .

---

(1) الرضي : شرح الكافية ، 1 / 22 .
(2) السيوطي ، بغية الوعاة ، 2 / 68 - 69 .
(3) ينظر : ابن هشام ، أبو محمد عبدالله جمال الدين : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق : بركات يوسف هبود ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ط 1 / 1419 هـ = 1999 م ، 1 / 379 .

ثم إن ابن هشام ذكر ترابط خبر " ليت " باسمها الذي يحدث بسبب دخولها على جزئي الإسناد ، فتضفي ليت هذه عليهما ترابطاً يعزز ما بينهما من ترابط موجود أصلاً، قال يزيد بن الحكم :

فليت كفافاً كان خيرُك كُلُّه   وشرُّكَ عنّي ما ارْتوى الماءُ مرتَوِي

ففي البيت إشكال " وإشكاله من أوجه ؛ أحدها : عدم ارتباط خبر " ليت " باسمها، إذ الظاهر أن " كفافاً " اسم " ليت " ، وأن " كان " تامة ، وأنها وفاعلها الخبر ، ولا ضمير في هذه الجملة ... " [1]. ثم قال ابن هشام : " والجواب عن الأول (أي : الإشكال الأول) : أن " كفافاً " إنما هو خبر لـ " كان" مقدم عليها ، وهو بمعنى كافّ ، واسم " ليت " محذوف للضرورة ؛ أي : فليتك ، أو فليته ؛ أي : فليت الشأن ؛ . . . " [2].

وإدراكاً لضرورة الارتباط بين خبر " ليت " واسمها الذي يكسب الكلام إفادة ومعنى قام ابن هشام بشرح المسألة وبيانها ليتضح معنى البيت ، وهذا لون من ألوان الربط اللفظي حيث ارتبط خبر " ليت " باسمها بدخول " ليت " مع ما كان بينهما من ترابط .

ويرد ذكر الارتباط في موضع آخر عند ابن هشام ، وذلك عند حديثه عن شرط التنازع إذ " يجوز التنازع بشرط أن يكون بين العاملين ارتباط ، وتقدير الاستئناف يزيل الارتباط "[3] ، وكان ذلك عند الاستشهاد ببيت امرئ القيس :

ولوْ أنَّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفاني - ولم أطلبْ - قليلٌ مِنَ المالِ

فتقدم العاملان " كفاني ، وأطلب " وتأخر " قليل " ، وليس هذا من باب التنازع ، لأن من شرطه صحة تسلط كل واحد من العاملين على المعمول المتأخر مع صحة المعنى ، وهنا لا يصح المعنى إذا توجه العاملان إلى " قليل" لما يحدثه ذلك من تناقض في المعنى إذ يكون المعنى : " إن الشاعر لم يطلب قليل المال ويطلب قليل المال " ، والواو في " ولم

---

(1) المصدر السابق ، 1 / 418 .
(2) المصدر نفسه ، 1 / 418 - 419 .
(3) ابن هشام ، أبو محمد عبدالله جمال الدين : شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، من غير تاريخ ، ص 200 .

أطلب " عاطفة ، ولكنها عطفت جملة على أخرى ، والتقدير : " لو ثبت كون سعيي لأدنى معيشة كفاني قليل من المال ، ولم أطلب الملك " [1].

وإذا عُدّتِ " الواو " للاستئناف زال الارتباط بين العاملين " كفاني ، وأطلب " وبهذا ينتفي التنازع ، هذا ما قرره ابن هشام في عبارته ، والذي يفهم من هذه العبارة أن الجملة المستأنفة لا ترتبط بما قبلها ، فالاستئناف نقيض الترابط ، والترابط يحدث بالعطف ؛ ويبدو أن هذه هي نظرة أكثر النحويين ، إذ لا يتصورون الربط بين الجمل إلا بحرف العطف ، لكن الذي يظهر لي أن الاستئناف ينطوي في أكثر الأحيان على علاقة تربطه بما يسبقه ، يظهر هذا في النصوص الأدبية البليغة المتماسكة الأجزاء ، المتلاحمة الأوصال ، كما هو الأمر في قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) [الذاريات : 24 - 25] .

فالجملة الكريمة (قَالَ سَلامٌ) جملة استئنافية ، بيد أنها مرتبطة بالجملة التي قبلها برباط الجواب عن سؤال مقدر ، فكأن السامع لما سمع (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً) سأل : فماذا قال إبراهيم لهم ؟ فجاءت جملة (قَالَ سَلامٌ) جواباً ، فهي استئناف بياني ، مرتبط بما قبله ، ولو انتفى هذا الارتباط لصار الكلام مفكك الأجزاء لا مناسبة بين جمله ، ولا رابط معنوياً يربط بعضه ببعض ، وهذا يعد عيباً في الكلام البليغ ، ينأى عنه الفصحاء البلغاء ، وينزهون أنفسهم عنه ، والقرآن أحق وأولى ، وقد قرر علماء الإعجاز البلاغي للقرآن في " علم المناسبة " تناسب جمل القرآن وآياته وترابطها ، ودلّلوا على ذلك في بحوثهم [2].

وجملة القول أن النحويين ـ كما مرَّ ـ أدركوا بطريقة أو بأخرى قضية الربط والترابط بين أجزاء التركيب ، وأشاروا إلى بعض جوانبها ، إلا أن كلامهم لم يتجاوز حدّ الإشارات التي لا ترقى إلى درجة استعماله مصطلحاً ، وعده فكرة علمية متكاملة الجوانب ، وليس أدلّ على ذلك من أن أكثر كتب التراث النحوي خلت من ذكر كلمة " الربط "

---

(1) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 158 وما بعدها .
(2) ينظر : الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، ط 1 / 1377 = 1958 م ، 1 / 36 .

ومشتقاتها ، بل إنهم استعملوا أسماء أخرى قد يفهم منها ـ في بعض الأحيان ـ معنى الترابط ، كاستعمالهم لمصطلح " العائد " ، والتعلق والعقدة ، ويعد مصطلح العائد الأكثر استعمالاً في كتبهم ، مع ملاحظة ما بين " العائد " و" الرابط " من فرق في الدلالة .

وبناء على هذا فإن كتب البلاغة لم تحفل بدراسة قضية الربط ، وذلك لأن علماء البلاغة انطلقوا من تراث النحويين ، وبنوا عليه ، وأبقوا على كثير من مصطلحاتهم خاصة في علم المعاني ، لذا كانت الحاجة إلى بحث هذه القضية بحثاً نحوياً موسعاً والعناية بها كعنايتهم بأجزاء التركيب الملفوظة : المسند والمسند إليه ، وعسى أن ينتج عن هذا البحث الموسع فكرة متكاملة تكون أساساً في دراسة النحو العربي، فتردف نظرية العامل في النحو ، وتكون سنداً وعوناً لها .

وحتى تكتمل صورة الربط في كتب النحو . فإنه من المفيد ذكر المواضع التي حصرها النحويون ويُحتاج فيها إلى الرابط والربط ، وقد حصر ابن هشام والسيوطي ذلك في أحد عشر موضعاً هي [1]:

1 - جملة الخبر .

2 - جملة الصفة .

3 - جملة الصلة .

4 - جملة الحال .

5 - الجملة المفسرة لعامل الاسم المُشْتَغَل عنه .

6 - بدل البعض .

7 - بدل الاشتمال .

8 - معمول الصفة المشبهة .

---

(1) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 152 وما بعدها . والسيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : الأشباه والنظائر في النحو ، تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد ، مكتب الكليات الأزهرية ، القاهرة، مصر ، ط / 1395 هـ = 1975 م ،1 / 200 .

9 - جواب اسم الشرط المرفوع بالابتداء .

10 - العاملان في باب التنازع .

11 - ألفاظ التوكيد المعنوي .

وبتأمل هذه المواضع يتضح أن الحصر لا يقتصر على مواضع الربط فحسب ، بل هو يشملها ويشمل أدوات الربط ، التي تكاد تنحصر عندهم ـ كما يظهر ـ في الضمير والواو .

فالضمير يأتي رابطاً في كل المواضع التي ذكرت ؛ إما ظاهراً أو مقدراً كما صرح السيوطي [1]. والواو تأتي رابطة في باب الحال وباب التنازع، والتركيز عند النحويين كما هو واضح على الربط اللفظي ، وهذا هو ما حفلت به كتب التراث النحوي، وسمّوا الرابط اللفظي " العائد " إن كان ضميراً ، أو ما ينوب عن العائد ويخلفه إن كانت الواو أو إعادة لفظ المراد ربطه به [2].

مما سبق يمكن أن يخلصَ البحث إلى أن النحويين حصروا الترابط في مواضع محددة ذكروها ، لكن الأمر لا ينحصر فيما ذكروه ، إذ إن إشارات مثل التي وردت عند أبي علي الفارسي والزمخشري وابن يعيش والرضي تعد دليلاً على أن الربط أكثر اتساعاً ، فهو يشمل نوعاً آخر غير لفظي كالإسناد ، والتعلق كما هو حادث بين جملتي الشرط وجوابه .

وإذا وضعت تلك الإشارات تحت مجهر البحث فإن ذلك ينتج عنه أن " الربط " أساس تركيب كل جملة ونص ، وهذا دافع قوي لدراسة هذا الموضوع دراسة متخصصة موسعة .

---

(1) ينظر : السيوطي : الأشباه والنظائر ، 1 / 201 .

(2) ينظر : الأشموني : شرح الأشموني ، دار إحياء الكتب العربية وعيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، من غير تاريخ ، 1 / 146 .

ومهما يكن من أمر فإن لفظ " الربط " يعدّ لفظاً أصيلاً له جذور في الدراسات النحوية التراثية ، ومحاولة الكشف عن خصائصه وآثاره في النص أمرٌ يرتكز على الأصالة ، وينطلق من تراث العربية الكبير الغني ، الذي سطّره أعلام العربية .

ـ الروابط في الدراسات النحوية الحديثة :

سارت أكثر الدراسات النحوية في العصر الحديث على منهج النحو العربي القديم ، لكنّ بعض الدارسين حاول الإفادة من تطور الدراسات النحوية في الغرب ، ويظهر أن هذه المحاولات قد أَثْرَت المكتبة العربية بدراسات ذاتِ قيمةٍ علمية ، ومن أبرز هذه المحاولات المفيدة دراسة الدكتور " تمام حسان " الموسومة بـ " اللغة العربية معناها ومبناها " .

وفي هذه الدراسة الجديدة ورد ذكر الربط والترابط ، وهو عند " تمام حسان " قرينة لفظية ، ويقصد به الوسيلة التي تربط بين أجزاء الكلام الذي يحتاج إلى العائد الرابط أو ما ينوب عنه ، وهذه الوسيلة قد تكون الضمير ، أو إعادة اللفظ ، أو إعادة المعنى ، أو اسم الإشارة ونحو ذلك [1]. ولا يختلف هذا الذي ذكره " تمام حسان " عن ما هو معروف في النحو العربي القديم .

وقد جعل " تمام حسان " الربط أحد أنواع القرائن اللفظية التي تخدم المعنى ، وتبينه ، ويسمي هذه القرائن أحياناً " العلاقات " [2]. والذي يظهر لي أن أكثر هذه القرائن التي سماها " العلاقات " أو تلك التي سماها " القرائن المعنوية " ما هي إلا روابط ، فأما القرائن اللفظية فهي روابط لفظية ، والقرائن المعنوية هي روابط معنوية، وإنما دعاها " تمام حسان " قرائن لأن كلاً منها يدل على المعنى ، ويساعد في إيضاحه، وهو إنما يهدف من بحثه بحث الأمور التي تدل على المعنى وتخدمه ليثبت أن العلامة الإعرابية ما هي إلا قرينة لفظية واحدة من مجموع القرائن المتعددة ، وأن تركيز أكثر النحويين عليها وعلى العامل لاستجلاء المعنى تركيز فيه قصور[3]، ولعله من المفيد تلخيص فكرة " تمام حسان " عن القرائن التي يعدها هذا البحث روابط سياقية.

قسم " تمام حسان " القرائن إلى ثلاثة أقسام هي :

1 ـ القرائن المادية .

---

(1) ينظر : تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، مطبعة النجاح الجديدة ، من غير تاريخ ، ص 213 .
(2) ينظر : المصدر السابق : ص 134 .
(3) ينظر : المصدر نفسه : ص 207 ، 231 .

2 ـ القرائن العقلية ؛ وهي نوعان : ذهنية عهدية ، ومنطقية .

3 ـ قرائن التعليق ، وهي نوعان : مقالية وحالية ، والقرائن المقالية صنفان: معنوية ولفظية .

وقرائن التعليق هي تلك القرائن التي تؤدي مهمة الربط بين كلمات النص وجمله، ومن هنا كانت عناية " تمام حسان " بها ، وفصّل الحديث فيها لاسيما النوع الأول منها الذي هو القرائن المقالية ، وجعلها صنفين : معنوية ولفظية[1].

أ ـ القرائن المعنوية ؛ ولها عدة أقسام هي : الإسناد والتخصيص ، والنسبة، والتبعية، والمخالفة .

ب ـ القرائن اللفظية ؛ ولها عدة أقسام هي : الإعراب ، والرتبة ، والصيغة ، والمطابقة ، والربط ، والتضام ، والأداة ، والتنغيم .

ويلاحظ من هذا التقسيم أن " الربط " هو أحد القرائن اللفظية كالإعراب والرتبة والصيغة وغيرها ، ويكون الربط بالضمير العائد ، وبالحرف ؛ كالربط بالفاء بين جواب الشرط وجملة الشرط ، واللام في جواب القسم ، وقد يكون الربط بإعادة اللفظ أو بإعادة المعنى ، أو بالعهد ؛ كالدخول تحت العموم ، ونحو ذلك . . . وهذا حصر للرابط والربط في قسم محدد يشبه إلى حد كبير ما كان عليه حال الربط في النحو العربي القديم .

ومع أن هذا الحصر يضيق دائرة البحث ، ويؤدي ذلك إلى إهمال جانب آخر من الربط . فإنه ينطوي على خصوبة في مجاله ، وهو ما يتسق مع الدراسة النحوية، غير أن الدراسة البلاغية يمكن أن تفيد من هذه النظرة مع إدخال شيءٍ من التغيير عليها .

---

(1) المصدر نفسه : ص 190 ، 214 .

ويتمثل ذلك التغيير في اختيار اسم " الروابط " لما يسمى " القرائن " ، إذ إن الربط هو أحد وظيفتين تضطلع بهما هذه القرائن ؛ فهي تؤدي وظيفة الربط في التركيب من جانب ، وتعد قرينة دالة على المعنى من جانب آخر .

وبحث تمام حسان الروابط التي تربط بين أجزاء الجملة الواحدة ، وعدَّ الإسناد واحداً من هذه الروابط ، وهو رابط معنوي ، وقد جعله مع التخصيص ، والنسبة والتبعية في مجموعة واحدة تشكل العلاقات الرابطة بين المعاني النحوية الخاصة ، والمعاني النحوية الخاصة هي : الفاعلية ، والمفعولية ، والحالية . . . الخ [1].

ومعنى ذلك أن الإسناد يربط بين الفعل والفاعل ، ويربط بين المبتدأ والخبر ، ويندرج رابط الإسناد تحت عناصر النظام النحوي للغة الذي يشمل مجموعات أخرى من الروابط .

ونجد أن تمام حسان يعطي الإسناد أكثر من تسمية ، فيجعله تارة علاقة من العلاقات التي تربط المعاني الخاصة ، وتارة أخرى يجعله قرينة ويضمه إلىالتخصيص والنسبة والتبعية في مجموعة واحدة هي مجموعة القرائن المعنوية [2].

والذي يعني البحث هنا هو الإسناد وهو من مجموعة العلاقات الرابطة للمعاني النحوية الخاصة ، وهذا يعني أنه أساس في أداء المعنى ، فلا معنى مفيداً في الجملة من غير وجود الإسناد ، والإسناد بوصفه رابطاً جزء رئيس ، وعنصر مهم في النظام التركيبي النحوي ، ليس ذلك بسبب ما يؤديه من مهمة الربط فحسب ، وإنما لأنه يؤدي مهمة أخرى هي كونه قرينة معنوية دالة إلى جانب كونه رابطاً .

وقد عَدَّ تمام حسان الإسناد وسيلة تعليق معنوية إذ يقول : " وللتعليق وسائله المختلفة معنوية كانت كعلاقات الإسناد ذاته وكالتخصيص والنسبة والتبعية أو لفظية

(1) ينظر : المصدر نفسه ، ص 36 - 37 .
(2) ينظر : المصدر نفسه ، ص 36 .

للتعبير شكلياً عن هذه العلاقات كالعلامة الإعرابية والربط والمطابقة والصيغة والرتبة والأداة والنغمة . . . "[1].

وَجَعْل الإسناد وسيلة تعليق معنوية أمر بين ، ولَكِنَّ جعله في مقابل وسائل التعليق اللفظية كالعلامة الإعرابية ونحوها أمر يحتاج إلى نظر وبحث ، وذلك لأن علامة الإعراب قد تتولد عن وسيلة التعليق المعنوية ، وتدل عليها ، وهي في واقع الأداء اللغوي تالية لوسيلة التعليق المعنوي ، وناتجة عنها .

فالأولى أن ينظر إلى العلامة الإعرابية على أنها أثر من آثار التعليق لا أن تجعل وسيلة من وسائل التعليق . أما المطابقة والصيغة والرتبة والنغمة فهي قرائن لفظية تدل على المعنى النحوي العام أو الخاص .

ولعله من الدقة أن يميز بين " الرابط " الذي سماه تمام حسان " وسيلة تعليق " وبين القرينة ؛ وذلك لأن الأول يعد عنصراً رئيساً في التركيب كالركن الرئيس في الجملة ، ففي الجملة الفعلية يوجد ركنان رئيسان هما الفعل والفاعل وكلاهما ملفوظ به ، وهناك ركن معنوي ثالث غير ملفوظ به هو الإسناد .

أما القرينة اللفظية فليست عنصراً رئيساً في التركيب ، وهذا لا يعني الاستغناء عنها ، وإنما قد لا تظهر هذه القرينة ويبقى التركيب صحيحاً ، ويظل المعنى مفهوماً ؛ كأن يقال : جاء الحق ، فيوقف على كلمة الحق بالسكون ولا تنطق الضمة على آخرها، لكن السامع يعلم المعنى ويفهمه نتيجة الإسناد الحاصل بين كلمتي الجملة .

ولما كان الإسناد وغيره من الروابط المعنوية يختلف عن القرينة ، فالأولى التفريق بينهما في التسمية ، فيسمى الإسناد والتخصيص والتبعية روابط ، وتسمى العلامة الإعرابية والصيغة والرتبة والنغمة قرائن .

---

(1) المصدر نفسه ، ص 16 .

أما جعل تمام حسان الأداة وسيلة تعليق لفظية فهو أمر بين لا إشكال فيه ، لأن الأدوات تؤدي وظيفة الربط كما يؤديها الإسناد ، فجملة مثل : قام خالد وعلي ، ربط الإسناد فيها بين الفعل " قام " والفاعل " خالد " ، وأفاد حدوث القيام من " خالد " ، ثم إن حرف العطف وهو أداة أفادت حدوث القيام من " علي " ونابت عن إعادة إسناد الفعل " قام " إلى " علي ".

وينطلق تمام حسان في نظرته إلى النحو من فكرة كونه نظاماً من العلاقات السياقية ، ويسعى التحليل إلى الكشف عن هذه العلاقات بغية الوصول إلى المعنى [1].

وبمقارنة حديث تمام حسان عن " الربط والروابط " في المواضيع التي ورد فيها ذكره في كتابه " اللغة العربية معناها ومبناها " يلاحظ أنه استعمل الرابط لأمرين :

1 - استعمل الرابط للعائد ، وهو الضمير أو ما ينوب عنه[2] وهذا استعمال معروف عند النحويين .

2 - استعمل " الرابط " بمعناه الواسع فشمل وسائل التعليق التي تربط بين الكلمات ، أو بين الجمل [3].

وهذا الاستعمال الأخير هو الذي يتبناه هذا البحث ؛ حيث يرى أنّ الجمل المتجاورة المكونة للنص يرتبط بعضها ببعض وترتبط هي بسياقها بروابط لفظية أو معنوية أو بهما معاً .

ومن الروابط التي تناولها تمام حسان وغيره بالشرح رابط التبعية الذي يشمل الوصف والبدل والعطف بنوعيه ، ففي جملة نحو : أقبل خالد الشجاع ، نجد أن كلمة " الشجاع " مرتبطة بكلمة " خالد " برابط العلامة الإعرابية وهي رابط لفظي كما أنها تبعتها في التذكير والإفراد والتعريف ، وهذه الأمور الأربعة دلت عليها الصيغة التي هي قرينة لفظية .

---

(1) ينظر : تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 242 .
(2) ينظر : المصدر السابق : ص 238 .
(3) ينظر : المصدر نفسه ، ص 16 وما بعدها ، و ص 36 .

لكن مجيء الصيغة على هذه الحالة كان بسبب علاقة معنوية جلبت ذلك هي علاقة " الوصفية " .

وإذا كان رابط التبعية واحداً فإن علاقاته تتنوع ، فقد تكون العلاقة هي الوصفية، وقد تكون البدلية أو التأكيدية أو الإيضاح ، أو المشاركة ونحو ذلك.

ولما كان تركيز النحو التقليدي على نظرية العامل فإن ذلك أدى إلى البحث عن سبب رفع المرفوع ، ونصب المنصوب ، فوقع الخلاف في بعض القضايا كاختلافهم في رافع المبتدأ ، أقصد العامل فيه ، والعامل في الخبر ، ولو كان التركيز في بحوثهم على النصوص وبحث التماسك والترابط بين مكونات الجملة الواحدة لخرجوا بنتائج مهمة ، ربما تكون ذات فائدة كبيرة .

فالمفعول به مثلاً لا يرتبط بالفعل وحده الذي عمل فيه ، ولكنه يرتبط أيضاً بالفاعل الذي وقع منه الفعل [1].

وقد وسع الدكتور " محمد حماسة " بحث الربط ، فبالإضافة إلى الربط المعروف في أبواب النحو العربي ، ذكر ألواناً أخرى له ، فعلى نطاق الجملة الفعلية ذكر أن الفعل يترابط مع مقيداته المختلفة برباطين " أحدهما معنوي مستمد من مادة الفعل أو ما يقيده ودلالته المعجمية . والآخر هو الحالة الإعرابية التي هي النصب في كل هذه المقيدات باستثناء الجار والمجرور "[2].

وهذه النظرة الواسعة شملت جميع مكونات الجملة الفعلية ، فالمفعول به - مثلاً - يرتبط بفعله عن طريق دلالة المجاوزة " التعدية " ، وظهرت تعدية الفعل من دلالته المعجمية ، أو بوسيلة من وسائل التعدية المعروفة .

ويترابط المفعول لأجله مع فعله بروابط بعضها لفظي كالنصب ، والصيغة المصدرية ، وبعضها معنوي كدلالة المفعول لأجله على العلة ، ويترابط الحال مع الفعل

---

(1) ينظر : محمد حماسة عبداللطيف : بناء الجملة العربية ، ص 141 .
(2) المصدر السابق ، ص 140 .

من خلال ترابطه بصاحبه ، وترابطه بصاحبه يكون لفظياً بالنصب ، والمخالفة في التعريف والتنكير ، ويكون معنوياً بدلالة الحال على هيئة صاحبه .

وهكذا اتسعت نظرة النحويين في العصر الحديث لموضوع الربط حتى شملت مكونات الجملة العربية .

وحتى تتم دراسة النصوص العربية دراسة نحوية تعتمد على بحث الروابط فإن هذا يحتاج إلى تتبع وسائل الترابط ، وهو " يقتضي تتبع أنماط أبنية الجمل والوقوف على أسرار تماسكها ، ومعرفة الطرق المتعددة التي تستعين بها اللغة في أداء هذا التماسك الذي يجعل من عدد من الكلمات وحدة كلامية ذات معنى مفيد يحسن السكوت عليه " (1) .

وبعبارة أخرى : إن دراسة وسائل اللغة في تمساك كلماتها المكونة لجملة ما ، ودراسة أنواع الجمل وأسرار ترابطها كل ذلك سيضع يد الباحث على منهج نحوي لدراسة النص ، وهذا المنهج يعتمد على وسائل اللغة ، وعلى طريقة المتكلم في تركيب النص الذي يسعى من خلاله إلى إيصال مضمون ما.

وأما الكشف عن أسرار ذلك الترابط الحادث بين الجمل ، فإن البحث سيحاول أن يكشف عن جانب من جوانبه ، وذلك هو الجانب الذي يتعلق بالربط المعنوي بين الجمل في النص القرآني ، وهذا يعني أن دراسة أسرار الترابط التي تتعلق بالربط اللفظي المحض ، والربط المعنوي اللفظي ليست موضوع هذا البحث ، ويمكن أن تكون موضوعاً لبحث آخر مستقل ، لما يمثله هذا النوع من اتساع رقعةٍ، وتشعب سُبلٍ .

وجملة القول : إن النحويين المحدثين الذين تناولوا موضوع الربط نظروا إليه نظرة أشمل وأوسع من النظرة التقليدية ـ التي تكاد تنحصر في العائد ـ فرأوا أن هناك

---

(1) المصدر نفسه ، ص 87 - 88 . .

وسائل ربط أخرى كالإسناد[1] ، والتخصيص ، والنسبة ، والتبعية [2]، وتعد هذه الرؤية فتحاً لباب دراسة النحو على أساس " الروابط " .

- الروابط في الدراسات اللغوية الحديثة :

إذا بحثنا عن مفهوم الربط والروابط في علوم اللغة الحديثة وجدنا له حضوراً كبيراً في " علم اللغة الحديث " أو ما يعرف بعلم " اللسانيات " ، وذلك لما أولاه هذا العلم من اهتمام بموضوع الربط والروابط ، فقد قدم تعريفاً للربط ، وحدد أنواعه ، وناقش علماء اللغة ـ كذلك ـ أهميته وأثره على المعنى ، وأسبابه .

ويعد مجال دراسة " الربط " من أبرز مجالات علم اللغة الحديث ، فمن أولى مهماته البحث " عن الروابط أو العلاقات بين التراكيب النحوية التي قد تبدو في ظاهرها مستقلة قائمة بنفسها دون أن تربطها وشائج بنيوية بغيرها من التراكيب ، ولكنها في حقيقتها وثيقة الصلة بغيرها من أبنية اللغة ، بيد أن هذه الصلات لا تتضح إلا في ضوء البحث اللغوي الدقيق " [3]. فالبحث اللغوي يهدف إلى الكشف عن الروابط وذلك باستخدام مناهج علم اللغة الحديث ، مستفيداً من نظرياته ونتائج تطبيقاته .

وبالوقوف عند صورة من صور عناية علم اللغة الحديث بموضوع الربط يمكن للبحث أن يستعرض تعريف " الربط " ، فقد عُرِّف في أحد معاجم علم اللغة بأنه : " الوصل بين كلمتين أو جملتين برابط " [4] . والوصل في هذا التعريف مطلق عن التقييد، فيصح أن يشمل الوصل " الربط " بنوعيه : اللفظي والمعنوي ، ويكون بين كلمتين ليكون جزءاً من جملة ، أو جملة كاملة، وقد يكون الربط بين جملتين أو أكثر ليكون نصاً ، ويحدث الربط بواسطة " الرابط " الذي هو أداة الوصل ، وأدوات الربط كثيرة منها :

---

(1) أشار الرضى إلى أن الإسناد رابط معنوي بين ركني الجملة . ينظر : ص 16 من هذا البحث .

(2) ينظر مثلاً : تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 36 وما بعدها ، ومحمد حماسة عبداللطيف : بناء الجملة العربية ، ص 135 وما بعدها .

(3) سعدون السويّح : العلاقة بين جملتي الصلة والصفة " مقال " ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، الجماهيرية الليبية ، العدد الخامس ، 1988 م ، ص 486 .

(4) محمد رشاد الحمزاوي : المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط / 1987 م ، ص 71 .

حروف العطف ، و " إن " في مقول القول ، و " أن " في غير ذلك ، وغير هذه الأدوات [1].

ويظهر من التعريف السابق أنه ركز على أمرين هما : وظيفة الرابط ، ونوعي الترابط ؛ فأما وظيفة الرابط فعبر عنها التعريف بـ " الوصل " وهو يوحي بإيجاد صلة بين طرفي الترابط لم تكن هذه الصلة موجودة من قبل مجيء الرابط ، وهذه الحقيقة يؤكدها الواقع اللغوي .

وأما نوعا الترابط فهما: ترابط بين كلمتين أو أكثر وهو النوع الأول ، وترابط بين جملتين ، وهو النوع الثاني ؛ وإلى النوع الأول يشير عالم اللغة الحديث " هاريس " حين يعرف الجملة بقوله : " الجملة عبارة عن تتابع من الرموز ، وأن كل رمز يسهم بشيء من معنى الكل ، لهذا فكل رمز داخل الجملة يرتبط بما قبله وبما بعده " [2].

فالجملة مكونة من كلمات ، والكلمات من حروف ، وكل حرف مرتبط ببقية الحروف ليكون كلمة ، وهذه الكلمة ترتبط بالكلمة الأخرى المجاورة وهكذا ، فينتج عن ذلك جملة مترابطة الأجزاء ترابطاً أفقياً أي : أن كل جزء منها مرتبط بما قبله وبما بعده ، وحقيقة هذا الترابط أنه حادث بين معاني كل جزء من أجزاء الجملة ،وينسحب ذلك على مجموع الجمل المكونة لنصٍ ما ، فالترابط بهذا هو وسيلة بناء النص .

ولا تتوقف أهمية " الترابط " عند حد كونه وسيلة بناء النص ؛ وإنما تتعدى ذلك إلى أهمية أخرى تبرز عند تحليل النص ، إذ إن الكشف عن عناصر الترابط يعد وصفاً مضمونياً للنص عند " دسلر "، وهذه فكرة جوهرية، في التحليل النصي [3].

---

(1) المصدر السابق ، ص 71 .
(2) سعيد حسن بحيري : علم لغة النص " المفاهيم والاتجاهات " مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط 1 / 2004 م ، ص 30 .
(3) ينظر : المصدر السابق : ص 44 .

إذاً فالتحليل النصي عند " دسلر " ما هو إلا نوع من الكشف عن عناصر ترابط النص من أجل الوصول إلى وصف لغوي له ، وهذا الوصف يكشف بدوره عن مضامين النص .

ويبدو أن " روز نجرن " يتفق مع " دسلر " في أن مهمة التحليل النصي هي إظهار أوجه الترابط بين أجزاء النص ووحداته ، والكشف عن علاقات الربط النحوي والترابط الدلالي [1].

والحقيقة أنَّ تحليل النص لسانياً ينبغي أن لا يقتصر على الكشف عن عناصر الترابط ليصل من خلالها إلى توصيف يكشف مضامينه فحسب ، وإنما على التحليل أن يضيف إلى ذلك مجموعة أمور أخرى تتضافر جميعها في الكشف عن مضامين النص من أجل فهمه ، إذ إن الكشف عن وسائل الترابط وأنواعه وحده إنما يكشف عن جزء من أجزاء النص لا عن النص كله.

فالنص مجموعة كلمات تترابط لتكون جملاً ، والجمل تترابط لتكون نصاً ، فمع الروابط توجد الكلمات والجمل ، وتحمل كل كلمةٍ معنىً معجمياً مباشراً ، أو معنى غير مباشر ، ولكل كلمة ومعنى مرجعية اجتماعية ، وإيحاءات دلالية ، فتحليل النص يتم على مستويات اللغة التي هي : المستوى الصوتي ، والمستوى الصرفي ، والمستوى النحوي التركيبي ، والمستوى النصي ، والمستوى الدلالي .

إن الاقتصار في تحليل النص على كشف عناصر الترابط كما يرى " دسلر " و " روز نجرن " إنما يتم في مستوى واحد هو المستوى النحوي التركيبي فحسب ، والاقتصار على هذا المستوى يعني استبعاد المستويات اللغوية الأخرى المكونة للنص ، وهذا العمل ينتج عنه تحليل ناقص للنص لا يفي بالحاجة ، ولا يعطي صورة وافية عنه.

وهذا الذي ذهبت إليه لا يعني التقليل من أهمية الروابط ، وإنما هو إنصاف للمستويات الأخرى التي تتضافر لتكوين النص ، وتسهم في أداء مضمونه .

---

(1) ينظر : المصدر نفسه ، ص 79 .

ولا يقف منهج علم اللغة الحديث عند حدود دراسة الروابط دراسة تقعيدية معيارية ، وإنما يتعداها إلى البحث عن المعاني التي تحملها التراكيب[1]، وذلك لأن دراسة التراكيب وعناصرها تكشف عن خصائصها المعنوية ، ثم إن الغاية من دراسة التراكيب ليست الوقوف عند حدودها الشكلية، وإنما غاية ذلك الوصول إلى المعنى ، إذ لكل نص معنى ومضمونٌ يسعى إلى أدائه .

ويعترف علماء اللغة بما قدمته الدراسات النحوية من تحليلات ، لكنهم يرون أن هذه التحليلات ظلت جزئية لأنها تتناول بعض الجوانب الخاصة بالروابط بين أجزاء الجملة والجمل المتوالية والفصل والوصل بينها ، وعلى الرغم من كون هذه التحليلات جزئية وغير شاملة فهي مهمة وذات فائدة [2].

وبناء على ذلك حاول علماء اللغة توسيع نطاق التحليل وجعله تحليلاً كلياً لسد الخلل الذي كان في تحليل النحويين ، ومن هنا كانت نظرتهم إلى تفصيل أنواع الروابط وأقسامها ، حيث بلغت أنواعها ما لا يمكن حصره في مثل هذا المبحث ، فهناك الربط التعلقي ، والربط التنسيقي ، ولهذا النوع الأخير أنواعه التي منها : الربط الوصلي والربط الاستدراكي ، والربط التخيري ، والربط التأكيدي [3].

ويقسم آخرون الروابط إلى قسمين : روابط سياقية ، وروابط ذهنية[4]، ويقصد بالروابط السياقية الراوبط التي تربط بين كلمات النص وجمله ، فهي روابط داخل النص ، ويدخل تحتها الروابط النحوية والصرفية والترقيمية "علامات الترقيم " ، وقد يسمون الروابط السياقية الروابط النصية ، أو الروابط اللغوية ، أو الروابط الظاهرة ، وهذا القسم يقابل القسم الثاني الذي يعرف بالروابط الذهنية .

---

(1) أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ودار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط 2 / 1419 هـ = 1999 م ، ص 216 .
(2) ينظر : سعيد حسن بحيري : علم لغة النص ، ص 118 .
(3) ينظر : محمد رشاد الحمزاوي : المصطلحات اللغوية الحديثة ، ص 71 .
(4) ينظر : فردينان دوسوسير : دروس في الألسنية العامة ، تعريب : صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا وتونس ، ط / 1985 م ، ص 187 .

والروابط الذهنية غير ظاهرة لأنها غير ملفوظة في النص ، وإنما يكتشفها التصور الذهني بقدراته المعرفية وإمكاناته معتمداً على القرائن المعنوية والسياقية .

ولعله من المفيد أن يُلحق بالروابط الذهنية العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ، فالرابط بين المعنيين ذهني ؛ وبناء على ذلك فإن موضوع الروابط يمكن أن تتسع دائرة بحثه حتى يشمل أبواب البلاغة ، ويكون ذلك محاولة لدراسة البلاغة على أسس جديدة تسهم في تطويرها .

ويظهر لي أن علماء اللغة عندما تناولوا الروابط النحوية وهي روابط سياقية ـ كما سبقت الإشارة إليها ـ ركزوا على الروابط اللفظية ، فهم عندما يذكرون أنواع الربط، يجعلون أدواته نحوية لفظية مثل : " حتى " وهي رابط تأكيدي ، و " الواو " وهي رابط وصلي ، و " أو " وهي رابط تخبيري ، و " لكن " وهي رابط استدراكي [1].

غير أن الروابط المعنوية النحوية لم تلق منهم عناية كبيرة على الرغم من أنها جزء رئيس في تركيب النص ، فرابط الإسناد أو الوصفية أو البدلية أو البيان ـ مثلاً ـ هو جزء من جمل مثل (جاء الرجل الكريم ، هذا عمر الفاروق) ولا يمكن الاستغناء عن مثل هذه الأجزاء في الجملة .

واقتصرت دراسة الروابط المعنوية عند علماء اللغة المحدثين على دراسة القرائن المعنوية ، وهي معاني النحو والعلاقات السياقية ، فالإسناد ـ مثلاً ـ علاقة رابطة بين ركني الجملة : المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل ، وهو يؤدي وظيفة أخرى هي الدلالة على نوع الركن لذلك سمي قرينة معنوية[2]. وترجع أهمية دراسة الروابط المعنوية إلى هاتين الوظيفتين الرئيستين في التركيب .

---

(1) ينظر : محمد رشاد الحمزاوي : المصطلحات اللغوية الحديثة ، ص 72 .
(2) ينظر : أحمد محمد قدور : مبادئ السانيات ، ص 228 .

ومهما يكن من أمر فإن علماء اللغة اعتنوا عناية كبيرة بالروابط بصفة عامة ، وبلغت هذه العناية ذروتها عندما عدَّ " دي سوسير " اللغة نظاماً من الإشارات وأن دلالتها قائمة على ترابط هذه الإشارات[1].

- الروابط في الدراسات الأسلوبية :

للربط مكان رئيس في " علم الأسلوب " الذي هو أحد فروع " علم اللغة الحديث " حيث إن أول أهدافه البحث عن الروابط عند تحليل النص تحليلاً أسلوبياً " والهدف الحقيقي لعلم الأسلوب إذن هو البحث عن تلك العلاقات المتبادلة بين الدوال والمدلولات عبر التحليل الدقيق للصلة بين جميع العناصر الدالة وجميع العناصر المدلولة ؛ بحثاً يتوخى تكاملها النهائي "[2].

ويقصد بالدوال أجزاء النص الملفوظة ، إذ إنّ كلّ كلمة تدل على معنى ، وهناك علاقة ترابطية بين الدال " الكلمة " ومدلولها " المعنى " ، وهو ترابط وثيق يسعى التحليل الأسلوبي إلى كشفه ، لأن ذلك يبرز تضافر عناصر النص التي تسعى من خلال تضافرها إلى أداء رسالته ، وعملية الكشف عن هذه الروابط هي في حقيقتها عملية فك لشفرة النص ، ووصول إلى غايته .

وتتسع دائرة التحليل الأسلوبي لتشمل مستويات النص جميعها ، فلا تتوقف عند بحث العلاقة بين الدال والمدلول من الناحية المعجمية ، والدلالية فحسب ، وإنما يعمل التحليل الأسلوبي على الكشف عن الخصائص المميزة لنص ما ، وهذه الخصائص هي السمات الأسلوبية للنص موضوع التحليل ، "وهذه السمات الأسلوبية قد تكون : صوتية (الأنماط الصوتية للكلام ، أو الوزن أو القافية) أو جملية : (أنواع التركيب الجملي) أو

---

(1) ينظر : ميشال زكريا : الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 2 / 1403 هـ = 1983 م ، ص 38 .

(2) صلاح فضل : علم الأسلوب " مبادئه وإجراءاته " ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ط 1 / 1998، ص 141 .

معجمية :(الكلمات المجردة ضد الكلمات المحسوسة ، التكرار النسبي للأسماء والأفعال والصفات) أو بلاغية : (الاستعمال المتميز للمجاز ، والاستعارة والصور وما إليها) ".[1]

وإذا كان التحليل الأسلوبي يسعى إلى الكشف عن السمات والخصائص المميزة لنص ما من جميع جوانب تركيب النص و مستوياته ، فإن بحث عناصر الترابط ، وأنواع الروابط المستعملة في نص ما ، يعد الكشف عنها تحليلاً أسلوبياً لاسيما الكشف عن روابط معينة استخدمها النص بطريقة تختلف عن استخدام النصوص الأخرى ، ومن هنا كان البحث الأسلوبي ـ كما يرى " جاكبسون " ـ بحثاً عمّا يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب المستعمل ، من جانب ، وبحثاً في تميزه عن سائر الفنون اللسانية الأخرى من جانب آخر [2] .

ويمكن الإفادة من هذه التقنيات المستعملة في التحليل الأسلوبي في موضوع الروابط من جانبين :

الأول : عقد دراسة مقارنة مع نصوص أخرى ، وذلك بعد تحليل النص والكشف عن وسائل الترابط فيه وأنواع الروابط ، والهدف من هذه المقارنة هو إبراز السمات الخاصة المميزة للنص من ناحية وسائل الربط وأنواعها وطرق استخدامها ، وهذا العمل يفيد في الكشف عن مضامين النصوص ومعانيها.

الثاني : وأما الجانب الثاني الذي يستفاد من تقنيات التحليل الأسلوبي فهو العمل على إبراز القيمة الجمالية للروابط المستعملة في نص ما ؛ وهذان الجانبان يعدان عملاً أسلوبياً ، من صميم التحليل الأسلوبي ، وذلك لأن الجانب الأول إنما هو استخدام منجزات علم اللغة الحديث " اللسانيات " في تحليل النص من أجل الوصول إلى الخصائص الأسلوبية للنص ، وهذا هو حقيقة العمل الأسلوبي .

---

(1) م . هـ . برامز : المدارس النقدية الحديثة ، ترجمة : عبدالسلام معتصم الدباغ ، ط 3 / 1987 م ، ص 55 ، نقلاً عن : محمد عبدالمنعم خفاجي و محمد السعدي فرهود ، وعبدالعزيز شرف : الأسلوبية والبيان العربي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، ط 1 / 1412 هـ = 1992م، ص 11 .

(2) ينظر : محمد عبدالمنعم خفاجي وآخرون : الأسلوبية والبيان العربي ، ص 23 .

والجانب الثاني يعتمد على استخدام منجزات علم الجمال لخدمة النص . ويكتسب هذا العمل مشروعيته إذا عُلِمَ أن علم الأسلوب ينحدر في أصله من صلب علم اللغة الحديث ، ورحم علم الجمال[1] .

ويلتقي علم الأسلوب هنا مع البلاغة التقليدية ، حيث إن البلاغة التقليدية استخدمت في جانب من جوانبها منجزات علوم اللغة ، فكانت الملاحظات والنظريات البلاغية اللغوية ، وظهر عدد من اللغويين البلاغيين ، ومن جانب آخر فإن بحث جماليات نص ما ، والكشف عن مواطن الجمال فيه هو من صميم العمل البلاغي ، ويظهر ذلك واضحاً في تحليلات عبدالقاهر الجرجاني للنصوص التي استشهد بها في كتابيه : أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز [2].

وربما يكون تفطن علماء الأسلوب إلى ذلك الأمر هو الذي دعاهم إلى تطوير علم الأسلوب حتى " أصبح هو البلاغة الجديدة في دورها المزدوج ؛ كعلم للتعبير ونقد للأساليب الفردية " [3].

---

(1) ينظر : صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، ص 5 .
(2) ينظر على سبيل المثال : الجرجاني : أسرار البلاغة ، ص 37 ، و ص 199 ، ودلائل الإعجاز ، ص 79 ، و ص 245 .
(3) صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، ص 175 .

- الروابط في دراسات علم النص :

تفرع عن علم اللغة الحديث علم يعنى بدراسة النصوص الأدبية هو " علم لغة النص " ، ويقترب هذا العلم من ميدان البلاغة القديمة ، لذا عده العلماء الممثل الحديث لها[1]. وركز علم النص في دراسته على الجمل وترابطها ، وما ينتج عن هذا الترابط ، من تركيب متماسك ، ومعنى مفيد .

يقول فاينريش معرفاً النص بأنه : " تكوين حتمي يحدد بعضه بعضاً إذ تستلزم عناصره بعضها بعضاً لفهم الكل " [2]، راعى " فاينريش " في هذا التعريف تكوين النص وتركيبه ، فالنص تكوين متلازم مترابط أو هو كما جاء في شرح الدكتور محمد العبد للتعريف : " كلية مترابطة الأجزاء ؛ فالجمل يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد ، بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهماً معقولاً ، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهماً أفضل " [3] (كذا).

وعلى كل حال فإن التعريف السابق للنص يركز على خاصية هي من أبرز مكونات النص وهي خاصية الترابط بين جمل النص ، وهذا الترابط يسهم في أداء المعنى ، ويراعي " فاينريش " أوجه الترابط النحوي التي تتم داخل النص على مستويين: المستوى الأول داخل الجملة الواحدة ، والمستوى الثاني بين الجمل المتجاورة، وكلا المستويين يسهم في تحديد بنية النص الكلية من ناحية ، وتحديد موضوع النص ومعناه ودلالته من ناحية أخرى .

ويصب تعريف " برينكر " للنص في مجرى تعريف فاينريش السابق ، إذ إن النص عنده : " تتابع مترابط من الجمل " [4] ، فالنص بهذا وحدة كبرى يتركب من وحدات أصغر هي الجمل التي وتترابط في مستوى أفقي تركيبي هو المستوى النحوي ، فالروابط فيه إذاً روابط نحوية ، وهي التي سبقت الإشارة إليها ، ويسمونها الروابط السياقية ، ولكن

---

(1) ينظر : صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة ، الكويت ، ط / صفر 1413 هـ = أغسطس 1992 م ، ص 10 .

(2) سعيد حسن بحيري : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص 99 .

(3) محمد العبد : اللغة والإبداع الأدبي ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط / 1989 م ، ص 36 .

(4) برند شبلنر : علم اللغة والدراسات الأدبية ، ترجمة : محمد جاد الرب ، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر ، ط 1 / 1991 م ، ص 188 .

علماء النص يشيرون إلى نوع آخر من الترابط هو الترابط الدلالي ، ويتم هذا النوع الأخير في مستوى رأسي خارج النص ، ويسمى الترابط الذهني .

وسميت هذه روابط ذهنية لأنها مجموعة من التصورات الذهنية المنطقية التي تدرك عن طريق العقل والمرجعية المعرفية .

ويظهر الوجه الآخر من عناية علماء " علم لغة النص " بموضوع الربط والترابط في الجانب التطبيقي لعملهم ، وذلك عند تحليل النصوص ، فيعتمدون في تحليلهم ـ كما يرى " فندايك " ـ : " على رصد أوجه الترابط والانسجام والتفاعل بين الأبنية الصغرى الجزئية والبنية الكلية الكبرى التي تجمعها في هيكل تجريدي " [1].

فمهمة التحليل النصي هي كشف تلك الروابط التي تجعل النص بناء متماسكاً ، متفاعل الأجزاء ، منسجم التركيب ، والكشف عن هذه الجوانب الثلاثة التي هي : التماسك والتفاعل ، والانسجام مهمة من يقوم بالتحليل ، ولكلِّ جانب من هذه الجوانب حدّ معقول تقبله اللغة ، ويقبله أهلها المتحدثون بها ، وبمقدار التوفيق الذي يحققه النص من التماسك والتفاعل والانسجام تكون درجة جودة النص .

وبقدر ذلك التماسك والتفاعل والانسجام يكون تميز النص عن غيره من النصوص الأخرى ، ويظهر هذا التماسك والانسجام خصوصية مبدع النص ، ومقدار تفرده ، أو يكشف عن التناص أو السرقة الأدبية .

وبسبب ما يحققه الكشف عن الربط والترابط في النص من نتائج مفيدة ومهمة عدَّه علماء لغة النص عنصراً جوهرياً في تشكيل النص ، وتحليله وتفسيره .

وتتجلى إحدى مظاهر أهمية الترابط في ما أحدثه من تطور ، وتوسيع لمفهوم النص ، فمفهوم الترابط والتماسك جعل منه بناء تركيبياً ، ووحدة متماسكة ذات بنية معقدة

---

(1) سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص ، ص 126 .

، ووظيفة اتصالية محددة ، فشمل بذلك جوانب تتعلق بموضوع النص ، وجوانب دلالية أخرى ، وهذه الجوانب تكون خارجه ، لكنها تعين على تحليله وفهمه وكشف مضامينه [1].

ويرى بعض الباحثين فرقاً بين الربط والتماسك ، فيفضل استعمال مصطلح الربط للصلة بين الجمل أي : في المستوى النحوي ، أما مصطلح التماسك فيستعمل في الصلة بين النص ومرجعياته الخارجية ، أي : في المستوى الدلالي [2]. وربما يكون هذا التفريق ذا جدوى في جانب الاستعمال الاصطلاحي ، إذ إن ذلك يؤدي إلى الوضوح وينفي اللبس .

ويظهر أن علم النص أفاد إفادة كبيرة من علم اللغة الحديث وعلم الأسلوب الذي يمثل في مرحلة عقد الستينيات من القرن العشرين البلاغة الحديثة [3]، إلا أن علم لغة النص فيما يبدو صار الوريث الشرعي لعلم الأسلوب .

وبذلك يمكن أن يعد علم لغة النص البلاغةَ الجديدةَ في عقد الثمانينيات من القرن العشرين ، وهذا ما حدث في الآداب الغربية ، وكان له صدى في الأدب العربي على نطاق محدود .

المبحث الثاني

الروابط في ا لدراسات النقدية والبلاغية

---

(1) ينظر : المصدر السابق ، ص 100 .
(2) ينظر : المصدر نفسه ، تعليقات الباب الثاني ، ص 259 .
(3) ينظر : فرحان بدري الحربي : الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، مجد المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 / 2003 م ، ص 32 .

سبقت المؤلفات الأدبية المؤلفات البلاغية ، فقد كانت البلاغة في طور نشأتها الأولى ملاحظات لغوية وجمالية مبثوثة في كتب الأدب وكتب معاني القرآن وإعرابه، فقد ترد الملاحظات البلاغية تعليقاً على آية قرآنية ، أو بيت شعر ، أو قطعة نثر ، كما هو الحال في كتب الجاحظ (ت 255 هـ) (1): البيان والتبيين ، والحيوان ، أو في كتاب ابن قتيبة (ت 276 هـ) (2): الشعر والشعراء ، أو في كتاب أبي هلال العسكري (ت 395 هـ)(3): الصناعتين ، أو كتاب ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) (4): العمدة ، واستمر الأمر على هذه الحال حتى جاء عبدالقاهر الجرجاني (ت 471هـ)(5) وأفرد لمباحث البلاغة كتابين مستقلين هما : دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة .

لذا فإن البحث عن مصطلح بلاغي أو مفهوم من مفاهيم البلاغة يستوجب على الباحث أن يلتمس أولياته في كتب التأليف المشترك التي ظهرت في بدايات عصر التدوين ، وقد مر في الصفحات السابقة بحث مفهوم "الربط " في كتب اللغة والنحو وإعراب القرآن الكريم ومعانيه ، ويسعى البحث في هذه الجزئية إلى التركيز على كتب الأدب والنقد ليخلص منها إلى كتب البلاغة العربية المتخصصة ، ككتاب دلائل الإعجاز ، ومفتاح العلوم ، ثم يأتي البحث عن الربط في كتب الأدب والنقد الحديث ملتقطاً ما فيها من إشارات ليحاول أن يجمعها في سلك واحد .

- الروابط في الدراسات الأدبية والنقدية القديمة :

يعد الجاحظ من أقدم من ألف في الأدب ، وضمن كتبه ملاحظات بلاغية كان لها الأثر الكبير في استقلال بعض المباحث والمصطلحات البلاغية من بعده ، فقد عرّف

(1) ينظر : السيوطي ، 2 / 228 . .
(2) ينظر : الخطيب البغدادي ، أبوبكر أحمد بن علي : تاريخ بغداد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ ، 10 / 171 .
(3) ينظر : السيوطي ، بغية الوعاة ، 1 / 507 .
(4) ينظر : المصدر السابق ، 1 / 504 .
(5) ينظر : المصدر نفسه ، 2 / 106 .

البلاغة والفصاحة في كتابه البيان والتبين ، ووضع شروطهما ومثل لكل منهما ، وجاء في معرض حديثه عن معنى البلاغة تعريف الفارسي للبلاغة ، حيث قال في تعريفها : " معرفة الفصل من الوصل "[1] . ولا يخفى ما لهذا التعريف من علاقة بمصطلح الربط ، إذ إنه اشتهر بمفهوم " الفصل والوصل " عند العلماء للدلالة على أنواع العلاقة الحادثة بين الجمل المتجاورة ، والربط يبحث هذا الجانب ، مع الفارق في الدلالة والمرجعية المعرفية ، والهدف من البحث والدراسة .

إن ذكر الجاحظ لموضوع الفصل والوصل يعد المهاد الأول لهذا المبحث البلاغي في كتب الأدب ، وقد سبقه الفراء (ت 207 هـ) [2] في الإشارة إلى هذا الموضوع في كتابه " معاني القرآن " ، كما مرَّ في الصفحات السابقة من هذا البحث [3]. لكن الجاحظ استعمل عبارات أدق تعبيراً ، وأوضح دلالة ، على ترابط الجمل ، وذلك عند حديثه عن الشعر الجيد إذ يقول : " وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدّهان " [4]. فعبارات الجاحظ : (متلاحم الأجزاء) ، و (أفرغ إفراغاً واحداً) ، و (سبك سبكاً واحداً) ، و (يجري ... كما يجري الدهان) تبيّن سمات الشعر الجيد ، فترجع جودته إلى تلاحم أجزائه وترابطها.

إن هذا الرأي الذي ذكره الجاحظ تبعه فيه أبو هلال العسكري (ت 395 هـ)[5] حيث أرجع فضل الشعر على غيره من فنون القول إلى تلاحم الأجزاء وترابطها ، إلا أنه صرح بـ " الارتباط " . يقول أبو هلال العسكري : " ومما يفضل به (أي الشعر) غيره أيضاً طول بقائه على أفواه الرواة ، وامتداد الزمان الطويل به ، وذلك لارتباط بعض

---

(1) الجاحظ ، عمرو بن بحر : البيان والتبين ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت، لبنان ، من غير تاريخ ، 1 / 88 .
(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 5 / 229 .
(3) ينظر : ص 11 من هذا البحث .
(4) الجاحظ : البيان والتبين ، 1 / 67 .
(5) ينظر : السيوطي : بغية الوعاة ، 1 / 507 .

أجزائه ببعض " [1]، فارتباط الأجزاء يجعل الشعر مرتبط المعاني ، يسهل حفظه ونقله عبر الأزمان ، فيكتب له الخلود والبقاء .

وعلى الرغم من أن أبا هلال العسكري ذكر " الارتباط . بين أجزاء الكلام " كما في النص السابق فإنه عندما خصص فصلاً لبحث موضوع "الفصل والوصل " لم يذكر لفظ الارتباط ، وإنما استعمل المصطلح المعروف في عصره وهو " الفصل والوصل"[2].

وإذا ولج البحث القرن الخامس الهجري فسيجد ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) [3] الذي يعد من أبرز أدباء هذا القرن ، وقد جاء لفظ " الارتباط " عنده لبيان العلاقة بين اللفظ والمعنى، ولم يستعمل ذلك مصطلحاً فنراه يقول : " اللفظ جسم ، وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم "[4].

إذاً فالارتباط عند ابن رشيق وثيق الصلة بالعلاقة الجدلية بين اللفظ والمعنى ، ولم يرد عنده الحديث عن الربط عند تناوله موضوع " الفصل والوصل " ، وتجاور المعاني والجمل[5]. وهذا هو السائد عند الذين تناولوا هذا الموضوع البلاغي .

ويظهر مما سبق من نصوص علماء الأدب والنقد حتى القرن الخامس الهجري، أن قضية تجاور الجمل وتعلق بعضها ببعض أو عدم تعلقها لم يثبت لها مصطلح واضح متفق عليه ، وإنما جاءت كلمات تدل على مفهوم الترابط ، وهذه الكلمات تستعمل مترادفة ، من مثل كلمات : " التلاحم ، والسبك ، وارتباط الأجزاء ، والفصل والوصل"، إلا أن هذه التسميات لم تكتمل لها شروط الاصطلاح ، حيث إن مستخدميها لم يضعوا لها تعريفات محددة ، ولم يلتزموا بها في كل موضع ناقشوا فيه هذه القضية ، بل إنهم كثيراً ما يستعمل الواحد منهم أكثر من تسمية ، فجاءت هذه التسميات توضيحاً لمقصودهم ، وبياناً لغرضهم

---

(1) أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبدالله : الصناعتين ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ط / 1986 م ، ص 137 .

(2) ينظر : المصدر السابق : ص 438 وما بعدها ، وبدوي طبانة : أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، مصر ، ط 2 / 1960 ، ص 214 .

(3) ينظر : السيوطي : بغية الوعاة ، 1 / 504 .

(4) ابن رشيق : الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، ط 2 / 1955 م ، ص 124 .

(5) المصدر السابق : ص 438 ، 454 .

ومفهومهم ، وهذا هو شأن كل علم في طور النشأة والتأسيس لا يُعنى بالمصطلحات الدقيقة وإنما يكتفي بالبيان والوصف .

ـ الروابط في الدراسات البلاغية القديمة :

مع أن عبدالقادر الجرجاني (ت 471 هـ) [1] يعد المؤسس الحقيقي للبلاغة ، وذلك بفصلها عن علوم اللغة والأدب الأخرى ، وبوضعه كتابين متخصصين في البلاغة هما : أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز ـ فإنه لم يكن يُعنَى بالمصطلح بقدر عنايته بالمفاهيم والأغراض والمبررات المنطقية والنفسية والجمالية[2]، حيث إنه كان مشغولاً بالتأصيل والتحليل والتذوق .

ولكن نظرية النظم التي وضع الجرجاني أساسها ـ متأثراً فيما يبدو برأي القاضي عبدالجبار (ت 415 هـ) [3] في كتابه المغنى[4] ـ كانت هذه النظرية تصدر عن رؤية فكرية تعني بالترابط وقيمه وهو ما جعل الجرجاني يستعمل مجموعة من التسميات الدالة على الترابط بين أجزاء النص ، وكثر دورانها عنده ، ومن هذه التسميات : الربط ، والرابط ، والتعليق ، والتعلق ، والتآلف ، والسبك ، وارتباط الكلم ، واتحاد أجزاء الكلام "[5] ، وهذه التسميات واضحة الدلالة على ترابط الجمل وتماسكها ،ويبدو من تكرار الجرجاني لهذه التسميات ، وتأكيده عليها وضوح فكرة الترابط عنده ، بل إنه صرح بأن النظم ما هو إلا " تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض " [6]، وهذا التعليق إنما هو تعلق معاني النحو .

---

(1) ينظر : السيوطي : بغية الوعاة ، 2 / 106 .

(2) ينظر : منير سلطان : بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ط2، 1993 م ص 180 .

(3) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 116 / 115 .

(4) ينظر : القاضي عبدالجبار ، أبو الحسن عبدالجبار بن أحمد : المغنى في أبواب التوحيد والعدل ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، مصر ، ط 16 ، ص 197 ، وشوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط2 / 1965 ، ص 117 .

(5) ينظر : الجرجاني ، عبدالقاهر بن عبدالرحمن : دلائل الإعجاز ، تصحيح : محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 / 1988 م ، ص 174 ، 175 ، 165 ، 243 .

(6) المصدر السابق : من المقدمة ص : " ص " و " ت " .

وهذا التعليق الذي جعله الجرجاني اسماً للعلاقة بين الجمل هو الترابط، حيث إن الجرجاني بين أن التعليق هو أساس تركب الكلام وتكونه ، ومن غيره لا يكون الكلام مفيداً ، وأدخل تحت " التعليق " مجموعة من العلائق منها الإسناد والتبعية والإضافة والتقييد .. . وهي جملة العلاقات التي تربط أجزاء الكلام بعضه باالآخر ، ولهذا التعلق أوجه ثلاثة : " تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بهما . فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبراً عنه أو حالاً منه ، أو تابعاً له صفة أو تأكيداً أو عطف بيان أو بدلاً ، أو عطفاً بحرف ـ أو بأن يكون الأول مضافاً إلى الثاني أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل ، ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول . . " [1].

فللتعليق مفهوم واسع يجعله أساس كل تركيب مفيد ، وهو يرادف النظم عند الجرجاني ، فليس " النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض " [2]، فنظرية الجرجاني في " النظم " ما هي إلا بيان " للتعليق" وبحث في العلاقات ، تلك العلاقات التي تحدث بين معاني النحو فينتج عنها نص مترابط بطريقة مخصوصة تبرز بها درجة فصاحة الكلام .

وهذا ما أكده الجرجاني عندما جعل سر فصاحة الكلام ، وإعجازه راجعاً إلى التعلق والترابط ، فإن الكلمة لا يظهر الإعجاز فيها ، وهي خارج التركيب وإنما المزية والفضيلة راجعة إلى ارتباط الكلم بعضها ببعض[3] في السياق الذي ركبت فيه ، إذ " . . لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويُبْنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس ..."[4].

بيد أن شرح الجرجاني لنظريته ، وبيانه لها بالأمثلة يظهر تركيزاً على الجملة الواحدة ، فيمثل بالجملة المفيدة المكونة من مبتدأ وخبر ، أو فعل وفاعل، وقوام ذلك أن " تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن

---

(1) المصدر نفسه : المقدمة ص : " ص " .
(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(3) ينظر : المصدر نفسه ، ص 37 .
(4) المصدر نفسه : ص 44 .

الآخر أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيداً له أو بدلاً منه . . . "[1] .

ومع أن النحويين والبلاغيين سحبوا الأحكام التي تتناول المفردات على الجمل بصفة عامة وكان عبدالقاهر منهم ، فإنه عند حديثه عن النظم لم يوسع دائرته حتى تشمل الجمل والنصوص ، وأقصى مدى اتسعت له فكرة التعلق هو تعلق الحرف بمجموع الجملة ؛ كتعلق حروف النفي والاستفهام والشرط بمجموع الجملة التي تدخل عليها .

إن فكرة النظم عند الجرجاني ـ فيما يبدو ـ صدرت عن حاجة إلى إظهار مدى التماسك والتعلق بين معاني النحو عند المتكلم البليغ لإظهار المعاني البديعة التي تمتاز بالإعجاز إذا قوى التماسك والتعلق حتى صارت ألفاظ الجملة ومعانيها كالسبيكة ، أو البناء المتماسك اللبنات ، وهذا ما جعل باحثاً حديثاً يرى أن الجرجاني يصدر في نظرته هذه عن فلسفة ترابطية [2].

ومع أن هذا الرأي صحيح ، كما يظهر من كلام الجرجاني فإن فكرة الترابط عنده محدودة بحدود معاني النحو في الجملة وعناصر تركيبها ، وهذه النظرة الجزئية حرمت البلاغة العربية من فوائد كثيرة تحققها النظرة الشاملة التي تتجاوز حدود الجملة إلى الجمل والنص ، بل تتجاوز ذلك إلى مجموعة من النصوص لأديب واحد ، كأن تدرس مجموعة من النصوص الشعرية في ديوان لشاعر ما دراسة ترابطية شاملة . ومثل هذه الدراسة تبرز جانباً مهماً من ترابط المعاني والأفكار ، فقد يكون ترابطها منطقياً ، أو نفسياً ، وقد تكشف هذه الدراسة عن مدى الجدّة والأصالة ، أو التناص أو مدى التأثير والتأثر ، وهذا العمل يمثل جانباً ذا أهميته من الناحية البلاغية .

و بعد ما سبق بيانه من فكرة الجرجاني حول التعلق والترابط الذي هو النظم ، فإن سؤالاً يطرح نفسه هنا : هل التعلق والترابط بين الألفاظ أم هو بين المعاني ؟

---

(1) المصدر نفسه : ص : 44 ، 45 .
(2) عفت الشرقاوي ، بلاغة العطف في القرآن الكريم ، دراسة أسلوبية ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، ط / 1981 م ، ص 144 .

ربما يوحي ظاهر النصوص أن الترابط إنما يحدث بين الألفاظ ولكن الحقيقة غير ذلك ، إذ إن " ربط الألفاظ في سياق يكون وليد الفكر لا محالة ، والفكر لا يضع لفظة إزاء أخرى لأنه يرى في اللفظة نفسها ميزة فارقة ، وإنما يحكم بوضعها لأن لها معنى ودلالة بحسب السياق نفسه ، ولهذا كانت المعاني لا الألفاظ هي المقصودة في إحداث النظم والتأليف " [1].

فالتعليق والنظم ما هو إلا نظم للمعاني على حسب ترتبها في النفس والذهن ، وبهذا تكون مزية الكلام [2] ، وفضله ، ويتميز متكلم عن آخر بقدر حسن ترتيبه للمعاني، ووضعها بجوار بعض ، فقد يحسن وضع معنى بجوار معنى ثان ، ولا يصلح أن يوضع بجوار معنى ثالث لما بينهما من تباعد أو تنافر وعدم مناسبة .

وهذه حقيقة كان ينقصها أن توضع تحت مجهر البحث والدرس ، فتدرس الجملة والجمل ، والنص والنصوص تحت ضوء المعاني ، فيبحث عن ترابطها ونوع الترابط، ومدى قوته بين أجزاء الكلام .

وللجرجاني كلام في الربط بنوعيه : المعنوي واللفظي يمكن أن يُعدَّ قاعدة يُبنى عليها في هذا الباب وهو قوله : " واعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله فيستغنى بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه ـ وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به ، وكالتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد ـ كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها ، وتستغنى بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها ، وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبينة لها وكانت إذا حصلت لم تكن شيئاً سواها كما لا تكون الصفة غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد . . . " [3].

---

(1) إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب : دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط 3 / 1981 م ، ص 420 .
(2) ينظر : الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 40 .
(3) المصدر السابق : ص 174 ، 175 .

فقول الجرجاني : " تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها " هو حديث عن الترابط المعنوي بين جملتين استغنت الثانية عن الترابط بالأولى بحرف من حروف العطف ، ويقابل ذلك الترابط نوع آخر هو الترابط بحرف من حروف العطف ، وهو الترابط اللفظي .

إن هذا النص يعد قاعدة أصيلة يعتمد عليها في تأصيل نوعي الترابط حيث إنه أشار إلى الربط المعنوي والربط اللفظي ، وهذه النظرة من جانب الجرجاني نظرة ذكية دقيقة كان الأمل معقوداً على الوقوف عندها وتفصيلها حيث إن الجرجاني بفطنته كان يمكن أن يضفي عليها فوائد كثيرة لو أنه توقف عندها شارحاً ومفصلاً ، لكنه كعادته لم يكن يعبأ بالتقسيم والتنويع والتبويب بقدر عنايته بالمفاهيم والأغراض المنطقية والجمالية.

ولعل الوقوف عند نص آخر للجرجاني يظهر أنّه كان يعي قضية الربط والترابط ، فقد أوضحها عند حديثه عن " إنّ " ومواقعها ، إذ يعدها رابطاً للجمل ؛ فترى " الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً وكأن أحدهما قد سبك في الآخر هذه هي الصورة حتى إذا جئت إلى " إنّ " فأسقطتها رأيت الثاني منهما قد نبا عن الأول وتجافي معناه عن معناه ورأيته لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل . . . " (1).

وهذا كلام واضح صريح عن قوة الربط الحادث بين جملتين ثانيتهما مستأنفة بـ " إن " ، وقد مثل الجرجاني لذلك ببيت بشار بن برد :

بكرا صاحبي قبل الهجير   إن ذاك النجاح في التبكير

حيث إن الجملة الأولى " بكرا صاحبي " جملة تامة مفيدة ، جاءت بعدها جملة " إن ذاك النجاح في التبكير " وهي جملة استئنافية لكنها بتصدرها بالحرف " إنّ " ارتبطت بسابقتها حيث صارتا متحدتين متجانستين كالسبيكة الواحدة ، وبحذف هذا الرابط : " إن " يحدث اضطراب في معنى البيت ، ويتجافى معنى الجملتين ، وتنبو الثانية عن الأولى .

---

(1) المصدر نفسه : ص 243 .

ويرى الجرجاني أن هذه الدلالة التي أحدثها الرابط خفية يجهلها كثير من الناس، فيقول : " واعلم أن مما أغمض الطريق إلى معرفة ما نحن بصدده أن هاهنا فروقاً خفية تجهلها العامة وكثير من الخاصة ، ليس أنهم يجهلونها في موضع ويعرفونها في آخر بل لا يدرون أنها هي ولا يعلمونها في جملة ولا تفصيل"[1] .

إن ما يعني الباحث هنا ما ذكره الجرجاني ، إذ يعد " إنَّ " رابطاً يربط بين جملتين ربطاً عجيباً يُغني عن الفاء العاطفة بل إن الربط بـ " إنَّ " قد يكون في موضع أبلغ من الربط بالفاء ، والأكثر من ذلك أنه يرى " الكلام بها مستأنفاً غير مستأنف مقطوعاً موصولاً معاً " [2].

وبتأمل قوله : " مقطوعاً موصولاً " يمكن أن يفهم منه أنه يعد هذا الكلام مقطوعاً شكلاً ولفظاً ، موصولاً مضموناً ومعنى ، وتصريحه هنا بأن الكلام موصول " بـ " إنَّ " يخالف ما ذكره في باب الفصل والوصل ، حيث إن الوصل هناك يعني العطف بالواو ، وإشارة الجرجاني هذه تعد إشارة بديعة فهو يشير إلى نوع من الوصل بالاستئناف الذي يسميه هذا البحث ربطاً معنوياً ، وهو يقابل الربط اللفظي .

ويبقى السؤال الذي يحتاج إلى بيان وتفصيل : لماذا لم يجمع الجرجاني شتات ما ذكره عن الربط والترابط والفصل والوصل في باب واحد ؟ ولم يجعله أساساً للعلاقة بين الجمل المتجاورة ؟ هل كان السبب هو مجاراة النظرة السائدة والاستعمال المشهور، واستخدام التسمية المعروفة آنذاك : " الفصل والوصل " على الرغم من أنها تناقض في بعض جوانبها فلسفة الترابط التي انطلق منها الجرجاني ؟

ربما يكون هذا هو السبب ، وربما يكون هناك سبب آخر ، وأياً كان الأمر فإن الجرجاني ـ وهو إمام البلاغة ـ استعمل تسمية " الربط والترابط والرابط "، وأشار إلى

---

(1) المصدر نفسه ، ص 242 ، وينظر : ص 245 .
(2) المصدر نفسه : ص 211 .

نوعين من الربط هما : الربط المعنوي ، والربط اللفظي ، وإن لم يصرح بذلك صراحة ولم يقم بحصر أقسام كل نوع .

إن هذا الاستعمال لتسمية الربط ، وهذه الإشارة لنوعيه تكسب موضوع هذا البحث ومصطلحه الرئيس " الربط المعنوي " شرعية علمية ، وتظهر أصالة المصطلح، وتكشف عن جذوره الأولى عند أعلام البلاغة العربية ، بعد أن كشف البحث عن جذوره عند علماء اللغة والنحو وعلوم القرآن والنقد الأدبي .

وقد كان الأمل معقوداً على جهد من جاء بعد الجرجاني في توسيع دائرة بحث الربط والترابط ، إلا أن هؤلاء داروا في فلك الجرجاني ، ولم يكادوا يخرجون عن آثاره التي وضعها ، فكانت مؤلفاتهم بسطاً لكلام أوجزه ، أو تلخيصاً لفكرة بسطها ، أو تفريعاً وتقسيماً لما أجمله ، وتعريفاً لما استعمله من مصطلحات . وهكذا كان الحال مع التطبيق العملي لنظرية الجرجاني على النص القرآني عند " جار الله الزمخشري (ت 538) [1] الذي يعد عمله في كتابه " الكشاف " بسطاً وشرحاً لآراء عبدالقاهر الجرجاني، ومع ذلك فإن عمل الزمخشري يعد جهداً كبيراً ، وعملاً جليلاً كشف عن قدرته العلمية ، وموهبته المتقدة ، وذوقه السليم .

وقد سبقت الإشارة إلى " الربط " عند الزمخشري عند الحديث عن الربط عند المفسرين ، ومرَّ هناك أنه استعمل تسمية " الوصل " ولم يستعمل " الربط " ، لكنه تفطن إلى أن للربط نوعين سماهما : وصلاً ظاهراً ؛ ويكون بالحرف ، ووصلاً خفياً بالاستئناف [2] . فجعل الوصل الخفي بالاستئناف نوعاً من أنواع الوصل ، وهو عند البلاغيين فصل ؛ إذ إن الفصل ترك العطف بالواو ، والاستئناف قسم منه .

لكن تسمية الزمخشري هذا الفصل " وصلاً خفياً " تدل على أمرين : الأول : أنَّ الزمخشري أدرك بذوقه حقيقة العلاقة بين الجملة الاستئنافية البيانية والجملة التي قبلها ،

---

(1) ينظر : السيوطي : بغية الوعاة ، 2 / 280 .
(2) ينظر : ص 82 من هذا البحث .

فهي موصولة بها وصلاً معنوياً لأنها جواب عن سؤال مقدر يفهم من مضمون الجملة الأولى ، وهذا الوصل الخفي هو ما يسميه هذا البحث " الربط المعنوي " ، لما يكون بين الجملتين من ترابط ؛ حيث إن الجملة الثانية جواب عن مضمون الأولى المقدر بسؤال ، فكيف يمكن أن نسمي ذلك فصلاً ؟ .

إن النظرة الحقيقية المعتمدة على إدراك المعاني تأبى أن يُسَمَّى ذلك فصلاً ، ولذا فقد سماه الزمخشري وصلاً خفياً .

أما الأمر الآخر الذي تدل عليه تسمية الزمخشري فهو ما تمثله هذه التسمية من نقدٍ ضمني لتسمية " الفصل " التي صارت مصطلحاً شائعاً مرضياً عند البلاغيين ، وهذا النقد يعد حسنة من حسنات الدرس التطبيقي الذي يكشف في كثير من الأحيان عمَّا في الدرس النظري من عدم الدقة أو القصور . لذا يعد الدرس التطبيقي رافداً مهماً لتطوير النظريات البلاغية .

وبالبحث عن مفهوم " الربط " عند علم آخر من أعلام البلاغة هو أبويعقوب السكاكي (ت 626 هـ) [1] فإن البحث يظهر أن مفهوم الربط والترابط يتسع عنده حتى يشمل علوم اللغة ، فهو يرى أن هذه العلوم متآخذة ، وهذا التآخذ هو سبب تضمينه كتابه " مفتاح العلوم " مجموعة علوم اللغة ، والتآخذ ما هو إلا عين الربط والترابط بين هذه العلوم ، إذ بلوغ النهاية في أولها يفضي إلى ثانيها ، وبلوغ الغاية في ثانيها يسلم إلى ثالثها ، وهكذا ، يقول السكاكي : " وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة ما رأيته لابد منه وهي عدة أنواع متآخذة فأودعته علم الصرف بتمامه وإنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق . . . وأوردت علم النحو بتمامه ، وتمامه بعلمي المعاني والبيان . . . " [2].

---

(1) ينظر : السيوطي : بغية الوعاة ، 2 / 364 .

(2) السكاكي ، يوسف بن أبي بكر بن محمد : مفتاح العلوم ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، ط 1 / 1937 م ، 1 / 3 .

وتعد هذه النظرة الترابطية الواسعة محاولة نظرية مهمة لكنها ظلت مثل المحاولات السابقة لم تخرج عن دائرة البحث النظري ، ولم يكتب لها أن تلج نطاق التطبيق النصي .

والسكاكي نفسه عندما تناول موضوع " الفصل والوصل " الذي يبحث الصلة بين الجمل لم يُسَمِّ العلاقة بين الجمل ترابطاً ، وإنما أبقى على المصطلح السائد المعروف الذي هو " الفصل " ، وجاءت كلمة " الارتباط " في معرض شرحه للعلاقة بين الجمل .

ويأتي الارتباط للدلالة على قوة العلاقة بين الجمل ، وذلك إذا كانت الجملة الثانية موضحة للأولى ومبيّنة لها ، أو مؤكدة لها ؛ يقول : " مركوز في ذهنك لا تجد لرده مقالاً ولا لارتكاب جحده مجالاً أن ليس يمتنع بين مفهومي جملتين اتحاد بحكم التآخي وارتباط لأحدهما بالآخر مستحكم الأواخي و لا أن يباين أحدهما الآخر مباينة الأجانب لانقطاع الوشائج بينهما من كل جانب ولا أن يكونا بين بين لآصرة رحم ما هنالك فيتوسط حالهما بين الأولى والثانية لذلك ومدار الفصل والوصل هو ترك العاطف وذكره على هذه الجهات . . . " [1].

فالسكاكي يذكر الارتباط مقابلاً للانقطاع ، والارتباط هو سبب ترك العطف الذي هو الفصل ، والانقطاع هو سبب العطف الذي هو الوصل ، وهكذا يتضح أن السكاكي خطرت فكرة الربط بذهنه ، لكنه جرى على سنن السابقين له فاستعمل مصطلحي الفصل والوصل ، ولم يزد على الجرجاني إلا التفريع والتقسيم ، وثَبّتَ المصطلحات المستعملة من مثل : كمال الاتصال ، وكمال الانفصال ، وشبه كمال الاتصال . . .

وعلى كلٍّ فإن السكاكي لم تغب ـ فيما يبدو ـ عنه فكرة الارتباط بين الجمل غياباً كاملاً ، لكنه اكتفى باستعمال كلمتين دالتين على ذلك هما : " الارتباط " و " التعلق " ، وجاء ذكرهما شرحاً للعلاقة بين الجملتين اللتين بينهما انفصال ، يقول : " فإذا وجدت الإعراب في موضوع قد تناول شيئاً بدون الواو كان ذلك دليلاً على تعلق هناك معنوي

---

(1) المصدر السابق : 1 / 119 .

فذلك التعلق يكون مغنياً عن تكلف تعلق آخر ، وإذا عرفت هذا ظهر لك أن الأصل في الجملة إذا وقعت موقع الحال أن لا يدخلها الواو " [1].

وهذا النص يمكن أن يفاد منه إفادات ثلاث :

الأولى : إن جملة الحال لها تعلق بالجملة التي ذكر فيها صاحبها ، وهذه الإفادة صريحة من السكاكي في الترابط بين الجملتين ، وسمى ذلك " تعلقاً " .

الثانية : جعل السكاكي التعلق نوعين : معنوياً وغير معنوي ، وهذا هو ما يفهم من قوله : " تعلق هناك معنوي ... يكون مغنياً عن تكلف تعلق آخر " ، فصرح بالتعلق المعنوي ، وأشار إلى أنه يغني عن تعلق آخر ، يقصد به التعلق اللفظي بواو الحال التي يربط بين جملة الحال وجملة صاحبها .

الثالثة : يفهم من نص السكاكي السابق أن الترابط المعنوي هو الأصل ويصار إلى الترابط اللفظي لطارئ يطرأ ، وهذا ما يفهم من قوله " مغنياً عن تكلف تعلق آخر " . لذلك فإن بحث الترابط المعنوي يعد هو الأصل .

ويأتي رأي " عز الدين بن عبدالسلام " (ت 660هـ)[2] في الترابط عند حديثه عن " علم المناسبة " حيث يضع شرطاً للربط حتى يكون حسناً ، يقول : " المناسبة علم حسن ، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث ؛ فضلاً عن أحسنه ؛ فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة ، في أحكام مختلفة ، شرعت لأسباب مختلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض " [3].

---

(1) المصدر نفسه ، 1 / 132 .

(2) ينظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 5 / 301 .

(3) نقلاً عن : الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، 1 / 37 ، والسيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، 3 / 323.

وهذا الرأي وإن كان لا يخلو من الصحة بوجه عام ، من حيث إنَّ تكلف تقدير المناسبة بين أمور مختلفة الأسباب وإجهاد النظر في تقدير الارتباط بين جمل متباعدة المعاني والأنساب أمر غير محمود ، وتكلف غير مرغوب فهو لا ينطبق على كل النصوص . وحتى يتبين للباحث عن المناسبة والترابط حقيقة الأمر على وجهه، ووجوده من عدمه يلزمه أن يضع النص موضوع البحث بين يديه ، ويسلط عليه ضوء التدقيق والتمحيص ليتأكد من صحة النص وصحة نسبته ، وسبب قوله وملابسته، ووجوه نقله وروايته ، وعندها يظهر مدى تناسبه وترابط جمله .

وإذا نظر الباحث إلى القرآن الكريم في ضوء ذلك بدا نصاً كبيراً متكامل المعاني ، مترابط الأجزاء ، متماسك المباني ، يدل على ذلك تلاوة آياته بتدبر ، واستظهارها بتفكر ، وإذا كان هذا الأمر فتح لباب العقل فإن له ما يؤيده من النقل ، فعلى سبيل الاختصار لا الحصر يمكن ذكر بعض أدلة ترابط آيات القرآن وسوره التي تعد نصاً واحداً متكاملاً ، ومن هذه الأدلة : أن " حمزة " يقرأ بوصل سور القرآن بعضها ببعض من غير فصل بينها بالبسملة[1] هذا من جانب .

ومن جانب آخر فإن علماء التفسير يرون أن الفاتحة جاءت مقدمة للقرآن ، واشتملت على القضايا القرآنية كلها : من توحيد ، وعبادات ، ومعاملات ، ونحو ذلك ، ثم جاءت سورة البقرة بعدها وآل عمران شرحاً لما أجمل ، وبياناً لما أبهم ، فما كان من القرآن موجزاً في موضع جاء تفصيله في موضع آخر ، وما كان مجملاً في موضع فصل في آخر[2]، وهذا يظهر وحدة النص القرآني ، وأن معانيه تصب في مورد واحد.

ولعل نص الزركشي (ت 794 هـ) [3] يؤكد القضية ، ويحسم المسألة فنراه يقول : " قال بعض مشايخنا المحققين : قد وهم من قال : لا يطلب للآي الكريمة مناسبة ؛ لأنها

(1) ينظر : ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، 1 / 204 .
(2) ينظر : السيوطي : أسرار ترتيب القرآن ، ص 49 .
(3) ينظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 6 / 335 .

على حسب الوقائع المتفرقة ، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً ، وعلى حسب الحكمة ترتيباً ، كالصحف الكريمة على ما في وفق الكتاب المكنون ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف ، وحافظ القرآن العظيم لو استفتى في أحكام متعددة ، أو ناظر فيها ، أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل ، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتلُ كما أفتى ، ولا كما نزل مفرقاً ؛ بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة ، ومن المعجز البين أسلوبه ، ونظمه الباهر فإنه (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [هود: 1] " [1].

فهذا النص يدل دلالة صريحة على أن ترتيب آيات القرآن وسوره توقيفي ، حيث هي كذلك في اللوح المحفوظ ، قال الله ـ تعالى ـ : (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) [البروج : 22 - 23] ، وهذا ينبني عليه ترابط آياته وسوره ، التي تظهر وجهاً من وجوه الإعجاز الأسلوبي في نظمه الباهر .

وبالعودة إلى نص ابن عبدالسلام السابق يجد الباحث ألفاظاً من مثل : " ارتباط الكلام ، مرتبط أوله بآخره ، ربط ركيك " فهذه التعبيرات تدل بوضوح على وجود فكرة الترابط بين أجزاء النص عنده ، وهذا التصريح بلفظ " الارتباط والربط " ، يضاف إلى ما وجد عند غيره من العلماء الذين سبقوه .

ولا بد من وقفة هنا مع اثنين من أبرز الذين ساروا على منهج السكاكي، واتخذوا كتابه " مفتاح العلوم " عمدة في بحثهم البلاغي ، وورد عندهم ذكر الربط ، وهما : الخطيب القزوني (ت 739 هـ) [2] ، وبهاء الدين السبكي (ت 773 هـ)[3]، وكلاهما من علماء القرن الثامن الهجري ، فالقزويني لخص " مفتاح العلوم " في كتابه : " تلخيص المفتاح " ، وشرح التلخيص في " الإيضاح " وقام السبكي بشرح " تلخيص المفتاح " في كتاب " عروس الأفراح".

(1) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، 1 / 260 ، وينظر : السيوطي : أسرار ترتيب القرآن ، ص 41 وما بعدها .
(2) السيوطي : بغية الوعاة ، 1 / 157 .
(3) المصدر السابق ، 1 / 342 .

فأما الخطيب القزويني فقد ذكر الربط وجعله حاصلاً بين الجمل التي يعطف بعضها على بعض بحرف من حروف العطف ، فيقال : " وإذا لم يكن للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد ربط الجملة الثانية بها على معنى عاطف سوى (الواو) عطفت به " [1] أي : عطفت بالفاء .

ويشرح " بهاء الدين السبكي " هذه العبارة ، ويفسر الربط بأنه يقابل مصطلح " التشريك " ، فالتشريك عطف جملة على جملة سابقة لها محل من الإعراب حتى تشاركها في الإعراب ومعناه ، أما الربط فيستعمل في عطف جملة على جملة لا محل لها من الإعراب " وهنا لما لم يكن للأولى إعراب عبر بقصد الربط أي ربطها ربطاً يقيد فائدة تحصل من حرف العطف"[2]. إذاً فدلالة الربط عندهم تختص بحالة معينة بين الجمل المتعاطفة التي لا محل لها من الإعراب .

ويتضح من ذلك أنه أشار إلى نوع واحد من الربط ، هو الربط اللفظي، ولم يشر القزويني إلى الربط المعنوي ، بل عده قطعاً ، ويحدث ذلك بأن تكون " الجملة الثانية بمنزلة المنقطعة عن الجملة الأولى ، فيعود إلى كون عطف الثانية على الأولى موهماً عطفها على غير الأولى أيضاً ؛ ويسمى الفصل لذلك قطعاً " [3].

فالقزويني بذلك يبقى على المصطلح المعروف: " الفصل " ، ويجعل هذا النوع الذي أشار إليه " قطعاً " وذلك نحو قول الشاعر :

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً أُراها في الضلال تهيمُ

فلم يعطف الشاعر جملة " أراها " على جملة " تظن سلمى " وهو المقصود ، كي لا يوهم العطف أنها معطوفة على جملة " أبغي " .

وهكذا هي إشارات علماء البلاغة إلى الربط لا تعدو كونها لمحات سريعة غير متأنية ، ولا تصل إلى درجة جعله مصطلحاً .

---

(1) القزويني ، محمد بن عبدالرحمن بن عمر : تلخيص المفتاح ، تحقيق : ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 / 2002 م ، ص 109 .
(2) السبكي ، أحمد بن علي بن عبدالكافي : غروس الأفراح " ضمن شروح التلخيص " ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط 2 / 1343 هـ ، ص 23 - 24 .
(3) المصدر السابق ، ص 111 .

وتتسع نظرة العلوي (ت 749) [1] إلى الربط ، فيجعل الارتباط من مقومات النص الأدبي ، فهو ينظر إلى النص الأدبي على أنه بنيان تزداد قوته بإحكام بنائه ، وتلاؤم أجزائه ، وبذا يقوى الارتباط ، فإنه " يجب مراعاة أحوال التأليف بين الألفاظ المفردة ، والجمل المركبة ، حتى تكون أجزاء الكلام متلائمة آخذاً بعضها بأعناق بعض، وعند ذلك يقوى الارتباط ويصفو جوهر نظام التأليف ، ويصير حاله في منزلة البناء المحكم المرصوص . . . " [2].

وهذا الذي ذهب إليه العلوي مفاده أن مراعاة أحوال تأليف الكلام تكون تبعاً لما هو معلوم في النظم من توخي معاني النحو - وهذا ما قرره عبدالقاهر الجرجاني من قبل - وهذا التأليف يجعل الكلام متلائماً آخذةً أجزاؤه بأعناق بعض . كل ذلك يقوي الارتباط بين أجزاء النص فيكون كالبنيان المرصوص ، وهذا أمر ضروري حتى يدخل الكلام تحت لواء البلاغة .

وبناء على ذلك فقوة الترابط بين جمل النص التي هي أجزاؤه هي سرّ بلاغته ، وسبب جماله ورشاقته ؛ فَحَسْبُ الترابط من فضل أن يكون له هذه الميزة ،وكفاه أهمية أن تعود إليه هذه الفضيلة .

ولعله من المفيد أن يكتمل تصور العلوي بإيراد شاهد مثّل به لهذا الذي قرره في موضع آخر من كتابه ، وذلك عند حديثه عن " الفصل والوصل " ، حيث شرح وجوب الملاءمة بين المعطوف والمعطوف عليه ، والترابط بينهما كما جاء في قول الله - تعالى - : (يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا)[البقرة : 188] ، فما هي العلاقة بين الجملتين ؟ " وأي ارتباط بين أحكام الأهلة وبين حكم إتيان البيوت من ظهورها ، قلنا فيه أجوبة ثلاثة ، أحدها أنه لما ذكر أنها مواقيت للحج ، وكان من عاداتهم ذلك كما نقل في الحديث أن ناساً كانوا إذا أحرموا لم

---

(1) ينظر ، الشوكاني : محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، ط 1 / 1348 ، 2 / 333 .

(2) العلوي ، يحيى بن حمزة بن علي : الطراز ، دار الكتب الخديوية ، طبعة المقتطف ، مصر ، القاهرة ، ط / 1332 هـ = 1914 م ، 2 / 224 - 225 .

يدخل أحدهم بيتاً ولا خيمة ، ولا خباء من باب ، بل إن كان من أهل المدر نقب نقباً من ظاهر البيت يدخل منه ، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة أو الخِباء فقيل لهم : " ليس البر تحرجكم من دخول البيت ، ولكن البر من اتقى محارم الله . . " [1].

وواضح من هذا التعليل لتجاور جمل الآية أن العلوي ذكر المناسبة المعنوية التي سوغت العطف بين الحكمين : حكم الأهلة ، وحكم إتيان البيوت، حيث عطف ثانيهما على الأول بالواو التي تفيد المشاركة ، ولم تقتصر هذه المشاركة على الحكم الإعرابي فحسب ، وإنما هي مشاركة ناتجة عن تلاؤم وتناسب معنوي بين الجملتين .

هكذا هي نظرة العلوي إلى ترابط النص وتلاؤم معانيه ، ويزداد تصوره وضوحاً عندما يقرر أن الجمل إذا تجاورت وجاء بعضها إثر بعض فلابد فيها من رابط لفظي أو معنوي ، فأما اللفظي فيكون " بالواو لتكون متسقة منتظمة ، كما أن الجمل إذا وقعت موقع الصلة ، أو الصفة فلابد لها من ضمير رابط يعود منها إلى صاحبها ، فلهذا تقول : زيد قائم ، وعمرو منطلق ، فلا تجد بُداً من الواو ، وكما لا تجد بُدّاً من الضمير في نحو قولك : هذا الذي قام وخرج ، من أجل الربط كما ذكرناه . وهذا الصنيع مستمر ، اللهم إلا أن تكون الجملتان بينهما امتزاج معنوي ، وتكون الثانية موضحة للأولى مبينة لها كأنما أفرغا في قالب واحد " [2].

وهذا كلام صريح في ضرورة الربط بين الجمل ، وكون الربط بالواو أو الضمير ، وهذا ما أسماه البحث الربط اللفظي ، وقد يكون الربط ناتجاً عن " امتزاج معنوي " كأن تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى أو بدلاً منها، وبهذا الامتزاج المعنوي تستغني الجملة الثانية عن الرابط اللفظي ، وتكتفي بالرابط المعنوي ، وذلك نحو قول الله ـ تعالى ـ : (وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ)[الشعراء: 132 - 133] . فجملة " أمدكم بأنعام " مرتبطة بجملة " أمدكم بما تعلمون " ارتباطاً معنوياً أغنى عن

---

(1) المصدر السابق : ص / 49 .
(2) المصدر نفسه ، 2 / 45 - 46 .

الـربط بحـرف مـن حـروف العطـف ، وذلـك الـربط المعنـوي سـوغته العلاقـة البدليـة بـين الجملتين.

بيد أن الجملة قد ترتبط بجملة قبلها برابط لفظي مع الرابط المعنوي ذلك مـا يمكـن أن يسـمى " تضـافر الـروابط " ، نحـو ارتبـاط جملـة الحـال بجملـة صـاحبها بالضـمير وهـو رابط لفظي ، مع رابط معنوي آخر هـو بيـان الهيْـأة الـذي تؤديـه الحـال ، وذلـك كقـول الله ـ تعالى ـ : (لا رَيْبَ فِيهِ) [البقرة : 1] حيث إن جملة (لا رَيْبَ فِيهِ) حال من " الكتـاب " أي : " هذا الكتاب حقاً أو غير ذي شك "[1] .

واستغنت الجملة الحالية هنا عن الربط بـالواو ، واكتفت بـالرابط اللفظـي الـذي هـو الضمير في (فِيهِ) مع ما بين كلمة (الْكِتَابُ) و (لا رَيْبَ) ، مـن تـرابط معنـوي ، لأن كل ما كان من القرآن " الكتاب " فهو لا ريب فيه ، ولا شك فيه ، فهما كالشـيء الواحد فـي المعنـى ، فتضـافر في هذه الجملة الحالية رابطان : رابط لفظي هو الضمير ، ورابط معنوي هو بيان الهيأة التي هي حال الكتاب .

---

(1) العكبري : التبيان في إعراب القرآن ، 1 / 15 .

- الروابط في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة :

يرد ذكر الربط في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة في مواضيع متعددة ، فقد جاء مرتبطاً بمصطلح أدبي نقدي هو " تداعي المعاني " ، واتصل ذلك بثلاثة اتجاهات نقدية هي [(1)]:

1 - الاتجاه الجمالي ، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن مبعث الإحساس بالجمال في نص أدبي ما يرجع إلى ربط ذهني يقوم به المتلقي - بين ما يتلقاه وما يستدعيه ذلك من أفكار ومعان موجودة عنده ، تمثل تجربته الذاتية .

2 - الاتجاه الثاني ، يرى أن أساس بناء الصورة البلاغية هو الترابط الحادث بين المعاني ، فالترابط بين المعنى الحقيقي والمجازي - مثلاً - هو أساس بناء الصورة المجازية .

3 - الاتجاه الثالث ، ويرى أصحابه أن مايسمى " تيار الوعي " أو " تيار الشعور " أساسه الترابط غير المنطقي ، وترابطه نفسي ، ولهذا الاتجاه صلة وثيقة بفن الرواية ، لأن ذلك الترابط الحادث في " تيار الوعي " إنما يحدث في سرد الأحداث ، ويغني هذا النوع من الترابط النفسي عن وجود ما يسميه البلاغيون الجهة الجامعة بين الجملتين اللتين بينهما اتصال بحرف العطف .

ويظهر ما تقدم أن الربط في هذه الاتجاهات الثلاثة يدخل تحت نوع واحد من الرابط هو الربط الذهني أو النفسي ، الذي يمكن أن يسمى " ربطاً غير نصي ".

وارتبط ذكر الربط في النقد الحديث بقضية أخرى من قضايا النقد الكبرى ، هي قضية " الوحدة العضوية " ، حيث ترتبط الأفكار الجرئية بعضها ببعض لتكون موضوع النص الأدبي ، والنقاد المحدثون يدعون الأدباء إلى " استيفاء كل فكرة في النظم في

---

(1) ينظر : مجدي وهبة وكامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، ط 1979 م ، ص 53 .

موضوعها المحدد لها من القصيدة قبل الانتقال إلى الفكرة التالية ، بحيث لا يصح الرجوع بعد إلى الفكرة الأولى في القصيدة ، وإلا بدا الفكر مضطرباً ، واختلت بقية القصيدة . . "[1] .

ولا يقتصر أثر الترابط على انتظام الأفكار في النص الأدبي ، بل يتعدى ذلك إلى كونه يوجد نوعاً من الانسجام والاتساق بين جمل النص وأجزائه ، وهذا ما جعل الدكتور " عزالدين إسماعيل " يرجع جمال النصوص الأدبية إلى ترابط عناصرها وأجزائها ، فعندما " نحكم بجمال هذا الكلام فإننا نحكم في الواقع بجمال هذه العلاقات ، وكلما كانت هذه العلاقات مطابقة للقوانين العقلية كانت أجمل . فإذا فسدت العلاقات فسد كل شيء وضاع كل جمال . وفي مجال اللغة تكون معاني النحو هي تلك القوانين العقلية . "[2] .

وهذه الرؤية مبنية على نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني ، حيث ترتبط المعاني بعضها ببعض ، وبقدر اتساقها ، وتوخيها لقوانين اللغة تكون جودة النظم فيها ، ويعد هذا الترابط المعنوي بين عناصر التركيب سر الجمال ، في العمل الأدبي ، ومبعث الإعجاب فيه .

وبعد هذا العرض الذي بحث مفهوم الربط والترابط في الدراسات الحديثة فإن البحث يمكن أن يخلص إلى نتيجة مفادها : إن الدراسات الحديثة استعملت الربط والترابط ، وكان هذا الاستعمال فضفاضاً ، غير محدد ، واستعمل الربط لمعان كثيرة منها الدلالة على الرابط العائد الذي هو الضمير أو ما ينوب عنه ، وهذا استعمال قديم معروف ، ومن هذه الاستعمالات استعمال الربط للدلالة على العلاقات الرابطة لكلمات النص وجمله ، وهي ما تعرف بالروابط النصية ، وهناك الروابط الذهنية التي تربط بين المعاني الواردة في النص ومرجعياته ، أو تربط بين النص ودلالته وإيحاءاته التي يختزنها المتلقي .

---

(1) محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط 1973 م ، ص 396 .
(2) عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ط 2 / 1986 م .

وتثبت هذه الاستعمالات لمفهوم الربط وجوداً في الدراسات الحديثة ، من غير تخصيص بعلم معين ، ومن غير أن يكون مصطلحاً مختصاً بفرع محدد من فروع المعرفة ، والدليل على ذلك أن الذين استعملوا لفظ الربط أو الترابط لم يضعوا له تعريفاً محدداً ، ولم يلتزموا به في كل موضوع تناولوا فيه قضية الترابط ، هذا على حد ما توصل إليه البحث ، وما توفر من معلومات متاحة من المصادر .

وإذا بُحِثَتْ قضية الروابط في الدراسات البلاغة الحديثة فسيتضح أن الباحثين المحدثين في البلاغة العربية اعتمدوا على الموروث العلمي للبلاغة التقليدية ، فاعتمدوا على قواعدها ، وبنوا على أسسها ، فقلّد بعضهم وطوّر آخرون ، ومن هؤلاء الذين طوروا البحث في مواضيع البلاغة الدكتور " محمد أبوموسى " الذي تناول بعض جوانب الربط والترابط من غير أن يجعله مصطلحاً ، وبلغت نظرته إلى الترابط ذروة تطورها عندما أرجع إفادة المعاني في التراكيب إلى الربط والترابط بين كلمات النص وجمله ، فإننا " لا نستطيع أن ندرك من اللغة غرضاً ، ولا أن نفيد منها معنى إلا إذا ارتبطت كلماتها بعضها ببعض ، وصارت كل لفظة متصلة بالأخرى نوعاً من الاتصال، وفي ضوء هذا الترابط ، وهذه الصلات تكمن المعاني والأفكار التي تحتويها النصوص اللغوية ، وتحفظها في بنائها الحي ، تراثاً خالداً . . . "[1]، فالترابط ليس مصدر إفادة المعنى فحسب ، بل هو سبب خلود النصوص الأدبية وبقائها حية تتداولها الأجيال .

وتعد هذه النظرة العميقة تطوراً حقيقياً في النظر إلى ترابط الكلمات والجمل داخل النص ، وهي نظرة تنم عن إدراك حقيقي لخصائص التراكيب ، وتكشف عن حس بلاغي ، وخبرة واسعة في تحليل النصوص وتذوقها .

والترابط لا يعد مصدر الإفادة في النصوص فحسب ، بل هو مؤشر حقيقي على مقدار مهارة الأديب ـ كذلك ـ ، وهو مقياس لدرجة حذقه ؛ فبقدر إحكامه صياغة النص وجودة ربطه لكلمات النص وجمله تظهر قدرته الإبداعية ، وبمقدار نجاحه في الربط بين

---

(1) محمد أبوموسى : خصائص التراكيب ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، ط 2 / 1400 هـ = 1980 م ، ص 45 .

الأفكار والمعاني تبرز عبقريته ، ويرجع فضل الترابط في هذه الأمور إلى الإسناد الذي هو نوع من الترابط المعنوي ، وهو " أصل الفائدة ومناطها ، فليست معاني الشعر وقضايا الفكر ، وروايات التاريخ ، وأصول العلوم كلها إلا فكراً ومعاني ، ودلالات هي ولائد الإسناد وبناته " (1).

ويرد ذكر الربط عند " أبي موسى " عند حديثه عن تقييد الفعل بالشرط ، فأداة الشرط " إنْ " تأتي لتدل على أن الأمر نادر الوقوع ، غير مقطوع بوقوعه ، وقد تأتي نادراً لمجرد الربط ، من ذلك مجيؤها في قوله ـ تعالى ـ: (إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا)[النساء : 135) يقول أبوموسى عن " إن " في هذه الآية : " وابحث لها عن مغزى فإني لا أرى فيها أكثر من مجرد الربط " (2).

وحاول بعض الباحثين تطوير النظرة إلى الربط من خلال بحث " الفصل والوصل " الذي هو مناط بحث " الربط " بين الجمل ، فالدكتور " منير سلطان " ورد عنده لفظ " الربط " عند الحديث عن الفصل والوصل ، يقول : "عاش فن الفصل والوصل في وجدان الناطق العربي ، الذي احتاج إلى أن يربط بين معنى ومعنى برابط ، أو يقطع معنى عن معنى بقاطع ، وهو في فصله ووصله يهدف إلى تحقيق غاية جمالية يسمو إليها " (3)، واستعمال الربط هنا لم يرقَ إلى درجة المصطلح ، وإنما جاء تفسيراً للوصل بين معنيين .

ويبدو أن الدكتور " منير سلطان " طور النظرة التقليدية إلى موضوع الوصل بين الجمل قليلاً ، حيث جعل الوصل ربطاً بين المعاني ، ويظهر ذلك من عبارته السابقة ، ومن تعريفه للوصل بأنه : " ربط معنى بمعنى بأداة لغرض بلاغي " (4). وقد كان حديث البلاغيين القدماء عن وصل جملة بجملة أخرى ، فكانت نظرتهم أقرب إلى الشكل منها إلى المضمون .

---

(1) المصدر السابق ، ص 45 .
(2) المصدر نفسه ، ص 264 .
(3) منير سلطان: بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ط 1988/1م، ص211 .
(4) المصدر السابق ، ص 183 .

ومع هذا ظلت نظرة " منير سلطان " مقيدة بالنظرة التقليدية ، فظل مصطلح الفصل والوصل والقطع ، وبقيت النظرة إلى ترك العطف بين الجمل فصلاً ، مع أن ترك العطف سببه قوة الترابط بين معنيي الجملتين المتجاورتين.

ويعد باحث آخر " الربط " وظيفة نحوية يؤديها الرابط " فالواو في قولنا: " نجح حسام ومحمود " تفيد وظيفياً الربط بين محمود وحسام في معنى النجاح " [1]، وتنفرد الواو بدلالتها على الربط فحسب فهي لمطلق الجمع بين طرفي الربط ، أما الروابط الأخرى فتؤدي معاني أخرى معه.

وهذه النظرة تنطلق من قواعد النحو العربي التقليدي ، والجديد الذي يحسب للباحثين المحدثين في البلاغة العربية في هذا الصدد هو الحديث عن أغراض الربط وغاياته ، فأغراض الربط تتنوع ؛ إذ لكل جملتين مترابطتين غرض يختلف عن ترابط غيرهما ، لكن ذلك لا يمنع أن تكون هناك أغراض عامة رئيسة ، كأداء المعنى ، ووضوح الفكرة ، وإبراز جمال المعنى لتحقيق كمال الفائدة ، وهذا ما يثير الخيال ، ويحرك العواطف والمشاعر ، وينمي الذوق ، والحس الجمالي [2].

ويبدو أن بعض الباحثين طور النظرة إلى الروابط ، ووسع دائرتها عندما نظر إلى موضوع الربط من زاوية أخرى هي زاوية دور المتلقي ، فممارسة المتلقي النفسية المتمثلة في تأمل النص والتفاعل معه تسعى إلى الكشف عن دلالة بنية النص بالاعتماد على تأمل الترابط بين كلمات النص وجمله .

وهذا الترابط الحادث بين كلمات النص وجمله له نوعان مختلفان يسعيان إلى غاية واحدة : النوع الأول هو " الترابط الشخصي ـ أي السيكولوجي والتراثي للكلمات ـ القائم على مفهوم التفاعل الارتباطي بين الذات والموضوع ، والذي يتم أساساً عن طريق الاحتفاظ للألفاظ بمخزون شعوري ولا شعوري في ضمير الفرد ، في التراث الجمعي للأمة " [3].

---

(1) حسن طبل ، علم المعاني تأصيل وتقييم ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، من غير تاريخ ، ص 160 .

(2) ينظر : منير سلطان : بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، ص 212 وما بعدها .

(3) عفت الشرقاوي : بلاغة العطف في القرآن الكريم ، دراسة أسلوبية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط / 1981 م ، ص 153 .

وهذا النوع من الترابط هو ما سبق الحديث عنه عند بحث الربط " في علم لغة النص " ، وهو الترابط الذهني . أما النوع الثاني فهو " الترابط الداخلي النابع من البناء الموضوعي ... " (1)، وهو الترابط السياقي ، والنوع الأول روابطه خارج النص ، أما النوع الثاني : فروابطه نصية ؛ داخل النص ، وكلا النوعين يتضافران لأداء المضمون المقصود والمعنى المراد .

وواضح أن هذه النظرة إلى الروابط وتقسيمها إلى ترابط شخصي خارجي ، وترابط داخلي متأثرة بما وصلت إليه أبحاث علم اللغة الحديث ودراساته ، وعلمي الأسلوب والنص ؛ اللذين تفرعا عن علم اللغة ، وهذا التقسيم للروابط هو عين التقسيم الذي وضعه " فرديناان دي سوسير "(2) .

ويرى الدكتور " فتحي أحمد عامر " أن نوعاً من الصلة يجمع بين نوعي الربط، فالروابط الذهنية ترتبط بالنص ، وكذلك هي حال الروابط السياقية بين كليهما يوجد ترابط يصل هذا بهذا ؛ فالكلمة في النص ـ إذا قصد بها المعنى المجازي ـ لها معنى حقيقي ، لكنّ هذا المعنى ليس مقصوداً ، وإنما المقصود معنى آخر مرتبط في ذهن أهل اللغة بالمعنى الأولى ، ويسمى هذا المعنى " المعنى الثاني " (3).

وأصل هذه الفكرة عند " عبد القاهر الجرجاني " وسمى ذلك المعنى الثاني : " معنى المعنى " (4). وتكمن أهمية الإشارة إلى ترابط هذين المعنيين في أن هذا الترابط يساعد على فهم النص فهماً عميقاً ، ويكشف عن دلالات المجاز والإيجاز ، والإيحاء و نحو ذلك .

وبناء على ما تقدم فإن دراسة النص دراسة بلاغية على أساس موضوع " الربط والترابط " يمكن أن يغطي جوانب النص جميعها ، فلا تقتصر الدراسة على إبراز العلاقة

---

(1) المصدر السابق ، ص 153 .

(2) ينظر ص : 134 من هذا البحث .

(3) ينظر : فتحي أحمد عامر : المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ط / 1991 م ، ص 30 .

(4) ينظر : عبدالقاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 202 .

الرابطة بين الجمل فحسب ، وإنما يمكن دراسة الكلمة المفردة ومعناها الحقيقي والمجازي والارتباط بينهما ، وما توحي به ومرجعياتها الدلالية الذهنية، يُدرس ذلك كله على أساس الربط ، ثم تتم دراسة ارتباط الكلمة بما جاورها من كلمات حتى تكونت الجملة ، ثم يدرس المعنى الذي تحمله هذه الجملة ، إذا ما كان حقيقياً أو مجازياً ، وإن كان مجازياً فتدرس أوجه الربط بين المعنيين : الحقيقي والمجازي، ثم يدرس النص وحدة كلية على أساس الترابط ، ويكشف عما فيه من روابط سياقية أو ذهنية .

وهكذا فإن بحث الربط والروابط يُعدُّ من صميم موضوعات البلاغة التقليدية جميعها ، فعلى سبيل المثال يمكن دراسة موضوعات الحقيقة والمجاز والإيجاز والإطناب ، والتشبيه والكناية والاستعارة والفصل والوصل على أساس الربط والروابط. وإذا صح هذا الفرض فإن البلاغة العربية يمكن أن يتناولها الباحثون بالتجديد والتطوير على أسس جديدة ، ربما تكشف عن نتائج مهمة .

المبحث الثالث

الرّبط والرّوابط في الدّراسات القرآنية

تعد علوم القرآن ميداناً خصباً للدراسات اللغوية والنحوية والبلاغية ؛ لذا يحاول البحث هنا أن يتلمس جذور " الربط " في بعض كتب هذه العلوم التي لها صلة بالموضوع ، ككتب علم الوقف والابتداء ، وكتب توجيه القراءات القرآنية ، وكتب التفسير ، وبحوث علم المناسبة .

- الروابط في دراسات علم الوقف والابتداء :

علم " الوقف والابتداء " أحد علوم القرآن التي تلقاها القراء عن أئمة القراءة ، وقد أدرك هؤلاء القراء عظمة كلام الله فاعتنوا بطريقة أداء التلاوة وضبطها ، وما يوقف عليه ، وما لا يجوز الوقوف عليه ، ولمّا أطل زمن تدوين العلوم ، وتصدر المتقنون المجيدون للتعليم طفقوا يضعون قواعد هذا العلم وضوابطه .

وبالبحث في المؤلفات الأولى لعلم الوقف والابتداء يجد الباحث أن هذه الكتب تتبع المنهج الوصفي في تحديد ما يجوز الوقف عليه ومالا يجوز الوقف عليه ، فهي لم تحفل بوضع المصطلحات ، فلا نجد في كتاب ابن سعدان الكوفي (ت 231 هـ) [1] مصطلح " الربط " أو مصطلحاً قريباً منه ، ثم إن ابن سعدان عنى في كتابه "الوقف والابتداء في كتاب الله عزل وجل " بالدرجة الأولى بالوقف اللفظي " الصرفي " ، وهو يبحث في كيفية الوقف وما يحدث في آخر الكلمة من تغيير إذا وقف عليها [2].

وهذا النوع من البحث بعيد عما نحن بصدده ، فبحث الربط والروابط يتسع له الوقف النحوي الذي يعنى بتعلق الكلام بعضه ببعض ، وهذا ما نجده عند أبي بكر بن الأنباري (ت 328هـ) [3] .

وإذا تأمل الباحث هذا الكتاب وجده معنياً ببيان مواضع الوقف التام والحسن والقبيح بالدرجة الأولى ، ووجد المؤلف يعرّف كل مصطلح من هذه المصطلحات التي استعملها المؤلف في كتابه ، لكن تعريفاته كانت أقرب إلى الوصف منها إلى الحدّ ، وهذه هي طبيعة العلوم في طور النشأة .

وقد انطلق ابن الأنباري في بيان حكم الوقف ونوعه من علاقة الكلام بما قبله وبما بعده من حيث اللفظ والمعنى ؛ " فالوقوف التام هو الذي يحسن الوقوف عليه والابتداء بما

---

(1) الحموي ، ياقوت : معجم الأدباء ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، ط 1 / 1993 م ، 6 / 2537 .

(2) ينظر ابن سعدان ، أبوجعفر محمد ابن سعدان الضرير : الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ، تحقيق : محمد خليل الزروق ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، دبي ، الإمارات العربية ، ط1/ 2002 م ، ص 34 .

(3) الحموي ، ياقوت : معجم الأدباء ، 6 / 2618 .

بعده ، ولا يكون ما بعده متعلقاً به كقول الله تعالى : (أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [سورة البقرة : 5] فهذا وقف تام لأنه يحسن أن نقف على " المفلحين " ، ويحسن الابتداء بقوله : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) [سورة البقرة : 6]"[1].

فابن الأنباري ـ هنا ـ يستعمل لفظ " يتعلق " ، وهو مصطلح نحوي معروف ، واستعماله إياه إنما يدل على تحكم مفردات هذا العلم ، ولا يعد ذلك عيباً ما دامت العلوم تتقارض وتتداخل ؛ وبخاصة علوم القرآن والعربية التي وضعت لخدمة القرآن ، وصون اللسان من اللحن في كتاب الله .

إن الترابط بين الجمل القرآنية الذي عبَّر عنه ابن الأنباري بـ " التعلق" هو أساس الوقف والابتداء ، وهذا التعلق هو ما فسره أبوعلي الفارسي (ت 377 هـ) [2] بالربط ، وجعله مرادفاً له [3].

والتعلق عند ابن الأنباري قسمان : معنوي ولفظي ، فالمعنوي نحو تعلق قول الله ـ تعالى ـ : (أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ) بما قبله ، وهو قوله ـ سبحانه ـ : (يوقنون) لذا فـ " الوقف على (يوقنون) حسن وليس بتمام لأن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى "[4] ، حيث إن " أولئك " تعرب خبراً لـ " الذين " أو مبتدأ خبره " على هدى " .

والتعلق اللفظي يقابل التعلق المعنوي ، وفيه ترتبط الجملة بما قبلها أو بما بعدها من جهة اللفظ ؛ نحو تعلق قول الله ـ تعالى ـ : (بالغيب) بقوله: (يؤمنون) في الآية : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) [سورة البقرة: 2] ، ولهذا قال ابن الأنباري : " والوقف على (يُؤْمِنُونَ) قبيح لأن (بالغيب) صلة (يؤمنون) وهي متعلقة بهم " [5].

---

(1) ابن الأنباري ، أبوبكر محمد بن القاسم : إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله ، تحقيق : محيي الدين عبدالرحمن رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ،ط / 1391 = 1971 م ، 1 / 159 - 160 .

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 1 / 363 .

(3) ينظر : الفارسي : المسائل العسكريات ، ص 46 نقلاً عن : محمود نحلة : صور تأليف الكلام عند ابن هشام ، ص 13 ، و ينظر : ص 12 من هذا البحث .

(4) ابن الأنباري : إيضاح الوقف والابتداء ، 1 / 492 .

(5) المصدر السابق ، 1 / 491 .

ويجعل ابن الأنباري للتعلق حالات ذكرها في مواضع متفرقة ، كتعلق الفعل بفاعله أو مفعوله ، أو تعلق النعت بمنعوته ، أو المضاف بالمضاف إليه، أو الحال بصاحبها ، ونحو ذلك [1].

و من عرض كلام ابن الأنباري السابق عن " الوقف " وتقسيمه له إلى أنواع حسب نوع التعلق ـ يتضح ما للتعلق من أثر على المعنى وهو يحدد موضع الوقف والابتداء ، وهذا الأثر ناتج عن " التعلق " الذي هو نوع من أنواع " الربط " .

وإذا كان ابن الأنباري قد بنى بحثه في الوقف والابتداء على مصطلح " التعلق " تُرى كيف كان الأمر عند ابن النحاس (ت 337 هـ) [2] صاحب كتاب " القطع والائتناف " ؟

إن أول ما يمكن أن ينطلق منه البحث لاستيضاح عمل ابن النحاس هو عنوان الكتاب ، الذي يتركب من مصطلحين هما : القطع والائتناف ؛ ويقصد بالقطع : الوقف، وبالائتناف : ابتداء القراءة بعد الوقف ؛ يقول : " قوله عز وجل : (ألم) في القطع عليها والائتناف بما بعدها أربعة أقوال : منهن أن فيها ثلاثة أَتِمّة، والقول الثاني : أن القطع على (ألم) كاف وليس بتمام ، والقول الثالث : أن القطع عليها ليس بتمام ولا كاف ، والقول الرابع : أن القطع على (ألم) تمام ، وهذه الأقوال يبينها كلام العلماء في التفسير " [3].

والنص السابق وردت فيه أربعة مصطلحات هي : (القطع ، والائتناف، والتمام ، والكافي) ، وأول هذه المصطلحات " القطع " ، ويراد به ما تعارف عليه علماء الفن فيما بعد بـ " الوقف " ، قال ابن الجزري (ت 833 هـ) [4] في الفرق بين الوقف ، والقطع والسكت : " هذه العبارات جرت عند كثير من المتقدمين مراداً بها الوقف غالباً ولا يريدون بها غير الوقف إلا مقيدة "[5].

---

(1) ينظر: المصدر نفسه ، 1 / 149 ، 474 ، 476 ، 491 وغيرها .
(2) الحموي ، ياقوت ، معجم الأداء ، 1 / 468 . .
(3) ابن النحاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل : القطع والائتناف ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 / 1423 هـ = 2002 م ، ص 41 .
(4) ينظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 7 / 204 .
(5) ابن الجزري ، محمد بن محمد الدمشقي : النشر في القراءات العشر ، تحقيق : زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 2 / 1423 هـ = 2002 م ، 1 / 188 .

وجعل ابن النحاس القطع : " الوقف " إمّا تماماً أو كافياً ، وعرّف الوقف التام بأنه يكون على الكلام الذي يفيد معنى تاماً ولم يتعلق بما بعده مفتقراً إليه[1]. فالتمام هو تمام المعنى وإفادته .

ومن هذا يتضح أنهم اعتمدوا في استنباط أحكام الوقف وأنواعه على المعنى بالدرجة الأولى ، إذ هو تابع له ، فقد يكون الوقف تاماً على تفسير وإعراب وقراءة ، غير تام على تفسير آخر أو إعراب أو قراءة أخرى[2].

أما مصطلح " الكافي " فهو الوقف على الكلام المكتفي عما بعده ، والمستغنى ما بعده عنه ، لعدم تعلقه به من جهة اللفظ [3]، وذلك كالوقوف على قول الله ـ تعالى ـ : (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) من قوله ـ سبحانه ـ : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ ..) [البقرة : 7 - 8] .

وأما مصطلح " الائتناف " ويسمى " الاستئناف " أيضاً ، فيقصد به ابتداء القراءة بعد وقف للتنفس ، وله أنواع سيأتي الحديث عنها إن شاء الله .

مما سبق يلاحظ أن " ابن النحاس " لم يستعمل مصطلح " الربط " أو " الترابط "، وإنما استعمل مصطلحات تدل على معنى الربط ، أو مصطلحات النحو التي هي : العطف ، والبدل والنعت [4]. وهو يعلل لتمام الوقف أو كفايته أو عدم جوازه تعليلاً إعرابياً نحوياً ، وهذا يبرز ما أشير إليه من قبل ، مِن أنَّ علم الوقف والابتداء يستند على علم النحو ، كما يستند على التفسير والفقه .

وهذه العلوم في حقيقتها تخدم المعنى ، لذا كانت الحاجة إلى البحث عن مصطلحات واضحة دالة تخدم المعنى وتقربه .

---

(1) ينظر: ابن النحاس ، القطع والائتناف ، ص 42 - 43 .
(2) ينظر : الأشموني ، أحمد بن محمد ، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ، تحقيق : شريف أبوالعلا العدوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 / 1422 هـ = 2002 م ، ص 26 .
(3) ينظر : ابن النحاس : القطع والائتناف ، ص 42 .
(4) ينظر : المصدر السابق ، ص 45 - 47 .

ويبدو من كتاب " القطع والائتناف " أنّ ابن النحاس لم يورد تعريفات محددة لكل مصطلح ، وهو معذور في ذلك، إذ إن غايته كانت بيان مواضع الوقف والابتداء في القرآن حتى يتضح المعنى لا أن يؤسس لعلم الوقف والابتداء . ثم إن عمله هذا كان في زمن مبكر ، لم تكن دراسات هذا العلم قد نضجت بعد ، إذ حدث ذلك في عصور تالية حيث بلغ البحث في هذا العلم على أيدي المحققين الغاية المرجوة ، كما هو الحال عند ابن الجزري (ت 833 هـ) [1] .

ومع ذلك فإن الباحث في كتاب ابن النحاس لا يعدم كلمة تدل على الترابط فقد استعمل كلمة " متعلق " حيث وردت عنده في عدة مواضع من كتابه[2]، وتدل هذه الكلمة ـ كما مرَّ مفهومها عند ابن الأنباري ـ على ترابط الكلمة بما قبلها أو بما بعدها ، وهذا يؤثر في تحديد نوع الوقف، ومن تلك المواضع ما ذكره عند قول الله ـ تعالى ـ: (يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)[البقرة : 40] ، إذ يقول : " ليس بتمام لأن ما بعده معطوف عليه متعلق به وهو (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أوفِ بعهدكم)"[3].

فالوقوف على قول الله ـ تعالى ـ : (عليكم) في الآية ليس وقفاً تاماً ، لأن الوقف التام يكون على كلام يفيد معنى تاماً ، ولم يتعلق بما بعده ، والكلام هنا مرتبط بما بعده " متعلق " لأن (أوفوا بعهدي) معطوف على : (اذكروا نعمتي) .

ولا شك في أن هذه الإشارة من ابن النحاس تدل دلالة واضحة على تعلق الجملتين بالعطف ، وهو ترابط لفظي بحرف العطف " الواو " .

مما سبق يتضح أنَّ ابن الأنباري وابن النحاس وغيرَهما من علماء الوقف والابتداء بنوا قواعدهم في هذا العلم وأقسامه على الإعراب والتفسير ، وأنهم استمدوا مصطلحات

---

(1) ينظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 7 / 204 .
(2) ينظر : ابن النحاس : القطع والائتناف ، : ص 259 - 282 .
(3) المصدر السابق ، ص 63 .

علمهم من النحو خاصة ، وأبرز هذه المصطلحات مصطلح " التعلق " الذي يعني الترابط اللفظي أو المعنوي ، وهذا هو المصطلح الذي ظلَّ يتردد عند علماء الوقف والابتداء .

وابن الجزري أحد هؤلاء العلماء فقد لخص أساس هذا العلم : علم الوقف والابتداء وأنواعه في عبارة جامعة دقيقة ، فـ " الوقف ينقسم إلى اختياري واضطراري. لأن الكلام إما أن يتم أو لا ، فإن تم كان اختيارياً ، وكونه تاماً لا يخلو إما أن لا يكون له تعلق بما بعده البتة ، أي لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ، فهو الوقف الذي اصطلح عليه الأئمة (بالتمام) لتمامه المطلق ، يوقف عليه ويبتدأ بما بعده، وإن كان له تعلق فلا يخلو هذا التعلق إما أن يكون من جهة المعنى فقط وهو الوقف المصطلح عليه (بالكافي) للاكتفاء به عما بعده واستغناء ما بعده عنه ، وهو كالتمام في جواز الوقف عليه والابتداء بما بعده ، وإن كان التعلق من جهة اللفظ فهو الوقف المصطلح عليه (بالحسن) " [1].

واضح أن هذا الكلامَ يتفق مع كلامِ ابنِ الأنباري وابنِ النحاس وغيرِهما من علماء هذا الفن ، واستعمل ابن الجزري مصطلح " تعلّق " وجعل التعلق قسمين : تعلقاً من جهة المعنى ، وتعلقاً من جهة اللفظ ، وهذان القسمان يعادلان ما يسميه هذا البحث الربط المعنوي والربط اللفظي . وأوضح ابن الجزري هذا المفهوم في أكثر من موضع من كتابه " النشر في القراءات العشر" [2].

واستعمل علماء هذا الفن مصطلحات أخرى تدل على الربط إلى جانب مصطلح " التعلق " وهي مصطلحات نحوية ، من مثل : الاستئناف والقطع والبدل [3]. وقد كثر استعمال مصطلح " التعلق " و " الاستئناف " عند عبدالكريم الأشموني (من علماء القرن الحادي عشر الهجري) فأوردهما في كتابه "منار الهدى في بيان الوقف والابتدا"، واستعملهما بالمفهوم الذي ورد عند ابن الأنباري وابن النحاس وابن الجزري ، ولا حاجة هنا لذكر كلامه اجتناباً للتكرار .

---

(1) ابن الجزري : النشر ، 1 / 178 .
(2) المصدر السابق ، 1 / 180 وما بعدها .
(3) ينظر : الأشموني : منار الهدى ، ص 23 ، 82 ، 83 ، 171 .

- الروابط في دراسات توجيه القراءات القرآنية :

يمثل علمُ توجيه القراءات القرآنية جانباً تطبيقياً آخر للدراسات الصرفية والنحوية ، لذلك انطلق علماء توجيه القراءات من مرجعية صرفية ونحوية ، فاعتمدوا على ما أنجزه علماء الصرف والنحو من نتائج وقواعد ، فكانت مصطلحات النحو هي الحاضرة عند توجيه ترابط الآيات ، فاستعملوا مصطلح: العطف والقطع والاستئناف والتعلق ، والاتصال .

ويظهر أن كتب توجيه القراءات الأولى من مثل كتاب " الحجة " لأبي علي الفارسي (ت 377 هـ) [1] ، وكتاب " المُحْتسَب " لابن جني (ت 392هـ) [2] لم تحفل بمصطلحات دالة على الربط وذلك لأنها ركزت على التوجيه الصرفي ، والتركيز في هذا البحث على الربط المعنوي وما يمت له بصلة وهي قضية بحثها أصحاب التوجيه النحوي للقراءات .

وإذا ما كان هذا هو حال كتب توجيه القراءات الأولى ، فإن بعض الكتب كانت تعتمد التوجيه النحوي للقراءات ، ككتاب " الكشف " لأبي محمد مكي بن أبي طالب (ت 437 هـ) [3] الذي استعمل المصطلحات النحوية للدلالة على ترابط الجمل القرآنية .

ففي قول الله ـ تعالى ـ : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) [الأعراف : 42] جاءت جملة (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ) في قراءة بغير واو ، وفي أخرى بالواو ، فقد " قرأه ابن عامر بغير واو ، استغنى عن حرف العطف لاتصال الجملة الثانية بالأولى في المعنى ، . . . وقرأ الباقون بالواو ، لعطف الجملة على الجملة ، . . . وإثبات الواو الاختيار ، لأن الجماعة عليه ، ولأن فيه تأكيد ارتباط الجملة الثانية بالأولى " [4] .

---

(1) السيوطي : بغية الوعاة : 1 / 497 .
(2) المصدر السابق : 2 / 132 .
(3) المصدر نفسه : 2 / 298 .
(4) القيسي ، أبو محمد مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ،تحقيق: د.محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ،ط 5 / 1418 هـ = 1997 م ، 1 / 464 ،

ففي هذا التوجيه استعمل مكيُّ بنُ أبي طالبٍ مصطلحَ العطف ، وهو مصطلح نحْويٌّ معروفٌ يدلُّ على الترابط اللفظي بين الجمل . ولم يغب لفظ الترابط في هذا التوجيه ، فقد استعمله مكي بن أبي طالب فقال : " وإثبات الواو الاختيار ، لأن الجماعة عليه ، ولأن فيه تأكيد ارتباط الجملة الثانية بالأولى"(1).

ويدل قوله : " تأكيد ارتباط . . ." على أنَّ بين الجملتين ارتباطاً قبلَ دخول الواو هو الارتباط المعنوي ، ثم جاءت الواو فأكدت هذا الارتباط وهي رابط لفظي ، فتضافر نوعا الترابط : المعنوي واللفظي ليؤكدا المعنى .

ومقابلُ " العطف " استعمل مكي بن أبي طالب " القطع " للدلالة على الاستئناف، وذلك في توجيه قراءة من قرأ بالرفع في قول الله ـ تعالى ـ : (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ) [النحل : 12] يقول : " وحجة من رفع أنه قطعه مما قبله ، فرفعه بالابتداء ، وعطف بعض الأسماء على بعض ، وجعل " مسخرات " خبر الابتداء . . " (2).

ويجعلُ مكيُّ بنُ أبي طالب " القطع " مرادفاً للاستئناف على عادة العلماء في عصره فيقول في توجيه القراءات في قول الله ـ تعالى ـ : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَتُ وَالْأَرْضُ) [آل عمران : 133] : " قوله : (وَسَارِعُوا) قرأه نافع وابن عامر بغير واو على الاستئناف والقطع ، وكذا هي مصاحف أهل المدينة وأهل الشام بغير واو ، وهو مع الاستئناف ملتبس بما قبله ، لأن الضمائر غير مختلفة والمأمورين غير مختلفين ، وقرأ الباقون بالواو ، على العطف على ما قبله . . . " (3).

ففي هذا النص استعمل ثلاثة مصطلحات هي : الاستئناف والقطع والالتباس ، وجعلها ذات دلالة واحدة ،ولفظ القطع يوهم غير الواقع ، حيث إن القطع يوهم انقطاع

وقوله : " وإثبات الواو والاختيار " ليس دقيقاً لأن القراءات الثابتة السند في مرتبة واحدة كلها ، ليس فيها فاضل ومفضول .

(1) المصدر السابق ، 1 / 464 . .
(2) المصدر نفسه ، 2 / 35 .
(3) المصدر نفسه ، 1 / 356 .

الكلام عما قبله انقطاعاً تاماً ، وهذا خلاف الواقع السياقي والمعنوي في الآية حيث إن قول الله ـ تعالى ـ : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ...) [آل عمران : 133] مرتبط بما قبله ومتصل به ، فهو داخل في عموم الأوامر التي جاءت بعد النداء الرباني لعباده المؤمنين ، ويتضح ذلك من السياق العام للآيات قال الله ـ تعالى ـ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبواْ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [آلِ عمران : 130 - 133] .

فالكلام مرتبط ببعضه ارتباطاً قوياً كما لا يخفى لما بين معنى (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ) وما قبله من ترابط ؛ فقد نهى الله ـ جل وعلا ـ عباده عن أكل الربا وأمرهم بالتقوى التي هي سبب اجتناب المحرمات ، والفلاح ، وحذرهم من مخالفة النهي لأن ذلك يؤدي إلى دخول النار ، ولما ذكر النار التي أعدت للكافرين ناسب ذلك ذكر الجنة التي أعدت للمتقين لما بين المعنيين من تضاد ، فعلاقة التضاد هنا هي الرابط المعنوي بين جملة (وسارعوا إلى مغفرة) وما قبلها .

واستعمل مكي مصطلح التعلق كذلك ، ففي قوله ـ تعالى ـ : (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران : 171] قرأ الكسائي قوله ـ تعالى ـ : (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) قرأه " بكسر الهمزة ، على الابتداء والاستئناف ، وهو مع ذلك متعلق بالأول ، لأنه إذا لم يضعه فهو واصل أجره إليهم "[1] .

وهذا النص الذي يصرح بالتعلق إنما يقصد به الارتباط المعنوي الحادث بين الجملة المستأنفة ، والجملة التي قبلها .

ويبرز في مجال توجيه القراءات كتاب آخر هو " الدر المصون " للسمين الحلبي (ت 756 هـ) [2]، وقد استعمل المصطلحات النحوية المعروفة التي استعملها مكي بن أبي طالب وغيره ، فيقال ـ مثلاً ـ في توجيه قول الله ـ تعالى ـ : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ

(1) المصدر نفسه ، 1 / 364 - 365 .
(2) السيوطي : بغية الوعاة ، 1 / 402 .

عِيسَى) : جملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها تعلقاً صناعياً بل معنوياً . . . "[1] .

آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [آل عمران : 58] : " قوله - تعالى - : (إِنَّ مَثَلَ

فاستعمل السمين الحلبي هنا مصطلحي الاستئناف والتعلق وهما مصطلحان معروفان من قبل ، وهو مع ذلك يجعل الاستئناف نوعين : نوعاً له تعلق لفظي " صناعي " ، ونوع له تعلق معنوي ، ويقصد بالتعلق اللفظي الصناعي ما كانت فيه الجملة المستأنفة مقول قول مقدر ، وأما التعلق المعنوي فهو ما كانت الجملة المستأنفة فيه تفسيراً أو تعليلاً لما قبلها ، فوجه الترابط يكون معنوياً [2].

ويُعد هذا التعلق الاستئنافي نوعاً من الترابط ، وإن اختلفت علاقات الترابط فيه، وتنوعت وسائله . ونجد أن هذا النوع من الاستئناف يُسمى قطعاً عند علماء العربية ، وسبب تسميته قطعاً عندهم أنه لا تعلق له بما قبله وإنما جاء مع الواقع السياقي ، لأن المتأمل للسياق سيجد أن هذا الاستئناف مرتبط بجملة من جمل السياق ، سواء أكانت هذه الجملة واقعة قبل الاستئناف مباشرة أم فصلت عنها ، وبناءً على ذلك فإن تسمية هذا الاستئناف قطعاً لا يقره واقع السياق .

وعلى الرغم مما ظهر من بحث في كتب توجيه القراءات من أنهم استعملوا مصطلحات النحو المعروفة ، فإن الدكتور " منير سلطان " يرى أن كتب القراءات وتوجيهها هي التي أدخلت مصطلحي الفصل والوصل إلى البلاغة للدلالة على العلاقات بين الجمل [3].

والذي يظهر لي أن كتب القراءات لم تستعمل الفصل والوصل إلا فيما ندر ، وهذا ما أكده الدكتور " أحمد محمد سعد " عندما قال : " إذ لم يتهيأ لنا في نصوصهم - حسبما تناهى إليه العلم والتتبع - ذكر لمصطلح الفصل والوصل بمفهومه البلاغي إلا مرة واحدة

---

(1) السمين الحلبي ، أحمد بن يوسف : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق : د . أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ط 1 / 1407 هـ = 1987 م ، ص / 218 .

(2) ينظر : المصدر السابق : 3 / 191 - 192 .

(3) ينظر : منير سلطان : بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، ص 172 .

وردت عَرَضاً على لسان السمين الحلبي (ت 756 هـ) للتدليل على ارتباط بعض أوجه التغاير القرائي بهذا الفن البلاغي . ولكنهم استعاضوا عن ذلك حين الدلالة عليه بألفاظ مثل العطف وتركه ، والربط أو الترابط وغيرها " [1].

وبتتبع مظان ورود الحديث عن علاقات الجمل في كتاب السمين الحلبي الذي اعتمد عليه الدكتور " أحمد سعد محمد" في التدليل على استخدام " الربط والترابط " وجدت أن هذين اللفظين لم يردا في كتاب السمين الحلبي " الدر المصون " ، والدكتور " أحمد سعد محمد " لم يذكر في بحثه نصاً من " الدر المصون " ليدلل على استخدام السمين الحلبي لهذين اللفظين ، وإنما أشار إلى أنه أفاد في تقسيمه الروابط إلى معنوية ولفظية من كتاب الدكتور " محمد شادي" مدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي".

ومع أن السمين الحلبي لم يستعمل الربط والترابط ، واكتفى بمصطلحات النحو من مثل : العطف والاستئناف والتعلق ، فإن مكي بن أبي طالب استعمل ألفاظ : الارتباط ، ويرتبط [2]إلى جانب المصطلحات النحوية المعروفة .

وعلى كلٍ فإن استعمال لفظ الارتباط في سياق توجيه القراءات يثبت لهذا المفهوم وجوداً وإن كان هذا الوجود نادراً إذا ما قيس بنسبة وجود غيره من المصطلحات الدالة على معناه .

- الروابط في دراسات تفسير القرآن :

اتخذ التفسير سبيلين عامّين : سبيل التفسير بالمأثور ، وسبيل التفسير بالرأي ، والأول يدور حول الأحكام الفقهية غالباً ، ويتجاوز مرحلة التفسير اللغوي والنحوي إلى المعنى ، أما السبيل الآخر فيتدرج من التفسير اللغوي والنحوي حتى يصل إلى المعنى ، ومن المفسرين من اعتمد على إبراز جانب الإعجاز البلاغي لما له من أثر كبير في المعنى .

---

(1) أحمد سعد محمد : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية " رسالة دكتوراه " ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط 2 / 1421 هـ = 2000 م ، ص 362 .

(2) ينظر على سبيل المثال : مكي بين أبي طالب ، الكشف : 1 / 412 ، و 464 ، 2 / 35 .

وإذا كانت كتب التفسير بالرأي هي مظنة مثل هذه المصطلحات ـ أقصد مصطلح " الربط " ـ فإن الباحث لم يعدم في كتب التفسير بالمأثور إشارات تدعم رأياً فقهياً ما اعتماداً على سند لغوي أو بلاغي ، فابنُ جرير الطبري (ت 310 هـ) (1) الذي يعدُّ تفسيره من أكبر كتب التفسير بالمأثور وأفضلها (2). قد يلجأ إلى اللغة لبيان معنى آية من آيات القرآن فيستعمل مصطلحات علوم اللغة .

بل قد يضفي عليها من شرحه ما يعزز فكرته ، فعلى سبيل المثال يشير عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ : (لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ) [سورة البقرة :78]، يشير إلى الاستثناء المنقطع ، ويعلل هذه التسمية فيقول: " ويسمى ذلك بعضُ أهل العربية " استثناء منقطعاً " لانقطاع الذي يأتي بعد " إلا " عن معنى ما قبلها . . فيعلم حينئذ انقطاع معنى الثاني عن معنى الأول " (3).

فالحديث هنا عن الانقطاع المعنوي بين المعنى الواقع قبل " إلا " والمعنى الواقع بعدها ، وهذا في حقيقته ـ كما هو معلوم ـ انقطاع جزئي لأنه يدل على أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه ، ومع ذلك فمن ناحيةٍ أخرى يوجدُ ترابطٌ لفظيٌّ بـ " إلا " التي أخرجت ما بعدها من الحكم الذي قبلها .

وأيّاً كان الأمر فإن الشيءَ الذي يَعْنِي البحثَ هنا هو استعمالُ الطبري لمصطلح " انقطاع المعنى " ، الذي يقابله الارتباط أوالاتصال ، فكما أن هناك انقطاع معنى عن معنى ، فكذلك يوجد ربط معنى بمعنى ، وهذا ما يفهم من النص حسب مفهوم المخالفة.

وعلى الرُّغم من أن رؤية البحث تنطلق من فَرْضية " الترابط بين جمل النص الواحد " ـ فإنه يمكن قبول رأي الطبري فيما دعاه بوجود " انقطاع في المعنى " بصورة جزئية ، أي أن الانقطاع ليس انقطاعاً كاملاً بين ما قبل " إلا " وما بعدها ، وإنما ينحصر

---

(1) الحموي ، معجم الأدباء ، 6 / 2469 .

(2) ينظر : ابن تيمية ، أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم : مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق : أبي حذيفة إبراهيم بن محمد ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ـ مصر ، ط1 / 1988 م ، ص 105 .

(3) الطبري : محمد بن جرير : جامع البيان في تفسير القرآن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، مصر ، ط / 1954 م ، 2 / 264 .

الانقطاع في كون المستثنى ليس من جنس المستثنى منه ، ومع هذا يبقى الترابط الذي لولاه لكان ما بعد " إلا " كلاماً غريباً عن النصّ ، ولا معنى له .

ويتضح من ذلك أن الطبريَّ يعتمد في مصطلحاته على ما أسس له السابقون من علماء النحو والقراءات ، وما ذكره الطبري من مواضع الانقطاع والاتصال لم يكن إلا جمعاً لشتات الموضوع من كتاب سيبويه ومعاني الفراء وكتب القراءات ، وما قيل عند هؤلاء في العطف والقطع والاستئناف والفصل والوصل ، فقد قام الطبري بنظم عقده ، وأضاف إليه شيئاً من التوضيح (1)، وبهذا تعلم سنده المعرفي في هذا الموضوع .

ومع ذلك فإن الطبري خطا بالتفسير خطوةً إلى الأمام ، فقد نقله من التفسير اللغوي المعروف عند أصحاب كتب المعاني والإعراب إلى الإيضاح والتأويل ، فانتقل بدراسة بلاغة القرآن إلى أوسع مما كانت عليه عند الفرّاء وأقرانه (2).

وإذا كان الطبري قد طافت بذهنه فكرة الانقطاع والترابط ـ كما مرّ في الأسطر السابقة ـ فإن مفسراً آخر هو " جار الله الزمخشري " (ت 538 هـ) (3) كان في تعبيرِه أقربَ إلى ما البحثُ بصددِه ، فقد عبر عن الترابط بطريقته الخاصة من غير أن يجعل لذلك مصطلحاً كعادته في تحليل آيات القرآن بلاغياً ، فها هو ذا يعبر عن رأيه في بلاغة فاتحة سورة البقرة فيقول : " إن قوله ألم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و " ذلك الكتاب " جملة ثانية ، و " لا ريب فيه " ثالثة ، و " هدى للمتقين " رابعة . وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسنِ النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض ، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرّا إلى الثالثة والرابعة " (4).

فالزمخشري في هذا النص يعبر عن الترابط بين جمل الآية الكريمة وسمى ذلك تناسقاً وتآخياً " آخذاً بعضها بعنق بعض " وهذا الترابط من " غير حرف نسق " ، فكأنه يريد أن يقول : هذه الجمل مترابطة ترابطاً معنوياً ، استغنت به عن الترابط برابط لفظي هو حرف العطف " الواو " .

---

(1) ينظر : رابح دوب : البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 / 1997 م ، ص 401 - 402 .

(2) ينظر : ابن أبي الأصبع ، زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالواحد : بديع القرآن ، تحقيق : حفني محمد شرف ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، مقدمة التحقيق ، ص 38 .

(3) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 4 / 259 .

(4) الزمخشري ، أبوالقاسم محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط / 1385 هـ = 1966 م ، 1 /121.

وتعد هذه الانتباهة الذكية - التي تحسب للزمخشري - حسنة من حسنات الدرس التطبيقي الذي برع فيه الرّجُل ، إذ لم تكن إشارته في الدرس النظري النحوي في كتابه " المفصل " واضحة كهذه ، بل كانت تلك إشارة موجزة وضع لها مصطلح " العقد " وما ذكره الزمخشري في " الكشاف " كالشرح والبيان ، فما عناه التآخي والتعانق هنا هو عين " العقد في قوله : " لأنهما لو جردا لا للإسناد (يقصد المبتدأ والخبر) لكانا في حكم الأصوات التي حقها أن ينعق بها غير معربة لأن الإعراب لا يستحق إلا بعد العقد والتركيب "[(1)] ومع إدراكنا الفرق بين الرابط الذي يكون بين المبتدأ و الخبر ، والرابط الذي يكون بين التابع والمتبوع كما في الآية ، فإن الرابط في كلتا الحالتين هو رابط معنوي .

وليست هذه هي الحسنة الوحيدة لتطبيق الزمخشري في مجال العلاقة بين الجمل وترابطها ، بل هناك أخرى إذ أدرك بحسه الدقيق الفرق بين الربط اللفظي والربط المعنوي - وإن لم يُسمِّ ذلك ربطاً - فعند المقارنة بين آيتين كريمتين هما قول الله تعالى : (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ) [هود : 93] ، وقول الحق : (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)[الأنعام : 136]. يقول الزمخشري : " إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا : فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت ؟ فقال : سوف تعلمون ، فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب ، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه " [(2)].

فنص الزمخشري يقارن بين الربط اللفظي والربط المعنوي ، لكنه سمى اللفظي ظاهراً ، وسمي المعنوي خفياً ، وهو ينحو في تحليله هذا منحى شكلياً ظاهرياً ، وأدى ذلك إلى تعليل سرّ التنوع في الروابط بين الآيتين الكريمتين بأنه راجع إلى التفنن في البلاغة

(1) الزمخشري : المفصل ، 1 / 43 .
(2) الزمخشري : الكشاف ، 2 / 424

كما هو عادة بلغاء العرب ! ليس هذا فحسب بل فضّل الاستئناف على الربط بالفاء " وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف " .

ولعله ـ من الصواب ـ أن يقال : إن المقام مختلف في الآيتين ، وكذا المعنى المقصود ؛ فآية سورة الأنعام تحمل معنى يؤديه الربط بالفاء ولا يؤديه الربط بالاستئناف ، وآية سورة هود تحمل معنى يؤديه الربط بالاستئناف ولا يؤديه الربط بالفاء ، فدقة التعبير تستوجب أن يكون لكل معنى ألفاظ تؤديه ولكل مقام مقال ، والحق ـ تبارك وتعالى ـ لا يأتي كلامه لمجرد التفنن والتنوع الأسلوبي كما قد يفعله بعض البلغاء أحياناً ، وإنما يأتي التفنن والتنوع حاملاً لمعانٍ ومضامين تختلف عن المعاني والمضامين وإن تشابهت الألفاظ .

ويمكن بسط المسألة بشرحها ؛ فإن آية سورة الأنعام (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) جاءت في سياق الحديث عن عذاب يوم القيام ، وآية سورة هود جاءت للحديث عن العذاب الذي سيقع بقوم هود في الدنيا بسبب تكذيبهم ، ومعلوم أن عذاب الدنيا قريب سيقع بعد الجدال الحادث بين هود ـ عليه السلام ـ وقومه بعد أن يئس منهم ، لذلك كان التعبير عنه في سورة هود (سَوْفَ تَعْلَمُونَ) من غير الفاء ، وكان التعبير عن عذاب يوم القيامة ـ الذي سيقع بعد عذاب الدنيا ـ في آية سورة الأنعام : (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) بإدخال الفاء التي تدل على الفاصل الزمني نسبياً بالنسبة إلى عذاب الدنيا ، وتتضح القضية أكثر بعرض كل آية في سياقها : قال الله ـ تعالى ـ في سورة الأنعام : (إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآَتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ. قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) [الأنعام : 134 ـ 135] ، وفي آية سورة هود قال الله ـ تعالى : (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ. وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) [هود : 93 ـ 94] .

ثم إن لحذف الفاء في هذه الآية دلالة أخرى ، فالسياق فيها سياق تهديد واعتزال، والنبي " شعيب " عليه السلام لا يريد أن يطيل مع قومه الكلام بعد أن يئس من إيمانهم ،

فلا يحسن إطالة الكلام معهم لكراهيته لحالتهم ، ثم إن السياق يعبر عن سرعة الأحداث ، وليس أدل على ذلك من تتابع التعبير بالفعل " تعلمون ، يأتيه ، يخزيه، ارتقبوا ، جاء ، نجينا . . " ، وهذه السرعة في الأحداث يناسبها الإيجاز ، لذا حسن حذف الفاء ، حيث تأتي الأحداث متسارعة من غير فاصل زمني في الواقع ، ومن غير فاصل لفظي في سياق التعبير عن هذا الواقع .

وبالعودة إلى موضوع البحث يلاحظ أن الزمخشري استعمل المصطلحات المعروفة " الوصل " و " الاستئناف " إلا أن الجديد في نصه هو أنه سمّى الفصل الذي هو الاستئناف ـ هنا ـ وصلاً خفياً ، والمشهور أن الاستئناف نوع من أنواع الفصل عند البلاغيين ، وأن مصطلح الوصل لا يطلق عندهم إلا على العطف .

وهذه إشارة إذ إن الحقيقة أنَّ ما يسميه البلاغيون " الفصل " هو في حقيقته وصل معنوي وإن كان الشكل الظاهر يظهر انفصالاً ، وبهذا النص فإن الزمخشري كاد يجعل العلاقة بين الجمل إما أن تكون وصلاً لفظياً أو وصلاً معنوياً لكنه ـ فيما يبدو ـ لم يتوقف كثيراً عند ذلك ، واكتفى بهذه الإشارة التي كانت حسنة من حسنات الدرس التطبيقي .

وابتعاداً عن هذا اللبس والإيهام الذي قد يحدثه مصطلحا " الفصل والوصل " آثر البحث أن يرتضى مصطلح " الربط " الذي يتميز بالدقة والوضوح ، ويوحي بوحدة النصّ وتماسكه ، وهذه الوحدة وهذا التماسك خصائص بلاغية معتبرة ، فضلاً عن ذلك فإن مصطلح " الربط " ينحاز إلى المعنى والمضمون لا إلى اللفظ والشكل ، ولم يقتصر بحث الزمخشري ونظره في " الواو " أداة الربط التي عنى بها البلاغيون فحسب ، وإنما كان ينظر في معاني أدوات الربط كالفاء وثم وإن وإذا ...[1].

ومن العلماء الذين عنوا في تفسيرهم بقضايا اللغة والنحو والبلاغة البيضاوي (ت 685 هـ)[2] وقد وردت عنده لفظة " ربط " مقترنة بالحديث عن العطف بالواو في مواضع قليلة منها قوله ـ في تفسير سورة الإخلاص : " ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف

(1) ينظر : محمد حسنين أبو موسى : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، دار الفكر العربي ، مصر ، من غير تاريخ ، ص 9 .
(2) السيوطي : بغية الوعاة ، 2 / 51 . .

لأن المراد منها نفي أقسام الأمثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل " [1] [كذا]، ويقصد البيضاوي الجمل الثلاث في الآيتين الآتيتين (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) ، فعبر عن العطف بالربط ، فدل بذلك على أن مهمة العطف هي الربط بين الجمل حتى صارت كجملة واحدة ، ويفهم من كلامه هذا أنّ حرف العطف " رابط"، وهذا ما أشار إليه البيضاوي في موضع آخر ، حيث ذكر أن الواو العاطفة رابط يربط الجمل والمفردات وأشباه الجمل [2].

وهناك إشارة أخرى للبيضاوي يمكن عدُّها ذكراً للربط المعنوي وذلك في قوله : " وإخلاء الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها"[3] ، ويقصد بالجملة الخالية عن العاطف قولَ الحق ـ تعالى ـ : (الله الصمد) حيث إنها لم تعطف على (الله احد) لأنها نتيجة لها ، فكون الله أحداً يستلزم أن يكون هو الصمد : السيد المقصود المسؤول في كل حاجة ، فلا معبود سواه ، ولا مطلوب غيره .

ويبدو أن الدرس التطبيقي يكشف عن حقائق غاية في الأهمية قد لا يبرزها التقعيد النظري ، لذا يجد الباحث أن ابن قيم الجوزية (ت 751 هـ) [4] يلتفت إلى روابط أخرى لم يولها النحويون والبلاغيون قبله عناية كافية ، فهو يتحدث في كتاب " بدائع الفوائد " عن الروابط بين جملتين ، ويسميها " الروابط " ويقصد بها الأدوات التي تجعل بين الجملتين تلازماً لم يكن موجوداً قبل دخولها، يقول : " الروابط بين جملتين هي الأدوات التي تجعل بينهما تلازماً لم يفهم قبل دخولها وهي أربعة أقسام : أحدها ما يوجب تلازماً مطلقاً بين الجملتين إما بين ثبوت وثبوت أو بين نفي ونفي أو بين نفي وثبوت وعكسه في المستقبل خاصة وهو حرف الشرط البسيط كإنْ ...... " [5].

(1) البيضاوي ، ناصر الدين أبوالخير عبدالله بن عمر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط 2 / 1388 هـ = 1968 م ، 2 / 582 .

(2) ينظر : المصدر السابق ، 2 / 561 .

(3) المصدر نفسه ، 2 / 582 .

(4) ينظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 6 / 168 .

(5) ابن القيم ، أبوعبدالله محمد بن أبي بكر : بدائع الفوائد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، من غير تاريخ ، 1 / 43 - 44 .

ويذكر ابن القيم من هذه الروابط " إنْ ، ولمّا ، ولو ، ولولا " [1] ، وهو مع ذكره لـ " الربط " والروابط " ، يوسع دائرة الروابط لتشمل حروف الشرط التي تربط بين الشرط وجوابه .

وبهذا فإن ابن القيم ـ فيما يظهر لي ـ هو أول مفسر يستعمل لفظ " الروابط " بهذا المعنى ، وقد هداه إلى ذلك ذكاؤه ودقة تأمله اللذان عُرِفَ بهما في مؤلفاته وبحوثه.

أما أبوحيان الأندلسي (ت 754 هـ) [2] فقد أشار إلى ارتباط الآية القرآنية بما قبلها في مقدمة كتابه " التفسير الكبير " حيث تحدث عن منهجه قائلاً : " . .. ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها. . " [3].

وقد التزم أبوحيان بمنهجه فركز على ترابط الآية وتناسبها بما جاورها، والآية الواحدة قد تتكون من أكثر من جملة ،وعليه فهو يهمل ترابط جميع الجمل القرآنية التي ليست مواضع آيات ، ويتجاوز ذلك إلى ترابط الآيات .

ومع التزام أبي حيان ببحث ترابط الآيات وتناسبها في تفسيره فإنه لم يلتزم بمصطلح " الارتباط " ، وإنما استعمل في أكثر الأحيان مصطلحات أخرى أكثر شيوعاً وشهرة عند النحويين والمفسرين من مثل : " التعلق " و " الانفصال " ، وهذا لا يعني التزامه بمصطلح واحد ، كما يدل ذلك على عدم ثبوت مصطلح " الربط والارتباط " عند الدارسين مع أن أبا حيان ذكر الارتباط باسمه في مقدمة تفسيره .

ومن مظاهر هذا التعدد المصطلحي ما ذكره عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)[سورة البقرة:1ـ 2]، يقول أبوحيان : " وإن كان رفع الذين على أنه خبر مبدأ محذوف أو كان مجروراً أو منصوباً ، كان أولئك مبتدأ خبره على هدى وقد تقدم أنا لا نختار الوجه الأول لانفلاته مما قبله والذهاب به

(1) ينظر : المصدر السابق ، 1 / 43 ، 44 ، 55 .
(2) السيوطي : بغية الوعاة ، 1 / 283 .
(3) أبوحيان ، محمد بن يوسف بن علي ، التفسير الكبير " البحر المحيط " ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، المملكة السعودية ، من غير تاريخ ، 1 / 4 .

مذهب الاستئناف مع وضوح اتصاله بما قبله وتعلقه به وأي فائدة للتكلف والتعسف في الاستئناف فيما هو ظاهر التعلق بما قبله والارتباط به " [1].

هكذا هو حال مصطلح " الارتباط " عند أبي حيان ، قد يرد عند شرح تعلق الجمل بعضها ببعض في حالة ما اصطلح عليه بـ " كمال الاتصال " ، وتبقى مصطلحات البلاغة المعروفة هي السائدة ، ومع ذلك فإن استعمال " الربط " يَرِد عند إيضاح المصطلحات المشهورة وشرحها .

---

(1)   المصدر السابق ، 1 / 43 .

ـ الروابط في علم المناسبة :

وإذا ما طلب " الربط " في علم آخر من علوم القرآن الكريم وُجِدَ في " علم المناسبة " ،وهو علم يبحث في تناسب معاني الآيات المتجاورة في سور القرآن ، وتناسب معاني السور المتتالية ، ويُعَدُّ هذا العلم من أشرف علوم القرآن ، وهو وجه من وجوه الإعجاز الأسلوبي فيه .

وقد أولاه الزركشي (ت 794 هـ) [1] عناية خاصة ، فوضعه في أوائل علوم القرآن ، التي ذكرها في كتابه " البرهان "، وقال فيه إنه " أمر معقول ، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول . وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها مرجعها ـ والله أعلم ـ إلى معنى ما رابط بينهما : عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي ، وغير ذلك من أنواع العلاقات " [2].

والزركشي ـ هنا ـ يجعل علم المناسبة علماً عقلياً راجعاً إلى الربط المعنوي بين الآيات والسور ، وهو ناتج عن معنى رابط أسماه " العلاقات " ، ولهذه العلاقات أنواع ؛ فقد تكون عامة أو خاصة ، عقلية أو حسية أو خيالية ، وقد تكون تلازمية ذهنية كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول ، والضدية ، والنظيرية ، وقد تكون علاقة تلازم خارجي [3].

إن هذه العبارة التي شرح فيها الزركشي بإيجاز علم المناسبة تعد تلخيصاً لهذا العلم ، وبياناً له ، كما أنها يمكن أن تكون مهاداً لدراسات متنوعة التخصص ، فيمكن أن تدرس المناسبة من ناحية صوتية ونحوية ، وأخرى بلاغية لكنّ ذلك لم يحدث ـ في أغلب الظن ـ حتى الآن .

ويعرض الزركشي أهمية هذا الوجه المعجز فيذكر فوائده ، ويبرز محاسنه ، فتراه يقول : " وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ،

---

(1) ينظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 6 / 335 .
(2) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، 1 /35 .
(3) ينظر : المصدر السابق ، 1 / 35 .

ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم ، المتلائم الأجزاء "[1] ، فوحدة النص وتآلفه ، حتى يكون كالبناء المتماسك الأجزاء ، المتلائم الأوصال ، راجع إلى قوة الارتباط بين أجزائه ، وهذا التماسك والتآلف يحتاج إلى بلاغة خاصة ، وقدرة فائقة عند منشئ النص ، وإذا فُقِدَ هذا الترابط يكون الكلام منقطعاً بعضه عن بعض .

وإن كان الترابط بين أجزاء النص يحتاج إلى قدرة فنية فائقة في الإنشاء ، وإبداع النص ، فإنه ـ كذلك ـ بحاجة إلى قدرة عقلية لاستنباط العلاقات الرابطة إذ إنها قد تكون خفية دقيقة ، أو لطيفة وبعيدة ، فيؤدي لطفها إلى خفائها ، لذا " قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته ، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي وقال في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط " [2].

ويبدو أن الزركشي عَرَف نوعي الترابط : اللفظي والمعنوي ، ويفهم ذلك من إشاراته المبثوثة في كتابه "البرهان " ، فعلى سبيل المثال يورد كلام الصفار ـ تعليقاً على قول الله ـ تعالى : (وَمَثَلُ الذين كفروا كمثل الذي ينعِق بما لا يسمع إلا دُعاءً ونداءً) [سورة البقرة : 170] يقول : " ويزعم أن الكلام ربط مع ما قبله بالواو " [3]، فهذه إشارة إلى الربط اللفظي الذي يحدث بحرف العطف ونحوه .

وله إشارة أخرى إلى تنوع " الربط " وذلك عند حديثه عن الالتفات من الخطاب إلى الغَيْبة في قول الله ـ تعالى ـ : (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) [سورة الزخرف : 70] ثم قال ـ تعالى ـ : (يطاف عليهم) ، يقول الزركشي : " فانتقل عن الخطاب إلى الغيبة ، ولو ربط بما قبله لقال : (يطاف عليكم) ، لأنه مخاطب لا مخبر " [4].

---

(1) المصدر نفسه ، 1 / 36 .
(2) المصدر نفسه ، 1 / 36 .
(3) المصدر نفسه ، 3 / 132 .
(4) الزركشي ، البرهان ، 3 / 318 .

والظاهر أن الالتفات من الخطاب إلى الغيبة أمر لفظي ، إذ هو استعمال ضمير الغائب " هم " مكان ضمير الخطاب " كم " ، لكن هذا الاختلاف اللفظي في الضمائر لا يلغي الترابط المعنوي بين الجملتين .

وقول الزركشي " ولو ربط بما قبله لقال : " يطاف عليكم " إنما يقصد الربط اللفظي بتوافق الضميرين ، وهو إذ ينفى الترابط اللفظي ، فهو يقرّ بوجود مثل هذا الترابط في غير هذه الآية ، وهي إشارة إلى وجود ربط معنوي يقابل الربط اللفظي ، وهذا ما يفهم ضمناً من كلامه .

ولعل عبارة أخرى أكثر وضوحاً تبرز حديثه عن الربط المعنوي ، هي تلك العبارة التي ذكرها عند حديثه عن" كيف " واستعمالاتها ومعانيها قال تعليقاً على قول الله تعالى : (فيكف إذا جئنا من كل أُمَّةٍ بشهيد) ، " فإن شئت قدرت بعدها اسماً ، وجعلتها خبراً ، أي كيف صنعكم أو حالكم ؟ . . . وأثبت بعضهم لها الشرط ، كقوله تعالى : (ينفق كيف يشاء) . . وجوابه في ذلك محذوف ، لدلالة ما قبلها ، ومراد هذا القائل ، الشرط المعنوي ، وهو إنما يفيد الربط فقط أي ربط جملة بأخرى كأداة الشرط ، لا اللفظي ، وإلا لجزم الفعل " [(1)]
.

والربط المعنوي الذي يشير إليه الزركشي هو معنى الشرط الذي تحمله " كيف " في الجملة ، وهذا المعنى ربط جملة الشرط في الآية الكريمة بجملة الجواب المقدر ، وهذا المعنى يقابل في وظيفته ما تؤديه أداة الشرط الجازمة ، فإذا كانت الأداة تحدث بلفظها ربطاً مرجعه وسببه التلفظ بها ، فإن المعنى قد يؤدي نوعاً مشابهاً من الربط .

والعبارة السابقة صرحت بـ " الربط " وهي مع ذلك أفادت أن الربط يحدث بين جملتين ، وهذا هو أحد أقسام الربط ، فهو قد يكون بين كلمتين ، وقد يكون بين جملتين ، وقد يحدث بين مجموعة جمل تكون نصاً ما . كما أن العبارة قارنت بين الرابط اللفظي

---

(1) المصدر السابق ، 4 / 332 - 333 .

الذي هو أداة الشرط ، والشرط المعنوي الذي يمكن أن تحمله كلمة ليست من أدوات الشرط .

وإذا كان هذا هو حال الربط والترابط عند الزركشي ، فإن هذا الموضوع يخطو خطوات متقدمة مع جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) [1] ، الذي أولى مفهوم " الربط والترابط " عناية أكبر من سابقيه ، ووتتعدى عناية السيوطي بموضوع الربط والترابط مجرد ذكر موضعه وسببه إلى البحث عن أسراره ، ونجده يقتصر في بيانه على بحث الترابط بين الآيات ، والترابط بين السور القرآنية المتتالية ، ولا يشير إلى ترابط الجمل القرآنية التي ليست بآيات .

ويصدر السيوطي في بيان هذه الأسرار وعللها عمَّا قرره هو ومن سبقه ، مِنْ كون الترابط بين الآيات والسور وجهاً من وجوه الإعجاز الذي ينطوي على أسرار يكشف التدبر والتأمل عنها .

وإدراكاً من السيوطي لأهمية الموضوع أسهب في الحديث عنه في كتابه " الإتقان " ، و أفرد لبحثه كتاباً مستقلاً أسماه : " أسرار ترتيب القرآن " ، كما تحدث عنه في " معترك الأقران في إعجاز القرآن " .

وقد ارتضى السيوطي التسمية المعروفة " علم المناسبة " ، وجعل المعنى المسبب لهذه المناسبة هو المعنى الرابط ، يقول معرفاً بهذا العلم : " المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي ، . . . " [2].

والسيوطي عندما كان يبحث في المناسبة بين الآيات والسور وقف على ما دعاه " المعنى الرابط " ، وما هذا البحث في المعنى الرابط إلا بحث في المضمون الذي يتعدى حدود الشكل الظاهر إلى ما هو أعمق ، ممّا يكشف عن أهداف النص وأبعاده ، ومضامينه ، وما يسعى إلى تحقيقه .

---

(1) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 8 / 51 .

(2) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي ، مصر / من غير تاريخ ، 1 / ص 57 ، والإتقان له ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، مصر ، ط / 1967 ، 3 / 323 .

ولا تقتصر المناسبة عند السيوطي على الترابط المعنوي ، بل تشمل الترابط اللفظي الذي يكون بحرف العطف ، فالمناسبة إما أن ترجع إلى علاقة ظاهرة لتعلق الكلام بعضه ببعض تعلقاً واضحاً ، وذلك إذا كانت الآية الثانية تأكيداً أو تفسيراً أو بدلاً، وإما أن ترجع إلى علاقة غير ظاهرة ، فلا يظهر الارتباط جلياً ، ويوهم ظاهر الكلام أن كل آية مستقلة عن تاليتها ، وذلك إذا كانت الآية الثانية معطوفةً على سابقتها (1).

فالسيوطي يعد النصّ المعجز هو النص المترابط الأجزاء المحكم البناء، ويرجع ترابطه إلى علاقات معنوية رابطة . والترابط نوعان : ظاهر وغير ظاهر . ويمكن أن يستفاد من كلام السيوطي أمران :

الأول : تقسيم الترابط إلى نوعين : ظاهر ، وغير ظاهر ، وهذا تقسيم منطقي .

الثاني : تنوع العلاقات الرابطة ، وهي علاقات عامة أو خاصة ، وقد تكون عقلية أو حسية أو خيالية ، أو تلازمية ذهنية ، أو سببية أو مسببية ، أو علاقة تناظر أو تضاد ، وهذه العلاقات هي التي تدل على الربط وقد سماها السيوطي قرائن معنوية دالة على الربط (2).

ولم تتوقف عناية السيوطي عند هذا الحد ، بل خصص كتاباً مستقلاً لبحث موضوع " المناسبة " ، وأسماه " أسرار ترتيب القرآن " ، ويبدو أنّ هدف السيوطي من كتابه إثبات أن ترتيب آيات القرآن وسوره توقيفية ، وليست أمراً اجتهادياً، لذا سعى إلى إثبات ذلك بالنقل والعقل ، وعدّ هذا الترتيب وجهاً من وجوه الإعجاز (3).

من أجل ذلك عالج السيوطي وسابقوه مسألة ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره تحت عنوان " علم المناسبة " ولو كان الدافع وراء عملهم مجرد الوقوف على سرّ تجاور

---

(1) ينظر : المصدرين السابقين ، 1 / 57 ، 3 / 324 .
(2) ينظر : السيوطي : معترك الأقران ، 1 / 58 .
(3) ينظر : السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : أسرار ترتيب القرآن ، تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ومرزوق علي إبراهيم ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط / 2001 م ، ص 41 وما بعدها .

المعاني التي تحملها الآيات المتتابعة في السورة الواحدة ، لسموا هذا العلم " علم الربط " ، كما أن دافعاً آخر يمكن أن يدعم النظرة الترابطية ويبرزها وهو النظر إلى السورة القرآنية على أنها وحدة معنوية ذات موضوع واحد ، وفكرة رئيسة واحدة ، وكل ما تضمنته من أفكار جزئية تصب جميعها في خدمة الفكرة الرئيسة في السورة ، وهذا المعنى يمكن فهمه من سرّ تسمية هذه الوحدة باسم " السورة " إذ إن تسمية السورة مأخوذ من " السُّور " المحيط بالأبنية ، والسورة القرآنية محيطة بالآيات والكلمات والحروف ، مشتملة على معانيها الواردة فيها [1].

بيد أن هذه الوحدة المعنوية لا تعني الاستقلالية التامة والانقطاع الكامل عما جاورها من السور ، بل هناك ترابط بين هذه السور ، وهذا ما عمل السيوطي على تأكيده تحت اسم " تناسب السور " ، فسورة الأنعام ـ مثلاً ـ ترتبط آيتها الأولى بالآية الأخيرة التي ختمت بها السورة التي قبلها وهي سورة المائدة ، حيث إنه " لماَ ذكر في آخر المائدة (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ) [المائدة 120) على سبيل الإجمال ، افتتح هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله. فبدأ بذكر : أنه خلق السموت والأرض ، وضم إليه أنه جعل الظلمات والنور، وهو بعض ما تضمنه قوله (وَمَا فِيهِنَّ) في آخر المائدة ، وضمن قوله : (الْحَمْدُ لِلَّهِ) [الأنعام : 1] ، أن له ملك جميع المحامد ، وهو من بسط جميع : (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ) في آخر المائدة . . . " [2].

فهذا مظهر من مظاهر الترابط المعنوي بين السور ، حيث جاء الإجمال في آخر سورة المائدة ، وأعقبه التفصيل في أول السورة التالية : سورة الأنعام ، فهو كالبيان والإيضاح ، فخلق السموت والأرض وجعل الظلمات والنور جزء من ملك السموات والأرض وما فيهن ، فملكوت السموت والأرض تشمل السموت وما فيها من نجوم وكواكب وأقمار وملائكة . . وغير ذلك مما يُعلم أو مما لا يُعلم ، والأرض فيها الإنسان

---

(1) ينظر : الفيروزأبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق : محمد علي النجار ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ، مصر ، ص / 1383 هـ، 2 / 84 ، 85 .

(2) المصدر السابق ، ص 80 .

والنبات والحيوان والجمادات ، ونحو ذلك ، وما جاء في أول سورة الأنعام يعد بياناً لما أجمل في آخر سورة المائدة .

ويتابع السيوطي تفصيل موضوع المناسبة " الربط " ، فيتناول أسبابها ، ويذكر منها [1]:

1 - **التنظير :** فتجاور النظراء من شأن العقلاء ، وذلك نحو قول الله - تعالى - (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ) [الأنفال : 5] ، فالله - جلَّ وعلا - أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يقسم الغنائم ، فكره بعض الصحابة تلك القسمة ، ولم يعلموا حكمة ذلك ،وهذا نظير كره بعضهم لأمر الخروج طلباً للقافلة أو القتال في غزوة بدر ، فكما أن الخروج في بدر كان عاقبته النصر والظفر ، والغنيمة ، والعز ، فكذلك سيكون الأمر في قسمة الغنائم ، فإن هم تأملوا ذلك ، تركوا هواهم ورجعوا إلى ما أمر الله به ، وأدركوا أن فيه خيراً كما كان من قبل .

2 - **التضاد :** كما يأتي في القرآن من وصف حال الكافرين بعد وصف حال المؤمنين ، أو وصف النار بعد وصف الجنة ، ونحو ذلك ، ومثاله قول الحق - جلَّ وعلا - : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ) [سورة البقرة: 6] ، بعد قوله - تعالى - : (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ..) [البقرة : 1 ، 2] .

3 - **الاستطراد :** وذلك كما في قول الله - تعالى - : (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ) [الأعراف:25] بعد ذكر : (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا) [الأعراف : 21] .

4 - **حسن التخلص :** " وهو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاساً ، دقيق المعنى ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من لمعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني ، لشدة الالتئام بينهما." [2] ، ومثاله في سورة الأعراف

---

(1) ينظر : السيوطي ، الإتقان ، 3 / 324 وما بعدها .
(2) المصدر السابق ، 3 / 326 .

،حيث ذكر الأنبياء والقرون الماضية والأمم السابقة ، ثم ذكر قصة موسى ـ عليه السلام ـ ثم تخلص بذكر صفات سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال ـ جلَّ وعلا ـ : (قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ) [الأعراف:156] .

5 - **حسن المطلب :** ويكون ذلك بأن يأتي غرض الطلب ، بعد أن يُقدم له بالوسيلة ، نحو قوله ـ تعالى ـ حاكياً قول المؤمنين (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة : 4] . فهذا القول وسيلة لغرض الطلب في (اهدنا الصِراطَ المستقيم) [الفاتحة : 5]

إن هذا التفصيل في موضوع " المناسبة " يَنُمُّ عن عناية كبيرة بهذا الموضوع من جانب السيوطي وغيره من العلماء الذين بحثوا " علم المناسبة ، كيف لا، ومثل هذا البحث يكشف عن وجه من وجوه إعجاز القرآن ، ويُقرِّب إلى فهم النص القرآني ، وأغراضه ، وهذا ما عساه يساعد على استنباط حكم فقهي أو ترجيح حكم آخر .

وبناءً على ما تقدم من بحث الربط والروابط في الدراسات اللغوية والأدبية والقرآنية ، فإن ما كشف عنه هذا الفصل يظهر وجوداً لفكرة الربط والترابط عند علمائنا القدماء ، ويبيّن أن حضور هذه الفكرة لم يكمل تصورها عندهم ، ولم يتصدّ لها باحث ليجمع أجزاءها ويجعلها نظرية متكاملة الأركان ، وعلى أية حال فإنَّ ما جمعه هذا الفصل من إشارات ، وما التقطه من نظرات كونت تصوراً واضحاً في تركيب لموضوع الربط والترابط ، وكشف هذا التصور أهمية هذا الموضوع في تركيب الجملة العربية ، والنصوص الأدبية ، ولهذا فإن الفصل الثاني سيبحث الجملة العربية وروابطها وأقسامها ليكون ذلك بياناً لطبيعة الجملة العربية والروابط التي تسهم في تكوينها ، وتكوين النص ، ثم يأتي الفصلان الثالث والرابع ليبحثا الروابط المعنوية التي تسهم في تركيب النص .

ولعله من المفيد أن تتسع دائرة دراسة " علم المناسبة " لتشمل الدراسة النحوية البلاغية إلى جانب الدراسة المعنوية التي بحثها الزركشي والسيوطي ، وغيرهما من

العلماء ، وربما يكون من المفيد أن يُدرس هذا العلم بمنهجية العلوم الحديثة ، فيتبع فيه الإحصاء والتحليل والتصنيف والتبويب .

الفصل الثانـي

الجملــة العربية و الروابط

المبحث الأول : مفهوم الجملة العربية وروابطها .

المبحث الثاني : أقسام الجملة العربية .

المبحث الثالث : خصائص الجملة القرآنيـة .

تمهيـــد

الجملـة العربيـة لبنـة فـي تركيـب الـنص الأدبـي ، فـالنص مجموعـة مـن الجمـل المتجـاورة المترابطـة ترابطـاً معنوياً أو لفظياً ، وهذا الترابط هو الذي أوجد مناسبة بين جمل النص ، وجعل بينها تلاؤماً واتساقاً ، ولهذا فإن هذا الفصل يسعى إلى تقديم مفهوم واضح للجملة العربية وروابطها التي تعد ركناً من أركان تركيبها ، فالرابط عنصر رئيس في تركيب الجملة ، فهو كركني الإسناد : المسند إليه والمسند .

إنَّ معرفة طبيعة الجملة العربية ، وحقيقة أهمية الربط في تركيبها يفتح باب دراسة ترابط الجمل القرآنية ، ويضع الباحث أمام خصائص الجملة العربية من جهة ، وما تختص به الجملة القرآنية من جهة أخرى ، وهذا الأمر يفسح المجال للمقارنة بين ترابط الجملة في النصوص الأدبية التـي أنشـأها الأدبـاء ومـا يختص بـه الـنص القرآنـي ، ومـا يتميز بـه عن غيره من النصوص ، وبهذا العمل يتمكن الباحث من الكشف عن الروابط التي تربط الجمل القرآنية بعضها ببعض ، ولأجل ذلك كان بحث الجملة العربيـة وروابطهـا ، وبحـث الجملـة القرآنية وخصائصها ضرورة تفرضها طبيعة هذا البحث .

وفيما يأتي أقوم ببحث مفهوم الجملة العربيـة ، وروابطهـا التـي تـدخل فـي تركيبهـا، وذلك في المبحث الأول من هذا الفصل ، وسأعتمد في ذلك على الدراسات النحوية العربية التي قدمت تعريفات للجملة ، وحددت شروط تركيبها وخصائص بنائها ، وأحاول مع ذلك الإشارة إلى آراء علماء اللغة والنحو المحدثين الذين تناولوا مفهوم الجملة بالبحث .

ثم يأتي المبحث الثاني لبيان أقسام الجملة وأنواعها معرّجاً على بعض المعايير التي تمَّ تقسيم الجملة بناء عليها ، ليخلص البحث بعد ذلك إلى بحث خصـائص الجملـة القرآنيـة والتقاط ما تتميز به من خصائص تركيبية وأسلوبية ، وهذا ما سيتناوله المبحث الثالث من هذا الفصل .

المبحث الأول

مفهوم الجملة العربية وروابطها

للجملـة مكانة مرموقة في دراسات اللغويين والنحويين والبلاغيين على حد سواء ؛ إذ إنها لبنة تكوين النص ، وعنصر تركيبه ، لذلك عنى الدارسون بها ، وأفردوا لها أبواباً وفصولاً في كتبهم ، وحاولوا تقديم تعريف دقيق لها ، إلا أنّ صعوبة واجهتهم في سبيل وضع حدها ، وتقديم تعريف جامع مانع لها، وليس أدلَّ على ذلك من كثرة تعريفات الجملة ، وعدم اتفاق الدارسين على تعريف واحد ، فقد وصلت تعريفات الجملة نحو ثلاثمائة تعريف[1] .

وليس هدف هذا المبحث عرض هذه التعريفات ومناقشتها ، وإنما يتوقف عند أبرز هذه التعريفات ليرتضي تعريفاً منها يعتمد عليه في بحث الروابط بين الجمل ، فالبحث هنا ينطلق من الجملة ويتجاوزها ليبحث الربط والروابط بين الجمل في مستوى وسط بين مستوى الجملة ومستوى النص .

وبالبحث في كتب العربية يمكن الوقوف عند مجموعة من التعريفات التي يتفق بعضها مع بعض أحياناً ، وقد يختلف أحياناً أخرى ، ويظهر أن المبرد (ت 285 هـ) [2] هو أول من استعمل مصطلح الجملة ، وبين ملامحها فقال : " وإنما كان الفاعل رفعاً لأنه هو والفعل ، جملة يحسن عليها السكوت ، وتجب بها الفائدة للمخاطب "[3].

---

(1) ينظر : محمود أحمد نحلة : نظام الجملة في شعر المعلقات ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ط 1991 م ، ص 12 . وسعيد حسن بحيري : علم لغة النص ، ص 122 .

(2) ينظر : السيوطي : بغية الوعاة ، 1 / 271 .

(3) المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد : المقتضب : ، تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، من غير تاريخ ، 1 / 8 ، وينظر : محمد حماسة عبداللطيف ، بناء الجملة العربية، ص21.

والمبرد هنا يؤسس لمصطلح الجملة في النحو العربي ، ويضع أهم مميزات الجملة ـ التي تمسك بها أكثر الدارسين من بعده ـ فهو يشير إلى علاقة الإسناد بين الفعل والفاعل التي تعد رابطاً رئيساً في تكوين الجملة ، وقرينة سياقية معنوية دالة على عنصري الإسناد ، و يصرح المبرد في نصه السابق بأن شرط الجملة الإفادة التي يحسن السكوت عليها .

وتبع ابن السراج (ت 316 هـ) [1] أستاذه المبرد في استعمال مصطلح الجملة لكنه حصر الفائدة في الجملة في نوعين من الجمل فقال : " والجمل المفيدة على ضربين: إما فعل وفاعل ، وإما مبتدأ وخبر " [2].

وظل هذا المفهوم عند جماعة من النحويين كابن جني (ت 392 هـ) [3] في كتابه اللمع[4] ، وابن يعيش (ت 643 هـ) [5] في كتابه شرح المفصل[6]، وممن نهج هذا الاتجاه من المحدثين الدكتور محمد إبراهيم عبادة فهو يقول : "ولما كانت الجملة في عمومها مبنى يحمل معنى تاماً يخضع للتصنيف والتحليل اللغوي وجهتُ عنايتي إلى المبني تركيباً وتحليلاً . . . " [7]، والمقصود بالإفادة ـ التي تمسك بها أصحاب هذا الاتجاه ـ أن تدل الجملة على معنى تام يحسن السكوت عليه ، وذلك المعنى التام غير المعنى الذي في الكلمة المفردة الذي لا يحسن السكوت عليه .

ولم يشترط جماعة آخرون من النحويين الإفادة في الجملة ، فالرضي (ت 686 هـ) [8] يقول في تعريف الجملة : " ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا كالجملة التي هي خبر المبتدأ . . . والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً

---

(1) ينظر : السيوطي : بغية الوعاة ، 1 / 110 .
(2) ابن السراج ، محمد بن السري : الأصول في النحو ، 1 / 70 ، نقلاً عن : محمود أحمد نحلة : نظام الجملة في شعر المعلقات ، ص 20 .
(3) ينظر : السيوطي : بغية الوعاة ، 2 / 132 .
(4) ينظر : ابن جني ، أبوالفتح عثمان : اللمع في العربية ، تحقيق : حامد المؤمن ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 / 1405 هـ = 1985 م ، ص 73 .
(5) ينظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 6 / 51 .
(6) ينظر : ابن يعيش : شرح المفصل ، 1 / 20 .
(7) محمد إبراهيم عبادة : الجملة العربية دراسة لغوية نحوية ، ص 5 .
(8) السيوطي : بغية الوعاة ، 1 / 567 .

لذاته فكل كلام جملة ولا ينعكس"[1].وبهذا يتضح أن الرضى يرى أن الجملة منها ما يكون مفيداً يحسن السكوت عليه ويسمى كلاماً إذ شرط الكلام الإفادة ، ومنها ما يكون غير مفيد .

ومع أنَّ الرضي لم يشترط الإفادة في الجملة ، فإنه اشترط أمراً آخر هو الإسناد، فلا جملة من غير إسناد ، وقيد الإسناد بقيد الأصالة ، فما كان إسناده غير أصلي لا يُعَدّ من قبيل الجملة مثل المصدر ومعموله واسم الفاعل ومعموله فهما " ليسا بجملتين صريحاً ، ولكن حكم الجملة قائم فيهما وهو أنك أعملتهما عمل الفعل . . . "[2].

وتبع ابن هشام (ت 761 هـ) [3] رأي من لا يشترط الإفادة في الجملة ، ودلل على ذلك بقولهم : جملة الشرط ، وجملة الجواب ، وجملة الصلة ، وكل هذه ليست مفيدة ، والنحويون يسمونها جملة .

ويبدو أن ابن هشام قد تجنب عند حديثه عن الجملة وضع تعريف محدد ، ولجأ إلى الوصف الذي يقدم الشيء على ما هو عليه ، فنراه يقول : " والجملة عبارة عن الفعل وفاعله ، كـ " قام زيد " ، والمبتدأ وخبره ، كـ " زيد قائم " وما كان بمنزلة أحدهما ؛ نحو " ضُرِب اللص " ، و " أقائم الزيدان " ، و " كان زيد قائماً " و ظننته قائماً ". . . "[4]

لكن ابن هشام لم يشترط في الجملة الإسناد الأصلي ، كما هو الأمر عند الرضي وعبدالقاهر الجرجاني ، ويدل على ذلك أنه مثل بـ " أقائم الزيدان " والإسناد هنا غير أصلي ، لأن " قائم " اسم فاعل ، و " الزيدان " فاعله ، الذي سد مسد الخبر .

وأدرك ابن هشام بفكره صعوبة وضع تعريف جامع مانع للجملة فآثر الوصف في هذه المسألة .

---

(1) الرضي : شرح الكافية ، 1 / 8 .
(2) الجرجاني ، عبدالقاهر : أسرار البلاغة ، تحقيق : محمد عبدالمنعم خفاجي وعبدالعزيز شرف ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 / 1411 هـ - 1991 م ، ص 112 .
(3) السيوطي : بغية الوعاة ، 2 / 69 .
(4) ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 6 .

ويبدو أن الخلاف في اشتراط الإفادة في الجملة لم يحسم بعد ، فقد بقى قائماً بين علماء اللغة المحدثين ، فعالم اللغة " يسبرسن " عرَّف الجملة بأنها : " قول بشري تام ومستقل ، والمراد بالتمام والاستقلال عنده أن تقوم الجملة برأسها ، أو تكون قادرة على ذلك "[1]. وواضح من تعريف " يسبرسن " أن شرط الإفادة لابد منه في الجملة ، وهذا ما يتفق مع الاتجاه الأول الذي سبقت الإشارة إليه عند النحويين العرب .

ويتفق مع هذا الاتجاه تعريف عالم اللغة " ما ريوباي " إذ يقول : " الجملة هي عدد من الكلمات مرتبة ترتيباً جراماتيكياً ، ونحوياً مكونة بذلك وحدة جراماتيكية تامة ذات معنى. " [2]

وشُرِطَ تمام المعنى هنا ـ عند علماء اللغة ـ سواء أكانت الجملة منطوقة أم مكتوبة ، فإذا كانت منطوقة فتتميز بوجود التنغيم والنبر ، أما إذا كانت مكتوبة فتتضح بوجود علامات الترقيم مثل : النقطة ، وعلامة الاستفهام، والفاصلة ، ونحو ذلك .

وأما الاتجاه الآخر ـ الذي لا يشترط في الجملة إفادة معنى ـ فيمثله عالم اللغة " بلومفيلد " الذي أسقط فكرة تمام المعنى ، فتراه يقول : " الجملة شكل لغوي مستقل ، لا يدخل ـ عن طريق أي تركيب نحوي ـ في شكل لغوي أكبر منه " [3] إلا أن "بلومفيلد " تمسك بمعيار استقلال الجملة .

ولعل محاولة " لونز " ـ عندما علق على تعريف " بلومفيلد " ـ كانت أكثر وضوحاً ، وبياناً لما قصده ، فالجملة ـ كما فهم " ليونز " من كلام " بلومفيلد": " هي الوحدة الكبرى للوصف اللغوي " [4].

---

(1) محمود أحمد نحلة : نظام الجملة في شعر المعلقات ، ص 14 .

(2) سامي عياد حنا وشرف الدين الراجحي : مبادئ علم اللسانيات الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ط / 1991 م ، ص 147 .

(3) محمود أحمد نحلة : نظام الجملة في شعر المعلقات ، ص 14 .

(4) المصدر السابق ، ص 15 .

وقد تمسك ابن جني (ت 392 هـ) [1] من قبل بمعيار الاستقلال لكنه جعله قرين الإفادة ، فالجملة عنده " كل كلام مفيد ، مستقل بنفسه ، وهي على ضربين : جملة مركبة من مبتدأ و خبر ، وجملة مركبة من فعل وفاعل " [2].

وفي الحقيقة إنَّ معيار الاستقلال نسبي ، فقد تأتي الجملة مستقلة كقولنا : جاء الحق. وقد تكون غير مستقلة كقولنا " الحق يعلو " فجملة " يعلو " مرتبطة بالجملة الكبيرة ، فهي واقعة خبراً للمبتدأ " الحق " ، والكلام هنا جملتان مرتبطتان ببعضهما وليست الواحدة منهما مستقلة عن الأخرى ، وهذا يجعل معيار الاستقلال في حاجة إلى إعادة النظر .

وبعد هذا العرض الموجز لأهم تعريفات الجملة وأشهر اتجاهين في تعريفها ، يحاول البحث أن يتوقف عند وصف يرتضيه للجملة ، ولعله يتمثل في كلام الجرجاني (ت 816 هـ) في كتابه التعريفات ، حيث لم يشترط الإفادة ولا الاستقلال، فالجملة : " عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى ، سواء أفاد ، كقولك : زيد قائم ، أو لم يفد ، كقولك : إن تكرمني ، فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه ، فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقاً " [3].

ويتضح من تعريف الجرجاني أنه اشترط التركيب بين ركني الجملة ، والتركيب هنا هو الترابط الإسنادي ، فالإسناد في حقيقته علاقة رابطة بين ركني الجملة ، وهو رابط معنوي ، وبهذا تظهر أهمية الترابط في تكوين الجملة .

وبناء على ما تقدم فإن هذا البحث يتناول مصطلح الجملة ويقصد بها : ما تضمنت الإسناد الأصلي سواء أكان مقصوداً أم غير مقصود ، ولا يشترط فيها إفادة معنى ولا الاستقلال ، وإنما شرط الجملة الإسناد الذي هو أساس تركيبها .

وبهذه الأهمية التي ينطوي عليها الترابط يمكن دراسة الجملة والجمل والنصوص دراسة قائمة على الترابط تتضافر مع ما وصلت إليه الدراسات القائمة على نظرية العامل

---

(1) ينظر : السيوطي : بغية الوعاة ، 2 / 132 .
(2) ابن جني : اللمع في العربية ، ص 73 .
(3) الجرجاني ، علي بن محمد بن علي : التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ ، ص 106 .

من أجل الغوص في أعماق مضامين النصوص للكشف عن أسرارها ، ويكون ذلك في المستويات اللغوية المعروفة ، لاسيما المستوى البلاغي ، وربما تفتح مثل هذه الدراسة المجال لوضع تعريف للجملة يكون أكثر دقة ووضوحاً وذلك بالاعتماد على فهم الترابط الحادث بين عناصر الجملة .

وترجع أهمية دراسة ترابط عناصر الجملة إلى أنه سبب الإفادة فيها ، ولا يكون الكلام مفيداً إذا كان مضموماً بعضه إلى بعض من غير ترابط ، فبه يحدث " التأليف " والتآلف بين عناصر الجملة ، لذلك فضل بعض النحويين مصطلح " التأليف " على مصطلح " التركيب "[1] لما له من دلالة توحي بالتآلف والتماسك بين عناصر الجملة ، ومرجع هذا التآلف وجود علاقة رابطة ، وهذه العلاقة لها أنواع متعددة .

فمن العلاقات الرابطة ما يفهم ويدرك من خلال إدراك العلاقات الخفية بين عناصر تأليف الجملة ، وهذه العلاقات يمكن وسمها بـ " الروابط المعنوية " ، ومنها ما يكون ملفوظاً أو مقدراً ، فيكون في حكم المفلوظ ، وتعد هذه العلاقات وسائل لغوية محسوسة ، يمكن أن تسمى " الروابط اللفظية" وسواء أكانت هذه الروابط معنوية أم لفظية فإن تأليف الكلام لا يتم إلا بها .

وعلى الرغم من تنوع وسائل الربط فإنها تهدف إلى أمور محددة لعل أهمها : وضوح العلاقة بين عناصر الجملة وإزالة اللبس عند أداء المعنى ، وتجنب الخلط بين عناصر التأليف [2].

وهذه الأهداف في مجموعها تسعى إلى خدمة المعنى ، وذلك " لأن كل دراسة لغوية ـ لا في الفصحى فقط بل في كل لغة من لغات العالم ـ لابد أن يكون موضوعها الأول

---

(1) ينظر : محمد عبداللطيف حماسة : بناء الجملة العربية ، ص 87 .
(2) ينظر : محمد عبداللطيف حماسة : بناء الجملة العربية ،ص 87 .

والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة ، فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو العرف وهو صلة المبنى بالمعنى " [1].

وبناءً على ما تقدم فإن الروابط تسهم إسهاماً كبيراً في بيان المعنى الذي هو غاية النصوص اللغوية ، والهدف من إنشائها ، ولأجل ذلك فإن تقديم مفهوم واضح للربط والروابط وبيان أنواعها ضرورة متممة لضرورة بيان مفهوم الجملة العربية .

- مفهوم الربط والروابط :

في النصوص الأدبية تتجاور الكلمات لتكوِّن الجملة ، وتتجاور الجمل لتكون الفقرة ، وتتجاور الفقر لتكون النص ، وكي يكون هذا التجاور مناسباً لابد لهذه الكلمات المكونة للجملة من ترابط فيما بينها ، والأمر نفسه لابد منه في الفقرة والنص ، فلابد من ترابط الجمل المتجاورة أو الفقرات المتتابعة وإلا فقدت مناسبة التجاور وكانت متنافرة لا تلاؤم بينها ، ثم إن هذا الترابط الضروري هو الذي يجعل الجملة تحمل معنى مفيداً ، وهو الذي يجعل الفقرة تسفر عن فكرة واضحة ، و يكسب النص مضموناً بيّناً .

فالترابط إذاً هو سبب الإفادة والوضوح والبيان في الجملة أو الفقرة أو النص ، وربما كان هذا الترابط غير ظاهر " خفي " ، وربما جاء واضحاً ظاهراً ، فالخفي ما ليس له صورة في الكلام كالضمير المستتر المقدر ، والرابط الواضح الظاهر ما كان له صورة في الكلام ، وأسمي النوع الأول الذي ليس له صورة في الكلام " الرابط المعنوي " ، وأسمي النوع الثاني الذي له صورة في الكلام الرابط اللفظي ، وبناءً على هذا فإن الروابط نوعان : معنوية ولفظية .

أ - الروابط المعنوية :

وهي عبارة عن عَلاقات غير ظاهرة في الكلام لكنها تسهم في تركيب الجملة أو الفقرة أو النص إسهاماً رئيساً ، ولا يمكن الاستغناء عنها لأنها ركن أساس في التركيب

---

(1) تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 9 .

المفيد ، ومن هذه الروابط ما يسهم في تركيب الجملة كرابط الإسناد ، والوصفية والبدلية ، والتعددية ، ومنها ما يسهم في تركيب الفقرة أو النص كرابط البيان ، والسببية والتناظر ، والتضاد ، والتوجيه . . . الخ .

ولتتضح القضية أكثر يمكن أن نسوق أمثلة على هذه الروابط ، ففي جملة : " جاء الحقّ " نجد أنَّ هذه الجملة تتركب من ركنين ظاهرين هما الفعل " جاء " والفاعل " الحق " ، وهناك ركن ثالث في الجملة هو العلاقة الرابطة بين الركنين الظاهرين ، وهذه العلاقة هي الإسناد ، فالإسناد رابط معنوي ربط بين ركني الجملة ، وهو رابط غير ظاهر في الكلام ، وإنما يفهم من تجاور الركنين الظاهرين بل إنه هو الذي أوجد تناسباً في تجاورهما ، وتتضح الصورة أكثر إذا نطقنا بكلمتين متتاليتين لا يربطهما رابط الإسناد كقولنا : جاءَ جاءَ أو زيدُ زيدٌ ، فلا معنى مفيد لهاتين الكلمتين المتجاورتين لافتقارهما إلى عنصر الترابط .

وقد فطن العلامة الرضي لهذا الرابط وأشار إليه قائلاً : " وذلك لأنّ أحد أجزاء الكلام هو الحكم أي : الإسناد الذي هو رابطة ، ولا بد له من طرفين : مسند ومسند إليه "(1) ، فالرضي يشير هنا إلى الإسناد الذي يعد رابطاً من الروابط المعنوية التي تربط بين أجزاء الجملة .

أمّا الرابط المعنوي الذي يسهم في تركيب الفقرة أو النص ، ويربط بين عناصر التركيب في كل منها فمنه رابط " السببية " ، ففي قول الله ـ تعالى ـ : (وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ) [البقرة : 167 - 168] نجد أنَّ جملة : (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ) جملة استئنافية وقعت بعد جملة (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) فما المسوغ الذي سوغ تجاورهما ؟ وما الذي جعل الكلام متسقاً متناسباً ؟ إن الأمر الذي سوغ تجاور الجملتين وجعل الكلام متناسباً غير متنافر هو الترابط المعنوي بين الجملتين ، والترابط هنا كان برابط معنوي غير ظاهر هو " السببية " ، إذ إن

(1) الرضي : شرح الكافية ، 1 / 8 .

الجملة الثانية (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ) هي سبب كون الشيطان عدواً مبيناً . فرابط السببية هو العلاقة التي جعلت العبارة القرآنية ذات فائدة معنوية، واتساق سياقي .

ب - الروابط اللفظية :

وهي عِلاقات ملفوظة ظاهرة في الكلام ، تسهم في تركيب الجملة الواحدة أو تربط بين الجمل المتجاورة في النص الواحد ، وهذه الروابط قد تكون حروفاً كحروف الجر وحروف العطف ، وقد تكون أسماء كالضمائر ، وأسماء الإشارة ، وأسماء الشرط؛ فحرف الجر يربط بين الاسم المجرور وما يتعلق به الجار والمجرور كما في جملة : سار الرجل إلى المسجد ، فحرف الجر " إلى" هو الذي ربط الاسم المجرور " المسجد " بالفعل " سار " ، وكذلك فإنَّ الضمير يربط بين الجملة الواقعة خبراً والمبتدأ كما في جملة : خالد يقرأ ، فالجملة الفعلية " يقرأ " خبر للمبتدأ " خالد " والذي ربط بين هذا المبتدأ وخبره هو الضمير المستتر المقدر بـ " هو " الذي يعود على المبتدأ ويربط بين جملة المبتدأ وجملة الخبر .

قد رأينا من العرض السابق أن الروابط المعنوية أو اللفظية قد تكون رابطة بين الكلمات المكونة للجملة ، وقد تكون رابطة للجمل التي تكوّن النص ؛ وبناء على ذلك فإنه يمكن أن تقسم الروابط إلى أقسام ثلاثة :

1 - الروابط الجُمْلية : وهي التي تربط بين أجزاء الجملة الواحدة .

2 - الروابط الجُمَلية : وهي التي تربط بين جمل النص الواحد .

3 - الروابط النصية : وهي تلك الروابط التي تربط بين فقر النص وعباراته .

وكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة قد يكون من الروابط المعنوية أو من الروابط اللفظية .

وسيركز بحثي هذا على نوع واحد من أنواع الربط هو الربط المعنوي الجُمَلي الذي يربط الجمل القرآنية بعضها ببعض ، وحُصِرَ البحث في هذا النوع لأن بحث موضوع الروابط بجميع أنواعها عمل كبير يحتاج إلى عدد من الدراسات العلمية ، والأجدر أن تتناول كل دراسة نوعاً من أنواع الروابط ليتمكن الباحث من سبر أغوار الموضوع ، وتحليله تحليلاً دقيقاً .

إنَّ بحث الروابط وأنواعها يؤسس لدراسة جديدة تتناول النصوص وفق فكرة الترابط التي يطرحها هذا البحث ، وهذا الطرح يمكن أن يتطور بالبحث العلمي ليكون نظرية بلاغية جديدة تدرس النصوص في ضوئها ، وتكمن أهمية هذا الموضوع في أنه يجمع بين الكلام النظري والتطبيق التحليلي للنصوص ، و هذه الدراسة يمكن أن تنسحب على موضوعات البلاغة جميعها ، فالترابط حاضرٌ في موضوعات البلاغة المعروفة ؛ فعلى سبيل المثال يوجد ترابط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في باب المجاز ، وهناك ترابط بين المشبه والمشبه به في باب التشبيه ، وترابط من نوع آخر بين المستعار والمستعار له في باب الاستعارة ، وهكذا فإن ذلك قد يفتح باب البحث على مصراعيه وفق هذه النظرة الجديدة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بحث الروابط المعنوية بين الجمل يمس في بعض جوانبه موضوع " الفصل " الذي بحث مع " الوصل " في البلاغة العربية ، لكنَّ الباحث قد انطلق هنا من فرضية تختلف عن المنطلق القديم ، فالفرضية التي ينطلق منها هذا البحث مفادها : أن الجمل لابد أن تترابط فيما بينها في النص الواحد ، وهي إن لم تترابط وكان بينها انفصال نبت كل واحدة منها عن الأخرى ، وصارت الجملة نشازاً في موقعها، وهذا لا يكون في النصوص البليغة أبداً .

إن ما يعرف في البلاغة بـ " الفصل " هو في حقيقته وصل وربط معنوي كما يظهر من تحليل النماذج القرآنية التي سيتناولها البحث في الفصل الثاني والثالث والرابع والخامس ، فمصطلح " الفصل " موهم بانفصال الجملة الثانية عن الأولى ، وحقيقة الأمر ـ

كما تؤكده النصوص ـ أن الجملتين مرتبطتان ارتباطاً معنوياً قوياً أغنى عن الربط بحرف العطف الذي هو الواو .

وفطن الزمخشري قديماً إلى هذه الحقيقة حين قال : " إدخال الفاء وصلٌ بحرف موضوع للوصل ، ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف . . . "[1] ، وهذه إشارة دقيقة من الزمخشري قاده إليها تأمله في النصوص وعمله التطبيقي التحليلي ، وأياً كان الأمر فإن البحث في الروابط المعنوية يتعدى بحث كون الجملتين لم تعطف إحداهما على الأخرى لأنهما في حالة كمال الاتصال أو حالة شبه كمال الاتصال ونحو ذلك مما هو مشهور في موضوع " الفصل والوصل " ، إنه يتعدى هذه الأمور إلى مجال أرحب وأوسع هو جانب بحث التلاؤم بين الجملتين ، ومقدار التوافق الأسلوبي بينهما أو التضاد، ويبحث كذلك عن تناسب نوع الترابط مع السياق العام الذي وردت فيه الجملتان المترابطتان .

المبحث الثاني

أقسام الجملة العربيـــة

- أنواع الجمل :

(1) الزمخشري الكشاف عن حقائق التنزيل ، 2 / 224 .

للجملة تقسيمات وأنواع كثيرة ، فمنها ما هو تقسيم تقليدي قديم ، ومنها ما هو جديد حديث ، ويحاول البحث هنا الاكتفاء بعرض أبرز هذه التقسيمات مما له علاقة بموضوع هذا البحث ، وما يفيد فيما بعد في الدراسة التطبيقية .

وقد جاءت تقسيمات أنواع الجمل حسب معايير مختلفة منها معيار البساطة والتركيب ، ومنها معيار الحجم ، ومعيار التركيب الداخلي ، ومنها معيار الدلالة العامة، ومعيار الموقع الإعرابي ، ونحو ذلك ، وفيما يلي أتناول بعض هذه المعايير ذات الصلة بموضوع هذا البحث .

- المعيار الأول : البساطة والتركيب : [1]

بناء على هذا المعيار قسمت الجملة إلى قسمين هما :

1 - الجملة البسيطة : وهي الجملة المركبة من ركني الإسناد فحسب ، ففي هذه الجملة يكون عنصرا الإسناد هما المكونان للجملة ، فالجملة الاسمية البسيطة تتكون من المبتدأ والخبر مثل : العلم نور ، أصبح العلم ميسراً ، إن العلم نور ونحو ذلك ، والجملة الفعلية البسيطة تتكون من الفعل والفاعل مثل : جاء الحق .

ولرابط الإسناد في الجملة البسيطة دور رئيس في تركيبها والدلالة على ركنيها ، وإيضاح المعنى المقصود منها ، والجملة البسيطة نوعان :

أ - مجردة ؛ وهي الجملة التي لا يلحق بركنيها لاحق آخر مثل العلم نور ، جاء الحق .

ب - موسعة ؛ وهي الجملة التي لحق بركني الإسناد فيها عنصر لغوي أو أكثر يؤثر في مضمونها ، أو يوسع أحد عناصرها ، مثل : محمد رسول الله ، الرجل المخلص محبوب ؛ ففي الجملة الأولى لحق بالخبر مضاف إليه هو لفظ الجلالة " الله " ، وفي الجملة الثانية لحقت كلمة " المخلص " وهي صفة المبتدأ.

---

(1) ينظر : محمود أحمد نحلة : نظام الجملة في شعر المعلقات ، ص 24 ، وصور تأليف الكلام عند ابن هشام له أيضاً ، ص 53 .

2 - الجملة المركبة : وهي " الجملة المؤلفة من جملتين بسيطتين أو أكثر ترتبط إحداهما بالأخرى أو تتفرع عنها ، أي أنها قائمة على تعدد الإسناد في جملتين اثنتين على الأقل ، لا في جملة واحدة . " [1]. ويحدث ذلك في الجملة الشرطية مثل : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) [الأنفال : 61] وفي الجملة القسمية مثل (وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) [العصر : 1] وفي الجملة المعطوفة على أخرى بفاء السبب مثل (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) [القصص : 15]، ويعود على المبتدأ عائد واحد من الجملة المعطوفة مع خلو الأخرى منه .

ويبدو أن علماء العربية لم يعنوا بهذا التقسيم ، ولم يحفلوا بمعيار البساطة والتركيب في تقسيمهم لأنواع الجملة على الرغم من أهمية هذا المعيار لاسيما في جانب الترابط بين أجزاء الجملة .

- المعيار الثاني " الحجم " :

والجملة بالنظر إلى معيار الحجم قسمان : كبرى ، وصغرى :

1 - الجملة الكبرى : " وهي الاسمية التي خبرها جملة "[2] مثل : زيد قام أبوه ، زيد أبوه قائم ، أو الفعلية التي فعلها ناسخ وكانت الجملة التالية لتسد مسد مفعولي الفعل الناسخ مثل : ظننت زيداً أبوه قائم [3]، وللجملة الكبرى وجهان :

أ - ذات الوجهين : كأن تكون اسمية الصدر فعلية العجز ، مثل : زيد يقوم أبوه ، وقد تكون فعلية الصدر اسمية العجز ، مثل : ظننت زيداً أبوه قائم .

ب - ذات الوجه الواحد : وتكون اسمية الصدر والعجز ، مثل : زيد أبوه قائم ، أو فعلية الصدر والعجز ، مثل : ظنت زيداً يقوم أبوه .

وهناك جمل يحتمل أن تعد من قبيل الكبرى باعتبار ومن قبيل الصغرى باعتبار آخر ، ومثل ابن هشام لذلك بقول الله - تعالى - : (أَنَا آتِيكَ بِهِ) [النمل : 39] فـ (آتيك

---

(1) المصدر السابق ، ص 53 .
(2) ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 11 .
(3) المرجع السابق ، 2 / 13 .

) يحتمل أن يكون فعلاً مضارعاً اتصل به ضمير مفعوله ، ويحتمل أن يكون اسم فاعل أضيف إلى ضمير مفعوله ، فبالاعتبار الأول تكون الجملة جملة كبرى ، وبالاعتبار الآخر تكون الجملة جملة صغرى [1].

2 - الجملة الصغرى : وهي الجملة المبنية على المبتدأ ، مثل جملة " قام أبوه " في الجملة الكبرى : زيد قام أبوه ، ومثل جملة " أبوه قائم " في الجملة الكبرى : زيد أبوه قائم [2].

فالجملة الصغرى ما هي إلا جزء من الجملة الكبرى ، وهي جزء متمم لها ، وقد تكون الجملة الصغرى خبراً للجملة الكبرى كما في المثالين السابقين ، وقد تكون الصغرى مفعولاً ثانياً مثل جملة " ينتصر " في : علمت الحقَّ ينتصر .

ويدخل تحت الجملة الصغرى الجمل الواقعة نعتاً ، أو حالاً ، أو صلة ، أو مفعولاً به ، أو الجملة المعترضة .

وقد تأخذ الجملة الواحدة حكمين : فتكون من الجمل الصغرى بالنسبة لما قبلها ، ومن الجمل الكبرى بالنسبة لما بعدها ، ويُمثَّل لذلك بقول الله ـ تعالى ـ : (لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي) [الكف : 38] فالأصل ـ كما يقولون ـ : لكنْ أنا هو الله ربي ، فحذفت الهمزة من " أنا " للتخفيف ، وأدغمت نون " لكن " الساكنة في نون الضمير " أنا " بعدما حذفت همزته فصارت " لكنا " .

ففي الآية الشريفة مبتدآت ثلاثة هي : ضمير المتكلم " أنا " ، والضمير " هو " ، ولفظ الجلالة " الله " ، وبناء على ذلك فجملة " هو الله ربي " من الجمل الصغرى لأنها خبر للمبتدأ الأول " أنا " ، وهي في الوقت نفسه من الجمل الكبرى بالنسبة إلى الجملة الصغرى التي بعدها : " الله ربي " [3].

---

(1) ينظر : المصدر نفسه ، 2 / 12 .
(2) ينظر : المصدر نفسه ، 2 / 11 .
(3) ينظر تفصيل المسألة في المصدر نفسه ، 2 / 11 .

- المعيار الثالث " التركيب الداخلي " :

عني النحويون العرب بهذا المعيار في تقسيم الجمل ، غير أنهم اختلفوا في أقسامها ، فجعلها أبو علي الفارسي أربعة أقسام ، يقول : " وأما الجملة التي تكون خبراً فعلى أربعة ضرب (كذا) ، الأول أن تكون جملة مركبة من فعل وفاعل ، والثاني أن تكون مركبة من ابتداء وخبر ، والثالث أن تكون شرطاً وجزاءً ، والرابع أن تكون ظرفاً "[1]، وبيان ذلك أن الجملة أربعة أقسام هي :

1 - **الجملة الفعلية :** وهي الجملة التي صدرها فعل[2] تام أو ناقص مثل : قام زيد ، ضُرِب اللصُّ ، كان خالد فارساً ، ظننت زيداً حاضراً ، يقوم عمرو ، قف .

ووضعت الجملة الفعلية لبيان علاقة الإسناد مع دلالة زمنية على حدث ، وقد يكون الزمن الذي يقع فيه الحدث ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً ، وتفيد الجملة الفعلية التجدد في الماضي أو الحاضر ، أو تشير إلى الاستمرار من غير تجدد [3].

2 - **الجملة الاسمية :** وهي الجملة التي صدرها اسم صريح أو مؤول ، أو اسم فعل، أو حرف غير مكفوف مشبه بالفعل التام أو الناقص ، وأمثلة ذلك على الترتيب : (الْحَمْدُ لِلَّهِ) [سورة الفاتحة : 1] ، (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ) [البقرة : 184] ،هيهات العقيق ، (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [المزمل : 20] ، (ما هذا بشراً) [يوسف : 31] .

ويستثنى من الأحرف المشبهة بالفعل " أَنَّ " غير المكفوفة لأنها تؤول مع ما بعدها بمصدر ، وهو مفرد لا جملة .

---

(1) الجرجاني ، عبدالقاهر : المقتصد في شرح الإيضاح ، 1 / 273 نقلاً عن : محمد إبراهيم عبادة : الجملة العربية ، ص 149 .

(2) ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 6 .

(3) أحمد محمد قدور : مبادئ اللسانيات ، ص 218 .

ويدخل تحت الجملة الاسمية ما يطلق عليه بعض المحدثين الجملة الوصفية ، وهي ما كان فيها المسند وصفاً عاملاً [1] مثل : أقائم الزيدان ، وذلك على رأي من لا يشترط الأصالة في الإسناد [2]، ومن الجملة الاسمية كذلك ما يطلق عليه الجملة الجملية، وهي التي يكون المسند فيها جملة اسمية أو فعلية أو وصفية مرتبطة بالمسند إليه برابط [3]. نحو : خالد سيفه مسلول ، زيد يعمل المعروف .

ووضعت الجملة الاسمية للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه ، من غير تجدد أو استمرار ، وقد تفيد الاستمرار والتجدد إذا كان خبرها جملة فعلية فعلها مضارع [4].

3 - **جملة الشرط والجزاء :** وهي الجملة التي صدرها أداة شرط نحو قول الله ـ تعالى ـ : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ) [الزلزلة : 7] و (وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَأُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الفتح : 25] .

وأشار الخليل والمبرد إلى الجملة الشرطية[5] ، وذكرها أبوعلي الفارسي في نصه السابق الذكر ، حيث قال : " وأما الجملة التي تكون خبراً فعلى أربعة أضرب ، . . . والثالث أن تكون شرطاً وجزاءً . . . " [6]، وأشار إليها الزمخشري في المفصل[7] ، ومثل لها بخبر المبتدأ ، مثل : بكر إن تعطه يشكرك . وذكر الجرجاني جملة الشرط والجزاء في كتابه " المقتصد في شرح الإيضاح " [8].

---

(1) ينظر : محمود أحمد نحلة : نظام الجملة في شعر المعلقات ، ص 25 .
(2) ينظر : ص 101 من هذا البحث .
(3) ينظر : المصدر السابق .
(4) ينظر : أحمد محمد قدور : مبادئ اللسانيات ، ص 218 . .
(5) ينظر : المبرد : المقتضب ، 4 / 126 ، والرضي : شرح الكافية ، 2 / 254 .
(6) الجرجاني :المقتصد في شرح الإيضاح ، 1 / 273 نقلاً عن : محمد إبراهيم عبادة : الجملة العربية، ص 150 .
(7) ينظر ابن يعيش : شرح المفصل ، 1 / 88 .
(8) الجرجاني : المقتصد في شرح الإيضاح ، 1 / 273 ، نقلاً عن محمد إبراهيم عبادة : الجملة العربية، ص 150 .

وبناء على هذه الإشارات ، فإن جملة الشرط قسم قائم بنفسه عند الخليل والمبرد، وأبي علي الفارسي وعبدالقاهر الجرجاني والزمخشري ، وهذا هو الرأي الذي أيده الدكتور فخر الدين قباوة فهو يرى أن " الصواب ما ذهب إليه الزمخشري ، لأن الجملة إما أن تقوم على تركيب إسنادي ، كالفعل والفاعل ، أو المبتدأ والخبر ، وإما أن تقوم على تركيب شرطي " [1]، فالتركيب الشرطي وسيلة من وسائل تكوين الجملة .

ولم يعد جماعة آخرون من النحويين جملة الشرط قسماً مستقلاً ، وعدوها قسماً داخلاً تحت الجملة الفعلية ، من هؤلاء ابن يعيش ، الذي علَّق على نص الزمخشري الذي ذكر فيه أن جملة الشرط قسمٌ قائمٌ بذاته ، يقول ابن يعيش : " وهذه قسمة أبي علي وهي قسمة لفظية وهي في الحقيقة ضربان فعلية واسمية لأن الشرطية في التحقيق مركبة من جملتين ، فعليتين الشرط فعل وفاعل والجزاء فعل وفاعل " [2].

فابن يعيش (ت 643 هـ) يعد الجملة الشرطية من قبيل الفعلية ، والجملة عنده نوعان : اسمية وفعلية ، وهذا هو رأي ابن جني في اللمع[3] ، واعتمده ابن هشام في أوضح المسالك وشذور الذهب ، لكنه في " مغنى اللبيب " جعلها أقساماً ثلاثة : اسمية ، وفعلية ، وظرفية ، وعدَّ الشرطية من قبيل الجملة الفعلية [4].

ومن النحويين من عدَّ جملة الشرط فعلية إن كان صدرها حرف شرط وفعل ، أو اسم شرط معمول لفعله أي : في محل نصب على المفعولية ، لأن المقصود بها هو جملة الشرط ، وهي بعد الأداة[5] ، نحو : زيد إنْ يقم أقم معه ، ويعدها اسمية إذا كان صدرها حرف شرط ومبتدأ ، أو اسم شرط غير معمول لفعله[6] ، نحو : زيد من يكرمه أكرمه .

وبناء على ذلك فإن لجملة الشرط أربعة نماذج يمكن وضعها كالآتي :

---

(1) فخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل ، دار الأوزاعي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 4 / 1986 م ، ص 20 .

(2) ابن يعيش : شرح المفصل ، 1 / 88 .

(3) ينظر : ابن جني ، اللمع ، ص 73 .

(4) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 7 .

(5) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 7 وما بعدها ، والسيوطي : همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، 1 / 96 .

(6) المصدر السابق ، 1 / 96 . .

1 - حرف شرط + فعل + فاعل = جملة شرط فعلية .

2 - اسم شرط " مفعول به " + فعل + فاعل = جملة شرط فعلية .

3 - حرف شرط + مبتدأ = جملة شرط اسمية .

4 - اسم شرط " غير معمول لفعله " + فعل + فاعل = جملة شرط اسمية .

وتأتي الجملة الشرطية لتقييد الفعل : فعل الجزاء ، فقد يقيد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعي التقييد به ، ولا يخرج الكلام بتقييده به عما كان عليه من الخبرية أو الإنشائية ، فالجزاء إن كان خبراً فالجملة خبرية نحو : إن جئتني أكرمْك ، أي أكرمك لمجيئك . وإن كان إنشاء فإنشائية ، نحو : إن جاء زيد فأكْرِمْه ، أي أكرمه وقت مجيئه [1].

وعلى كلّ فإن الجملة الشرطية فيما يظهر ليست قسماً مستقلاً ، وإنما هي من قبيل الفعلية أو الاسمية ، كما يظهر من النماذج الأربعة السابقة .

4 - الجملة الظرفية : وهي الجملة المصدرة بظرف ، أو مجرور ، مثل : أعندك زيد ، أفي الدار زيد ، إذا قدر " زيد " فاعلاً بالظرف ، والجار والمجرور ، لا باستقرار محذوف ، ولا بمبتدأ مخبر عنه بهما [2]. وورد في القرآن الكريم ما يعد شاهداً لغوياً على ذلك ، نحو قول الله ـ تعالى ـ : (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) [التوبة : 22] ، ونحو : (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ) [إبراهيم : 10] .

فكل من (أجر) و (شك) فاعل مرفوع ، الأول للظرف ، والثاني للجار والمجرور ، ويرى الدكتور فخر الدين قباوة أن هاتين الجملتين الكريمتين من قبيل الجملة الإسمية ، وأن (أجر) و (شك) تعرب كل منهما مبتدأ مؤخراً ، حذف خبره لدلالة الجملة عليه [3].

---

(1) السكاكي :مفتاح العلوم ، ص 115 وما بعدها .
(2) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 7 .
(3) ينظر : فخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص 21 .

وعلى هذا فإن الدكتور قباوة لا يرى أن الجملة الظرفية تشكل قسماً مستقلاً ، لكن باحثاً معاصراً آخر هو الدكتور محمود أحمد نحلة يرى رأي الزمخشري ، ويعد الجملة الظرفية قسماً مستقلاً [1]. ولعله من الأجدى عدها قسماً مستقلاً لأنها تختلف في خصائصها عن الجملة الاسمية والفعلية .

ويؤتى بالظرف لغرض الاختصار عند من يرى أن الجملة الظرفية من قبيل الجملة الفعلية ؛ وذلك لأن الجملة الظرفية هي الظرف مع فاعله أي : الظرف المستقر الذي يُحْذَف متعلقه ، ويحصل بذلك الحذف الاختصار والإيجاز [2].

وقد ظهر من تعدد آراء النحويين أن الجملة تقسم حسب معيار التركيب الداخلي إلى أربعة أقسام عند بعضهم : كأبي علي الفارسي وعبدالقاهر الجرجاني والزمخشري ، وهي ثلاثة أقسام عند ابن هشام وهو ما قد يفهم من إشارات الخليل والمبرد ايضاً[3]، وهم بذلك لا يعدون الشرطية قسماً مستقلاً .

ومن المحدثين من عدَّ الجملة ثلاثة أقسام وهو فخر الدين قباوة إلا أنه جعلها : اسمية وفعلية وشرطية فلم يعد الظرفية قسماً مستقلاً ، وإنما هي عنده من قبيل الجملة الاسمية .

أما الاتجاه الآخر ، فيعد الجملة قسمين : اسمية ، وفعلية ، وهو رأي ابن جني[4]، وابن يعيش [5].

ويبدو لي من ذلك العرض أن الجملة قسمان : اسمية وفعلية ، أما الشرطية فهي من قبيل الفعلية أحياناً أو من قبيل الاسمية أحياناً أخرى ، كما تبين من نماذجها الأربعة الآنفة الذكر ، أما الظرف فهو صورة مستقلة له خصائصه التي تختلف عن الجملة الاسمية والفعلية ، ولعله من الأولى عده شبه جملة ، حيث إن أساس تكون الجملة هو الإسناد

---

(1) ينظر : محمود أحمد نحلة : صور تأليف الكلام عند ابن هشام ، ص 55 .
(2) ينظر : بدوي طبانة : معجم البلاغة العربية ، 1 / 153 .
(3) ينظر : المبرد ، المقتضب ، 4 / 126 .
(4) ينظر : ابن جني : اللمع ، ص 73 .
(5) ينظر : ابن يعيش : شرح المفصل ، 1 / 88 .

الأصلي ، وهذا الإسناد غير موجود في الظرف والجار والمجرور ، إلا إذا لُجئ إلى التأويل والتقدير ، وترك التأويل أولى . وبناء على ذلك فإن هذا البحث سيعتمد على التقسيم الثنائي للجملة ، فهي قسمان: فعلية واسمية .

- المعيار الرابع " الموقع الإعرابي " :

والجملة بالنظر إلى هذا المعيار نوعان : جمل لا موقع لها من الإعراب ،وجمل لها موقع إعرابي ، وقد فَصَّل النحويون الكلام في هذه القضية(1)، ويحاول البحث أن يوجز الموضوع ملتقطاً ما يتصل بموضوعه ويمس أجزاءه .

أولاً : الجمل التي لا محل لها من الإعـراب :

والأصل في الجمل أن لا يكون لها موقع إعرابي كما قرر النحويون(2) ، وذلك خلاف المفرد الذي الأصل فيه أن يكون له موقع إعرابي .

ففرق النحويون بين المفرد والجملة من حيث أصالة الموقع الإعرابي ، ومع هذا فقد قاسوا ما يحدث للجملة على المفرد(3) في قضية وقوع الجملة موقع المفرد من حيث الإعراب ، فجعلوا الجملة التي تقع موقع المفرد لها محل إعرابي ، والتي لا تقع موقع المفرد ليس لها محل إعرابي . فقاسوا الجملة على المفرد في جانب ، وتركوا القياس في جانب آخر .

وقد اختلف النحويون في عدد الجمل التي ليس لها محل من الإعراب ، فعدها ابن هشام سبعاً ، وعدّها أبوحيان الأندلسي اثنتي عشرة جملة ، وعدها الدكتور فخر الدين قباوة عشر جمل ؛ وذكر ابن هشام : الجملة الابتدائية ، والمعترضة ، والتفسيرية، وجواب القسم ، وجواب الشرط ، وجملة صلة الموصول ، والتابعة لما لا محل لها(4).

---

(1) ينظر تفصيل ذلك في : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 14 وما بعدها ، وفخر الدين قباوة : كتاب إعراب الجمل وأشباه الجمل .
(2) السيوطي : الأشباه والنظائر ، 2 / 17 .
(3) ينظر : الجرجاني : دلائل الإعجاز . ص 171 .
(4) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 14 وما بعدها .

أما الدكتور قباوة ففرق بين الجملة الاستئنافية والابتدائية فهما نوعان عنده ، وفصل بين كل من جملة الشرط الجازم غير المقترنة بالفاء أو إذا ، وجملة الشرط غير الجازم وجعلهما نوعين لا نوعاً واحداً ، وأضاف قسماً ثالثاً لم يذكره ابن هشام هو جملة الشرط غير الظرفي ، فالجمل التي لا محل لها عنده بذلك عشر جمل [1] ، وفيما يلي عرض لهذه الجمل بشيءٍ من الإيجاز :

1 - الجملة الابتدائية : وهي الجملة المفتتح بها الكلام ، أو التي حقها التقديم ، وتقدم عليها ما يرتبط بها كالظرف ، وذلك نحو قول الله - تعالى - : (الحمد لله...) [الفاتحة : 1] ، فجملة (الحمد لله) ، جملة اسمية افتتح بها الكلام ، ونحو جملة (وجد) ، في قوله - تعالى - : (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً) [آل عمران : 37] ؛ وتقدير المعنى : وجد زكريا عندها رزقاً كلما دخل عليها المحراب ، و (كل) ظرف للفعل (وجد) ، وحق الفعل أن يتقدم على المتعلق به ، لذا فإن جملة (وجد) تعد ابتدائية تقديراً ، وإن تأخرت لفظاً .

2 - الجملة الاستئنافية : وهي الجملة التي تأتي في أثناء الكلام ، وقبلها كلام تام ، وبهذا تختلف عن الجملة الابتدائية ، لأن الابتدائية يفتتح بها الكلام ، من غير وجود كلام تام قبلها ، وجعل ابن هشام وغيره من النحويين الجملتين الابتدائية والاستئنافية نوعاً وحداً .

وقد تأتي الجملة الاسئتنافية أحياناً مسبوقة بحرف من أحرف الاستئناف كالواو والفاء ، وثم وحتى الابتدائية [2]، " وأم " المنقطعة ، و " بل " التي تفيد الإضراب ، و " أو " التي بمعنى " بل " ، و " لكنْ " مجردة من الواو العاطفة ، وقد تأتي غير مسبوقة بحرف الاسئتناف ، وتأتي أحياناً جواباً لاستفهام أو نداء .

ومثال التي تأتي من غير حرف استئناف جملة(لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأ الأعْلَى) من قوله تعالى (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ[6] وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ[7] لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ [8]) [الصافات :6 - 8] .

---

(1) ينظر : فخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص 36 .
(2) الرضي : شرح الكافية ، 2 / 112 .

ومثل جملة (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ) من قول الله ـ تعالى ـ : (فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) : [يس : 76] .

ومثال الجملة الاستئنافية الواقعة جواباً لاستفهام جملة (أُخرج) من قول ـ الله ـ تعالى ـ : (وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً) [مريم : 66] ، فجملة (أُخرج) جواب للاستفهام .

ومثال الجملة الاستئنافية التي وقعت جواباً للنداء قول جميل بثينة [1] :

أَبثينُ إنك قد مَلكتِ فَأَسْجِحِي وَخُذِي بِحَظِّكِ من كريمٍ واصلِ

وأما التي جاءت مسبوقة بحرف من أحرف الاستئناف فنحو جملة (وَنُقِرُّ) من قول الله ـ تعالى ـ : (لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ) [الحج : 5] ، ومثل جملة (فَيَكُونُ) بالرفع من قول الله ـ تعالى ـ : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [يس : 81] ، ومثل جملة (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ) من قول الله ـ تعالى ـ : (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ) [العنكبوت : 20] ، ومع " حتى " الابتدائية مثل جملة " حتى كليب تسبني " في قول الفرزدق [2]:

فَيا عَجبي ، حتَى كليبُ تسبُّنِي كأنَّ أباها نهشلٌ أو مجاشعُ

ومثال الاستئناف بـ " أم " المنقطعة جملة (أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) من قول الله ـ تعالى ـ : (قل هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) [الرعد : 16] .

والاستئناف بـ " بل " التي تفيد الإضراب مثل جملة (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) من قول الله ـ تعالى ـ (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) : [الأعلى : 14 - 16] .

---

(1) جميل بثينة ، الديوان ، تحقيق : حسين نصار ، مكتبة مصر ، مصر ، القاهرة ، ط 2 ، 1967 م ، ص 179 .

(2) الفرزدق ، الديوان ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيرو ، لبنان ، ط / 1960 ، 1 / 419 .

وقد يكون الاستئناف بـ " أو " التي بمعنى " بل " مثل جملة (أَوْ يَزِيدُونَ) من قول الله ـ تعالى ـ : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) [الصافات : 147] والتقدير : أو هم يزيدون .

والاستئناف بـ " لكن " المجردة عن الواو العاطفة ، نحو جملة " لكنْ وقائعه " من قول زهير[1] :

إنّ ابن ورقاء لا تُخشى غوائلُـهُ   لكنْ وقائعُه ، في الحرب تنتظرُ

3 ـ الجملة المعترضة : و هي التي تتوسط بين أجزاء الجملة المستقلة لتقرير معنى يتعلق بها ، أو بأحد أجزائها [2]، ويكون الاعتراض بين المبتدأ وخبره ، نحو قول معن بن أوس المزني :

وفيهن ـ والأيامُ يَعْثُرْنَ بالفتـى ـ   نوادبُ لا يَمْلَلْنَـهُ ونوائــحُ

فقد اعترضت الجملة الاسمية " والأيام يعثرن بالفتى " بين الخبر المقدم " فيهن " والمبتدأ المؤخر " نوادب " .

وقد تأتي المعترضة بين الفعل ومرفوعه أو بينه وبين منصوبه ؛ ومثال الأول قول الشاعر [3]:

شجاك ـ أظنُّ ـ ربعُ الظاعنينـا   ولم نعبـأ بعذْل العاذليــا

فجملة " أظن " اعترضت بين الفعل " شجى " وفاعله " رَبْعُ " .

ومثال الثاني قول أبي النجم العجلي [4]:

وبُدِّلت ـ والدهر ذو تبدُّلِ ـ   هيْفـاً دبُوراً بالصبا والشمــأَلِ

(1) ابن أبي سلمى ، زهير : الديوان ، تحقيق : كرم البستاني ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، لبنان ، ط / 1960 م ، ص 34 .

(2) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 1 / 19 ، وفخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص 69 .

(3) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 19 ، ولم ينسب البيت لقائل بعينه .

(4) ينظر : المصدر السابق ، 2 / 20 .

فجملة " والدهر ذو تبدل " اعترضت بين الفعل " بُدِّل " ومفعوله "هيْفاً " .

وقد يأتي الاعتراض بين الشرط وجوابه ، نحو الاعتراض بجملة (وَلَنْ تَفْعَلُوا) من قول الله ـ تعالى ـ:(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ) [البقرة:24].

ويكون الاعتراض في مواضع أخرى ؛ كالاعتراض بين القسم وجوابه ، وبين المضاف والمضاف إليه ، والموصوف وصفته ، والموصول وصلته ، والجار والمجرور والحرف الناسخ وما دخل عليه . . . وغير ذلك[1].

4 ـ الجملة التفسيرية : وهي الجملة " الفضلة الكاشفة لحقيقة ما تليه " [2]، وكونها فضلة لا يعني ذلك جواز حذفها والاستغناء عنها ، وذلك نحو جملة (خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ) من قول الله ـ تعالى ـ : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [آل عمران : 59] فهذه الجملة فسرت (كَمَثَلِ آدَمَ) .

والجملة التفسيرية ثلاثة أنواع :

1 ـ مجردة من حرف التفسير ؛ كما في الآية الكريمة السابقة .

2 ـ مقرونة بـ " أي " التفسيرية ؛ كجملة " أنت مذنب " في قول الشاعر [3]:

وَتَرمينني بالطرفِ أيْ أنت مذنبٌ وتقلينني لكنّ إيـاك لا أقلي

3 ـ مقرونة بـ " أنْ " التفسيرية ؛ كجملة (أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) من قول الله ـ عز وجل ـ : (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) [المؤمنون : 27] .

ويلاحظ أن الترابط بين الجملة التفسيرية والجملة التي قبلها ترابط لفظي إذا كانت الجملة التفسيرية مقترنة بحرف التفسير ، ويكون الترابط معنوياً إذا كانت مجردة من حرف التفسير .

---

(1) ينظر : المصدر نفسه ، 2 / 25 - 28 .
(2) المصدر نفسه ، 2 / 35 .
(3) البيت مجهول النسبة . ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 1 / 139.

ويرى أبوعلي الشلوبين أن قولهم : إن الجملة التفسيرية لا محل لها أنه ليس على ظاهره ، وأن التحقيق أنها تتبع ما فسرته " فإن كان المفسر له موضع فكذلك هي وإلا فلا ومثالهم : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) فقولهم (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) في موضع نصب لأنه تفسير للموعود به ولو صرح بالموعد به لكان منصوباً ، وقال السيوطي : " وهذا الذي قاله الشلوبين هو المختار عندي وعليه تكون الجملة عطف بيان أو بدلاً . " [1].

5 - جملة جواب القسم : وهي الجملة يجاب بها القسم ، وقد يكون القسم صريحاً أو مقدراً ؛ فالصريح نحو قول الله - تعالى - (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) [الروم : 55] ونحو قوله - جل وعلا - : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) [البروج : 1-4] ، والقسم المقدر نحو قول الله - تعالى - : (كَلا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) [الهمزة : 4] .

وجملة جواب القسم التي لا محل لها في الآية الأولى هي : (مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) ، وفي الآية الثانية (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) وفي الآية الثالثة : (لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) والقسم في هذه الآية الأخيرة محذوف دل عليه حرف اللام ونون التوكيد المتصلة بالفعل .

وجملة جواب القسم تكون خبرية إذا كان القسم فيها غير استعطافي ، وهي إنشائية إذا كان القسم استعطافياً [2].

6 - جملة جواب الشرط غير الجازم : وهي الجملة الواقعة جواباً لأداة شرط غير جازمة . وأدوات الشرط غير الجازمة : لو ، ولولا ، ولوما ، وإذا ، ولما ، وكيف[3].

---

(1) السيوطي : همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، 1 / 248 .
(2) ينظر : محمد حماسة عبداللطيف : بناء الجملة العربية ، ص 233 .
(3) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 46 .

فالجملة الواقعة جواباً لهذه الأدوات لا محل لها من الإعراب وذلك نحو قول الله ـ تعالى ـ : (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ) [النساء: 9] ، فجملة (خَافُوا عَلَيْهِمْ) جواب شرط لـ " لو " وهي جملة لا محل لها من الإعراب .

ومثلها " (إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إلا هُزُواً) من قول الحق ـ جل وعلا ـ : (وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إلا هُزُواً) [الفرقان : 41] . وكذلك جملة (مَا زَادَهُمْ إلا نُفُوراً) جواب (لما) لا محل لها من الإعراب وذلك من قول الله ـ تعالى ـ : (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إلا نُفُوراً) [فاطر : 42] .

7 ـ جملة جواب الشرط الجازم غير المقترنة بالفاء أو بإذا الفجائية :

وهي جملة لا محل لها من الإعراب ، وذلك نحو جملة (نَعُدْ) في قول الله ـ تعالى ـ : (وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ) [الأنفال : 17] . فجملة (نعُد) لا محل لها ، وذلك لظهور الجزم في لفظ الفعل .

وأدوات الشرط الجازمة هي : إنْ ، وإذ ما ، ومَنْ ، وما ، ومهما ، وكيفما ، وحيثما ، وأينما ، ومتى ، وأيان ، وأنى ، وأيٍّ [1].

وأمثلة الجمل الواقعة جواباً لهذه الأدوات وهي غير مقترنة بالفاء ولا بإذا كثيرة، نحو قول زهير [2]:

ومن يغتربْ يحسِبْ عدوَاً صديقه ومن لَمْ يُكرّمْ نفسه لَمْ يُكرَّمِ

فجملة " يحسب " جواب شرط لا محل لها من الإعراب .

---

(1) ينظر : فخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص 102 .

(2) الزوزني ، الحسين بن أحمد : شرح المعلقات السبع ، تحقيق : غازي أيوب ، دار مكتبة التربية ، بيروت ، لبنان ، من غير تاريخ ، ص 83 .

ويدخل تحت هذا النوع الجملة الواقعة جوباً للطلب كجملة " يخبرْك " في قول عنترة[1] :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمــي

يخبرْك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعفّ عند المغنمِ

وتقدير الكلام : إن تسأليها يخبرك من شهد الوقيعة . . . ، فجواب الطلب في حقيقته جواب شرط جازم حذف مع فعله لدلالة الكلام عليه [2].

8 - جملة صلة الموصول : وهي الجملة التي تقع صلة لموصول اسمي أو حرف مصدري [3]. والأسماء الموصولة هي : الذي ، والتي ، واللذان ، واللتان ، والذين ، والأُلى ، واللاتي ، واللائي ، واللواتي ، وأل ، ومن ، وما ، وماذا ، وذو ، وأيٌّ ، وأيَّةٌ [4].

وجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، وذلك نحو جملة (فرض عليك القرآن) من قول الحق ـ تعالى ـ : (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) [القصص : 85] ، ونحو جملة (كفروا) وجملة (أضلانا) في قول الله ـ تعالى ـ : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ) [فصلت : 29] .

وترتبط جملة صلة الموصول بالاسم الموصول بواسطة رابط لفظي هو الضمير " العائد " ، وقد يحذف أحياناً ، كما في قول الله ـ تعالى ـ : (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) [الحجر : 94] أي : تؤمر به .

---

(1) المصدر السابق ، ص 140 .
(2) ينظر : فخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص 103 .
(3) بنظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 46 .
(4) ينظر : فخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص 110 .

وتأتي صلة الموصول جملة خبرية كما يظهر في الشواهد القرآنية السابقة ، ولا يجوز مجيؤُها إنشائية ، وذلك لأن مضمون الصلة يجب أن يكون حكماً معلوم الوقوع للمخاطب قبل الخطاب ، والجمل الإنشائية ليست كذلك [1].

وأما صلة الموصول الحرفي فلا محل لها كذلك ، والموصولات الحرفية هي : أنْ ، وما ، وكي ، وأنَّ المكفوفة ، ولو . ويؤول كل حرف من هذه الحروف مع ما بعده بمصدر يعرب إعراب المفرد حسب موقعه . وذلك نحو جملة (تخشع) في قول الله ـ تعالى ـ : (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ) [الحديد : 16] ، وجملة (تأسوا) في قوله ـ جل وعلا ـ : (لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ) [الحديد :23].

9 ـ جملة الشرط غير الظرفي : " وهي كل جملة وليت أداة شرط غير ظرفية " [2]. وأدوات الشرط غير الظرفية هي : من ، ما ، لولا ، لوما ، كيف ، إنْ ، إذما ، مهما ، كيفما ، أي . وهي أسماء وحروف ، ومنها العاملة وغير العاملة [3].

وتتركب جملة الشرط غير الظرفي من الجملة الفعلية أو الاسمية التي تلي الأداة غير الظرفية ، وذلك نحو قول الله ـ تعالى ـ : (إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) [المائدة : 116] ، فجملة (كنت قلته) هي جملة الشرط غير الظرفي هنا ، وهي لا محل لها من الإعراب .

ومن أمثلة جملة الشرط غير الظرفي قول الحق ـ جل وعلا ـ : (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ الله) [البقرة : 197] ، فجملة (تفعلوا) لا محل لها من الإعراب .

وأغفل النحويون هذه الجملة ، واختلف المعربون فيها ، ويظهر أن أكثرهم يذكرون أنْ لا محل لها من الإعراب ، ولم يجعلوا لها اسماً محدداً ، وسمّاها الدكتور فخر الدين قباوة " جملة الشرط غير الظرفي " [4].

---

(1) ينظر الرضي : شرح الكافية ، 2 / 37 .
(2) فخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص 44 .
(3) المصدر السابق ، ص 45 .
(4) ينظر المصدر نفسه ، ص 44 . وينظر : السيوطي : الأشباه والنظائر ، 2 / 17 .

وتقابل هذه الجملة جملة الشرط الظرفي التي محلها الجر بالإضافة ، كالجملة الواقعة بعد إذا .[1]

10 - الجملة التابعة لجملة لا محل لها : والتوابع في المفردات خمسة هي : النعت ، والبدل ، وعطف البيان ، وعطف النسق ، والتوكيد ، وفي الجمل تنحصر في ثلاثة أنواع هي : البدل ، وعطف النسق والتوكيد ، فلا تكون الجملة نعتاً لجملة أخرى [2]، وكذلك عطف البيان لا يكون جملة عند النحويين [3]، وعلماء البلاغة يجيزون ذلك .

وبناء على ذلك فالجملة تقع بدلاً من الجملة ، وتقع معطوفة بالحرف على جملة قبلها ، وتقع توكيداً لجملة أخرى ، ومثال الجملة الواقعة بدلاً من جملة لا محل لها ، جملة (يضاعف له العذاب) بدل من جملة (يَلْقَ أَثَاماً) وذلك في قول الله ـ تعالى: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً) [الفرقان : 68 ، 69] ، فجملة (يلق آثاماً) جواب الشرط لا محل لها ، وكذلك الجملة التي هي بدل منها لا محل لها .

وجملة (يَخْلُدْ فِيهِ) عطفت على جملة (يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ) ، وهي لا محل لها كذلك لأنها عطفت على جملة لا محل لها .

أما وقوع الجملة توكيداً لجملة لا محل لها ، فذلك نحو جملة (أمهلهم) وقعت توكيداً لجملة (فمهل الكافرين) في الآية الكريمة : (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) [الطارق : 17] .

ويجيز النحويون مجيء الجملة توكيداً [4]، غير أن الدكتور عباس حسن يرى أن ذلك التوكيد اللفظي لا أصل له في الإعراب ، وإنما هو توكيد كلمة لأخرى لفظياً [5].

---

(1) ينظر : ص 133 من هذا البحث .
(2) ينظر الرضي : شرح الكافية ، 1 / 307 .
(3) الأشموني : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، مع حاشية الصبان ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ ، 3 / 89 .
(4) المصدر السابق ، 3 / 80 .
(5) ينظر : عباس حسن : النحو الوافي ، 3 / 390 . السيوطي : الأشباه والنظائر ، 2 / 18 .

هذه هي الجمل التي لا محل لها من الإعراب ، وعددها كما سبق ذكره عشر جمل ، و كونها لا محل لها إعرابياً لا يعني أنها غريبة عن سياقها ، وما الحديث عن الموقع الإعرابي إلا حديث عن قضية لفظية تدل على المعنى ، وليست هي القضية الوحيدة الدالة على المعنى ، وإنما توجد أمور أخرى تتعاون مع الإعراب من أجل أداء المعنى .

ولعل أبرز هذه الأمور التي تؤدي المعنى أو تدل عليه الترابط بنوعيه اللفظي والمعنوي ، وقد ظهر كيف ترتبط هذه الجمل التي لا محل لها بسياقها ، فالجملة الاستئنافية ـ مثلاً ـ ترتبط بما قبلها أحياناً بسؤال مقدر ، و يكون ذلك في الاستئناف البياني ، وقد ترتبط الجملة الاستئنافية بعلاقة خفية كأن تكون الجملة المستأنفة تعليلاً لجملة سابقة ، أو سبباً لمضمونها ونحو ذلك .

وأما الجملة المعترضة فعلاقتها بسياقها أنها تقرر معنى يتعلق بجزء من أجزاء جملة سابقة ، أو توضيح أمر يتعلق بمضمون الجملة السابقة لها .

وهكذا فإن الجمل يرتبط بعضها ببعض سواء أكانت ذات محل إعرابي أم لم تكن ذات محل إعرابي ، وهذا الترابط أياً كان نوعه ـ لفظيا أم معنوياً ـ فإنه سبب تكون النص ، وسر جماله .

ـ الجمل التي لها محل من الإعراب :

وهي الجمل التي وقعت موقع المفرد ، وليس شرطاً تقديرها بالمفرد كما يرى الرضي [1].

والجمل التي لها محل من الإعراب سبع جمل هي : الجملة الواقعة خبراً ، والواقعة حالاً ، والواقعة مفعولاً به ، والواقعة مضافاً إليه ، والواقعة جواباً لشرط جازم مقترن

(1) ينظر : الرضي : شرح الكافية ، 2 / 313 .

بالفاء أو إذا الفجائية ، والجملة الواقعة تابعاً لمفرد ، والواقعة تابعاً لجملة لها محل من الإعراب .

1 ـ الجملة الواقعة خبراً : وهي الجملة التي تقع خبراً لمبتدأ ، أو لفعل ناسخ ، أو لحرف مشبه بالفعل ، ويكون محلها الرفع إذا كانت خبراً لمبتدأ ، أو لحرف مشبه بالفعل، ومحلها النصب إذا كانت خبراً لفعل ناسخ .

ومثال الواقعة خبراً لمبتدأ جملة (ذَلِكَ خَيْرٌ) خبر للمبتدأ (لِبَاسُ) من قول الله ـ تعالى ـ : (وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ) [الأعراف : 26] ، وهي جملة اسمية ، وقد تأتي جملة فعلية نحو جملة (يَبْسُطُ الرِّزْقَ) خبر للمبتدأ (الله) في قول الحق ـ جل وعلا ـ : (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) [الرعد : 26] .

ومثال الجملة الواقعة خبراً لفعل ناسخ جملة (يَجْحَدُونَ) فهي خبر للفعل (كان) في قول الله ـ تعالى ـ : (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) [فصلت : 14] .

والتي وقعت خبراً لحرف ناسخ كجملة (تحشرون) في قول الحق ـ جل وعلا ـ : (وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [الأنفال : 24] .

والجملة الواقعة خبراً تحتاج إلى رابط معنوي يربطها بالمبتدأ ، فإن لم يكن فيها رابط معنوي احتاجت إلى رابط لفظي ، والربط المعنوي يكون متحققاً إذا كان الخبر عين المبتدأ ، أو كان المبتدأ داخلاً في عموم الخبر ، وأما الربط اللفظي فيكون بالضمير العائد أو ما ينوب عنه ، كما قرر ذلك النحويين في هذا الباب [1].

والأصل في الجملة الواقعة خبراً أن تكون خبريةً ، لأنه إنما يخبر بما هو معلوم، وقد تأتي جملة إنشائية معناها خبري نحو : زيدٌ اضربه ؛ والتقدير : زيد مطلوب ضربه . فالإنشاء يؤول بالخبر [2].

---

(1) ينظر : السيوطي : الأشباه والنظائر ، 1 / 200 .
(2) ينظر : الصبان : حاشية الصبان على شرح الأشموني ، 1 / 195 .

2 ـ الجملة الواقعة حالاً : وهي الجملة التي تبين هيأة صاحبها ، وموضعها النصب، مثل جملة : (تستكثر) في قول الله ـ تعالى ـ : (ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ) [المدثر : 6] ، وهي حال من الضمير المستتر في (تمنن] الواقع فاعلاً .

ولابد لجملة الحال من رابط لفظي يربطها بصاحبها ، قد يكون الضمير وحده كما في الآية السابقة ، وقد يكون الرابط الواو وحده كما في قول الحق ـ تعالى ـ : (لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) [النساء : 43] .

وقد يتضافر الضمير والواو معاً ليربطا جملة الحال بصاحبها ، كما في قول الله ـ تعالى ـ : (لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) [الصف : 5] .

وقد يتعين مجيء الضمير رابطاً ، وذلك إذا كانت الجملة الحالية بعد " إلا " ، أو كانت الجملة الحالية مؤكدة لمضمون جملة قبلها ، نحو قول الله ـ جل وعلا ـ : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ) فجملة (رَيْبَ فِيهِ) حال من (الكتاب) .

كذلك يجب مجيء الضمير رابطاً إذا كانت جملة الحال فعلية فعلها مضارع مثبت مجرد من " قد " و " إذن " نحو قول الله ـ تعالى ـ: (وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [الأنعام : 110] .

ويجب الربط بين جملة الحال وصاحبها بالواو إذا كانت الجملة الحالية مصدرة بضمير صاحبها نحو قول الله ـ تعالى ـ : (لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) [النساء : 43].

ويكون الربط بالواو واجباً ـ أيضاً ـ إذا كانت الجملة الحالية فعلية فعلها مضارع مقترن بـ " قد " كقول الله ـ تعالى ـ : (لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) [الصف : 5] .

وكذلك يكون الربط بالواو واجباً إذا كانت جملة الحال فعلية فعلها ماضٍ مثبت متصرف خال من ضمير عائد كما في قول الشاعر [1]:

(1) الضبي : المفضل بن محمد : المفضليات ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط 2 / 1952 م ، ص 31 .

ونادَى منادي الحيِّ : أن قد أُتيتم   وقد شرِبَتْ ماء المزادةِ أجمعا

ويجب الربط بالواو أيضاً إذا جاءت الجملة الحالية بعد " لو " الوصلية الزائدة للتعميم ، أو بعد " إنْ " الوصلية الزائدة للتعميم غير مكررة بعد العطف [1]، فالأولى كقول عبدالله بن سبرة :

ما كان ذلك يومَ الرّوع من خُلقي   ولو تقاربَ مني الموتُ فاكتنعا

ومثال الثانية قول سعد بن ناشب [2]:

لا تُوعِدنّا ، يا بلال فإننا   وإنْ نحنُ لم نشقُقْ عصا الدين أحرارُ

3 ـ الجملة الواقعة مفعولاً به : " وهي الجملة المحكية بالقول ، أو بما يرادفه ولم تقترن بحرف تفسير ، أو الواقعة في موقع المنصوب بفعل قلبي ، أو ما يقوم مقامه ، أو بفعل من أفعال التحويل أو ما يقوم مقامه ، أو بفعل جاء في قسم استعطافي يتضمن القصر " [3].

وحكم هذه الجملة النصب على المفعولية ، وقد تكون نائبة عن الفاعل فتكون في محل رفع [4]. كقول الله ـ تعالى ـ : (ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) [المطففين : 17] فجملة (هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) في محل رفع نائب فاعل للفعل المبني للمفعول (يُقال) .

ومثال الجملة التي في محل نصب جملة (هَلُمَّ إِلَيْنَا) من قول الحق ـ تعالى ـ: (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا) [الأحزاب : 18] .

---

(1) ينظر : فخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص 192 .
(2) المرزوقي : أبوعلي أحمد بن محمد بن الحسن : شرح ديوان الحماسة ، نشره : أحمد أمين وعبدالسلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ط 1 / 1951 ، 2 / 667 .
(3) فخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص 165 .
(4) ينظر : ابن هشام : مغنى البيب ، 2 / 49 .

والقول قد يأتي صريحاً كما سبق التمثيل له ، وقد يكون ضمناً ، كما في قول الله ـ تعالى ـ : (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا) [هود : 42] ، فجملة (يا بنيّ اركب معنا) مقول قول ، فُهِم من " نادى " .

هذا ما يخص الجملة المحكية بالقول أو ما يرادفه ، أما الجملة الواقعة في موضع نصب بفعل قلبي فمثل قول أبي ذؤيب [1]:

فإن تزعُميني كنتُ أجهلُ فيكم فإني شريْتُ الحلمَ بعدكِ بالجهلِ

فجملة " كنت أجهل " في موضع نصب مفعولاً ثانياً للفعل " تزعم " .

ومن الجمل الواقعة مفعولاً به الجملة التي في موضع نصب بفعل من أفعال التحويل ، وهي الواقعة مفعولاً ثانياً كجملة (تجري) في قول الله ـ تعالى ـ : (وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ) [الأنعام : 6] .

والجملة الواقعة في موقع المنصوب بفعل جاء في قسم استعطافي متضمن القصر ، محلها النصب على المفعولية كذلك ، وذلك نحو جملة " فعلت " من قولنا : نشدتك بالله إلا فعلت ، فالمعنى : ما سألتك إلا فعلَك [2].

4 ـ الجملة الواقعة مضافاً إليه : والجملة الواقعة مضافاً إليه تضاف إلى اسم قبلها ، ومحلها الجر ، وذلك في ثماني حالات[3] أشهرها :

أ ـ إضافة الجملة إلى اسم من أسماء الزمان سواء أكان ظرفاً أم غير ظرف ، وهذه الأسماء هي : إذ ، وإذا ، وبينا ، وبينما ، ولمّا الشرطية ، ومتى الشرطية ، وأيان الشرطية ، ومذ ، ومنذ ، وهَنَّا ، ويوم ، وحين ، وزمان ، وعام ، وساعة . . . ومثال ذلك قول الله ـ تعالى ـ : (وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ) [مريم : 33] ، ومثل : (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ) [المائدة : 6] .

---

(1) ينظر : المصدر السابق ، 2 / 54
(2) ينظر تفصيل المسألة : فخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص 172 . .
(3) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 58 وما بعدها .

ونحو قول الشاعر[1]:

تذكَّرَ ما تذكّرَ مِنْ سُليمـى   على حينِ التواصلُ غير دان

فجملة " التواصل غير دان " في محل جر بإضافة " حين " إليها .

ب ـ إضافة الجملة إلى اسم المكان المبهم : وأسماء المكان المبهمة : حيث ، وحيثما، وأينما ، وأنى الشرطية .

وتضاف " حيث إلى الجملة الاسمية أو الفعلية ، نحو قول الله ـ تعالى ـ : (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) [الأنعام : 124] فقد أضيفت هنا إلى الجملة الفعلية (يجعل) ، ولم يرد في القرآن إضافتها إلى الجملة الاسمية .

ومثال إضافتها إلى الجملة الاسمية : جلستُ حيث الأرض مخضرة ،ومثال إضافة " أينما " قول الله ـ جل وعلا ـ : (أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بخير) [النحل:76].

جـ ـ إضافة الجملة إلى " لدُن ، وريث " : وتأتي " لدن " اسم زمان أو مكان لابتداء الغاية [2]. وأصل إضافتها إلى المفرد نحو قول الله ـ تعالى ـ : (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) [ق : 35] ، ولكنها تضاف إلى الجملة الفعلية بشرط أن يكون فعلها متصرفاً مثبتاً ، كقول القطامي [3]:

صريعُ غوانٍ رَاقَهُنَّ ورُقْنَـه   لدُنْ شبَّ حتى شابَ سودُ الذوائبِ

---

(1) الشاهد في : ابن هشام : جمال الدين عبدالله بن يوسف: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق: إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 / 1997 م ، 1 / 381 . والأشموني: شرح الأشموني ، رقم (621) .
(2) ينظر : الرضي : شرح الكافية ، 2 / 123 . وابن يعيش : شرح المفصل ، 4 / 100 .
(3) القُطامي ، عمير بن شييم : الديوان تحقيق : إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى / 1960 ، ص 44 . وشرح الكافية ، 2 / 123 .

أمـا " ريـث " فهـي بمعنـى البـطء [1]، وهـي مصـدر " رَاثَ يريـثُ " ويضـاف فـي الأصل إلى المفرد كـ " لدن " ، لكنـه قد يعامل معاملـة اسم الزمـان فيضـاف إلـى الجملة الفعلية المثبتة التي فعلها متصرف ، كقول الشاعر [2]:

خليلي رفقاً ريْث أقضى لُبَانةً   من العَرَصات المُذْكِراتِ عهوداً

د ـ إضـافة الجملـة إلـى " ذو " : و " ذو " اسـم بمعنـى صـاحب ، وهـي مـن الأسـماء الخمسة ، وتضاف إلى المفرد ، وإلى الجملة ، ومثّلوا لها بقولهم : اذهب بذي تَسْلَم . أي اذهب في وقت صاحب سلامة[3] .

5 ـ الجملـة الواقعـة جوابـاً لشـرط جـازم مقترنـة بـ " الفـاء " أو " إذا " : وهـي الجملـة الخامسة من الجمل التي لها محل من الإعراب ، وتكون هذه الجملـة جوابـاً لأدوات الشـرط : إنْ ، وإذمـا ، ومَـنْ ، ومـا ، ومهمـا ، وكيفمـا ، وأيـان ، وأنـى ، وحيثمـا ، وأينما، وأيٍّ .

ومثالها قول الله ـ تعالى ـ : (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) [الروم : 26] ، ونحو قول الحق ـ جل وعلا ـ : (وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) [الأعراف : 132] .

ونحـو : (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) [البقرة : 185 [. ونحـو : (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ) [آل عمران : 115] .

وهذه الفاء الواقعة في جواب الشرط هي فـاء السبب ، وجـاءت للربط بين جملتـي الشرط والجواب لا لإفادة التشريك [4]. ومحل جملة الجواب هذه الجزم لأنها جواب الشرط ، ويقترن الجواب أحياناً بـ " إذا " الفجائية ، نيابة عن الفاء ، فتكون هـي الرابط، وذلك إذا

---

(1) الرضي : شرح الكافية ، 2 / 103 .
(2) الشاهد في : ابن هشام ، مغنى اللبيب ، 2 / 62 . رقم (780) .
(3) ينظر : المصدر السابق ، 2 / 60 .
(4) ينظر : الأشموني : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، 4 / 23 .

كانت جملة الجواب اسمية[1] ، غير طلبية ، ولم يدخل عليها نفي أو " إنّ " [2]، وذلك نحو قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم : 36] .

6 ـ الجملة الواقعة تابعاً لمفرد : وتقع الجملة تابعة لمفرد في ثلاثة أحوال هي :

أ ـ الجملة الواقعة نعتاً : وهي جملة خبرية تأتي بعد مفرد ، نكرة محضة أو غير محضة ، ، وتأتي جملة النعت لتخصيص النكرة ، أو لزيادة تخصيصها ، وتعرب هذه الجملة إعراب المفرد المنعوت فهي تابعة له في إعرابه ؛ فتكون في محل رفع كما في قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة : 254] فجملة (لا بَيْعٌ فِيهِ) نعت وهي في محل رفع ، ومنعوتها هو كلمة (يوم) .

وقد تكون الجملة في محل نصب كما في قول الله ـ تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة : 281] ، فجملة (ترجعون) نعت ، محلها النصب ، لأن منعوتها (يوماً) منصوب ، وتأتي جملة النعت في محل جر إذا كان منعوتها مجروراً كما في قوله ـ جل وعلا ـ : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران : 9] ، فجملة (لا ريب فيه) نعت لكلمة (يوم) .

وارتباط جملة النعت بمنعوتها يتم بواسطة رابط لفظي هو الضمير ، ويكون الضمير في جملة النعت ويعود على المنعوت ويطابقه في النوع والعدد .

ب ـ الجملة المعطوفة بالحرف : فقد تعطف الجملة بالحرف على مفرد يشبه الفعل، وهو المشتق ، أو المصدر الصريح[3] ، كما في قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ [الملك : 19] جاءت جملة (يقبض) معطوفة بالواو على كلمة (صافات) ، فالجملة في محل نصب ، وتقدير المعنى : صافات وقابضات .

(1) ينظر : ابن هشام : شرح شذور الذهب ، ص 322 .
(2) ينظر : الأشموني : شرح الأشموني ، 4 / 23 .
(3) ينظر : فخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص 241 .

جـ ـ الجملة الواقعة بدلاً من مفرد : وذلك نحو قول الله ـ جل وعلا ـ : (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) [الأنبياء : 3] . فأبدلت جملة (هل هذا إلا بشر) من (النجوى) ، فالجملة في محل نصب .

7 ـ الجملة الواقعة تابعة لجملة لها محل من الإعراب : وتقع الجملة تابعة لجملة أخرى في باب عطف النسق أو البدل [1]، ولا تكون الجملة نعتاً لجملة أخرى ، ويمتنع ـ كذلك ـ مجيء الجملة عطف بيان لجملة أخرى عند جمهور النحويين، لأن عطف البيان شبيه الصفة ونظيرها ، فكما أن الصفة لا تكون للجملة كذلك الأمر في عطف البيان[2] ، وأجاز أبو علي الشلوبين ، وجلال الدين السيوطي مجيء عطف البيان جملة [3] .

أ ـ الجملة الواقعة عطف نسق : وتعطف الجملة على أخرى بحرف من حروف العطف ، فتأخذ الجملة الثانية حكم الأولى في الإعراب ؛ فتكون في محل رفع أو نصب أو جر ، كقول الله ـ تعالى ـ (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً) [الزمر : 21] فجملة (َسَلَكَهُ يَنَابِيعَ] في محل رفع لأنها عطفت على جملة (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ) التي محلها الرفع ، لأنها خبر " أن " .

وتكون الجملة في محل جر إذا عطفت على جملة في محل جر نحو قول الله ـ تعالى ـ : (◌َاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ) [الأعراف : 86] ، فجملة (كثركم) عطفت بالفاء على جملة (كنتم قليلاً) التي محلها الجر بإضافة (إذْ).

وتعطف الجملة الاسمية على الاسمية ، والفعلية على الفعلية ، والشرطية على الشرطية ، هذا هو الغالب ، ويجوز عطف الاسمية على الفعلية ، أو العكس ، وذلك نحو عطف جملة (تصبح) على جملة (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)، وجملة (

---

(1) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 67 .
(2) ينظر : الرضي : شرح لكافية ، 1 / 307 . والأشموني : شرح الأشموني ، 3 / 89 .
(3) ينظر : السيوطي : همع الهوامع شرح جمع الجومع ، 1 / 248 ، الأشموني : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، 3 / 89 .

تصبح) فعلية عطفت على الاسمية ، وذلك في قول الحق ـ جل وعلا ـ:(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً) [الحج: 63] .

ب ـ الجملة الواقعة بدلاً : وتقع الجملة بدلاً من جملة أخرى بشرط أن تكون الثانية أوفى من الأولى في المعنى ، وأتم منها بتأديته ، أو أكثر منها وضوحاً [1]، ومن ذلك قول الله ـ تعالى ـ : (وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِين) الشعراء : [132 ـ 134] ، فالجملة الكريمة (أمدكم بأنعام) بدل من جملة (أمدكم بما تعلمون) ؛ وذلك لأن دلالة الجملة الكريمة الثانية على نعم الله مفصلة بينما الجملة الأولى مجملة ، فأفادت جملة البدل مزيد معنى وتوضيح .

وكذلك جملة " تُلْمِمْ " بدل من جملة " تأتنا " ، وهي في محل جر مثلها ، لأن جملة " تلمم " في محل جر لأنها مضاف إليه ، والمضاف " متى " وذلك في قول عبيد بن الحر [2]:

متى تأتنا تُلْمِمْ بنا ، في ديارِنا تَجِدْ حطباً جزلاً ، وناراً تأجّجا

هذه هي الجمل التي لها محل من الإعراب ، وهي سبع جمل عنى بها النحويون ، وهم بذلك يهملون جملاً أخرى ، أشار إليها بعضهم ؛ فابن هشام أشار إلى الجملة الواقعة مستثنى ، والجملة الواقعة مسنداً إليه ، وذكر أن النحويين أهملوا هاتين الجملتين عند حديثهم عن الجمل التي لها محل من الإعراب [3]، وبهذا فإن الجمل التي لها محل إعرابي تسع جمل ، ونذكر هنا شيئاً من أحكام هاتين الجملتين من حيث موقعهما الإعرابي .

8 ـ الجملة الواقعة مستثنى : وتختص هذه الجملة بالاستثناء المنقطع بـ " إلا " ، ومحل هذه الجملة النصب ، وذلك نحو جملة (مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ . فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ) في قول الله ـ تعالى ـ : (لست عليهم بمصيطر إلا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ . فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ) [الغاشية :

(1) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 67 .
(2) ينظر : سيبويه : الكتاب ، 1 / 446 ، والزمخشري ، الكشاف ، 3 / 104.
(3) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 68 .

21 - 24] ، وتوجيه ذلك : إن (مَنْ) مبتدأ ، وجملة (يعذبه الله) هي الخبر ، والفاء في (فيعذبه) زائدة [1].

9 - الجملة الواقعة مسنداً إليه ، ولها حالتان :

أ - الجملة الواقعة مبتدأ : وتقع الجملة مبتدأ كما في جملة (أنذرتهم) في قول الله - تعالى - : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) وتقدير المعنى " إن الذين كفروا إنذارهم وعدمه سواء غير مؤمنين " ، ويؤول (أنذرتهم) بمصدر هو : إنذار ، وخبر المبتدأ مقدم هو (سواء) [2]، ومثل ذلك جملة (أجزعنا) في الآية (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا) [إبراهيم : 21] .

ب - الجملة الواقعة فاعلاً أو نائباً عنه : وهي الجملة التي يسند إليها فعل قلبي معلق نحو جملة (ليسجننه) في قول الله - تعالى - : (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ) [يوسف : 35] ، والتقدير : ثم بدا لهم سجنُه . ومثل ذلك جملة (أهلكنا) في قول الله - تعالى - : (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ) [طه : 128] ، والتقدير : أفلم يهد لهم إهلاكُنا .

ووقوع الجملة فاعلاً أجازه بعض النحويين ، ولم يجزه آخرون ، وممن أجاز مجيء الفاعل جملة ثعلب وابن هشام مطلقاً ، وأجازه الفراء وآخرون ونسبوه لسيبويه ، وقيدوا ذلك بشرط كون الفعل قلبياً معلقاً[3] ، كما في الآيتين الكريمتين السابقتين .

وأما وقوع الجملة نائباً عن الفاعل ، فنحو جملة (الحمد لله) في قول الحق - تعالى - : (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الزمر : 75] ، وجملة (الحمد لله) في الأصل واقعة موقع المفعول به ، فلما بني الفعل قبلها للمفعول نابت عن الفاعل .

---

(1) ينظر : المصدر السابق ، 2 / 68 ، و 2 / 265 ، وفخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل، ص 197 .
(2) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 69 .
(3) ينظر : المصدر السابق ، 2 / 69 .

ـ معيار الدلالة العامة :

وتنقسم الجملة العربية من حيث الدلالة العامة إلى قسمين : جملة خبرية وجملة إنشائية ، ولكل قسم خصائصه ومميزاته :

أ ـ الجملة الخبرية : ويقصد بها الجملة التي تحمل مضموناً يحتمل الصدق أو الكذب ، " فإذا طابقت النسبة الداخلية في الكلام للنسبة (كذا) الخارجية فيه ، كان الكلام مطابقاً للواقع وكان صادقاً ؛ وإنْ لم تطابق النسبة الداخلية للنسبة (كذا) الخارجية ، كان الكلام غير مطابق للواقع وكان كاذباً ." [1] . والمقصود بالنسبة الداخلية في الكلام ـ هنا ـ النسبة العقلية التي هي الإسناد الحادث بين ركني الإسناد في الجملة ، اللذين هما: المسند والمسند إليه ، فمثلاً جملة : جاء زيد. النسبة الداخلية هي إسناد المجيء إلى زيد ، فإذا صحت هذه النسبة بمطابقتها للواقع ، وحدث فعلاً مجيء زيد كان الخبر صادقاً ، وإن لم تصح هذه النسبة واقعياً بانتفاء مجيء زيد كان الخبر كاذباً .

وتوصف الجملة بأنها خبر لاحتمالها الصدق أو الكذب من غير النظر إلى قائلها، فقد يكون القائل معلوم الصدق ، ويكون مضمون الجملة صادقاً ، وتوصف هذه الجملة بأنها خبر ، وذلك كجملة : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ) [القمر : 54] ، فهذه الجملة الكريمة تعد خبراً عند البلاغيين ، على الرغم من صدق مضمونها ، وتحقق صدق القائل ـ جلَّ وعلا ـ .

وللجملة الخبرية حالتان : إما أن تكون جملة اسمية ، أو فعلية ، وكلٌّ منها قد تكون مؤكدة أو غير مؤكدة ، ولكل نوع أغراضه ، وأنواعه . وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الثالث إن شاء الله ـ تعالى ـ .

---

(1) القزويني : تلخيص المفتاح ، ص 47 ـ 48 .

ب ـ الجملة الإنشائية : وهي الجملة التي لا يحتمل مضمونها الصدق أو الكذب " وذلك لأن الإنشاء ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه ." [1] ، ومثل ذلك قول الله ـ جل وعلا ـ : (رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) [البقرة : 285] ؛ فجملة " لا تؤاخذنا " نهي غرضه الدعاء ، والنهي والدعاء كلام إنشائي لأن مضمونه ليس له وجود في الواقع الخارجي قبل النطق به ، ولا يمكن أن يقال عن مثل هذه الجملة : إنها صادقة أو كاذبة .

والجملة الإنشائية نوعان : إنشاء طلبي ، وإنشاء غير طلبي .

أ ـ الإنشاء الطلبي ؛ " وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب " [2]، وله أقسام كثيرة أشهرها : الأمر ، والنهي ، والنداء ، والاستفهام ، والتمني ، ولكل قسم من هذه الأقسام أحكامه وخصائصه

ب ـ إنشاء غير طلبي : وهو ما لا يستدعي مطلوباً ، كالقسم والتعجب ، والمدح ، والذم ، والرجاء ونحو ذلك ، وعُني البلاغيون بالنوع الأول ، لما فيه من لطائف، ومزايا ولم يعنوا بالإنشاء غير الطلبي .

---

(1) عبدالعزيز عتيق : علم المعاني ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1405 هـ = 1985 م ، ص 69 .

(2) القزويني ، تلخيص المفتاح ، ص 99 .

المبحث الثالث

خصائص الجملة القرآنيـــة

الجملة القرآنية جملة عربيـة تختص بمـا تختص بـه الجملـة العربيـة غيـر القرآنيـة، وتمتـاز بمـا تمتـاز بـه ، هذا من حيث التركيـب العـام ، والخصـائص الرئيسـة : فمن حيث التركيب العام هي تتركب من المسند إليه والمسند والرابط بينهما الـذي هو الإسناد ، ومن حيث الخصائص فهي قد يحدث فيها تقديم وتـأخير ، وحـذف وإطنـاب ، وتعريف لأجزائها أو تنكير ، ونحو ذلك مما هو معلوم في علم النحو وعلم المعاني ، ومع هذا فإن الجملـة القرآنيـة لهـا خصائصـها التـي تميزهـا عن غيرهـا من الجمل العربيـة ، والبحث عن هذه

الخصائص بحث أسلوبي يحتاج إلى جهد كبير ، وإنعام نظر ومقارنة ، وليس هذا الأمر بالسهل اليسير .

إن البحث عن خصائص الجملة القرآنية يحتاج إلى دراسات موازنة : دراسة توازن بين الجملة الاسمية القرآنية وغير القرآنية ، وأخرى توازن بين التقديم والتأخير في الجملة القرآنية وفي غيرها وهكذا ، ومثل هذه الدراسات تكشف عن أوجه الإعجاز، والهدف من هذا البحث التقاط بعض أوجه تميز الجملة القرآنية ، وليس بحث جميع أوجه التميز ، فإن ذلك أمرٌ يحتاج إلى دراسات كثيرة ، وجهد كبير .

ويمكن دراسة خصائص الجملة القرآنية بتقسيمها إلى : خصائص التركيب ، وخصائص الترتيب ، وخصائص الذكر والحذف ، وخصائص التوكيد .

وفيما يلي أتناول بعض هذه الخصائص ليصل البحث إلى بيان السمات العامة للجملة القرآنية ، فيكون ذلك مدخلاً إلى دراسة الترابط بين الجمل الذي سيتناوله الفصلان الثالث والرابع .

- خصائص التركيب :

تتركب الجملة القرآنية من ثلاثة عناصر رئيسة هي المسند إليه ، والمسند ، والرابط بينهما ، وهو الإسناد الذي يسمى " الحكم " ، فجملة (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) [الفتح : 29] نجدها تركبت من المسند إليه " محمد " وهو المبتدأ هنا ، والمسند الذي هو الخبر " رسول " ، والعنصر الثالث هو الرابط بين المسند إليه والمسند ، والرابط هنا هو علاقة " الإسناد " وهو رابط معنوي ، يسمى الحكم ، فالجملة الاسمية هنا تركبت من هذه

العناصر الثلاثة الرئيسة ، وأفادت معنى هو إسناد الرسالة إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقيد المسند بالإضافة ، وهذا القيد عنصر من عناصر التركيب غير الرئيسة .

وإذا كان تركيب هذه الجملة القرآنية مثل تركيب الجملة غير القرآنية ، فترى ما الخصيصة التي تميزها عن غيرها ؟ . إن أهم ما يميز هذه الجملة القرآنية هنا أمران : أولهما تخيّر ألفاظها من بين ألفاظ اللغة المرادفة لها . وثانيهما وقوع هذه الجملة في موضعها الملائم من السياق بحيث إنها لو تقدمت أو تأخرت عن هذا الموضع لما أدت معناها الذي أدته بدقة . فأما بيان الميزة الأولى التي هي تخير الألفاظ فنجد أن المسند ـ مثلاً ـ في الجملة " رسول " له مرادفات منها : " مرسل ـ مبعوث... " .

وبتأمل هذه المرادفات سنجد أن أنسب كلمة لهذه الجملة هي الكلمة التي استعملها القرآن ، وأن أيَّ كلمة أخرى لا تؤدي المعنى المراد وذلك لأن كلمة " رسول " تناسب حروفها الحروف المستعملة في السياق ، فهي ذات حروف خفيفة على اللسان، فهي أخف من " مرسل " أو " مبعوث " ، وهي تضاف إلى لفظ الجلالة " الله " بغير واسطة حرف الجر بخلاف " مرسل " أو " مبعوث " التي نقول فيها : " مرسل من الله " و " مبعوث من الله " ، ودلالة الإضافة المباشرة أقوى من دلالة الإضافة بالحرف وذلك لأن الإضافة المباشرة تفيد التشريف والتكريم كما في قول الحق ـ تعالى ـ : (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا) [الفرقان : 63] ، وبتأمل سياق النص القرآني الشريف الذي وردت فيه الجملة الكريمة (مُحَمَّدٌ رَسُولُ) نجد أنه مقام ثناء وتكريم وتشريف فناسب ذلك هذه الإضافة المباشرة ولذلك فإن كلمة " رسول " أنسب من غيرها .

ومثل هذا الاختيار الدقيق للفظة المناسبة في الموضع المناسب لها نجده في آيات القرآن وجمله جميعها؛ ففي قول الله ـ تعالى ـ : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ

أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) [هود : 43] نجد أنَّ مجموعة الجمل المتتالية عبرت عن ما حدث بعد الطوفان ، فالسياق يصور الهدوء والسكون الذي حدث عقب الطوفان ، وبالنظر إلى أي جملة من هذه الجمل نجد أنها تركبت من كلمات تناسب هذا الهدوء ، فإذا نظرنا إلى جملة (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ) وجدنا المسند " قيل " بُني للمجهول ليدل على أنَّ الأمر صدر من الله من غير أن يسمعه من في الكون ، أو يرى قائله[1] ، وهذا ضربُ يناسب معنى الهدوء الذي يعبر عنه السياق .

وجاء اختيار حرف النداء " يا " لنداء الأرض دون الهمزة لأن استعمال الهمزة هنا يؤدي إلى ثقل في النطق إذا اجتمعت مع همزة " أرض " ، " وفُضّلت كذلك على " أيا " لما في هذه من زيادة تنبيه ليست الأرض ـ وهي رهن أمر الله ـ في حاجة إليه، وأوثر تنكير الأرض لما في ذلك من تصغير أمرها ، فالمقام هنا يستدعي ذلك التصغير، ويستدعي الإسراع بتلبية الأمر ، وذلك لا يكون مع التعريف المقتضى لإطالة الكلام بأيتها " [2] .

كما أن كلمة " ابلعي " جاءت لتُصيب مفصل المعنى ، وعين المراد ، فهي أدق تعبيراً من مرادفاتها : امتصي ، أو اشربي ، فابلعي عبرت عن إرادة اختفاء الماء بسرعة وهذا ما لا تعبر عنه كلمة : امتصي أو اشربي ، وكان تقييد الفعل بالمفعول " ماء " المضاف إلى ضمير الأرض ، وفي هذه الإضافة ما يوحي بأنَّ التكليف الصادر إليها من الله أمر سهل ميسور .

وقد فطن الجاحظ قديماً إلى دقة القرآن في تخير ألفاظه ، حين قال : " وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها ، وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم

---

(1) ينظر : أحمد أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ ، ص 55 .

(2) المصدر السابق ، والصفحة نفسها .

يذكر في القرآن الجوع ، إلا في موضع العقاب ، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر ، والناس لا يذكرون السغب ، ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر ، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام ، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر ، وذكر الغيث " [1].

ويزداد كلام الجاحظ وضوحاً بعقد مقارنة بين استعمال القرآن للفظتين مترادفتين في موضعين مختلفين ، وسياقين متباينين ، ولتكن المقارنة بين لفظة " مطر " و " غيث" فهما لفظتان مترادفتان ، ومع ذلك فإن دقة التعبير ، وإصابة البلاغة تجعل لكل لفظة منهما موضعاً يناسبها ، ومنزلاً يلائمها ، فإذا نظرنا في قول الله ـ تعالى ـ : (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) [الشورى : 28] ، وجدنا كلمة " الغيث " هي المستعملة هنا ، وفي كل مقام يتحدث عن الرحمة وما يتعلق بإنزال الماء النافع من السماء ، والسياق في الآية الكريمة يتحدث عن نعم الله ورحمته بعباده ، ويناسب هذا ذكر ما يغيث الله به عباده من ماء نازل من السماء ، فاستعملت كلمة " الغيث " لما تدل عليه من معنى النجدة والإغاثة التي تناسب لفظة " قنطوا " في الآية ، فإن ما بين القنوط ونزول الغيث مناسبة حيث إنَّ القنوط يدل على الجوع والفاقة التي يطلب أصحابها الإمداد والعون ، ونزول " الغيث " يدل على حلول الخير والرزق المطلوب .

والقرآن في مقام العذاب والإهلاك يستعمل كلمة " المطر "، قال الله ـ تعالى ـ: (ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآَخَرِينَ . وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) [الشعراء : 172 - 173] . فكلمة " مطر " جاءت في سياق العذاب لمناسبتها لذلك السياق .

---

(1) الجاحظ : البيان والتبيين ، 1 / 20 .

وخلاصة الأمر في هذا المسلك من مسالك التميز أنه راجع إلى فصاحة أبنية كلمات القرآن ، " وعذوبة تركيب أحرفها ، وسلاسة صيغها ، وكونها مجانبة للوحشي الغريب ، وبعدها عن الركيك المسترذل ، ألا ترى قوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ) [الشورى : 32] لم يقل الفلك لما في الجري من الإشارة إلى باهر القدرة ، حيث أجراها بالريح ، وهي أرق الأشياء وألطفها ، فحركت ما هو أثقل الأمور وأعظمها في الجرم ، وقال : (فِي الْبَحْرِ) ولم يقل في الطمطام ، ولا في العباب وإن كانت كلها من أسماء البحر ، لكون البحر أسهل وأسلس ، ثم قال : (كَالأَعْلامِ) ولم يقل كالروابي، ولا كالآكام ، إيثاراً للأخف المتلذ به ، وعدولاً عن الوحشي المسْتَرَكّ"[1].

ويضاف إلى فصاحة أبنية الكلمات وعذوبة تركيب أحرفها وسلاستها أمر آخر أشار إليه الرافعي ، وسماه " روح التركيب " ، ويقصد به أن الكلمة تكتسب خصوصية إذا دخلت في التركيب القرآني " الجملة " ، فترى " للفظ من الألفاظ فيه معنى ؛ ثم ترى كأن لهذا المعنى في التركيب معنى آخر ، هو الذي يفيض على النفس ويتصل بها فكأنه كلام مداخلُ وكأن اللغة فيه لغتان " [2].

هكذا يجد المتأمل للجملة القرآنية أن القرآن يختار الألفاظ اختياراً دقيقاً عجيباً ، وينبني على ذلك أن الجملة تتركب تركيباً بديعاً لا يمكن أن ينوب عنه أيّ تركيب آخر ليؤدي المعنى المراد المقصود من السياق ، وهناك وجه آخر لدقة التعبير في الجملة القرآنية ، حيث تقع الكلمة أو الجملة في موضع يلائمها ويناسبها ، فلا يمكنها أن تتقدم عليه

---

(1) العلوي : الطراز ، 3 / 120 - 121 .

(2) الرافعي ، مصطفى صادق : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى / 1421 هـ = 2000 م ، ص 174 .

أو تتأخر ، وهذه الخصيصة الثانية التي تميز الجملة القرآنية ، ويمكن أن يسمى هذا النوع خصائص الترتيب ، وهي خصائص تتعلق بالتقديم والتأخير .

- خصائص الترتيب :

ولخصائص الترتيب مستويان : مستوى يكون داخل الجملة الواحدة ، ومستوى آخر يكون بين الجمل أي داخل النص ؛ فمن أمثلة المستوى الأول تقدم الخبر على المبتدأ ، والمفعول على الفاعل ، أو تقدم المفعول على الفعل والفاعل ، ونحو ذلك مما هو مدروس في باب التقديم والتأخير في علم المعاني ، ولنسق أمثلةً تُبَيّن هذين المستويين وتكشف عن حقيقتهما .

قال الله ـ تعالى ـ : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) [القيامة : 22 - 23] ، فقد تقدم الجار والمجرور (إِلَى رَبِّهَا) على المسند إليه (نَاظِرَةٌ) ، ورتبة المسند إليه التقديم لأنه المحكوم عليه ، والمسند وما يتعلق به رتبته التأخير لأنه محكوم به [1] ، فالترتيب هنا لم يأت وفق العرف الأصل ، وإنما جاء خلاف ذلك لغرض بلاغي ، وسر معنوي يقتضيه المعنى المراد من الجملة القرآنية .

والمعنى المقصود هنا هو إفادة تخصيص النظر من الوجوه إلى الله ، فهذه الوجوه الناضرة لا تنشغل بالنظر إلى ما هو دون ، بل إن نظرها إلى ما هو أعلى درجات النعيم ، وأرقى مراتب السعادة ، هذا هو المعنى المراد الذي استدعى التقديم للجار والمجرور ، ثم إن هذا التقديم استوجب تأخير المسند إليه (نَاظِرَةٌ) ، وكان هذا التأخير لغرض بلاغي آخر هو تناسق السجع الموجود في السياق الذي وقعت فيه هذه الجملة القرآنية .

---

(1) ينظر : المراغي : علوم البلاغة ، ص 104 .

إنَّ الترتيب بين أجزاء الجملة القرآنية لا يأتي كيفما اتفق ، أو للتنوع في طرائق التعبير ، وإنما يأتي لأداء معنى مقصود ، وتحقيق غرض مطلوب ودلالة مرادة ، وكل هذا يحدث بأسلوب بليغ معجز ، يمكن للمتأمل الذي يمعن النظر ، ويعمل التفكير أن يصل إلى سره البلاغي ، وغرضه المعنوي .

وقد رأينا في الجملة الكريمة السابقة أن التقديم والتأخير كان مفيداً من جهة المعنى ، ومفيداً من جهة اللفظ ؛ فأما الفائدة المعنوية فتمثلت في إرادة معنى التخصيص، وأما الفائدة اللفظية فهي المحافظة على الجرس الذي يحدثه السجع في السياق .

وهناك نوع آخر من الترتيب بين أجزاء الجملة القرآنية يفيد زيادة في المعنى فحسب ، وذلك نحو تقديم المفعول به (اللَّهَ) على الفعل والفاعل في قول الحق ـ جل وعلا ـ : (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ) [الزمر : 66] ، فتقدم (اللَّهَ) على الفعل والفاعل أفاد معنى التخصيص ، أي : تخصيص الله بالعبادة دون غيره ، وقصرها عليه دون سواه ، ولو جاءت الجملة على غير هذا الترتيب لما أفادت هذا المعنى .

وتظهر دقة التعبير القرآني في الترتيب بين أجزاء الجملة في كل جمله وآياته لاسيما دقته في أسلوب الاستفهام ، ومثال ذلك ما جاء في قول الحق ـ تعالى ـ : (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) [الصافات : 153 ـ 154]، فأما همزة الاستفهام فلها صدر الجملة ، وجاء الفعل " اصطفى " بعد الهمزة مباشرة متقدماً على " البنات " ، وذلك لأن المعنى المقصود هو إنكار حدوث الاصطفاء من أصله ، وتكذيب المشركين الذين ادعوا أن الله اختار الملائكة بنات له ـ تعالى الله عن ذلك ـ ، إن هذا المعنى لا يمكن أن يؤدى بهذه الدقة إذا تغير ترتيب عناصر هذه الجملة ، فتقديم " البنات" ـ على سبيل المثال ـ فيقال : ألبنات اصطفى على البنين ؟ سينتج عنه معنى آخر هو

إنكار اصطفاء البنات ، وإنكار اصطفاء البنات لا يعني إنكار اصطفاء البنين ، بل قد يفهم إثبات اصطفاء البنين ، وهذا المعنى غير مقصود لأن الله ـ جل وعلا ـ أراد إنكار حدوث الاصطفاء أصلاً لأنه لم يقع البتة .

ومن مواضع التقديم والتأخير التي تظهر دقة التعبير القرآني تقديم " شاخصة " على " أبصار " في قول الله ـ تعالى ـ : (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) [الأنبياء : 97] ، فتقديم هذه الصفة التي هي الشخوص على أبصار يصور للمتلقي أنَّ كل صفة من صفات الأبصار الأخرى كأنها قد انمحت ، ولم يبق إلا هذه الصفة ، وهي صفة الانفتاح من غير طرف ، وأفاد هذا المعنى بيان حال هؤلاء الكافرين ، حيث أصابهم الذهول والخوف [1].

ولا تقتصر دقة الترتيب في الجملة القرآنية على الترتيب بين المسند والمسند إليه بل قد يكون الترتيب بين المعطوف والمعطوف عليه كما في قوله ـ تعالى ـ : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة : 222] ، فتقدم ذكر " التوابين " على المتطهرين لأنَّ التوبة طهارةٌ للباطن ، والطهارة الحسية طهارة ظاهرة ، والطهارة الباطنة أصل ، وهي مقدمة على الطهارة الظاهرة .

ومن هذا الباب تقديم الشيء لشرف المقدم ، وعلو رتبته ، كتقديم الأمر بطاعة الله على الأمر بطاعة الرسول ، وتقديم طاعة الرسول على الأمر بطاعة أولي الأمر؛ قال الله ـ تعالى ـ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ) [النساء : 59] .

---

(1) ينظر : أحمد أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص 113 .

وهكذا نرى دقة الجملة القرآنية وخصوصيتها في ترتيب أجزائها ؛ فهي تأتي على نسق فني محكم البناء ينم عن بلاغة معجزة ، ويكشف عن معانٍ بديعة مقصودة .

- خصائص الذكر والحذف :

وكما كان لتركيب الجملة القرآنية خصوصية ، ولترتيب أجزائها تميزٌ وتفرد ، فإن للذكر أو الحذف فيها خصوصية وتميزاً كذلك ، فالجملة القرآنية لا يذكر فيها عنصر أو يحذف إلا بدقة متناهية لتؤدي الجملة بهذا الذكر أو الحذف المعنى أداءً مؤثراً، وقد أسفرت دراسات الإعجاز البلاغي للقرآن عن هذه الحقيقة وأثبتتها بالشواهد الكثيرة التي يضيق المقام عن عرضها وسردها ، ويمكن أن يعرض البحث هنا لبعض هذه الشواهد مع تحليلها تحليلاً موجزاً.

قال الله ـ تعالى ـ : (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) في هذه الآية الكريمة نجد اسم الإشارة " أولئك " ذكر في الجملة الثانية ، وهو تكرار له بعد ذكره في الجملة الأولى ، وفي غير القرآن يمكن أن يقال : أولئك على هدى من ربهم وهم المفلحون . من غير تكرير لاسم الإشارة ، ولكنَّ هذا التكرار بذكر اسم الإشارة في صدر الجملة الثانية المستأنفة ينطوي على سر بلاغي لطيف ، وغرض معنوي دقيق لا يظهر إلا بالتأمل والتدبر .

إن الغرض المعنوي الدقيق الذي ينطوي عليه هذا الذكر اللطيف هو إثبات اختصاص المؤمنين بالفلاح واستحقاقهم له ، واستأثارهم به كما كان استئثارهم بالتمكن من الهداية الربانية ، فذكر " أولئك " أدى هذا المعنى ، ولو لم يذكر وحذف لكان المعنى: أولئك المؤمنون على هدى من ربهم آثرهم به ، وخصهم ، وهم موصوفون بالفلاح .

فالجملة من غير ذكر اسم الإشارة تثبت اتصاف المؤمنين بالفلاح فحسب ، وكونهم موصوفين بالفلاح لا يعني اختصاصهم به ، وقصره عليهم ، وإنما يحتمل أن يكونوا موصوفين بالفلاح هم وغيرهم.

ومن الجمل القرآنية التي جاء ذكر المسند فيها لغرض بلاغي جملة (يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) [يس : 79] وذلك في سياق الآيات التي تعرض إنكار الكافر للبعث ، قال الله ـ تعالى ـ : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [يس : 78 - 79] ، فقد ذكر المسند الذي هو " يحييها " في جملة جواب الاستفهام ، وكثيراً ما يحذف المسند في جواب الاستفهام لأنه معلوم من جملة الاستفهام ، فيقال في غير القرآن ـ مثلاً ـ من يحيي العظام ؟ فيجاب : الله . وإذا قارنا بين الجملتين : الجملة القرآنية التي ذكر فيها المسند ، والجملة التي مُثّل بها وقد حذف المسند منها وجدنا فرقاً معنوياً ، فأما الجملة القرآنية فإنها تصلح للرد على من سأل عن محيي العظام إنكاراً لإحيائها ، فحسن أن يذكر المسند " يحيي " للرد على إنكاره ، وتأكيداً لحدوث الإحياء يوم البعث .

وأما الجملة التي مُثل بها فهي تصلح أن تكون جواباً لمن سأل عن محيي العظام جهلاً به ، فيقال له : الله ، فيحسن هنا حذف المسند لعدم تعلق السائل به ، وإنما كان تعلقه بالفاعل " المسند إليه " فيأتي الجواب متضمناً له ، وبهذه المقارنة بين الجملتين يظهر أن الجواب في الجملة الثانية لا يصلح أن يكون مكان جواب الجملة الأولى ، وهذا يكشف دقة التعبير القرآني ، حيث إن ذكر المسند أدى معنى مقصوداً لا يمكن أن يفهم من الجملة إذا حذف المسند منها .

ونجد مثل هذه الدقة المعنوية للذكر في باب الحذف في الجمل القرآنية وباب الحذف باب دقيق عجيب ، قال عنه عبدالقاهر الجرجاني : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن " [1].

فالحذف في مواضع يكون أفصح من الذكر ، وأكثر فائدة ، وأدقّ تعبيراً ، وأوضح بياناً ، وذلك إذا وقع في مكانه المناسب ، فكما ظهرت للذكر محاسنه ودقائقه في الجمل القرآنية التي مُثِل بها سابقاً فإن للحذف محاسن ودقائق تظهر بتأمل مواضعه في الجمل القرآنية ، فعلى سبيل المثال نجد أن المسند إليه " المبتدأ قد حذف من جملة (عَجُوزٌ عَقِيمٌ) في الآية القرآنية التي أخبرت عن حال زوج إبراهيم ـ عليه السلام ـ عندما بشرته الملائكة بغلام عليم ، قال الله ـ تعالى : (. . . وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ . فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) [الذاريات : 28 ـ 29] ، والتقدير : وقالت : أنا عجوز عقيم .

وكان حذف المبتدأ " أنا " من هذه الجملة القرآنية لأنه معلوم ، وظاهر بالقرائن، " فذكره حينئذ يعد عبثاً في الظاهر " [2] ، فحسن الحذف ليأتي الكلام موجزاً يلائم السياق الذي جاءت فيه هذه الجملة ، إذ إن السياق يظهر فيه الإيجاز ، وتسارع الأحداث بوضوح ، ويمكن أن ندرك ذلك من تأمل الآيات التي جاءت هذه الجملة في سياقها ، قال الله ـ تعالى ـ : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ . فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ . فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ . فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ

(1) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 112 .
(2) المراغي : علوم البلاغة ، ص 63 .

خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ . فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ . قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) [الذاريات : 24 - 30] .

فالأفعال المتتالية في الآيات تدل على سرعة الأحداث ، لنتأمل - مثلاً - : " إذ دخلوا - فقالوا - قال سلام - فراغ - فجاء - فقربه " ، فقد تتابعت الأفعال وعطف بعضها على بعض بالفاء ليدل ذلك على تعاقب الأحداث وتتابعها ، وهذا التعاقب والتتابع له دلالة معنوية هي " السرعة " التي يناسبها الإيجاز .

ومن بليغ الحذف في الجمل القرآنية حذف المسند من الجملة كحذفه من جملة (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) [الأنفال : 41] . فجملة : فأن لله خمسه . حذف منها الخبر ، والتقدير : فأن لله خمسه واجبٌ ، قال الزمخشري : " كأنه قيل فلابد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه من حيث إنّه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك : ثابت واجب حق لازم وما أشبه ذلك كان أقوى لإيجابه من النص على واحد "(1) ، فحذف الخبر هنا " المسند " أفاد " تكاثر المعنى نظراً لكثرة الوجوه التي تصلح لتقدير المحذوف "(2) ، ومثل هذا الحذف يجعل الجملة ذات دلالات معنوية متعددة ، فيكون التعبير عن مجموعة من المعاني بجملة واحدة ، وكل هذه المعاني المحتملة المقدرة مقصودة ، وفي هذا التكاثر المعنوي يكمن سر تأثير هذا الحذف ، وتنطوي فيه المزية .

وبناءً على ما تقدم فإن الحذف في الجملة القرآنية يكسبها خصوصية وتميزاً ، وهذه الخصوصية ، وهذا التميز يرجعان إلى أسرار الحذف التي لا يمكن حصرها لأنها تتعدد بتعدد المقامات ، ومقامات الكلام تفوق الحصر ، وأغراض الكلام تتعدى القصر .

---

(1) الزمخشري : الكشاف ، 2 / 126 .
(2) محمد أبوموسى : خصائص التراكيب ، ص 215 .

ذلك لأنـه لكل مقام مقال ، ومع هذا فإن للحذف ثلاث خصائص عامة تتمثل في : تحقق الإيجاز في الجملة مع ثراء المعنى ، وتحقق قصر الجملة وحفظها من التمدد الثقيل ، وتحقيق الإثارة الحسية والفكرية لدى المتلقي حين يعول عليه في تقدير المحذوف [1].

ـ خصائص التوكيد :

قد تأتي الجملة القرآنية خالية من المؤكدات ، وتأتي أحياناً أخرى مؤكدة بمؤكد أو أكثر ، وتأكيد الجملة وعدمه ليس نوعاً من التفنن في طرق التعبير ، وإنما يكون لغرض معنوي ، وسر بلاغي ، وقد بحث علماء البلاغة قضية التوكيد وأسراره عند حديثهم عن " أضرب الخبر " ، وسأكتفي هنا بإيراد بعض الجمل القرآنية التي كان توكيدها أو خلوها من التوكيد لغرض من الأغراض البلاغية .

تخلو الجملة القرآنية من التوكيد لأن المخاطب بها خالي الذهن من مضمونها كما في جملة : (ألم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [البقرة:1-5].

فهذه الجملة جاءت خطاباً للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وللمسلمين الذين آمنوا ، وكان مضمونها هو إثبات تحقق الهداية لمن اتصف بالصفات المذكورة في الجمل السابقة ، ولأن المخاطبين خالو الذهن من مضمون هذه الجملة جاءت خاليةً من التوكيد وفقاً لمقتضى الظاهر ، إذ لا حاجة للتوكيد في مثل هذه الحالة، ولو جاءت الجملة هنا مؤكدة لكان التوكيد حينها حشواً لا مبرر له ، والكلام البليغ لا يحدث فيه مثل هذا الحشو .

---

(1) ينظر : المصدر السابق ، ص 213 .

وتتضح أهمية التوكيد من عدمه إذا قارنا بين هذه الجملة المذكورة آنفاً وبين جملة أخرى هي قول الله ـ تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) [الأنبياء : 101] . فهذه الجملة جاءت مؤكدة بـ " إن " ، وذلك لأن المخاطبين بها يشكون في مضمونها ويترددون في قبوله فحسن مجيئ الجملة مؤكدة لتثبيت هذا المضمون في نفوسهم ليزول شكهم ، وبيان ذلك أنه لما نزل قول الله ـ تعالى ـ : (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) [الأنبياء : 98] . شق على الكفار من قريش هذا ، وقالوا : شتم آلهتنا ، وأتوا ابن الزبعري وأخبروه ، فقال : لو حضرته لرددت عليه . قالوا : وما كنت تقول له ؟ قال : كنت أقول له : هذا المسيح تعبده النصارى واليهود تعبد عزيراً افهما من حصب جهنم ؟ فعجبت قريش من مقالته ، ورأوا أن محمداً قد خصهم ؛ فأنزل الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) [1].

هذا هو سبب نزول الآية الكريمة ، وهو يبين أن الخطاب بها موجه إلى الكفار من قريش ، وأنهم دَاخَلَ نفوسَهم شيءٌ من تصديق مضمون الآية ، ولكن ردّ ابن الزبعري أعاد إلى نفوسهم الشك ، فهم مترددون في قبول الحكم ، ومثل هذه الحالة التي هي الشك والتردد تحتاج إلى كلام مؤكد ليزيل الشك والتردد من نفوسهم ، فأكد لهم ، وأُخبِروا بأن آلهتهم المعبودة من دون الله التي هي الأصنام ستكون معهم في جهنم ، أما الذين سبقت لهم من الله الحسنى كعيسى وعزير ، فإنهم مبعدون عن نار جهنم .

إن المقارنة بين هاتين الجملتين التي ذكرتا آنفاً يظهر أهمية التوكيد في بعض الحالات ؛ حيث خلت الجملة الأولى من التوكيد وكان المخاطب بها خالي الذهن ، وأكدت الجملة الثانية بمؤكد والمخاطب بها شاك متردد ، وتحسن زيادة التوكيد إن كان المخاطب

(1) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 11 / 343 .

منكراً جاحداً ، وذلك كما في جملـة : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآَيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) [النحل : 65] ، فالخطاب في هذه الجملة موجـه إلـى الكـافرين الـذين لـم يؤمنـوا بوحدانيـة الله ـ جل وعلا ـ وأنكروا الأدلة الواضحة التي جاءت بها آيات القرآن ، وهـي تلفت أنظارهم إلى مخلوقات الله[1]، ومن أجل إنكارهم هذا أكدت الجملة بمؤكدين هما: " إن" ، و "اللام".

وخلاصة الأمر أنَّ التوكيد في الجملة يأتي لغرض بلاغي ، ويكون حسناً إذا كـان الخطاب موجهاً لشاكٍ أو منكر جاحد ، أمّا غير المنكر وغير الشاك إذا كـان خـالي الـذهن فإن الجملة تلقى إليه خالية من التوكيد ، وهذا الذي قرره علماء المعـاني ، فـي حالـة مجـيء الجملة الخبريـة علـى مقتضـى الظـاهر ، بيد أن أغراض الكلام ودواعيه قد تجعل الكلام يخرج عن مقتضى هذا الظاهر ؛ فيحسن ترك التوكيد مـع تحقق الإنكـار أو يحسـن التوكيد مع عدم الإنكار ويحدث ذلك لتحقق الجملة غرضاً بلاغياً ما .

وسيتناول البحث قضية خـروج الخبـر عـن مقتضـى الظـاهر فـي الفصـلين الثالـث والرابع ، وسيأتي بيان بعض أسرار الجملة القرآنيـة وخصـائصـها المتعلقـة بتوكيدها وذلـك عند الحديث عن ترابط الجمل القرآنية في حالاتهـا المختلفـة من حيث الأضـرب المعروفـة للخبر .

---

(1)   ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 14 / 198 .

الفصل الثالث

الرَّوابط المعنويَّة بين الجمل الاسميَّة في القرآن الكريم

- المبحث الأول : ربط جملة الاستئناف المجرد .
- المبحث الثاني : ربط جملة الاستئناف الحرفي .
- المبحث الثالث : ربط الجملة التابعة .

تمهيد

تعرفنا في الفصل الثاني على الروابط المعنوية التي تربط بين الجمل ، وتبين أنَّ هذه الروابط علاقات غير ملفوظة في الكلام ، وإنما تدرك من خلال تأمل النص ، وتدبر معانيه ، وهذه العلاقات تتنوع بتنوع السياقات النصية ، وتتعدد بتعدد المعاني ، فمنها علاقة التقابل ، وعلاقة السببية ، وعلاقة البيان ، وعلاقة التوكيد ، ونحو ذلك من العلاقات التي سيكشف عنها التطبيق على الجمل القرآنية في هذا الفصل .

ولما كانت الجمل العربية تنقسم إلى قسمين رئيسين هما : الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، فإن البحث سيتناول بحث الروابط المعنوية بين الجمل الاسمية في هذا الفصل ، وسيأتي بحث الروابط المعنوية يبن الجمل الفعلية في الفصل الرابع ـ إن شاء الله ـ .

إن الباحث المتأمل عن الروابط بين الجمل القرآنية بصفة خاصة ، والجمل العربية بصفة عامة يكشف عن وجود الترابط المعنوي بين الجمل في ثلاث حالات هي: ارتباط الجملة الاستئنافية المجردة ، وارتباط جملة الاستئناف الحرفي ، وارتباط الجملة التابعة ، وبناءً على ذلك فإن البحث في هذا الفصل سيكون في مباحث ثلاثة ؛ المبحث الأول سيخصص في بحث ربط جملة الاستئناف المجرد ، والمبحث الثاني يبحث ربط جملة الاستئناف الحرفي ، والمبحث الثالث يتناول ربط الجملة التابعة .

وقبل أن يخوض البحث في تناول هذه الأنواع الثلاثة فإنه يقدم مفاهيم المصطلحات المستخدمة في هذا الفصل ، وأبرز هذه المصطلحات : الاستئناف ، والاستئناف المجرد ، والاستئناف الحرفي .

الاستئناف لغة : الابتداء ، يقال " استأنفت الشيء إذا ابتدأته " [1]، وهو عند النحويين يقصد به شيئان : الأول : الجملة الابتدائية المفتتح بها الكلام وليس قبلها جملة . والثاني : هو الجملة التي تأتي في أثناء الكلام ، وقبلها كلام تام [2]. والقصد هنا بحث النوع الذي يأتي في أثناء الكلام .

وللجملة الاستئنافية ضربان : ضرب مجرد ، وهو ما كان استئنافاً من غير حرف من حروف الاستئناف المعروفة ، وضرب مقترن بحرف من حروف الاستئناف، ويمكن تمييز الضربين بتسمية الضرب الأول : الاستئناف المجرد ، وتسمية الثاني : الاستئناف الحرفي ، ومثال الاستئناف المجرد جملة (لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَى) من قول الله ـ تعالى ـ : (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ . وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ . لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) [الصافات : 6 - 8] ، ومثل جملة (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ) من قول الله ـ تعالى ـ : (فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) [يس : 76] .

وأما الاستئناف الحرفي فتكون فيه الجملة مقترنةً بحرف من حروف الاستئناف، فقد تقترن بالواو ، أو الفاء ، أو أم المنقطعة ، أو "بل " التي تفيد الإضراب ونحو ذلك، ومثالها جملة (وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ ما نشاء) من قول الله ـ جل وعلا ـ : (لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ ما نشاء) [الحج : 5] . ومثل جملة (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) من قول الله ـ تعالى ـ : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) [الأعلى : 14 - 16] .

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ، مادة " أنف " .
(2) ينظر : السكاكي : مفتاح العلوم ، ص 228 .

المبحث الأول

ربط جملة الاستئناف المجرد

تأتي الجملة المستأنفة المجردة من حرف الاستئناف مؤكدة أو غير مؤكدة ، وبناء على ذلك فإنه يمكن تقسيمها إلى أقسام ثلاثة رئيسة : استئناف ابتدائي ، وطلبي ، وإنكاري .

1 - الاستئناف المجرد الابتدائي :

وهو الاستئناف الذي يخاطب به خالي الذهن من مضمون الخبر ، ويأتي خالياً من المؤكدات ، نحو جملة (أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ) من قول الله - تعالى - : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [البقرة : 2 - 5] ، فقد جاءت جملة (أُولَئِكَ عَلَى هُدىً) خالية من مؤكدات الخبر ، وهي جملة استئنافية اسمية ، والاستئناف بياني " لأن السامع إذا سمع ما تقدم من صفات الثناء عليهم ترقب فائدة تلك الأوصاف " [(1)] . فتأتي الجملة المستأنفة لتخبر بذلك .

وكان الاستئناف بالجملة الاسمية الدالة بأصل وضعها على الثبوت ، والمسند إليه فيها اسم إشارة والتعبير به في الاستئناف أكثر وقعاً [(2)]، وأجمل معنى حيث إنه أشير به إلى الصفات السابقة جميعها التي أثنى عليها الله - تعالى - وذلك بخلاف الاستئناف بإعادة ذكر اسم المقصودين أو ذكر ضميرهم ؛ فإن ذكر اسمهم أو ضميرهم يدل على كونهم " على هدى " فحسب ، أمَّا التعبير باسم الإشارة فهو أبلغ لأن التعبير به مبتدأ يوحي بالتنويه

---

(1) ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، تونس - طرابلس ، تونس والجماهيرية ، من غير تاريخ ، 1 / 242 .

(2) ينظر : التفتازاني ، ، سعد الدين مسعود بن عمر : المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، تحقيق : عبدالحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 / 1422 هـ= 2001 ، ص 201.

بالمقصودين ، والتنويه بصفاتهم المذكورة المشار إليها ، وهذا التعبير يوحي من طرف خفي بالثناء على المشار إليهم وجدارتهم بما أشير إليه وحكم به لهم [1].

وكان هذا الاستئناف مرتبطاً ارتباطاً معنوياً بجملة اسمية سابقة هي قول الحق ـ تعالى ـ : (فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ . . . .) ووجه هذا الارتباط أن الحكم المستفاد من الاستئناف الذي هو مضمون الخبر نتيجة مترتبة على مضمون الكلام السابق ؛ فالحكم بكون المؤمنين مهتدين راسخين في الهداية نتيجة مترتبة على التقوى والإيمان بالغيب . . . ، فالعلاقة الرابطة بين الجملة الاستئنافية (أُولَئِكَ عَلَى هُدىً . . .) وما قبلها علاقة السببية ، إذ إن سبب جدارتهم بتحقق الهداية ، ورسوخ أقدامهم وثباتهم فيها هو اتصافهم بالتقوى والإيمان وإقام الصلاة . . .

وهذه العلاقة السببية هي التي سوَّغَتْ الربط المعنوي فاستغنى عن الربط اللفظي بالعطف ، وكان الاستئناف بما يحمل من دلالات معنوية أدق تعبيراً وأكثر فائدة لأنه بمجيئه جملة جديدة زاد في عدد جمل السياق ، وزيادة الجمل زيادة في المعاني ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية أفاد الاستئناف المدح والثناء على المشار إليهم بـ " أولئك "، وتعظيم أمرهم ، ورفع قدرهم ، وهناك فائدة بلاغية أخرى من الاستئناف ، هي مجيء الكلام بأسلوب غير الأسلوب السابق وهذا يجدد نشاط السامع ، فبعد أن قرعت سمعه صفات المتقين معطوفاً بعضها على بعض مترابطة ترابطاً لفظياً بالواو العاطفة ، جاءت فائدة هذه الصفات بأسلوب مغاير (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ). وهذا من باب التنوع الأسلوبي الذي يستميل السمع ، ويثير العقل ، ويدعو إلى التأمل والتفكر، ولا شك في أَنَّ ذلك التأمل غرض من أغراض القرآن الكريم .

ويسمي البلاغيون مثل هذا فصلاً لأن الجملة المستأنفة لم تعطف بالواو على الكلام الذي سبقها ، ويرجعون سبب الفصل إلى " شبه كمال الاتصال " بين الجملة المستأنفة والجملة التي قبلها ، فالجملة المستأنفة جواب عن استفهام أوحت به الجملة التي قبلها ،

---

(1) ينظر : السكاكي : مفتاح العلوم ، ص 161 .

وحقيقة الأمر أن بين الجملة المستأنفة والجملة التي قبلها ترابطاً معنوياً قوياً أغنى عن دخول حرف العطف الذي هو رابط لفظي ، ومصدر هذا الترابط هو العلاقة المعنوية السببية التي أشير إليها آنفاً .

وجاء الاستئناف المجرد الخبري بالجملة الاسمية المرتبطة بجملة اسمية قبلها في القرآن الكريم ابتدائياً في مواضع كثيرة منها [1]: [*]

1 - (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) [البقرة : 2] .

2 - (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) [البقرة : 14 - 15] .

3 - (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة : 39] .

4 - (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [البقرة : 145 - 146] .

5 - (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ) [البقرة : 253] .

6 - (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) [البقرة : 273 - 274] .

7 - (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ) [آل عمران : 96 - 97] .

8 - (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [آل عمران: 107] .

---

(1) ينظر : محمد عبدالخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة، مصر ، من غير تاريخ ، 11 / 290 ، 310 ، 317 .

(*) الجملة المستأنفة المقصودة هي التي فوق الخط .

9 - (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) [النساء : 157] .

10 - (أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ) [الأنعام : 70] .

11 - (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) [التوبة : 36] .

12 - (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) [هود : 100] .

13 - (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) [الدخان : 3 - 4] .

14 - (مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) [الرحمن : 54] .

15 - (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً . تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ . لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ . لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ) [الغاشية : 2 - 8].

2 - الاستئناف المجرد الطلبي :

وهو ما كان المخاطب به متردداً شاكاً في مضمون الخبر فيأتي الخبر مؤكداً بمؤكد واحد ، وذلك نحو جملة (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) [التوبة : 60]. فقد جاءت ردّاً على قسم من المنافقين الذين لمزوا النبي - صلى الله عليه وسلم - في توزيع الصدقات وهم يشكون في صحة فعل النبي - عليه الصلاة والسلام - عندما أعطى الصدقات لأصناف محددة ولم يعطهم منها ، فجاء الخبر من الله - جل وعلا - مؤكداً بـ " إنما " ليدفع شكّهم ، ويبطل ظنّهم .

وهذه الجملة الكريمة مرتبطة بجملة اسمية جاءت قبلها هي جملة (ومنهم من يلمزك في الصدقات) وبين الجملتين ارتباط معنوي على الرغم من الفصل بينهما بمجموعة من الجمل القرآنية ، ويتضح ذلك إذا نظرنا إلى السياق،وتأملنا موضع الجملتين

فيه ؛ قال الله ـ تعالى ـ : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ . إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة : 58 - 60].

فجملة (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ. . .) ردٌّ على لمز اللامزين ، وعيب العائبين ، والعلاقة بين الجملتين هي علاقة " النقض " فجملة الردّ نقض لمضمون لمز المنافقين الذين يزعمون أنَّ لهم حقاً وأن الرسول لم يعدل في قسمة الصدقات ، ولم تصرح الآيات بمضمون اللمز " العيب " ، وإنما جاء لفظ " يلمزك "مجملاً ، وعُرِف مضمون هذا العيب من الأحداث والمناسبة التي نزلت الآيات لأجلها[1] والنقض كان لمضمون هذا اللمز لا للفظ اللمز نفسه ، فالجملة الاستئنافية (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ. . .) استئناف لنقض مضمون جملة سابقة هي (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ . . .) .

ويظهر لنا هذا الارتباط بين الجملتين ترابط النص القرآني ترابطاً قوياً هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الربط بين الجمل لا يشترط فيه تجاور هذه الجمل أعني أنه لا يشترط أن ترتبط الجملة بجملة وقعت قبلها مباشرة ، وإنما قد ترتبط الجملة بجملة جاءت قبلها وفصل بينهما بجملة أو أكثر ، سواء أكان الفصل بجملة معترضة أم بجمل تضمنت استطراداً ، ويلاحظ في النص القرآني أن الجمل المعترضة أو المفسرة أو الاستطرادية ترتبط بالجمل التي قبلها ارتبطاً لفظياً أو معنوياً يخدم المعنى المراد .

وجاءت جملة (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ . . .) مستأنفة مصدرة بـ " إنما " ، وهي " مركبة من " إنّ " ، و " ما " وكلمة إنّ للإثبات وكلمة ما للنفي ، فعند اجتماعهما وجب بقاؤهما على هذا المفهوم ، فوجب أن يفيدا ثبوت المذكور ، وعدم ما يغايره . . . فثبت بهذه

(1) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 18 / 166 - 167 .

الوجوه أن كلمة (إنما) للحصر " [1] ، وكونها تفيد ثبوت المذكور والحصر فإن ذلك يعني أن الصدقات تصرف لهذه الأصناف وتقتصر عليهم ، وتفيد " إنما " مع ثبوت المذكور نفي ما عداه ، وبناء على ذلك فإن من ليس من هذه الأصناف الثمانية غير مستحق للصدقة " الزكاة " ، وبهذا الأمر يتأكد نقض لمز المنافقين ، ويثبت بطلان كلامهم .

وجاء الاستئناف المجرد طلبياً بالجملة الاسمية المرتبطة بمثلها في قول الله ـ تعالى ـ [*]:

1 - (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [إبراهيم : 22] .

2 - (بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ . إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) [الأنبياء : 97 - 98] .

3 - (وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) [النور: 10-11].

4 - (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) [البقرة : 14] .

5 - (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ . إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة : 58 - 60] .

---

(1) الرازي ، محمد بن عمر : التفسير الكبير " مفاتيح الغيب " ، المطبعة البهية المصرية ، القاهرة ، مصر ، ط / 1357 هـ = 1938 م ، 16 / 105 .

(*) الجمل المقصودة هي التي فوق الخط .

6 ـ (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ) [التوبة : 91 ـ 93] .

7 ـ (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً . وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي . قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى . قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي . قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي . قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ . قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي . قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً . إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً) [طه : 88 ـ 98] .

3 ـ الاستئناف المجرد الإنكـاري :

ويخاطب بالخبر المستأنف الإنكاري المنكرُ لمضمون الخبر ، فيأتي الخبر مؤكداً بمؤكدين أو أكثر على قدر إنكاره ، وبمقدار جحوده ، وذلك كما في جملة ـ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) [النحل : 65] فالخطاب في الآية الكريمة موجه إلـى الكـافرين الذين

لم يؤمنوا بوحدانية الله ـ جل وعلا ـ وينكرون هذه الأدلة التي ساقتها الآيات [1]، فألقى الخبر لهم مؤكداً بـ " إنّ " و " اللام " .

وترتبط هذه الجملة الكريمة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) بجملة :(وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) ارتباطاً معنوياً سوغته علاقة " التنبيه " ؛ حيث إن الجملة المستأنفة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) نبهت على أن إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به يلفت العقل المتأمل إلى قضية مشابهة هي إحياء القلوب بالقرآن ، وكلا الأمرين يدل على قدرة المنزل للماء والقرآن ، ويثبت وحدانيته .

إن هذا الترابط المعنوي بين الجملتين يمثل تناغماً متسقاً متكاملاً لا تكاد تستغني أجزاؤه بعضها عن بعض فضلاً عن أنه يجعل من الجملتين وحدة معنوية متجانسة الأجزاء ترسل إيقاعها إلى الأذن السامعة فيقع في النفس معناها فلا تجد للإنكار ـ إن هي أنصفت ـ مبرراً أو دافعاً .

وأفادت " إن " في صدر الجملة المستأنفة الربط إلى جانب إفادتها التوكيد ، فقد جعلت الجملتين متآلفتين " حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً وكأن أحدهما قد سبك في الآخر هذه هي الصورة حتى إذا جئت إلى " إن " فأسقطتها رأيت الثاني منهما قد نبا عن الأول وتجافى عن معناه ورأيته لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل "[2] فحُسْن توكيد هذا الاستئناف بـ " إن " راجع إلى إفادتها التوكيد الذي يدفع الإنكار ، وربطها بين جملتها والجملة التي قبلها ربطاً قوياً جعل الجملتين كالسبيكة المتجانسة .

وفي هذه الجملة الاستئنافية تقدم الخبر وهو شبه جملة (فِي ذَلِكَ) ليفيد تقوية الحكم المشار إليه بـ " ذلك " والمشار إليه علامة واضحة ودليل جلي لمن يتعظ ، فمن يسمع مضمون الكلام السابق سماع تأمل واتعاظ يكون ذلك آية له وعلامة تجعله يؤمن بالله ؛ فإن إحياء الله للأرض الميتة بالماء النازل من السماء علامة واضحة للعيان وهي تشبه

---

(1) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 14 / 198 .
(2) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص : 243 .

إحياء القلوب بالإيمان إذا نزل عليها نور القرآن وهي آية خفية ، وهذا المعنى الواضح للعيان علامة ظاهرة على صدق قضية التوحيد والإيمان .

وكان الاستئناف المجرد الخبري إنكارياً مرتبطاً بجمل خبرية اسمية قبله في الآيات الآتية (*):

1 - (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) [يونس : 67] .

2 - (وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) [النحل : 65] .

3 - (والسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) [طه : 47 - 48] .

4 - (وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [العنكبوت : 6] .

4 - خروج الاستئناف المجرد الخبري عن مقتضى الظاهر :

تبين مما سبق أن الاستئناف الخبري يراعى فيه حال المخاطب فيلقى إليه الكلام خالياً من التوكيد إذا كان خالي الذهن ، ويؤكد بمؤكد واحد إذا كان شاكاً متردداً ، بينما يلقى إليه الكلام مؤكداً بأكثر من مؤكد إذا كان منكراً جاحداً ، وهذه الحالات الثلاث يكون الكلام فيها موافقاً للظاهر ، لكنّ المتكلم قد يعرض له داع من الدواعي فيخرج الكلام على غير الأسلوب الظاهر ، وهذا ما يسميه البلاغيون " خروج الخبر عن مقتضى الظاهر " .

ولخروج الخبر عن مقتضى الظاهر حالات كثيرة ؛ تتعدد بتعدد الغرض البلاغي من الكلام ، وتتنوع بتنوع الداعي الدافع إليه ، ومن ذلك أن يعامل خالي الذهن معاملة الشاك المتردد إن ظهرت على المخاطب أمارات الشك أو ظن المتكلم عدم قبول مضمون

(*) الجمل المقصودة هي التي فوق الخط .

الخبر ، وقد يعامل الشاك المتردد معاملة خالي الذهن لأجل تجاهل شكه وتردده ، أو يعامل المنكر معاملة غير المنكر فلا يؤكد الخبر ، وقد يأتي الكلام موجهاً للغافل عن الحقيقة الماثلة أمام عينيه . فيؤكد الكلام له تنزيلاً له منزلة الشاك أو المنكر ونحو ذلك من المقتضيات .

وربما جاء الكلام مؤكداً وخوطب به غير الشاك أو غير المنكر ، وإنما أكد الكلام لمجرد تقوية مضمونه إشارة إلى أهميته ، وقد يكون التوكيد لتقرير حقيقة ما وتثبيتها في نفس المخاطب ، وقد يكون التوكيد راجعاً إلى غرابة الخبر أو رغبة المتكلم في إظهار معتقد نفسه [1].

وفيما يأتي بيان لحالات خروج الاستئناف الخبري بالجملة الاسمية عن مقتضى الظاهر ، مع ذكر شواهده القرآنية وتحليل نماذج منها .

أ ـ تنزيل السائل منزلة الشاك المتردد :

وينزل السائل منزلة الشاك المتردد إذا كان الكلام السابق متضمناً لإشارات أو إيماءات تثير في نفس المتلقي تساؤلاً ، فيأتي الكلام مؤكداً ليزيل التردد ، ويجيب عن هذا الهمس الذي في نفسه وقد يكون ذلك بعد الأمر أو النهي ونحو ذلك [2]، ومثال ذلك جملة (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ) بعد جملة (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [البقرة : 167] فهذه الجملة الأخيرة تثير في النفس همساً وتساؤلاً : لِمَ يكون الشيطان عدواً ؟ فيأتي الجواب بذكر السبب (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ) وأكد الاستئناف بـ " إنما " ليجيب عن همس النفس ، وأفادت " إنّ " مع التوكيد التعليل أي : ذكر سبب كون الشيطان عدواً مبيناً[3].

(1) ينظر : محمد أبوموسى : خصائص التراكيب ، ص 53 وما بعدها .
(2) ينظر : المصدر السابق ، ص 51 .
(3) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 2 / 104 .

وارتباط هذه الجملة بالجملة التي قبلها ، ويظهر ذلك من السياق ، قال الحق ـ تعالى ـ : (وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ) [البقرة : 167 - 168] .

فجملة (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ) سبب لجملة (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) ، فالعلاقة الرابطة إذاً هي " السببية " ، ويعد هذا الاستئناف بيانياً لأنه جواب سؤال مقدر توحي به الجملة السابقة كما تبين .

وجاء الاستئناف الخبري بالجملة الاسمية المرتبطة بجملة اسمية مثلها مخاطباً به السائل المنزل منزلة المتردد في الآيات الآتية (*):

1 - (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) [هود : 22 - 23] .

2 - (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) [يوسف : 53] .

3 - (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً) [الإسراء : 30] .

4 - (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً)[الإسراء:53].

5 - (لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ . إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) [الأنبياء : 100 - 101] .

6 - (فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ) [القصص : 32] .

(*) الجمل المقصودة هي التي فوق الخط .

7 - (وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إنمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّـوءِ وَالْفَحْشَـاءِ) [البقرة : 167 - 168] .

8 - (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِـاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ , إِنَّـهُ لَيْسَ لَـهُ سُلْطَانٌ عَلَـى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَـهُ) [النحل : 98 - 100] .

ب - تنزيل الغافل منزلة خالي الذهن :

وذلك لتنبيه الغافل إلى أن غفلته لا ينبغي أن تكون ، أو لوضوح المضمون الذي يحمله الخبر ، أو لأن المتكلم يعلم أن خبره لا ينكر ،ومن ذلك قول الله ـ جل وعلا ـ:

1 - (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ) [النحل : 10] .

2 - (وَهو الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ) [الفرقان : 53] .

ففي الآية الأولى جاءت جملة (لَكُمْ مِنْـهُ شَـرَابٌ) استئنافاً لبيان قسم من أقسام الماء[1] ، فبعد ما ذكر ـ جل وعلا ـ نعمة إنزال الماء من السماء ، جاءت الجمل التالية لبيان أقسام الماء وفائدة كل قسم ؛ فمن الماء ما يشرب ، و منه ما ينبت به الشجر، ومنها ما ينبت الزرع ، وكانت هذه الجملة المستأنفة لبيان ما يشرب من الماء وهي نعمة من نعم الله الكبرى على الإنسان فحسن مجيء ذكرها مستأنفة للتنويه بعظمة هذه النعمة وأهميتها .

وجاءت جملة (لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ) خالية من التوكيد ، والمخاطبون بها هم الغافلون عن هذه النعمة المذكورة ، وكان مقتضى الظاهر أن تأتي مؤكدة لأن الغافِل في حكم الشاك أحياناً أو هو في مرتبته إلا أن الجملة لم تؤكد تنزيلاً للمخاطب الغافل منزلة خالي الذهن غير الغافل ، وذلك لأن هذه الغفلة ما ينبغي لها أن تكون ؛ إذ كيف يغفل الإنسان عن نعمة

---

(1) ينظر : الألوسي ، شهاب الدين محمود : روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، من غير تاريخ ، 14 / 105 ، وأبوحيان الأندلسي : البحر الحيط ، 14 / 478 .

من نعم الله هي عماد حياته ، وسر بقائه ، فمثل هذه الغفلة غير مبررة ، وبناء على ذلك فإن الغافل عنها نُزّل منزلة خالي الذهن الجاهل بمضمون الخبر ، لأن نتيجة الجهل بالأمر والغفلة عنه سواء .

ووجه ترابط هذه الجملة بما قبلها أنها تضمنت جزءاً من أجزاء الماء المذكور في الجملة التي قبلها ، وقسماً من أقسامه فبعد ذكر نعمة الماء المنزل من السماء (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) [النحل : 10] ذكر في هذه الجملة المستأنفة أهم أقسامه ، وأنفع أجزائه وهو ما يشربه الناس (لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ) [النحل : 10] ، فكانت العلاقة الرابطة بين الجملتين هي " التقسيم " ، وهي علاقة معنوية تربط بين الجمل ، إذ إنّه يحسن ذكر الشيء بعد ذكر أصله الذي هو متفرع منه ويكون ذلك لغرض البيان والتوضيح ، أو التنويه والتنبيه كما هو في هذه الجملة الكريمة .

جـ - تنزيل الغافل منزلة الشاك المتردد :

وينزل الغافل منزلة الشاك المتردد تعريضاً بشدة غفلته ، وإشارة إلى استحكامها عند المخاطب حتى صار كالشاك ، على الرغم من وضوح الكلام ، ومنطقيته ، وكونه كالمسلّم به الذي لا يختلف عليه العقلاء ، ومن ذلك قول الله ـ تعالى ـ (*):

1 - (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [البقرة : 162 - 163] .

(*) الجمل المقصودة هي التي فوق الخط .

2 - (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) [غافر : 56 - 57] .

فجملة (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ) خطابٌ للكافرين الذين جادلوا في آيات الله ، ومما جادلوا فيه قضية البعث بعد الموت فجاءت هذه الجملة حجةً دامغة لهم ، مبينة أن بعث الناس أمر يسير على الله الذي خلق ما هو أكبر وأعظم ، فالله قد خلق السموات والأرض وهما أعظم خلقاً من الإنسان فهو - جل وعلا - قادر على خلق الإنسان الذي هو أقل عظمة منهما ، وإذا ثبت هذا فإن القدرة على إعادة الإنسان وبعثه بعد موته أيسر وأهون [1].

وجاءت الجملة الكريمة المستأنفة لبيان هذا الأمر بطريقة غير مباشرة كما يظهر من سياق الآيات الكريمة ، فالكافرون لا ينكرون أن الله قد خلق السموات والأرض وهم يقرون بذلك كما جاء في آية أخرى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [لقمان : 25] فهم يعترفون بهذه الحقيقة ولكنهم غفلوا عن قياس قدرة الخالق للسموات على خلق الإنسان وبعثه ولو فعلوا لما أنكروا البعث ، ولمّا كانت غفلتهم عن هذه الحقيقة غفلة كبيرة خوطبوا مخاطبة الشاك المتردد في حقيقة عظم خلق السماوات والأرض فجاء الكلام مؤكداً بـ " لام " الابتداء .

وبتأمل الجملة الكريمة في سياقها يتبين أنها ارتبطت ارتباطاً معنوياً بجملة (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ) ، والعلاقة المسوغة للارتباط هي علاقة " التوجيه " حيث إن الكافرين جادلوا في الآيات الدالة على قدرة الله ، فجاءت جملة (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) على وجْه يثبت خلاف قولهم ، وينافي كلامهم واعتقادهم ، فعلاقة التوجيه تكون بإيراد الكلام على وجه ينافي كلام الخصم [2]، وهي علاقة رابطة بين أجزاء الكلام .

---

(1) ينظر : الزمخشري : الكشاف ، 3 / 433 .
(2) ينظر : الجرجاني ، التعريفات ، ص 96 .

وقد حَسُنَ هذا الاستئناف لِمَا يدل عليه من الإشارة إلى قضية مهمة قد غفل عنها الكافرون المجادلون، وحسن كذلك بما يحمله من معنى ، حيث إنه جاء رداً على كلام المجادلين بطريقة التوجيه التي تنافي كلامهم ، وتدحض اعتقادهم بقضية مسلمة عندهم لا ينكرونها ؛ فهم وإن أنكروا قدرة الله على البعث فإنهم لا ينكرون أن قدرة الله خلقت السماوات والأرض ، فلو استعملوا عقولهم ، ووازنوا بين الأمرين ، وقاسوا ما أنكروه على ما أقروه لظهرت لهم الحقيقة ، ولعلموا أن جدالهم لا دليل له ، ولا برهان عليه ، ومجيء الرد من الله ـ جل وعلا ـ على هذا الأسلوب أدعى لبَهْتهم ، وأجدى لإثارة فكرهم .

د ـ تنزيل المنكر منزلة خالي الذهن :

وإنما ينزل المنكر منزلة خالي الذهن إشارة إلى عدم الاعتداد بإنكاره ، ولكون الكلام حقيقة لا تحتاج إلى توكيد ، فيأتي الخبر هادئاً ينم عن ثقة المتكلم في حقيقة كلامه ، ومن ذلك الاستئناف الخبري في قول الحق ـ تعالى ـ :

1 ـ (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ , لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ) [الأعراف : 40 - 41] .

2 ـ (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) [الأنبياء : 98] .

ففي الآية الثانية الاستئناف هو : (أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) والخطاب به موجه للمشركين عبدة الأصنام [1]، وهم ينكرون يوم القيامة وما فيه من جنة ونار ، وينكرون أن مآلهم إلى النار لأنهم أشركوا ، ولم يأتِ الخطاب الخبري لهم على ظاهره إذ إن الظاهر يقتضي أن يؤكد لهم الخبر بأكثر من مؤكد ، ولكنه جاء خالياً من أدوات التوكيد تنزيلاً لهؤلاء المنكرين منزلة خالي الذهن الذي لا يحتاج إلى تأكيد الكلام له .

والسبب في ترك تأكيد هذه الجملة الاستئنافية ـ والله أعلم ـ هو إهمال إنكار هؤلاء المنكرين ، وعدم الالتفات إليه لأنه إنكار لِمَا لا علم لهم به ، ولهذا الأسلوب " أثره الغالب في النفس حين تجد الكلام الذي يواجه الرفض والجحود خالياً من الاحتفال والتوكيد خافت

(1) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 11 / 344 .

النبرة هامساً بالحقيقة في غير جلجلة وضجيج " [1]، فيقع في النفس فتبهت ، ويسري فيها سريان النار في الهشيم .

وجاءت هذه الجملة الاستئنافية (أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) مرتبطة بعلاقتي " البيان والتوكيد " بجملة (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) ؛ فقد بينت كيفية كونهم حصب جهنم ، وبيان ذلك دخولهم جهنم صحبة ما يعبدونه من دون الله قريباً ، ودلَّ على هذا القرب التعبير باسم الفاعل " واردون " الذي يدل على الاتصاف بورود النار في القريب ، لأن اسم الفاعل دلالته حقيقية في الحال ، مجازية في الاستقبال [2].

وإلى جانب علاقة البيان كانت لجملة الاستئناف علاقة رابطة أخرى هي " التوكيد " ، فإن جملة (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) أفادت دخول هؤلاء المشركين النار ، وهذا المعنى هو المعنى نفسه الذي أفادته جملة (أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) فإن الورود هنا بمعنى الدخول ، فكانت الجملة المستأنفة توكيداً لذلك .

هـ ـ تنزيل المنكر منزلة الشاك المتردد :

وينزل المنكر منزلة الشاك المتردد فيؤكد له الخبر بمؤكد واحد ، وجعل المنكر كالشاك يكون لغرض بلاغي كأن يكون إنكاره ضعيفاً ، أو شبهة إنكاره واهية ، فيخاطب بأسلوب أدنى درجة من الأسلوب الذي يخاطب به المنكر للتقليل من شأن إنكاره ، أو للحد منه ، أو ليلفت نظر المخاطب إلى ضعف ذلك الإنكار ، ومن ذلك قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ : (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف : 1 ـ 2] .

ففي هذه الآية جاءت الجملة المستأنفة (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً) مؤكدة بـ "إن" والتأكيد متوجه إلى خبرها وهو " أنزلناه " ، وذلك للرد على الذين أنكروا أن يكون القرآن منزلاً من عند الله[3] ، فالخطاب إذاً موجه للمنكرين ، وكان مقتضى الظاهر أن يؤكد بأكثر

---

(1) محمد أبوموسى : خصائص التراكيب ، ص 54 .
(2) بنظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 17 / 153 .
(3) ينظر : المصدر السابق ، 12 / 201 .

من مؤكد لكنه أكد بمؤكد واحد تنزيلاً للمنكرين منزلة من يشك في الخبر ، ويتردد في قبول مضمونه ، وسبب ذلك ـ والله أعلم ـ أنّ شبهة هؤلاء المنكرين واهية، وحجتهم داحضة إذ قالوا: (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) [الأنعام: 91] .

فإنكارهم إنزال الله كتاباً على بشرٍ رسولٍ لا يصمد أمام الحق ، فقد أنزل الله قبل القرآن التوراة على موسى والإنجيل على عيسى عليهما الصلاة والسلام ، والعرب المنكرون يعلمون ذلك ، ويتعاملون مع أهل الكتاب وربما ذهبوا إليهم ليسمعوا منهم ويسألوهم عن بعض الأمور الدينية ، فلما كان إنكارهم هذا ضعيفاً بقرائن الحال فهو إلى الشك أقرب ، لذا نزل هؤلاء المنكرون منزلة المرتابين الشاكين فاكتفى في تأكيد الخبر بمؤكد واحد .

وارتبطت جملة (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً) ارتباطاً معنوياً بجملة (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) التي قبلها ، ووجه هذا الارتباط أنها تعليل لما قبلها [1]، وبيان لسبب كون الكتاب مبيناً ، فالآية الأولى أخبرت أن آيات القرآن المنزلة واضحة بيّنة ، وجاءت الآية الثانية المستأنفة توضح سبب وضوح القرآن ، وذلك لأنه قرآن عربي يفهمه هؤلاء المنكرون ، فَهُمْ إن تأملوا آياته ، وتدبروا معانيه تدبر باحث عن الحق زال إنكارهم ، وتبدد ريبهم ، وانكشف لهم الحق .

ويظهر لي أنَّ هذا الاستئناف أتى ليفيد معنى وغرضاً بلاغياً هو التنويه بالكتاب المنزل ، والإشادة به ، ولعل ذلك يوحي به ضمير التعظيم المتصل بـ " إنَّ " ، وإسناد إنزال الكتاب إلى هذا الضمير في جملة (أَنْزَلْنَاهُ) ، وهو ضمير الله ـ جلَّ وعلا ـ الدال على التعظيم ، ويظهر واضحاً أن التنويه غرض من أغراض مجيء المعنى بأسلوب الاستئناف .

و ـ تنزيل غير المنكر منزلة المنكر :

---

(1) ينظر : المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

وينزل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهرت للمتكلم أمارة من أمارات الإنكار [1]، فيأتي الخبر مؤكداً ، كجملة (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) من قول الله ـ جل وعلا ـ : (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [لقمان : 26] . فهذه الآية المخاطب بها جميع الخلق وهم غير منكرين لمضمون الخبر لأن أحداً لم يدّعِ ملك ما في السماوات والأرض فثبت ملكها لله الذي أخبر بذلك ، فكان الخبر من غير تأكيد (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) لكن هذا الخبر قد يولد في النفس الكافرة ريبة أو شكاً في حكمة اختصاص الله ـ جلَّ وعلا ـ بملك ما في السماوات والأرض فتظنّ أنه محتاج إلى ما في السماوات والأرض ومفتقر إليه ، لذا جاء الخبر مؤكداً بـ " إن " و " ضمير الفصل " وذلك ليقطع مثل هذا الريب والشك الذي قد يتحول إلى إنكار وجحود .

وهذا ما عبر عنه الألوسي عندما قال : " وكأن الجملة جواب عما يوشك أن يخطر ببعض الأذهان السقيمة من أنه هل اختصاص ما في السموات والأرض به عز وجل لحاجته سبحانه إليه ، وهو جواب بنفي الحاجة على أبلغ وجه ، فقد كان يكفي في الجواب : إن الله غني إلا أنه جيء بالجملة متضمنة للحصر للمبالغة وجيء بالحميد أيضاً تأكيداً لما تفيده من نفي الحاجة بالإشارة إلى أنه تعالى منعم على من سواه سبحانه أو متصف بسائر صفات الكمال فتأمل جداً " [2].

وقد ارتبطت جملة (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) ارتباطاً معنوياً بعلاقة " التعليل " بجملة (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، إذ إن جملة (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ) تفيد تهاون الله ـ جلَّ وعلا ـ بالذين يكفرون به ، واستغناءه عن عبادتهم وحمدهم ، وجاءت الجملة المستأنفة (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) تعليلاً لاستغنائه ـ جلَّ وعلا ـ عنهم [3] ، فهو الغني بنفسه ، الغني عن كل شيء ، والحميد الذي حمد نفسه قبل أن يحمده خلقه .

ز ـ تقوية مضمون الخبر :

---

(1) ينظر : محمد أبوموسى : خصائص التراكيب ، ص 56 .
(2) الألوسي : روح المعاني ، 21 / 96 - 97 .
(3) ينظر : المصدر السابق ، 21 / 97 .

وقد يأتي الخبر مؤكداً والمخاطب به غير شاك في مضمونه وغير منكر له ، وإنما غرض التوكيد تقوية المضمون لأهميته ، أو لأجل الاعتناء به ، والذي يراعى حينئذ ليس حال المخاطب ، وإنما يراعي حال الخطاب نفسه " الخبر " ، وذلك كما في قول الله ـ تعالى ـ : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ) [البقرة : 11 - 12] ، فالجملة الاسمية (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) استئناف مؤكد بثلاثة مؤكدات هي : " ألا " الاستفتاحية ، و " إنَّ "، وضمير الفصل " هم " ، والغرض من التوكيد هنا تقوية مضمون الخبر الذي هو قصر الإفساد على هؤلاء المدعين الإصلاح .

وتأكيد الجملة بـ " إن " المقرونة بـ " ألا " التي تفيد التنبيه يدل على إشاعة مضمون الخبر وإعلانه مؤكداً ، والاعتناء بترسيخ هذا المضمون عند المخاطبين حتى لا ينخدعوا بدعوى المنافقين التي جاءت في الخبر السابق (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) فالمنافقون أكدوا خبرهم بـ " إنما " التي تفيد التوكيد والقصر فكانت جملة (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) رداً على دعواهم ، فأكدت بمؤكدات ثلاثة ، وكان الأسلوب في هذا الردّ مغايراً لأسلوبهم من حيث الطريقة التعبيرية ، فالتعبير بـ " ألا " التي تفيد التنبيه إفادة اسم الإشارة والتنبيه يدل على التشهير بهم وفضحهم ، والتأكيد بـ " إن " يفيد توكيد الحكم ونفي الشك فيه أو الإنكار له [1]، وبهذا ينقطع شك المؤمنين فلا ينخدعوا بدعوى المنافقين ، ويُرَدُّ على إنكار المنافقين بأنهم مفسدون .

وزاد ذلك التوكيد قوة مجيء ضمير الفصل " هم " لتتضافر هذه المؤكدات الثلاثة جميعها لتفنيد مزاعم المنافقين وتبكيتهم ، فكان هذا الرد في أعلى درجات التوكيد، وجاء التعبير بالجملة الاسمية ليدل الاستئناف الخبري على ثبوت مضمونه ودوامه ، ولهذا التعبير بالاستئناف مزيد مبالغة في الردِّ المبكت ؛ لأن الاستئناف بكلام جديد يفيد زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع [2].

---

(1) ينظر : فاضل صالح السامرائي : معاني النحو ، دار الفكر للطباعة والنشر ، عمان ، الأردن ، ط 2 / 2003 ، 1 / 263 .

(2) ينظر : السيد الشريف ، علي بن محمد الحسيني الجرجاني : حاشية السيد الشريف على الكشاف ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، ط / 1966 م ، 1 / 180 .

وارتبطت هذه الجملة المستأنفة بالجملة الاسمية التي هي مقول قول : (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) ارتباطاً معنوياً لأنها ـ أي جملة (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) ـ رد لهذه الدعوى ونقض لها ، فالعلاقة الرابطة هنا هي " النقض " . والسبب في الاستئناف عند البلاغيين هنا هو " شبه كمال الانقطاع " ، وذلك لأن جملة (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) الظاهر يقتضي أن تعطف على جملة (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) فهو من باب ردّ العجز على الصدر ، وهو يشبه قول الله ـ تعالى ـ : (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) هذا من جهة ظاهر اللفظ ، لكن المعنى لا يقتضي العطف ، وذلك لاختلاف جهتي الكلام ، فجملة : (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) هي حكاية قول المنافقين ، وجملة (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) خبر من الله ـ تعالى ـ بحقيقة أمرهم ، فالكلام في الجملتين مختلف من حيث جهة صدوره ، وهذا هو وجه الانقطاع .

فلما كانت الجملتان منقطعتين من جهة ، ومن جهة أخرى بينهما مناسبةٌ في ظاهر اللفظ سمي البلاغيون هذا " شبه كمال الانقطاع " ، ومنعوا جواز العطف " الوصل " لأنه يوهم معنى غير المعنى المقصود ، فالعطف يوهم أن جملة (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) معطوفة على جملة (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) ، فينتج عن هذا العطف أن المنافقين قالوا : إنما نحن مصلحون وإننا المفسدون ، وهذا لا يستقيم ، لذا امتنع العطف، وكان الاستئناف .[1]

وهذا الاستئناف إذا نُظر إليه من جانب آخر فإنه يصلح أن يعد جواباً عن سؤال مقدر ناتج عن الجملة السابقة ، وتقدير السؤال : هل صحيح أن المنافقين مصلحون ؟ فيكون الجواب بجملة : (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) وعلى هذا فإن الجملتين لم توصلا بالعطف لما بينهما من " شبه كمال الاتصال " والذي يظهر لي أن أكثر حالات " شبه كمال الانقطاع " يمكن تقدير أنها من حالات " شبه كمال الاتصال " ، وبناءً على هذا فإن " شبه كمال الانقطاع " قد يتأتى فيه أيضاً شبه كمال الاتصال . متى أريد البحث عن سر ارتباط الجملة الثانية بالأولى " [2]، وهذا ما يجعل الباحث في هذا الموضوع يدرك أن هذه المصطلحات التقليدية لا تصمد كثيراً في وجه التطبيق على النصوص اللغوية، ويرجع ذلك إلى قصورها ، وعدم دقتها ، وهذا الأمر هو أحد الدوافع التي كانت وراء اختيار هذا

---

(1) ينظر : الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 179 .

(2) علي البدري : بحوث المطابقة لمقتضى الحال " القسم الأول " ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، ط 2 / 1404 هـ = 1984 م ، ص 113 .

الموضوع ، وينطلق هذا البحث من نظرة جديدة تعتمد على إدراك العلاقات القائمة بين الجمل داخل النص عن طريق التحليل انطلاقاً من المعنى الذي لا يمكن أن يناقض نفسه ، ولا يعتمد على اللفظ الذي قد يدل ظاهره على خلاف المعنى المراد .

وجاء الاستئناف الخبري مؤكداً لغرض تقوية مضمون الخبر في الآيات الآتية(*):

1 - (إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ .إِني أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ) [المائدة : 28 - 29] .

2 - (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [التوبة : 115 - 116] .

3 - (إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) [يونس : 36] .

4 - (مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [هود :56].

5 - (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً. إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا) [الكهف : 6 - 7] .

6 - (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً) [مريم : 95 - 96] .

7 - (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) [المؤمنون : 117] .

8 - (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ. وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ . إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الشعراء : 218 - 220] .

9 - (إِنكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ. إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) [النمل : 79 - 80] .

(*) الجمل المستأنفة المقصودة هي التي فوق الخط .

10 - (إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ. إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ) [فاطر : 23 - 24] .

11 - (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) [التوبة : 36 - 37] .

12 - (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [الشورى : 40 - 41] .

13 - (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [الأعراف : 54] .

14 - (قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) [البقرة : 11 - 12] .

15 - (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) [يونس : 65 - 66] .

16 - (إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ . إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ , أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) [هود : 2 - 5] .

17 - (أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) [فصلت : 54] .

ح - تقرير حقيقة الخبر في النفس :

يخرج الخبر عن مقتضى ظاهر الحال أحياناً لتقرير حقيقة مضمونه في النفس ، فيأتي مؤكداً بأداة أو أكثر من أدوات التوكيد ، وقد وقع التوكيد في القرآن الكريم لهذا الغرض البلاغي في الجملة الاستئنافية بعدد من المؤكدات ؛ فجاء التوكيد بمؤكد واحد هو " إنَّ " كما في قول الحق ـ تعالى ـ: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ) [آل عمران: 18] أو " إنّما " وهي " إنَّ " التي دخلت عليها " ما " الكافة ، كما في قول الله ـ تعالى ـ : (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ) [التغابن : 15] . أو كان التوكيد بضمير الفصل وحده كما في قول الله ـ تعالى ـ : (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [البقرة : 27].

وقد جاء التوكيد بمؤكدين ، فأكدت بعض الجمل الاستئنافية الخبرية بـ " ألا " الاستفتاحية و " إنَّ " ، كما في قول الله ـ جلَّ وعلا ـ : (أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ) [الشورى : 45] . وأكدت بعض الجمل الأخرى بـ " ألا " الاستفتاحية وضمير الفصل نحو قول الحق ـ جل وعلا ـ : (أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) [الزمر : 15] .

وقد يأتي التوكيد بثلاثة مؤكدات ، كما في جملة : (أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [المجادلة : 22] فقد جاءت مؤكدة بـ " ألا " و " إن " وضمير الفصل " هم " ، وإنما تتنوع المؤكدات ، وتختلف درجات توكيد الخبر الاستئنافي حسب المعنى المقصود تأديته .

والاستئناف الخبري بالجملة الاسمية في قول الله ـ جل وعلا ـ : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) [البقرة: 6] . قد جاءت الجملة فيه مرتبطة ارتباطاً معنوياً بسياقها ، فهي تقرر حالة الكافرين من الدعوة ، وموقفهم من القرآن ، وكانت في سياقها واقعة بعد ذكر الله ـ تعالى ـ لحالة المؤمنين مع الدعوة ، فبين هاتين الحالتين تقابل ، وبين الفريقين تضاد ، ويتضح ذلك بذكر الآية في سياقها ، قال الله ـ تعالى ـ : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ .

أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) [البقرة : 2 - 6] .

وارتبطت جملة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بجملة (فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) وهي كالمقابلة لها في المعنى ، فعندما ذكر الله ـ سبحانه ـ ما أفاده المؤمنون من الكتاب من هداية حَسُنَ ذكر الفريق الذي لم يؤمن ولم ينتفع بهدى الكتاب ، والعلاقة الرابطة هي التقابل أو ما يمكن تسميتها " التناظر " فإن الشيء يحسن إذا ذكر بإزاء نظيره ، ولم ترتبط الجملتان برابط لفظي لأن الرابط اللفظي الذي هو العطف يفيد نوعاً من المشاركة بين المتعاطفين ، وليس بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين مشاركة في صفة من الصفات المترتبة عن التعامل مع الكتاب " القرآن " فالعطف يوهم خلاف المراد ، لذا لم تأت جملة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) معطوفة على ما قبلها بالواو .

ويعلل البلاغيون ترك الربط اللفظي بالواو في مثل هذا بأنه راجع إلى " كمال الانقطاع " بين هذه الجملة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) والتي قبلها (أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) لعدم وجود جامع بينهما [1]، وهذا الاستئناف في الجملة المقصودة هنا استئناف نحوي إذ إن هذه الجملة ليست جواباً عن سؤال مقدر يفهم من الكلام السابق ، وذلك لأنه إن قدرنا سؤالاً من الكلام السابق فسيكون مفاده : إذا كان اهتداء المتقين من الكتاب نتج عن الحكم لهم بالهدى والفلاح فما هي نتيجة من لم يهتدِ بالكتاب ولم يتبع ما فيه ؟ هذا سؤال متوقع ، والجواب عليه يكون بنحو : الذين لم يتبعوا القرآن ولم يهتدوا به هم الخاسرون. ولا تكون جملة(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) جواباً عن هذا السؤال وذلك لأن هذه الجملة استئناف كلام جديد مفاده أن الكافرين لن يؤمنوا سواء أنذروا أم لم ينذروا والسؤال ليس عن إيمانهم من عدمه .

ومصطلح " كمال الانقطاع " الذي جعله البلاغيون سبباً " للفصل " بين الجملتين يوحي بأن لا ترابط بين هذه الجملة المستأنفة والكلام الذي قبلها ، والواقع النصي الذي هو

(1) ينظر : السكاكي : مفتاح العلوم ، ص 243 .

السياق يظهر خلاف ذلك ، فقد تبين من التحليل السابق ترابط هذه الجملة المستأنفة بجملة (فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) والترابط بينهما برابط معنوي هو " التناظر " ، ولولا هذا الترابط لكانت الجملة المستأنفة غريبة عن سياقها ،نابية عن أخواتها من الجمل .

وبناء على ذلك فلا انقطاع في النص بين الجملة المستأنفة والتي قبلها ، وإنما الحاصل هو مجيؤها بأسلوب يباين أسلوب الجمل التي قبلها ، ومرجع ذلك وسببه تباين الغرض ، فالجمل السابقة جاءت للحديث عن الكتاب " القرآن " ، وبيان مكانته وعظيم شأنه ، وهذه الجملة خبر لبيان موقف الكافرين من الدعوة ، وتمردهم ، فلما اختلف مضمونا الجملتين، وتباين الغرضان حسن اختلاف الأسلوب ، وتباينت طريقتا التعبير ، وهذا ما عبر عنه " شهاب الدين الخفاجي " بقوله : " لأن التباين في الغرض هو الأصل في الفصل والتباين في الأسلوب من توابعه ولوازمه "[1].

وجاء الاستئناف هنا بالجملة الاسمية المؤكدة لتقرير حقيقة مضمون الخبر في النفس، فخرج الخبر عن مقتضى الظاهر لهذا الغرض البلاغي ، وكثيراً ما يكون الخبر في القرآن الكريم لتقرير حقيقة مضمونة في نفوس المخاطبين ، ومن ذلك الآيات الآتية، حيث جاء الاستئناف الخبري لهذا الغرض ، مرتبطاً بجملة اسمية خبرية الأسلوب [*]:

1 - (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) [البقرة : 2 - 6].

2 - (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [البقرة : 27] .

---

(1) شهاب الدين ، أحمد بن محمد بن عمر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، دار الطباعة الخديوية ، القاهرة ، مصر ، ط 1 / 1283 هـ ، 1 / 260 .

(*) الجمل المستأنفة المقصودة هي التي فوق الخط .

3 - (َلا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ) [آل عمران : 17 - 18] .

4 - (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُبِيناً) [النساء : 101] .

5 - (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً. إنا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) [النساء :104-105].

6 - (قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) [الأنعام: 128] .

7 - (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال : 10] .

8 - (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [الأنفال : 43] .

9 - (أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [التوبة : 71] .

10 - (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة : 102] .

11 - (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) [هود : 46] .

12 - (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) [الحجر : 25] .

13 - (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [آل عمران : 173 - 175] .

14 - (وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً.إنمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ) [النساء : 16 - 17] .

15 - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ) [التغابن: 14 - 15] .

16 - (وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ألا إِنَّ الظالمين في عذابٍ مقيم) [الشورى : 45] .

17 - (أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [المجادلة:19].

18 - (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [المجادلة : 22] .

19 - (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) [الزمر : 15].

ط ـ التوكيد لإظهار معتقد النفس :

قد يؤكد المتكلم الخبر على غير الظاهر ، لتظهر نفس المتكلم معتقدها [1]، رغبة في استدعاء ذلك ليكون المعتقد حاضراً حساً كأنه ماثل أمام عين النفس فتزداد بهذا المعتقد يقيناً لحاجتها إلى قوة اليقين في ذلك الموقف ، أو لتستشعر نعمة الله عليها فتطمئن وتهنأ ، ومن ذلك حكاية قول سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قول الله ـ تعالى ـ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) [إبراهيم : 39] .

فجملة (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) جملة مستأنفة مؤكد بـ " إن " و " اللام " الداخلة على خبر " إن " ، والتوكيد لإظهار معتقد نفس سيدنا إبراهيم في كمال صفات الله ـ جل وعلا ـ وهو يرغب في إظهار ما يؤمن به ويعتقده ليزداد شعوره بنعمة الله عليه في إجابة دعائه حيث وهب له الأبناء بعد زمن طويل من الانتظار .

---

(1) ينظر : محمد أبوموسى ، خصائص التراكيب ، ص 62 .

وارتبطت هذه الجملة المستأنفة معنوياً بجملة (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) ، فالجملة المستأنفة تعليل لحمد الله ، وبيان لسببه ، فالعلاقة الرابطة إذاً هي " التعليل " والذي أكد إفادة هذه العلاقة هي " إنّ " فمن معانيها التعليل[1]، فهي قد أفادت توكيد مضمون الجملة بالإضافة إلى توكيد المعنى الذي يحمله المضمون ويظهر أنها بدخولها على الجملة المستأنفة هنا أوجدت تآلفاً واتحاداً بين جملتها والجملة التي قبلها ، وهذا ما قصده الجرجاني عند حديثه عن " إن ومواقعها" حيث قال : " ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً وكأن أحدهما قد سبك في الآخر " [2].

وهذا التآلف والاتحاد الذي يشير إليه الجرجاني ما هو إلا نوع من الترابط ، الذي يكسب الاستئناف رونقاً خاصاً وجمالاً وتميزاً ويظهر ذلك جلياً إن قدرنا حذف " إن " ـ وذلك في غير القرآن ـ فإن الكلام سيكون : الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ربي لسميع الدعاء . فأيّ معنى لهذه الجملة المستأنفة : ربي لسميع الدعاء ؟ ، وأيُّ علاقة تربطها بالكلام الذي قبلها ؟ لا شك أن الكلام بحذف " إن " خرج عن حد البلاغة ، وصار كلاماً تنبو جمله بعضها عن بعض وتتفكك أوصاله ، وهذه الحال لا تقع في كلام بلغاء البشر بله كلام الله ـ جل وعلا ـ ، وبهذه المقارنة الأسلوبية بين الكلامين يمكن أن ندرك سر جمال الاستئناف بهذه الجملة المصدرة بـ " إنَّ " .

ومثل هذا الاستئناف بالجملة الاسمية المصدرة بـ " إنَّ " التي تفيد التعليل وتربط بين الجمل كثيراً في القرآن الكريم [3] ، حيث ترتبط جملة الاستئناف بغيرها من الجمل .

ي ـ التوكيد لغرابة الخبر :

وقد يخرج الخبر عن مقتضى الظاهر فيلقى مؤكداً بأداة من أدوات التوكيد أو أكثر ، والغرض من توكيده أن يؤنس المتكلم به نفس المخاطب غير المنكر ، ويحرص المتكلم

---

(1) ينظر : السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، 2 / 174 ، والسامرائي : معاني النحو ، 1 / 226 .
(2) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 243 .
(3) ينظر : المصدر السابق .

على ذلك بسبب غرابة الخبر ، وذلك إذا كان الخبر يحمل مضموناً جديداً غير معهود أو مستغرب ، ومن ذلك جملة (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ . . . .) في قول الله ـ تعالى : (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ . إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ) [الأنفال : 52 - 56] .

فإن مضمون الخبر في الجملة المؤكدة بـ " إن " هو : إن الذين كفروا ولم يؤمنوا ونقضوا عهودهم أسوأ حالاً من الدواب العجماء ، وأقل منزلة منها لأنهم يتصرفون تصرف من لا عقل له . ولا شك أن مثل هذا الخبر غريب في مضمونه ، غير معهود عند الناس ، فالمعلوم المعهود أن جنس البشر أحسن حالاً ، وأعلى منزلة من الدواب العجماء ، فلما كان مضمون هذا الخبر غريباً كما ظهر حَسُنَ توكيده لتأنس النفس إلى مضمونه ،وتلتفت إلى تأمل معناه ، وتبحث عن سر مغزاه .

وارتبطت جملة (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) المستأنفة بجملة (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) [الأنفال : 52] وهذه الجملة الأخيرة جملة اسمية ؛ فـ " كدأب " خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : دأبهم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم[1] ، فهذه الجملة حديث عن عموم المشركين الكافرين ، ثم جاءت الجملة المستأنفة (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ . . . وَهُمْ لا يَتَّقُونَ) لذكر صنف من أصناف هؤلاء المشركين ، فهو من باب ذكر الخاص بعد العام ، فالعلاقة الرابطة هي " التخصيص " .

وبعد هذا العرض لربط الاستئناف المجرد الخبري في القرآن الكريم ، وبعد بيان أضرب الاستئناف من حيث التوكيد وعدمه يتبين غنى النص القرآني بالشواهد البلاغية، وتنوعها الأسلوبي تبعاً لغرض كل استئناف ، وقد كشف التحليل الأسلوبي للنص القرآني عن ترابط الجمل الاسمية المستأنفة بجمل اسمية قبلها ترابطاً قوياً جعل من الجمل

---

(1) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير 10 / 43 .

المترابطة وحدة معنوية ، متلائمة الأجزاء ، متماسكة البناء ، كما كشف التحليل عن مجموعة علاقات معنوية كانت سبب ذلك الترابط والتماسك النصي .

وبرزت من هذه العلاقات المعنوية " التعليل ، والتوكيد ، والبيان ، والنقض ، والتنبيه ، والتقسيم ، والتوجيه ، والتنويه ، والتناظر ، والتخصيص " ، والحق أن هذه العلاقات لا يمكن حصرها ، فهي تتعدد وتتنوع بتعدد أغراض الكلام ، وبتنوع أساليبه وطرق أدائه .

المبحث الثاني

ربط جملة الاستئناف الحرفي

الجملة الاستئنافية تأتي مجردة عن حرف الاستئناف كما سبق بحثه في المبحث السابق ، وقد تأتي مقترنة بحرف من حروف الاستئناف ، ويمكن تسمية هذا النوع "الاستئناف الحرفي " نسبة إلى اقترانه بحرف من حروف الاستئناف المعروفة .

وحروف الاستئناف هي: " الواو "، و " الفاء " و " ثُمَّ " ،و" حتّى ، و" أَمْ " المنقطعة، و " بل " التي تفيد الإضراب ، و " أو " التي بمعنى " بل " ، و " لكنْ " المجردة من الواو العاطفة ، ومثال الاستئناف بالواو جملة (وَنُقِرُّ) من قول الله ـ تعالى ـ : (لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ) [الحج : 5] .

والاستئناف بالفاء كجملة (فَيَكُونُ) بالرفع من قول الله تعالى ـ : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [يس : 82] ، ومثال الاستئناف بـ " ثم " جملة (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخرة) في قول الله ـ جل وعلا ـ : (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخرة) [العنكبوت : 20] .

والاستئناف بـ " حتى " مثل جملة : " حتى كليب تسبني " في قول الفردزق [1]:

---

(1) الفرزدق ، الديوان ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،ط/1960م،419/1.

فيا عجبي ، حتى كليبُ تسبني كأن أباها نهشل أو مجاشعُ

ومثال الاستئناف بـ " أم " المنقطعة جملة (أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ والنُور) في قول الله ـ تعالى ـ : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ والنُور) [الرعد : 16] .

وحروف الاستئناف التي جاءت مقترنة بالجملة الاسمية المرتبطة بجملة اسمية في القرآن هي : الواو ، و" بل " التي تفيد الإضراب ، و " أو " التي للإضراب ، و" لكن " المخففة ، و " إلا " التي بمعنى " لكن " ، وأتى الاستئناف بهذه الأحرف على نوعين رئيسين هما : الاستئناف الابتدائي والاستئناف الطلبي ، ولم أظفر باستئناف إنكاري في جملة مقترنة بحرف من حروف الاستئناف ومرتبطة بجملة اسمية أخرى ، وفيما يلي بيان هذين النوعين من أنواع الاستئناف الحرفي :

1 ـ الاستئناف الحرفي الابتدائي :

أ ـ الاستئناف بـ " الواو " :

و يخاطب بالاستئناف الابتدائي خالي الذهن فيأتي مجرداً عن المؤكدات ، كما في جملة (وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ) من قول الله ـ تعالى ـ : (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [آل عمران : 161] ، فقد جاءت الجملة مستأنفة بالواو ، والمخاطب بها هم المسلمون الذين كانوا في غزوة أحد ، فكان الخبر في هذه الآية الكريمة خالياً من التوكيد ، وقرر حكماً مفاده : إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يغل " يخون " في قسمة الغنائم ، ولا يكون ذلك من نبي من الأنبياء لأن ذلك ينافي النبوة ، وكذلك كان الخطاب في الجملة المستأنفة (وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ) ابتدائياً خالياً من أدوات التوكيد .

ومفاد هذه الجملة المستأنفة أنَّ من يسرق شيئاً من الغنيمة فإنه يأت به حاملاً له يوم القيامة ليفضح على رؤوس الأشهاد[1] . وفي ذلك تخويف وتحذير من هذا الفعل المذموم .

(1) ينظر الزمخشري : الكشاف ، 1 / 358 ، وأبوحيان : البحر لمحيط ، 4 / 110 .

وترتبط هذه الجملة الكريمة بجملة (ِوَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ) ، والعلاقة الرابطة بين الجملتين هي " البيان " ، فبعد أن نفت الجُملة الأولى وقوع الخيانة من نبي من الأنبياء في قسمة الغنائم ، جاءت الجملة الثانية المستأنفة لتبين أنّ من يخون في قسمة الغنائم ، أو يسرق منها . يعاقب على فعله بفضحه على رؤوس الأشهاد حيث يأتي حاملاً ما سرقه ليعلم الجميع خيانته ، وهذا بيان لعظيم جرمه ، وشناعة فعله ، ومثل هذا الأمر لا يعقل حدوثه من نبي اصطفاه الله واختاره ، وقد أفاد هذا البيان الذي حملته جملة الاستئناف مزيد إيضاح لمضمون الجملة السابقة .

ومن الاستئناف الابتدائي الجملة الكريمة (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) في سياق قول الله ـ تعالى ـ : (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) [العنكبوت : 45] ، فالاستئناف بهذه الجملة جاء بحرف " الواو " ، فهو استئناف نحوي بالجملة الاسمية يفيد نسبة علم ما يصنع الناس إلى الله ـ جلت صفاته ـ فبعد الإخبار منه ـ سبحانه وتعالى ـ بأن الصلاة تمنع من فعل الفحشاء ، والمنكر ، وأن ذكر الله لعباده بالثواب والثناء عليهم أكبر وأفضل من ذكر العباد لله في عبادتهم ، أخبر ـ سبحانه ـ بأنه يعلم ما يصنعه الناس ويفعلونه ، وهو خبر مفاده الوعيد والحث على المراقبة [1].

والجملة المستأنفة (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) ارتبطت بجملة (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) ، فلما كانت الصلاة عبادة مفروضة فإن الناس فريقان : فريق مقيم لها وآخر مضيع لها ، والله يعلم حالة كلِّ فريق ، والمقيمون الصلاة قسمان : قسم يقيمها كاملة الأركان ، تامة السنن يخشع في أدائها ، ويستشعر عظمتها وعظمة وصلها له بربه ـ جل وعلا ـ وقسم يؤديها من غير خشوع ولا تمام ليسقط عن نفسه وزر تركها ، والله ـ سبحانه ـ يعلم حال كل قسم ، وصنيع كل فريق .

وبناءً على هذا التأويل فإن الترابط وثيق ـ كما ظهر ـ بين معنى كل جملة من الجملتين المترابطتين ، والرابط المعنوي " التكامل " ، حيث إنّ كلاً من الجملتين يكمل معنى الأخرى ويتممه ، وبمجموعهما يكتمل المعنى المراد .

(1) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 13 / 348 - 349 .

وجاء الاستئناف الحرفي بالجملة الاسمية المرتبطة بجملة اسمية في القرآن الكريم ابتدائياً في مواضع منها :

1 - (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً) [آل عمران : 96 - 97] .

2 - (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [آل عمران : 161] .

3 - (لهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ) [الأنعام : 127] .

4 - (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) [الرعد : 7] .

5 - (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) [العنكبوت : 45] .

ب - الاستئناف بـ " بل " :

وهي حرف استئناف إذا وقعت بعدها الجملة ، ولا تكون عاطفة في هذه الحالة على الصحيح [1]، وذلك خلافاً للزمخشري وأبي حيان الأندلسي اللذين يجيزان عطف جملة على جملة أخرى بـ " بل " كما يعطف بها المفرد على المفرد[2] ، والذي يظهر من تأمل معاني كثير من النصوص القرآنية التي جاءت فيها " بل " بين جملتين أنها حرف استئناف وليست عاطفة .

وتفيد " بل " التي للاستئناف الإضراب الإبطالي أو الإضراب الانتقالي ؛ ومعنى الإضراب الإبطالي هو إبطال الجملة التي قبلها ، وإثبات الجملة التي بعدها ، أما الإضراب الانتقالي فلا يبطل ما قبلها وإنما ينتقل منه إلى غيره ، وقد جاءت " بل " للإضراب الإبطالي في قول الله - تعالى - : (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) [النحل : 101] ، فجملة (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) جملة

---

(1) ينظر : ابن هشام : مغني اللبيب ، 1 / 186 .
(2) ينظر : محمد عبدالخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، 2 / 58 .

استئنافية أبطلت دعوى الكافرين[1] ، ونقضت افتراءهم على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما قالوا له : (إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ).

وهذه الجملة المستأنفة ارتبطت معنوياً بجملة (إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ) لأنها نقض لها، فالعلاقة الرابطة هي علاقة " النقض " ، ويظهر من الجمل المستأنفة بـ " بل " أن الرابط لها بالجملة التي قبلها هو علاقة " النقض " ، وهي علاقة رابطة أفادها معنى حرف الاستئناف " بل " ، وقد تأتي هذه العلاقة رابطة بين الجمل المستأنفة بغير " بل " كما مرّ من قبل [2].

والخطاب بالجملة المستأنفة (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) موجه للرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لذا جاء ابتدائياً لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ خالي الذهن من سبب اتهام الكفار له بالافتراء ، فكان إخبار الله ـ جل وعلا ـ له بهذا الاستئناف الخبري خالياً من التوكيد ، والغرض من هذا الاستئناف تقرير حقيقة مفادها أن أكثر هؤلاء الذين يكذبون الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يعلمون حقيقة القرآن ولا يفهمون كنه الأمور ، وحكمة تبديل آية مكان آية ، ولما كان هذا الاستئناف هو كلام الله وحكمه بنفي العلم عن المكذبين والجملة قبله من دعوى المكذبين حسن الاستئناف لتغير مصدر الجملتين ، وتبعاً لاختلاف جهة الكلام اختلف الأسلوب .

فكان كلام المكذبين كما أخبر القرآن (إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ) مغايراً لأسلوب الجملة الاستئنافية التي نقضت كلامهم ، فكلامهم مجازفة وعجلة[3] منهم في إصدار الحكم من غير نظر ورويّة أو حوار ونقاش ، فكان الأجدر بهم ، والأقرب إلى المنطق العقلي ، أن يترووا ويسألوا ما سبب تبديل آية مكان آية ؟ فيجيبهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويبين لهم حكمة الله في ذلك ، وعندها ينظروا في هذه الحكمة ويتأملوها ثم يصدروا حكمهم ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك وتعجلوا بإصدار الحكم ، فدلَّ ذلك على مجازفتهم وجهلهم وألمح

---

(1) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 14 / 283 .
(2) ينظر مثلاً : ص : 166 و 181 من هذا البحث .
(3) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 14 / 283 .

إلى عنادهم ، ومما زاد هذا الحكم وضوحاً أسلوب القصر الذي أخبروا به عن رأيهم ، حيث قصروا شخص الرسول على الافتراء ، ولا شك أن ذلك مبالغة أخرى تدل على جهلهم وعنادهم وتناقض أقوالهم ، فهؤلاء القائلون هذا الكلام هم الذين سموا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصادق الأمين ! ! .

ومن ذلك يتضح أن الأسلوب الذي عبروا به عن حكمهم ورأيهم كان خبراً مؤكداً مقصوراً ، وهدف ذلك التأكيد إثبات حكمهم الذي يحاولون به صرف الناس عن الحق ، فساقوا الكلام بهذه الطريقة محاولين إثبات ادعائهم ، وإقناع أنفسهم به مع أنهم يشعرون ببطلان ادعائهم لذا حاولوا تأكيده بـ " إنما " .

أمّا أسلوب جملة النقض المستأنفة فاختلف عن أسلوب كلام المكذبين ؛ فقد جاء الكلام مستأنفاً ، وهذا يدل على الرغبة في زيادة تمكين الحكم في ذهن السامع ، وكانت الجملة خالية من التوكيد ، لأنها تضمنت حقيقة واضحة لا تحتاج إلى تأكيد ، لأنها نفت العلم عن أكثر هؤلاء المكذبين وهي حقيقة وشى بها استعجالهم ومجازفتهم في إصدار الأحكام ، وهو ما يفهم من كلامهم كما سبق بيانه ، فإن المجازفة في إصدار الحكم والعجلة فيه دليل على عدم العلم .

وبالمقارنة بين الجملتين من جانب آخر يلاحظ أن خبر الجملة الأولى التي هي كلام المكذبين (إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ) خبر مفردٌ هو كلمة " مفتر " وهو اسم ، ومجئ المسند كذلك يدل على الثبوت لدلالة الاسم على الثبوت والاستمرار وهذا الأمر يدل على مبالغة المكذبين في ادعائهم بثبوت صفة الافتراء ، وفي مقابل ذلك كان المسند في الجملة الثانية (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) هو الجملة الفعلية المنفية(لا يَعْلَمُونَ) وفعلها مضارع ، وهي تدل على تجدد حدوث نفي العلم عن هؤلاء المكذبين في الزمن الحالي أي زمن قولهم : " إنما أنت مفترٍ " ، ولم يأت المسند في الجملة اسماً أو جملة اسمية وهذا لون من ألوان الإعجاز ، إذ إن التعبير بالجملة الفعلية أفاد نفي العلم عنهم في زمن محدد هو زمن تكذيبهم ولم ينفه عنهم بعد ذلك ، وكأن ذلك إشارة خفية إلى أن عدم العلم سينتهي عندما يؤمن بعضهم وهذا

ما حدث فعلاً ، فقد آمن منهم جماعة ممن كذبوا وحاربوا الدعوة في مهدها ، وهذا إعجاز أسلوبي بلاغي يشير إلى أمرٍ مستقبلٍ لم يكن قد وقع حين نزلت هذه الآية الكريمة .

إن نتيجة هذه المقارنة بين الجملتين المترابطتين تزيد من تأكيد الترابط المعنوي بينهما بما ظهر من أوجه التقابل بين عناصر الجملتين ، وبيان ذلك : أنّ الجملة الأولى جاءت مؤكدة بـ " إنما " والثانية خلت من التوكيد ، والجملة الأولى دلّت على ثبوت مضمونها واستمراره ، والجملة الثانية دلت على تجدد حدوث مضمونها ، والجملة الأولى أفادت بتوكيدها وقصرها مبالغة ممقوتة جانبت الحقيقة ، أما الجملة الثانية فقد خلت من التوكيد لأنها صورت الحقيقة كما هي من غير مبالغة ، فهذه المقارنة تبرز جمال النقض الذي أفادته الجملة الثانية ، فكانت نقضاً بمعناها ونقضاً بعناصر مبناها .

ومن أمثلة الاستئناف الابتدائي الإبطالي بالجملة الاسمية المرتبطة بجملة اسمية قبلها ما يأتي :

1 - (هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ . قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ) [ص : 59 - 60] .

2 - (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) [الأحقاف : 24] .

وقد يكون الإضراب بـ " بل " إضراباً انتقالياً ، وهو انتقال من خبر إلى خبر آخر من غير إبطال للخبر الأول [1] ، وذلك نحو قول الله ـ تعالى ـ : (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ . بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا) [المؤمنون: 62 -63] ، فجملة (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ) لم تبطل ما قبلها ، وإنما كان الانتقال من الخبر الأول (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ) ـ وهو حق ثابت ـ إلى خبر آخر هو (قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ) ، ويمكن تحليل هذا

---

(1) ينظر : أبوحيان الأندلسي : البحر المحيط ، 1 / 324 ، 3 / 76 ، 4 / 103 .

النص لإبراز الترابط المعنوي بين الاستئناف بـ " بل " والجملة التي قبلها ، ويظهر هذا الترابط بعرض سياق الآيات الكريمة كما يلي :

قال الله ـ تعالى ـ : (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ(61) وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (62) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ(63)) [المؤمنون : 57 : 63] ، فجملة (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ) استئناف ابتدائي ، لذا جاء خالياً من حروف التوكيد ، وذلك لأن الخطاب موجه بهذه الجملة إلى الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي جملة تصف حالة المشركين الذين انغمسوا في غمرة غمرت قلوبهم فحجبتها عن الأخلاق الإيمانية التي اتصف بها المؤمنون الذين هم من خشية ربهم مشفقون[1] .

وارتبطت هذه الجملة (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ) بجملة (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. . . . . أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) لأن الإضراب بالجملة بعد " بل " استئناف للإخبار عن حال المشركين الذين هم نقيض المؤمنين ، وأعمالهم على الضد من أعمال المؤمنين ، وصفاتهم على النقيض منها ، فالعلاقة الرابطة بين الجملتين هي علاقة الضدية ، إذ إنه لما ذكرت صفات المؤمنين المشفقين حَسُن ذكر من هم ضدهم في الصفات ، ووضع الضدين في مثل هذه المقابلة تزيد به الأمور وضوحاً ، فبضدها تعرف الأشياء .

ويعدّ هذا الاستئناف نحوياً لأنه ليس جواباً عن سؤال مقدر في الجملة السابقة ، ولا يصح عطف هذه الجملة المستأنفة على الجملة التي قبلها ، فلا يصح أن يقال : وهم لا يظلمون وقلوبهم في غمرة من هذا . فليس مثل هذا الكلام من البلاغة في شيء ، وذلك لأنه

---

(1) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 18 / 80 .

لا يوجد تناسب بين الجملتين ، أي لا يوجد جامع بين الجملتين يسوغ الوصل " العطف " ، ولأجل هذا يرى البلاغيون وجوب " الفصل " في مثل هذه الحالة .

ولعله من الأجدر بلاغة ، والأدق معنى القول بالربط لا بالفصل ، لما يوحي به مصطلح الفصل من تفكك في بناء النص الواحد ، فإن جملة (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ) وإن لم ترتبط لفظياً بحرف العطف بما قبلها ، فإنها قد ارتبطت معنوياً بعلاقة الضدية بجملة (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ..... أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ)، والقول بالترابط بين جمل النص أقرب إلى البلاغة ، وأدق في الاصطلاح ، بل هو ألصق بالتأمل والتدبر القائم على النظر في النصوص وتحليلها تحليلاً أسلوبياً .

والذي يظهر من بحث موضوع " الفصل والوصل " عند علماء البلاغة أن مصطلح " الفصل " ـ الذي لا يرتضيه هذا البحث ـ منشؤه أمران اثنان هما : حَصْر علماء البلاغة نظرتهم إلى العلاقة بين الجمل بفكرة العطف وما تفرع عنها .

والأمر الثاني هو حصرهم نطاق البحث في العلاقة بين أجزاء النص في العلاقة القائمة بين الجملتين المتجاورتين ، وأدى ذلك إلى عزل الجملتين عن سياقهما وتضييق أفق الدراسة البلاغية في هذا الموضوع ، ومرجع هذين الأمرين هو الفلسفة التي بني عليها الموضوع ، وهي فلسفة شكلية ، تعتمد على عناصر الشكل في النص ، أقصد أنها تعنى باللفظ على حساب المعنى ، وبالشكل على حساب المضمون .

إن هذه الفلسفة هي التي جعلتهم ينظرون إلى الجُمل فإذا وجدوا جملتين قد عطفت إحداهما على الأخرى بالواو قالوا إن الجملتين متصلتان ، وإذا لم يجدوا العطف بالواو بين الجملتين قالوا إن الجملتين قد انفصلت الثانية منهما عن الأولى ، وهذا القول صادر عن النظر إلى حرف " الواو " العاطفة لا إلى المعنى المقصود في النص ، ولا يتأتى فهم المعنى إلا من خلال النظرة الشاملة إلى النص كلاً متكاملاً .

وفي هذا المثال القرآني الكريم نجد أن الترابط حدث بين جملتين ليستا متجاورتين ،وإنما بينهما مجموعة من الجمل بل مجموعة من الآيات ، ولكن ذلك لَمْ يَحُلْ دون هذا التّرابط المعنوي الذي فرضه النص القرآني نفسه ، فالواقع النصي هو الذي فرض هذا الترابط ، فالاعتراض بجملة أو أكثر قد يحدث في نصوص اللغة ، وقد يكون الاستطراد سبباً في الفصل الظاهر بين جملتين بينهما ترابط معنوي لا يمكن تجاهله .

وبالنظر إلى سياق الآيات ، يتضح ذلك الترابط جلياً ؛ قال الله ـ تعالى ـ : (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ(54) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ (56) إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ(59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ(61) وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (62) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ(63)) [المؤمنون : 53 - 63] . فواضح من النص الكريم ترابط جملة (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ) بجملة (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ . . .) ، وهذا الترابط يوجِدُ وحدة وتماسكاً بين جمل النص القرآني الكريم .

وجاء الاستئناف الخبري بـ " بل " التي للإضراب الانتقالي ابتدائياً بالجملة الاسمية المرتبطة بجملة اسمية مثلها في (*) :

1 - (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ <u>بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ</u>) [الأعراف: 81] .

2 - (أولئِكَ <u>كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ</u>) [الأعراف : 179] .

3 - (هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي <u>بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ</u> الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ) [الأنبياء : 24] .

(*) الجملة المقصودة هي التي فوق الخط .

4 - (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ . بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا) [المؤمنون : 62 : 63] .

5 - (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) [النور : 11] .

6 - (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) [الفرقان : 44] .

7 - (أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) [النمل:55].

8 - (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) [النمل : 66] .

9 - (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ) [العنكبوت : 63] .

10 - (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) [الواقعة : 66 - 67] .

11 - (وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ . بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) [البروج : 20 - 21] .

جـ ـ الاستئناف بـ " أو " :

و " أو " حرف استئناف عند الكوفيين ، ومعناها الإضراب ، فهي بمعنى " بل"[1].

وجاء الاستئناف بـ " أو " في الأسلوب الخبري ابتدائياً ، وكان ارتباطه بجملة اسمية في آيتين هما [2]:

1 - (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) [البقرة : 74].

2 - (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) [النحل : 77] .

ففي الآية الأولى الجملة المستأنفة (أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) جاءت مصدرة بحرف الإضراب " أو " ، وهذا الاستئناف ابتدائي لأن الخطاب موجه إلى المسلمين وهم ليس لهم

---

(1) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 1 / 124 .
(2) ينظر : محمد عبدالخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، 1 / 581 .

دراية سابقة بمضمون هذه الجملة ؛ فالله ـ جل وعلا ـ يخبر المسلمين عن حال اليهود ، وظاهر لفظ الكلام أنه خطاب لليهود أنفسهم إلا أن القرآن قد أنزل على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو المخاطب الأول ، والمسلمون مخاطبون معه فالخطاب لهم غرضه " فائدة الخبر " ، وأمّا خطاب اليهود فهو من باب " لزوم الفائدة" التي تضمنها الخبر ، والهدف من هذا الخبر كشف حقيقة هؤلاء اليهود للمسلمين .

وأفادت " أو " هنا الإضراب الانتقالي ، فهذا انتقال من تشبيه قلوب اليهود بالحجارة إلى تشبيه قسوتها بما هو أشد قسوة من الحجارة ، والانتقال ناشئ عن معنى التخيير الموضوعة له " أو " ، " فإن القلوب بعد أن شبهت بالحجارة وكان الشأن أن يكون المشبه أضعف في الوصف من المشبه به يُبْنى على ذلك ابتداءُ التشبيه بما هو أشهر ثم عقب التشبيه بالترقي إلى التفضيل في وجه الشبه " [1].

وارتبطت هذه الجملة المستأنفة (أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) بجملة (فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ) ، وحَسَّن هذا الارتباط اتفاق الجملتين في الاسمية ، وتماثل المسند إليه فيهما ، فهو في كلا الجملتين الضمير " هي " ، فالمعنى على تقدير : ثم قست قلوبكم فهي كالحجارة ، أو هي أشد قسوة ، فكلمة (أَشَدُّ) خبر مبتدأ محذوف دلَّ عليه : (فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ) [2].

والعلاقة الرابطة بين الجملتين هي " التوكيد " فالجملة الأولى جاءت لبيان قَسْوة قلوب اليهود ، وجاءت الجملة الثانية لتأكيد هذا المعنى ، وهذا من قبيل توكيد الجملة بجملة أخرى في المعنى من دون اللفظ ، إلا أن اقتران الجملة بحرف الاستئناف " أو " جعل الجملة مستأنفة ، ومنع أن تكون توكيداً بالجملة .

وهذا الاستئناف من الاستئناف النحوي الذي لم يعتنِ به البلاغيون ، فقد كان تركيزهم على الاسئتناف البياني الذي تكون فيه الجملة المستأنفة جواباً عن سؤال مقدر أوحى به الكلام السابق ، وكان اعتناء البلاغيين بالاستئناف البياني لما فيه من خفاء وجمال تعبيري كما صرحوا هم أنفسهم بذلك ، والبحث البلاغي النصي يكشف عن جمال للاستئناف النحوي لا يقل عن جمال الاستئناف البياني ، وبناء على ذلك فإن هذا البحث يتناول كلا النوعين من أنواع الاستئناف .

ومن وجوه الجمال في هذا الاستئناف النحوي بجملة (أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) حذف المسند إليه ، وهو الضمير " هي " ، وذلك لظهوره بدلالة القرائن ؛ فذكر المسند إليه في الجملة التي قبل هذه الجملة هو قرينة دلت على نوع المسند إليه في هذه الجملة ودلت على حذفه ، ولهذا الحذف سر بلاغي هو مكمن جمال الحذف ، ولولاه ما كان للحذف هذه الفائدة المعنوية، التي تتمثل في إغفال ذكر المحذوف للإشارة إلى عدم محبته ، فإن المتكلم ينأى بنفسه عن إجراء اسم من لا يحبه على لسانه ، فيقع هذا الحذف في نفس السامع موقعه ، فيشعر بأن الحذف كان لعدم الاعتناء به ، ولكراهة ذكره ، فيحس بمرارة في نفسه ، ويشعر بسوط التعريض على شغاف قلبه ، فيزداد إحساسه بالبعد عن ربه ، وينكشف له حقيقة إقامته في منزل المبعدين المطرودين من المغضوب عليهم ومن الضالين .

([1]) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 1 / 563 .
([2]) ينظر : المصدر السابق ، والصفحة نفسها .

وجاء الاستئناف مقترناً بـ " أو " أيضاً في جملة (أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) في الآية الكريمة الثانية (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) [النحل : 77] ، وكانت " أو " للإضراب الانتقالي ، فقد أضرب بها عن التشبيه الأول (كَلَمْحِ الْبَصَرِ) ، وأكد بها أن الساعة أقرب من لمح البصر ، وأسرع حصولاً [1]، وترتبط الجملة المستأنفة بجملة (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ) ، ووجه الارتباط هو أن الجملة الثانية تأكيد لمعنى الجملة الأولى ، فكلتا الجملتين يفيد سرعة حصول الساعة وقرب زمانها ، إلا أن الجملة الثانية كانت دلالاتها أكثر بياناً للمعنى المقصود .

فالجملتان متفقتان في أصل المعنى المقصود ، لذلك كانت الثانية توكيداً لمعنى الجملة الأولى ، وبناء على ذلك فإن العلاقة الرابطة بين الجملتين هي علاقة " التأكيد ".

د ـ الاستئناف بـ " لكنْ " المخففة :

وهي حرف استئناف ، سواء أكانت خفيفة بأصل الوضع أم مخففة من الثقيلة[2]، والاستئناف الابتدائي بها كان خبرياً بالجملة الاسمية في آيتين هما :

1 ـ (لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ . مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) [آل عمران : 196 - 197] .

2 ـ (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ . . . إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ) [النساء : 150 - 166] .

في الآية الأولى جاء الاستئناف (لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ . . .) ابتدائياً فهو غير مؤكد لأن المخاطب هنا هو الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاء الخبر

---

(1) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 14 / 230 .
(2) ينظر : ابن هشام : مغني اللبيب ، 1 / 422 .

موافقاً لمقتضى الظاهر ، وهو استئناف نحوي بحرف الاستئناف " لكنْ " ، وجاء لذكر حال المتقين ، والإخبار عنهم ، بعد الإخبار عن حال الكافرين ، وبين الحالين تقابل (1) نتج عنه ترابط معنوي بين الجملتين ؛ فجملة (لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا) مرتبطة كما يتضح من السياق القرآني الكريم بجملة (مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) ، فـ " متاع " خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير تقلبهم متاع (2) .

وبين الجملتين ترابط بعلاقة " التناظر " لأن حال الكافرين نظير لحال المؤمنين، وبين الجملتين توازن أسلوبي جميل يقوي الترابط بينهما ؛ فحال الكافرين يتمثل في أمرين هما: إنهم يتمتعون في الدنيا ، ومتاع الدنيا قليل ومحدود بزمن حياتهم ، أما في الآخرة فمأواهم نار جهنم ، وهذا ما عبرت عنه الجُملة الأولى ، والجملة الثانية ذكرت حال المؤمنين ويتمثل في أمرين هما : إنهم يتمتعون في الجنات ومأواهم فيها دائم لأنهم خالدون فيها ، وهذا التقابل والتناظر بين الحالتين هو ما أعطى الاستئناف حسناً وجمالاً أسلوبياً ، إذ إن ذكر النظير بجوار نظيره يثير العقل ويحرك النفس .

وفي الآية الثانية كان الاستئناف نحوياً بـ " لكن " في جملة (لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ) [النساء : 166] . ومفاد هذه الجملة أنّ الله يشهد لنبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنه صادق فيما يُخبر به ويبلغه من وحي ، " وفي الكلام حذف دل عليه الكلام ؛ فكأنّ الكفار قالوا : ما نشهد لك يا محمد فيما تقول فمن يشهد لك ؟ فنزل " لكن الله يشهد" (3) . فكأن هذه الجملة المستأنفة استدراك بعد الكلام المحذوف المقدر ، فالمعنى ـ والله أعلم ـ : الكفار لم يشهدوا لكن الله يشهد ، ويفهم هذا المعنى المقدر من الآية الكريمة التي وقعت قبل هذه الآية بمجموعة آيات وهي قول الحق ـ جل وعلا ـ: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ

---

(1) ينظر : أبوحيان الأندلسي ، البحر المحيط ، 3 / 147 .
(2) ينظر : العكبري : التبيان في إعراب القرآن ، 1 / 323 .
(3) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 6 / 19 .

يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً) [النساء : 150 - 151] . فكفرهم دليل على عدم شهادتهم .

وهذه الجملة الكريمة التي فهم منها هذا المعنى هي التي ارتبطت بها الجملة المستأنفة (لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ) ، والرابط المعنوي بينهما هو " التناقض " ، فشهادة الله تنقض امتناع شهادة الكفار ، وقولهم : نحن لا نشهد سلب ، وقول الحق ـ تعالى ـ : (اللَّهُ يَشْهَدُ) إيجاب ، واختلاف الجملتين سلباً وإيجاباً هو معنى التناقض .

هـ ـ الاستئناف بعد " إلا " :

وهي حرف استثناء أصلاً ، وإذا وقعت بعدها الجملة كانت بمعنى " لكنْ " المخففة ، ويكون ما بعدها استئناف فيرفع ، وإن نصب ما بعدها فهي بمعنى " لكنَّ " المشددة [1]، وبناء على ذلك أجاز معربو القرآن أن يكون المستثنى جملة في بعض آيات القرآن الكريم[2] . وجاء الاستئناف ابتدائياً بالجملة الخبرية الاسمية بعد " إلا " في قول الله ـ تعالى :-

1 - (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا . إلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) [النساء : 145 - 146] .

2 - (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ .إلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [المائدة : 33 - 34] .

([1]) ينظر : تفصيل المسألة في : الصبان : حاشية الصبان على شرح الأشموني ، 2 / 142 .
([2]) ينظر : محمد عبدالخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، 1 / 241 .

3 - (إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ . إلا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) [النمل : 10 - 11] .

4 - (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ) [سبأ : 37] .

5 - (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً . إلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) [الجن: 26 - 27] .

ويمكن تناول مثال للاستئناف بعد " إلا " بالتحليل ، ولتكن جملة ـ (إلا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) [النمل : 11] . ، فهذه الجملة مستأنفة ، والاستئناف في السياق منقطع [1]، قال الله ـ تعالى ـ : ـ (إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ . إلا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) [النمل : 10-11]. و" إلا " في الآية الكريمة حرف بمعنى " لكن " التي تفيد الاستدراك .

وقد جاءت جملة (إلا مَنْ ظَلَمَ . . .)خبراً ابتدائياً خالياً من التوكيد لأن المخاطب هو سيدنا موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو خالي الذهن من مضمون الخبر ، فألقى إليه الخبر على مقتضى الظاهر ، وهذه الجملة الاستئنافية " استطراد للتنبيه على أن من ظلم وبدل حسناً بعد سوء من الناس يغفر له . وعليه تكون (من) صادقة على شخص ظلم وليس المراد بها مخالفات بعض الرسل "[2] ، وهذا المعنى هو الغرض من الاستئناف ، أقصد معنى التنبيه على هذا المضمون الذي يحمله هذا الخبر الاستئنافي ، وبناء على ذلك فإن التنبيه هو أحد أغراض الاستئناف الخبري .

أما من جهة ترابط هذا الاستئناف فإنه مرتبط معنوياً بعلاقة " الاستطراد " بجملة (إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) [النمل : 10] ، وهي الجملة الواقعة قبل جملة الاستئناف مباشرة ، وعلاقة الاستطراد تربط بين الجملتين إذا كانت الجملة المستطردة جاءت

---

(1) ينظر : الزمخشري : الكشاف ، 3 / 138 ، وابن عاشور : التحرير والتنوير ، 19 / 230 .
(2) المصدر السابق : 19 / 230 .

بمضمون ومعنى له صلة بالجملة التي قبلها لكنَّ هذا المضمون خارج عن غرض الكلام الذي قبله .

فإن غرض الكلام في (إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) بث الاطمئنان في نفس سيدنا موسى ساعة تجلى الله ـ جل وعلا ـ وتكليمه ـ سبحانه ـ لموسى ، وغرض جملة الاستئناف التنبيه على أن الذي يظلم نفسه بذنب أو معصية ثم يستغفر ويتوب فإن الله يقبل توبته ويغفر له ، فالغرضان مختلفان ، وهما إن اختلفا فإنّ بينهما نوعاً من التناسب والصلة ، فالجملة الأولى عبرت عن حال الأنبياء مع الله ، والثانية عبرت عن حال سائر الخلق من غير الأنبياء ، فكأن المعنى المراد بالجملة المستأنفة ـ أقصد تأويل المعنى ـ : إن الذين يتوبون إلى الله ويستغفرونه ويبدلون أعمالهم إلى الأعمال الحسنة فإن مقامهم مقام القرب من الله ، وهم مُعرَّضون بعد قبول توبتهم إلى عطاءات الله الرحيم ، والذي يدل على ذلك (فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) فغفور دليل قبول التوبة ، ورحيم دليل على العطاء ، لأن معنى اسمه ـ جل وعلا ـ الرحيم هو : المنعم بدقائق النعم .

2 ـ الاستئناف الحرفي الطلبي :

وهو الذي يخاطب به الشاك في مضمون الخطاب ، المتردد في قبوله ، ويؤكد له الكلام بمؤكد من المؤكدات ، ومثاله هنا جملة (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) ؛ فهذه الجملة مستأنفة والمخاطب بها المنافقون الذين لا ينفقون من أموالهم في سبيل الله[1] ، وكان بخلهم هذا ظلم فتوعدهم الله ـ جل وعلا ـ في هذه الجملة وكانت مؤكدة بحرف الجر الزائد " من " الذي يفيد التوكيد ، وذلك لأن المنافقين يشكون في وعيد الله ووعده ، ويرتابون في القرآن .

وجاءت هذه الجملة المستأنفة مقترنة بحرف الواو ، وهي جملة اسمية تدل على الثبوت والدوام بأصل وضعها ، وتقدم فيها المسند وهو جار ومجرور " للظالمين " ليفيد التخصيص ، أي تخصيص المسند بالمسند إليه ، فهذا التقديم أفاد نفي وجود الأنصار للظالمين خاصة، وفي المقابل فإن للمنفقين في سبيل الله نصيرُ ، وهذا ما يفهم من الكلام

([1]) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 3 / 66 .

حسب مفهوم المخالفة ، فإن السياق القرآني الكريم يتحدث عن فريقين: منفقين مؤمنين ، ومنافقين ظالمين ؛ لا ينفقون ، ولو جاء الكلام على أصله من غير تقديم وتأخير لكان المعنى نفي وجود الأنصار للظالمين من غير تخصيص فيحتمل المعنى أن لا أنصار للظالمين ولا لغير الظالمين ، والسياق الكريم يعبر عن معنى نصرة الله لعباده المؤمنين المنفقين وخذلانه للمنافقين الذين لا ينفقون وأنه لا نصير لهم، وهذا المعنى لا يتحقق إلا بمجيء الجملة المستأنفة (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) على هذا الوجه من التخصيص الذي أفاده تقديم المسند على المسند إليه .

وأكد هذا المعنى المراد من السياق الترابط المعنوي بين هذه الجملة المستأنفة والجملة التي قبلها ؛ فقد ارتبطت جملة (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) بجملة (فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُه) ويتضح هذا الارتباط من سياق النص الكريم ، قال الله ـ تعالى ـ : (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) [البقرة : 270] . فالجملتان متقابلتان متناظرتان ، حيث إن جملة (فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) وعد من الله بأن يكافئ المنفقين ، والجملة المستأنفة (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) وعيد لمن لا ينفق من المنافقين ، فالعلاقة الرابطة هنا هي " التقابل " كما تبين من معنى الجملتين .

ولم أعثر في بحثي عن الجمل المستأنفة على غير هذه الجملة التي جاءت استئنافاً طلبياً بالحرف وارتبطت بجملة اسمية .

3 - خروج الخبر عن مقتضى الظاهر :

قد يخرج الخبر عن مقتضى ظاهره ، فيخاطب خالي الذهن بالخبر مؤكداً ، أو يخاطب المتردد الشاك بالخبر خالياً من التوكيد ، وقد يخاطب المنكر بالخبر خالياً من المؤكدات وإنما يحدث ذلك لأسباب بلاغية تجعل المتكلم ينزل خالي الذهن منزلة المتردد ، أو ينزل المتردد منزلة المنكر ونحو ذلك ، وقد جاءت بعض الجمل القرآنية الخبرية على غير مقتضى الظاهر لأغراض بلاغية ، وفيما يلي بيان ذلك .

أ - تنزيل خالي الذهن منزلة الشاك المتردد :

وذلك كما في قول الله ـ تعالى ـ : (إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) [الشورى : 40 - 41] .

فالجملة الاسمية (وَلَمَنِ انْتَصَرَ) المخاطب بها هم المؤمنون ، ومضمون الخبر إباحة الانتصار ، والاقتصاص من الظالمين الذين يظلمون المؤمنين [1]، ولم يكن هذا الحكم معلوماً من قبل ، إذ كانوا مطالبين بالصبر على الأذى وتحمله أول الأمر فجاءت الآية وأباحت لهم الانتصار من الظالم ولأن الآية سبقتها آيات تمنع الاعتداء ، بل تدعو إلى الدفع بالتي هي أحسن والصبر عن الأذى فإن النفس ربما ترددت في الردّ على الظلم خوفاً من كراهة ذلك من الله وقد جاء قبل هذه الجملة (إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) فجاءت إباحة الانتصار مؤكدة باللام في : (وَلَمَنِ انْتَصَرَ) لتدفع ما قد يحدث من تردد ، ولتؤكد إباحة رد الظلم والعدوان ،ثم جاء تأكيد آخر في الجملة بنفي جنس السبيل أي نفي جنس المؤاخذة ، وكان ذلك التوكيد بالنفي و " من " الزائدة " .

وترتبط جملة (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) بجملة (إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) ، والعلاقة الرابطة هي علاقة " التخصيص " ، فالجملة الأولى عامة في نفي محبة الله الظالمين ، وجاءت الجملة الثانية لتخصص صنفاً من هذا العموم وتستثنيه من ذلك الحكم العام .

ب - تنزيل المنكر منزلة خالي الذهن :

1 - (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ) [المائدة : 18] .

2 - (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) [المائدة : 62] .

---

(1) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 16 / 39 .

ففي الآية الأولى جاءت جملة (بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ) استئنافاً خبرياً غير مؤكد ، والمخاطب به هم اليهود والنصارى وهم ينكرون أنهم كباقي البشر، ويدعون أن لهم خصوصية وأن الله ميزهم عن غيرهم ، وكان مقتضى الظاهر أن يخاطبوا بجملة مؤكدة رداً على إنكارهم ، لكن الجملة المستأنفة جاءت غير مؤكدة ، فكان ذلك لتنزيلهم منزلة خالي الذهن ، وذلك لغرض بلاغي هو عدم الالتفات إلى دعواهم ، وعدم الاعتناء بها لأنها باطلة بأدلة العقل ، وبأدلة الحال ، ولا يخفى بطلانها على من له مسكة من عقل ، أو أدنى ملاحظة .

ولا شك أن مجيء الكلام مستأنفاً غير مؤكد كما تبين أعرق في البلاغة ، وأكثر تأثيراً في أنفس المخاطبين إذ إن هذا الأسلوب سينزل على نفوسهم كالصاعقة فيدحض ادعاءهم ويكسر كبرياءهم وتعاليهم الذي قادهم إلى إنكار نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وألقى بهم في درك الكفر .

وترتبط هذه الجملة المستأنفة (بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ) بالجملة الاسمية التي هي مقول القول : (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) والعلاقة الرابطة هي " النقض " ، فإن الجملة المستأنفة نقضت ادعاء اليهود والنصارى وأبطلته ، فهم ليسوا أبناء الله ، وليسوا أحباءه، وما هم إلا بشر مخلوقون كسائر البشر ، فلا فضل لهم ، ولا خصوصية تميزهم .

وقد ازداد حسن هذا الاستئناف بمجيء جملته موازنة للجملة التي ارتبطت بها ونقضتها ، ومن أوجه هذا التوازن أن الجملتين خبريتان ، اسميتان ، ومجيء المسند إليه في الجملة الأولى : (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) ضميراً للمتكلم ، وفي الجملة الثانية المسند إليه ضمير الخطاب (أَنْتُمْ بَشَرٌ) والمسند في الجملة الأولى (أَبْنَاءُ اللَّهِ) وفي الجملة الثانية نقضه بالمسند (بَشَرٌ) . وكما أن الجملة الأولى لم تؤكد جاء الردّ في الجملة الثانية غير مؤكد .

إن هذه الأوجه التي أوجدت توازناً أسلوبياً بديعاً بين الجملتين المترابطتين زادت الترابط قوة وجمالاً ، وألمحت إليه ، ووشت به ، فجعلته مدركاً لمن يمعن النظر ، ويجيل الفكر في النص القرآني الكريم .

جـ - تنزيل المنكر منزلة الشاك المتردد :

وينزل المنكر منزلة الشاك لغرض من الأغراض البلاغية ، كأن يكون إنكاره ضعيفاً أو شبهته واهية واهنة ، فيخاطب خطاب الشاك تقليلاً من شأن إنكاره ، وتلميحاً إلى ضعفه ، وكان ذلك في الجملة الاسمية المستأنفة استئنافاً حرفياً بالواو في آيتين كريمتين هما :

1 - (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ . وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) [يونس : 52 - 53] .

2 - (وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) [طه : 127] .

فقول الله ـ تعالى ـ : (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) في الآية الكريمة (قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) [يونس : 53] ، الكلام فيه موجه إلى الكفار ، وهم منكرون لوقوع عذاب الله عليهم جزاء كفرهم ، فجاء الخبر الأول مؤكداً بالقسم " وإن " واللام : (وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ) ليدحض إنكارهم ، ويقطع جدالهم ، ثم جاء الخبر المقصود هنا : (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) أقل توكيداً من سابقه ، فقد جاء مؤكداً بالباء في (بِمُعْجِزِينَ) وكأن الخبر الأول بقوته هز نفوسهم ، وأزال إنكارهم فانخفضت درجة تكذيبهم إلى الشك والتردد بعد أن كانت جحوداً ونكراناً فحسن أن يلقي إليهم الخبر مؤكداً بمؤكد واحدٍ .

ويوحي هذا الخبر بأمر آخر هو : إن أمر تعذيبكم ومعاقبتكم أيها السائلون عن العذاب أمر يسير على الله لأنه هو القدير ، فجاء الخبر مكتفياً بمؤكد واحد ليظهر لهم أن الأمر سهل وحق لا يحتاج إلى مزيد تأكيد .

وترتبط جملة (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) المستأنفة بجملة (إِنَّهُ لَحَقٌّ) ارتباطاً معنوياً بعلاقة " البيان " حيث إن هذه الجملة المستأنفة بينت عجز المشركين عن الخلاص من العذاب الواقع حقاً[1] ؛ فمعنى (إِنَّهُ لَحَقٌّ) هو : إن العذاب واقع بكم حقيقة ، وكانت الجملة المستأنفة (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) بياناً لحالهم مع هذا العذاب الواقع .

ومن بديع التناسق السياقي الذي يدعم الترابط بين الجملتين التكامل الذي بينهما في المعنى ، فالجملة الأولى جاءت مثبتة (إِنَّهُ لَحَقٌّ) ، والثانية منفية (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) فأدتا تأكيد وقوع العذاب بهم على كل حالٍ ، فكان ذلك معبراً عنه تارة بالإثبات وتارة أخرى بالنفي ، وهذا نوع من التأكيد في المعنى .

وبعد هذا العرض لربط الاستئناف الحرفي بما قبله من الجمل تبين أنَّ هذا النوع من " الاستئناف النحوي " ، فليس هناك استئناف بياني في جملة مستأنفة بحرف من حروف الاستئناف ، وهذه النتيجة كشفت عنها الدراسة النصية التحليلية ، وقديماً ألمح عبدالقاهر الجرجاني إلى أن الاستئناف البياني لا يكون بجملة مستأنفة بحرف " الواو " ، وهذا ما يمكن فهمه من تحليله لقول الشاعر :

زعم العواذِلُ أنني في غمرة   صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

يقول الجرجاني في تحليل هذا البيت : " لما حكى عن العواذل أنهم قالوا : هو في غمرة ، وكان ذلك مما يحرك السامع لأن يسأله فيقول : فما قولك في ذلك وما جوابك عنه ؟ أخرج الكلام مخرجه إذا كان ذلك قد قيل له وصار كأنه قال : أقول صدقوا أنا كما قالوا ولكن لا مطمع لهم في فلاحي ، ولو قال : زعم العواذل أنني في غمرة وصدقوا ، لكان يكون لم يصح في نفسه أنه مسؤول وأن كلامه كلام مجيب " [2]، فقوله : " ولو قال : " زعم العواذل أنني في غمرة وصدقوا ، لكان يكون لم يصح في نفسه أنه مسؤول . . " ،

([1]) ينظر : الألوسي : روح المعاني ، 11 / 136 .
([2]) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص : 182 .

يظهر أنه قدر جواب الشاعر كلاماً مستأنفاً بالواو : " وصدقوا " ، و يجعل الاستئناف غير بياني ، ويكون كلام الشاعر ليس إجابة عن سؤال .

وهذه ملاحظة دقيقة تحسب للجرجاني ، وهي تدل على دقة ملاحظته ، وذوقه البلاغي السليم ، لكنه خص بالذكر هنا الاستئناف بالواو ، وها هو ذا البحث يثبت صحة ذلك ، ويكشف أن ذلك يشمل جميع أنواع الاستئناف الحرفي سواء أكان بالواو أم بالفاء أم بـ" بل " أم بغيرها من حروف الاستئناف .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الاستئناف البياني يكون في حالة " شبه كمال الاتصال " فحسب ، كما اصطلح على تسميتها علماء البلاغة في باب " الفصل والوصل " ، فهم يعرفون شبه كمال الاتصال بأنه : " أن تكون الجملة السابقة كالمورد للسؤال أو المنشأ له ، فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال ، ويسمى الفصل لذلك استئنافياً " [1].

وإذا كان الاستئناف البياني قد انحصر في حالة " شبه كمال الاتصال " فإن الاستئناف النحوي له ثلاث حالات هي : حالة كمال الانقطاع ، وحالة شبه كمال الانقطاع ، وحالة التوسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال " التوسط بين الكمالين " .

فأما الحالة الأولى التي هي " كمال الانقطاع ، فتحدث إذا كانت الجملتان متباينتين تبايناً تاماً وذلك باختلافهما خبراً وإنشاءً ، أو أنْ تتفقا في الخبرية أو الإنشائية لكنهما لا تناسب بينهما ، ولا جامع يجمع بين معنييهما .

فأما اختلافهما خبراً وإنشاءً فإن ذلك ليس من موضوع البحث ، لأن هذا البحث يقتصر على بحث الجمل الخبرية فحسب ، وأما الصورة الثانية فهي التي تتفق فيها الجملتان في نوع الأسلوب ، لكنهما يفقدان التناسب بينهما ويفقدان الجامع على حد تعبير البلاغيين ، وذلك نحو جملة : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ) [

(1) المراغي : علوم البلاغة ، ص : 175 .

البقرة : 6] بعد قول الله ـ تعالى ـ : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون) [البقرة : 5] .

ففي هذه الحالة يجب قطع الجملة الثانية عن الأولى يقول السكاكي : " من هذا القبيل قطع : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) عما قبله لكون ما قبله حديثاً عن القرآن من شأنه كيت وكيت ، وكون : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) حديثاً عن الكفار وعن تصميمهم في كفرهم، والفصل لازم للانقطاع "[1] ، ويقصد بالانقطاع هنا انقطاع معنى الجملة الأولى عن معنى الجملة الثانية بسبب عدم وجود " جامع " عقلي أو وهمي أو خيالي ، والجامع هنا هو المناسبة ، وهذا الحكم لا يقرّه الواقع النصي ، والتحليل الأسلوبي للنصوص .

ففي هذا النص القرآني نجد أنَّ علاقة معنوية قد ربطت بين الجملتين هي علاقة " التناظر " ، فالجملة الاستئنافية (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) تتحدث عن موقف جماعة من الناس الذين أنكروا القرآن ورسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتبين حالتهم من الدعوة ، وموقفهم من القرآن ، وقد جاء هذا بعد ذكر موقف جماعة أخرى من الناس هم الذين آمنوا بالقرآن والرسالة وجنوا ثمار إيمانهم ، فكانوا على هدى من ربهم ، وتحقق لهم الفلاح عند مليكهم ـ جل جلاله ـ وهذا ما دلت عليه الجمل السابقة الواقعة قبل الجملة المستأنفة ، قال الله ـ تعالى ـ : (ألم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ . . . . أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ) [البقرة : 1 ـ 6] .

ومن هذا السياق النصي الكريم يتبين مدى الترابط المعنوي القوي بين الجملة المستأنفة والجمل التي قبلها، وهذا الترابط المعنوي هو الذي أغنى عمَّا يسمى " الوصل " بحرف الواو العاطفة ، فالحقيقة أن لا انقطاع بين جملة الاستئناف وما قبلها ، وبناء على ذلك فإن مصطلح " كمال الانقطاع " لا يعبر عن واقع النص ، فضلاً عن إيهامه بتفكك

([1]) السكاكي : مفتاح العلوم ، ص : 243 .

جمل النص ، وهو ما يدل عليه معنى هذا المصطلح ، لذلك وجه الباحثون المحدثون النقد لهذا المصطلح ، وبقية المصطلحات التي وردت في باب " الفصل والوصل " .

إن باحثاً معاصراً يرى أن هذه المصطلحات صادرة عن تحكم في النص ، وفرض أمور خارجة عنه ؛ يقول الدكتور عبدالواحد علام : " ودعك من هذه المسميات التي قد يفوح من بعضها رائحة التحكم وفرض أمور على النص الأدبي خارجة عنه ، وهي في مجملها أمور معيارية تقيس النص بمقياس الصواب والخطأ على أساس موافقته أو مخالفته لتلك القواعد المقررة سلفاً " [1].

ويرى باحث آخر أن " الأسس التقليدية للفصل والوصل قد تهدمت وحطمها العلم منذ قرون وأزمان. وقال : " إنه لا ضير عليك أن تغير عنوان هذا البحث فتسميه مثلاً: الربط بين الجمل والمفردات ووجوهه أو نحو ذلك من العناوين الواضحة في الربط والتي تعتمد على المعنى والغرض أكثر مما تعتمد على الأسلوب " [2] .

والحقُّ إن فكرة دراسة الفصل والوصل على أسس غير الأسس التقليدية كانت تراودني كلما قرأت هذا الموضوع في كتب البلاغة التقليدية لما أرى فيه من مصطلحات موهمة غير المقصود ، وقواعد فلسفية بعيدة عن واقع النص وتحليله ، لكنني أتهم نفسي بالقصور عن فهم كلامهم فأحجم عن ذلك ،حتى اطلعت على مجموعة من البحوث التي توجه سهام النقد إلى أسس هذا الموضوع ، ووجدتها تتفق مع ما يدور في رأسي أحياناً فعقدت العزم على بحث الموضوع ، وجعلته موضوعاً لهذه الرسالة العلمية .

وبناءً على هذه الآراء المتقدمة فإن إعادة النظر في مصطلحات باب الفصل والوصل وقواعده تكتسب مشروعية علمية لاسيما من أجل تطوير البلاغة العربية ، والبحث عن نظرية بلاغية جديدة نابعة من النصوص التي هي موضوع الدراسة ،

([1]) عبدالواحد علام : القاعدة والنص دراسة في الفصل والوصل ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ ، ص 23 .

([2]) سيلمان نوار : كلمات في الفصل والوصل ، ط 2 / 1934 م ، ص 5 وما بعدها ، نقلاً عن : علي البدري : بحوث المطابقة لمقتضى الحال : " القسم الثاني " ، ص 81 - 82 .

ومعتمدة على التذوق البلاغي ، ومنطلقة من التحليل الأدبي الذي يكشف عن جماليات النصوص ، وإبداعاتها من طريق الغوص في أعماق النص .

وبالعودة إلى مصطلح " كمال الانقطاع " الذي وجهت إليه سهام النقد مع غيره من المصطلحات ، فإنَّه بمفهومه التقليدي تدخل تحته كثير من جمل الاستئناف الحرفي التي تناولها هذا البحث بالتحليل ، وكشف عن وسائل ترابطها المعنوية مع غيرها من الجمل ، ويُعَدُّ هذا التحليل ممارسة عملية حقيقية لبحث موضوع " الفصل " بحثاً جديداً غير معتمد على الأسس الفلسفية القديمة التي تنطلق من قواعد خارج النص ، وترتكز على نظرة شكلية لفظية ، وكان عمدة هذه النظرة الجديدة النص نفسه بما يمثله من وحدة معنوية هي التي أنتجت الوحدة الشكلية المتمثلة في النص.

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى حالة " شبه كمال الانقطاع " لأنها من حالات الاستئناف كذلك ، ويقصد بشبه كمال الانقطاع أن تسبق جملة الاستئناف بجملتين يصح عطفها على إحداهما ، ولا يصح عطفها على الأخرى لفساد المعنى ، فيترك العطف بالواو حتى لا يُتَوَّهم عطفها على الجملة التي لا يصح العطف عليها [1]، ولذلك تأتي الجملة مستأنفة .

وهذا النوع من الاستئناف استئناف نحوي ، ويدخل تحته كثير من الجمل المستأنفة بالحرف التي سبق الحديث عنها في هذا المبحث ، والتي أظهر التحليل ارتباطها ارتباطاً معنوياً بالجمل التي قبلها ، وقد استغنت بهذا الربط المعنوي عن الترابط اللفظي بحرف العطف ، وقريب من هذا حالة " التوسط بين الكمالين " والتي تعد نوعاً من الاستئناف النحوي ، والبلاغيون يسمون الحالات الثلاث التي ذكرت " فصلاً".

وبناءً على ما تقدم فإن حالات الاستئناف النحوي ثلاث هي : حالة كمال الانقطاع ، وحالة شبه كمال الانقطاع ، وحالة التوسط بين الكمالين ، وقد جمع هذا البحث هذه الحالات لأنها تمثل الربط المعنوي المغني عن الربط اللفظي ، وجعل المصطلح الدالَّ عليها هو "

([1]) ينظر : المراغي : علوم البلاغة ، ص 177 .

الربط المعنوي " ، وهذا المصطلح أكثر ملاءمة ، وأوضح دلالة من مصطلح " الفصل " الذي يوهم بانفصال الجملة عن سياقها ويوحي بتفكك النص .

المبحث الثالث

ربط الجملة التابعة

التوابع جمع تابع ، وهو في اصطلاح النحويين : " الاسم المشارك لما قبله في إعرابه مطلقاً "[1] ، وخصَّ الاسم في تعريفهم لأنه الأصل ، ولا يعني ذلك قصر التابع على الاسم ، بل إنَّ التابع قد يكون اسماً أو فعلاً أو جملة ، ويقتصر الحديث هنا في هذا المبحث على الجمل التابعة لما قبلها ، لأن موضوع البحث يتناول الترابط بين الجمل ، ولذلك تُستَبْعَدُ التوابع في المفردات .

وإذا كانت التوابع في المفردات خمسة هي : النعت ، وعطف النسق ، وعطف البيان ، والبدل ، والتوكيد ، فإن التوابع في الجمل تنحصر في ثلاثة أنواع عند النحويين

(1) ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، 2 / 190 .

هي : عطف النسق والبدل والتوكيد ، فلا تكون الجملة نعتاً لجملة أخرى[1] ، وكذلك عطف البيان لا يكون جملة عند النحويين ، وعلماء البلاغة يجيزون وقوعه جملة [2].

وبناءً على ذلك فإن الجملة تقع بدلاً من الجملة ، وتقع توكيداً لجملة أخرى ، وتقع معطوفة بحرف النسق على جملة أخرى ؛ ومثال الجملة الواقعة بدلاً جملة (يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ) فهي بدل من جملة (يَلْقَ أَثَاماً) وذلك في قول الله ـ تعالى ـ : (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً) [الفرقان : 68 ـ 69] . كما أن جملة (وَيَخْلُدْ فِيهِ) عطفت بالواو على جملة (يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ) .

ومثال الجملة الواقعة توكيداً لجملة أخرى ، جملة (أَمْهِلْهُمْ) فقد جاءت توكيداً لجملة (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ) في قول الله ـ تعالى ـ : (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) [الطارق : 17] .

وأما وقوع الجملة عطف بيان فإن جمهور النحويين لا يجيزونه ، وأبو علي الشلوبين والسيوطي يجيزون مجيء عطف البيان جملة ، وهذا ما عليه علماء المعاني الذين تأملوا النصوص اللغوية الأدبية وقاموا بتحليلها [3].

ويتناول البحث هنا ترابط جملة البدل بجملة المبدل منه ، وجملة عطف البيان بجملة المبين ، وجملة التوكيد بالجملة المؤكدة لأن الترابط بين هذه الجمل يكون برابط معنوي ، أما الجملة المعطوفة على جملة أخرى فإن الترابط بينهما يكون بحرف العطف الذي هو رابط لفظي ، وليس هذا داخلاً تحت موضوع البحث ، الذي يقتصر على بحث الروابط المعنوية بين الجمل .

وبناءً على ذلك فإن البحث هنا ينحصر في ثلاثة أقسام يكون الترابط فيها معنوياً: ربط البدل ، ربط عطف البيان ، ربط التوكيد ؛ وفيما يأتي بيان هذه الأقسام .

---

(1) ينظر : الرضي : شرح الكافية ، 1 / 307 .
(2) ينظر : الأشموني : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك مع حاشية الصبان ، 3 / 89 .
(3) ينظر تفصيل هذه المسألة في : الرضي : شرح الكافية ، 1 / 307 ، والأشموني : شرح الأشموني، 3 / 89 ، والسيوطي : همع الهوامع ، 1 / 248 .

1 - ربط جملة البدل :

والبدل عند النحويين هو " التابع المقصود بحكم بلا واسطة" [1]، ويبدل المفرد من المفرد والجملة من الجملة ، وشرط البدل الجملة أن يكون أوفى من المبدل منه في المعنى ، وأتم بتأديته ، أو أكثر وضوحاً ، لأن المقصود في الكلام هو جملة البدل ، أما الجملة المبدل منها فإنها تأتي تمهيداً وتوطئة للبدل[2] .

ومثال ذلك الجملة القرآنية (أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ) وقعت بدلا من جملة (أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ) في قول الله ـ جل وعلا ـ : (وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ) [الشعراء : 132 - 133] ، فجملة البدل في الآية الكريمة دلت على نعم الله مفصلة بينما كانت جملة المبدل منه مجملة فأفادت جملة البدل مزيد معنى وتوضيح .

وبينما تمنع الفاء البدلية إذا دخلت على المفرد كما بين النحويون[3] ، إلا أنهم أجازوا مجيء البدل الجملة مقترناً بالفاء [4]، وجعلوا من ذلك جملة : (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً) فهي بدل من جملة (فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ) وذلك في الآية الكريمة : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً) [الأنعام : 99] .

وجاءت جملة البدل الاسمية في القرآن مرتبطة بجملة اسمية قبلها على ثلاثة أضرب هي : البدل الابتدائي ، والبدل المنزل فيه المنكر منزلة الشاك المتردد ، والبدل المؤكد لتقوية مضمون الخبر ، وفيما يأتي بيان هذه الأضرب الثلاثة .

أ - البدل الابتدائي :

وتأتي جملة البدل خبرية ابتدائية فتكون خاليةً من أدوات التوكيد ، ويخاطب بها خالي الذهن كجملة : (لا إِلَهَ إِلا هُوَ) في قول الله ـ عز وجل ـ : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي

---

(1) السيوطي : همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، 2 / 125 .
(2) ينظر : ابن هشام : مغني اللبيب ، 2 / 67 ، والصبان : حاشية الصبان على شرح الأشموني ، 131/3 .
(3) ينظر : سيبويه : الكتاب ، 1 / 199 .
(4) ينظر : أبوحيان الأندلسي : البحر المحيط ، 3 / 138 .

رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَـهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ) [الأعراف : 158] ، فهذه الجملة الكريمة (لا إِلَـهَ إِلا هُوَ) بدل من جملة (لَـهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) [1] ، فإن من له ملك السموات والأرض هو الله الذي لا إله إلا هو .

وارتبطت جملة البدل بجملة المبدل منه ارتباطاً معنوياً ، والعلاقة الرابطة هنا هي علاقة " البيان " ، فجملة البدل (لا إِلَـهَ إِلا هُوَ) " بيان للجملة قبلها ، لأن مَنْ ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة "[2] ، وبذلك فإن جملة البدل زادت المعنى وضوحاً وبياناً وأضافت معنى آخر هو وحدانية من له ملك السموات والأرض ، وصححت مفهوماً مخطئاً كان سائداً في الجاهلية حيث الاعتقاد بتعدد الآلهة .

وبين الجملتين المترابطتين تناسبٌ بديع ، فجملة (لَـهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) تقدم الجار والمجرور فيها أفاد القصر ، وتخصيص ملك السماوات والأرض لله وقصر ملكهما عليه ـ جلَّ وعلا ـ فلا مالك لهما غيره ، وكان القصر هنا مستفاداً من تقديم الجار والمجرور ، وفي الجملة الثانية وقع نوع آخر من القصر عن طريق النفي والاستثناء بـ " ما و إلا " وأفاد قصر الألوهية الحقة على ذات الله ـ سبحانه ـ أي : إنه هو الإله المستحق للعبادة لا غيره .

وبناءً على ذلك فإن الجملتين بينهما تناسب وتناغم من حيث الأسلوب ، ومرجع هذا التناغم هو التعبير بأسلوب القصر في كليهما ، ثم إن كلا القصرين هو من قبيل قصر الصفة على الموصوف ، وهذا لون آخر من التوافق والتناسب .

وبتأمل كلتا الجملتين يجد الباحث تكاملاً من حيث المضمون بين الجملتين المترابطتين، فإن الجملة الأولى (لَـهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) تعني إثبات الملك لله وحده ، والملك من لوازمه الخلق والصنع فهو الخالق الصانع ، ومن لوازمهما معاً أن الذي يملك ويخلق هو الرب ، وكون هذا الرب هو المالك الأوحد فهذه إشارة إلى " توحيد الربوبية" أما الجملة الثانية (لا إِلَـهَ إِلا هُوَ) فتعني إثبات الألوهية لله وحده ، وهذا "

([1]) ينظر : الزمخشري : الكشاف ، 2 / 166 - 167 .
([2]) المصدر السابق ، 2 / 167 .

توحيد الألوهية " ، فالجملة الأولى توحيد ربوبية والثانية توحيد ألوهية ، وجماع الأمرين هو التوحيد الكامل الذي هو مرتكز رئيس من مرتكزات القرآن ، ويسعى القرآن إلى التعبير عنه بأسلوبه البديع لإثباته وبيانه للعالمين .

ومن الجمل التي وقعت بدلاً ابتدائياً جملة (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) فهي بدل اشتمال من جملة (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً) ، وذلك في قول الله ـ عز وجل ـ : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) [يوسف: 2 - 3] ، وكانت هذه الجملة بدل اشتمال " لأن أحسن القصص مما يشتمل عليه إنزال القرآن . وكون القصص من عند الله يتنزل منزلة الاشتمال من جملة تأكيد إنزاله من عند الله " [1].

وبعقد مقارنة بين جملة البدل والجملة المبدل منها تنكشف العلاقة الرابطة بين الجملتين ؛ فالجملة المبدل منها (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً) تقدم فيها المسند إليه وهو الضمير " نا " المتصل بـ " إنَّ " تقدم على المسند الذي هو الجملة الفعلية " أنزلناه " ، وهذا التقديم يدل على الاختصاص : اختصاص المسند إليه بالمسند أي : اختصاص الإنزال بالله ـ جل وعلا ـ فهو المنزل للقرآن لا أحد غيره ، ممن ادعى الكافرون أنهم مصدر القرآن، فقد قالوا : يعلمه بشر ، وقالوا : أساطير الأولين ونحو ذلك .

فكان من معاني هذه الجملة اختصاص إنزال القرآن بالحق ـ جل وعلا ـ وهذا المعنى نفسه كان في جملة البدل (نَحْنُ نَقُصُّ) ، فتقدم " الضمير على الخبر الفعلي يفيد الاختصاص ، أي نحن نقص لا غيرنا ، رداً على من يطعن من المشركين في القرآن بقولهم " إنما يعلمه بشر . . . " وفي هذا الاختصاص توافق بين جملة البدل والجملة المبدل منها في تأكيد كون القرآن من عند الله المفاد بقوله : " إنا أنزلناه قرءاناً عربياً ." " [2] .

وقد ظهر من هذه المقارنة وجه الترابط بين الجملتين ، فكلتاهما جاءتا لتأكيد كون القرآن منزلاً من عند الله ، وجملة البدل كانت تأكيداً لهذا المعنى الذي في جملة المبدل منه

(1) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 12 / 202 .
(2) المصدر السابق : 12 / 203 .

، فالعلاقة الرابطة هنا هي علاقة " التوكيد " وهذه العلاقة هي إحدى أغراض البدل وفوائده ؛ فإن البدل قد يأتي للتوضيح والتبيين ، وقد يأتي للتفسير أو التفخيم أو التوكيد ، وقد ذكر العلماء من قبل هذه الأمور وسموها فوائدَ أو أغراضاً[1] ، وهي في الحقيقة مع كونها أغراضاً وفوائد للبدل منها علاقات معنوية تربط بين الجملة الواقعة بدلاً والجملة المبدل منها .

وتجدر الإشارة إلى أن علاقة " التوكيد " لا تجعل البدل تأكيداً ، وذلك لاختلاف البدل عن التأكيد ، فالتأكيد هو عين المؤكد ، أما البدل ففيه زيادة في المعنى ، وهو أوفى بتأدية المعنى من المبدل منه ، وهذا ما عناه الرضي عند شرحه لجملةٍ : مررت بزيد أخيك يقول : " إذ مدلول قولك أخيك في بزيد أخيك لو كان عين مدلول زيد لكان تأكيداً وأخوك يدل على أخوّة المخاطب ولم يكن يدل عليها زيد " [2]، فهذا الكلام بيان وتوضيح للفارق بين التأكيد والبدل في المفرد ، والأمر شبيه بهذا في الجمل .

ب ـ تنزيل المنكر منزلة الشاك المتردد :

وجاءت جملة البدل خبرية اسمية ، وخوطب بها المنكرون في قول الحق ـ جل وعلا ـ : (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) [فصلت : 40 - 41] . ونُزّل المنكرون الكافرون هنا منزلة الشاكين المترددين ، وذلك لوضوح الأدلة النافية لإنكارهم ، فالآيات الربانية واضحة تظهر الحقَّ وتبرهن عليه ، وليس لهؤلاء المنكرين حجة قوية تصمد في وجه هذه الآيات ، وإنما هي شبه ضعيفة .

([1]) ينظر : سيبويه : الكتاب ، 1 / 79 ، والرضي : شرح الرضي على الكافية ، 1 / 337 ، والسيوطي : الإتقان ، 2 / 70 .

([2]) الرضي : شرح الكافية ، 1 / 339 .

لذلك جاءت الجملة المبدل منها (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) مؤكدة بـ " إنَّ " وحدها ، وكذلك جاءت جملة البدل (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) مؤكدة بـ " إن " ، واقتصر التوكيد على أداة واحدة .

وجملة البدل اسمية خبرها (أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) كما يرى أبو عمرو ابن العلاء ، وكانت الجمل بين المبتدأ وخبره معترضة[1] ، ويتضح ذلك من عرض النص القرآني الكريم : (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42) مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (43) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (44)) [فصلت : 40 - 44] .

ولجملة البدل (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ. . .) ارتباط معنوي بالجملة المبدل منها (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ) ، وقد ألمح العلامة ابن عاشور إلى هذا الترابط حين قال : " فلهذه الجملة اتصال في المعنى بجملة " إن الذين يلحدون في آياتنا " "[2]، والعلاقة المعنوية الرابطة هنا هي علاقة " التأكيد " ، وقد ذكر النحويون أن البدل يأتي للتوكيد ولغيره[3] ، والتأكيد هنا يفهم من أن معنى الجملة المبدل منها تهديد بأن الكافرين لا يخفون على الله ، ومعنى جملة البدل تهديد كذلك بأن هؤلاء الكافرين الذين لا يسمعون القرآن سماع إيمان ينادون يوم القيامة من مكان بعيد توبيخاً لهم ولفضحهم [4]. فكلتا الجملتين

---

(1) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 15 / 367 ، وابن عاشور : التحرير والتنوير ، 24 / 306 .
(2) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 24 / 305 .
(3) ينظر : سيبويه : الكتاب ، 1 / 79 ، والرضي : شرح الكافية ، 1 / 337 - 338 .
(4) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 15 / 370 .

يحمل معنى التهديد ؛ لهذا فإن مضمون الجملة الثانية " جملة البدل " يعد تأكيداً للجملة الأولى " جملة المبدل منه " .

جـ - تقوية مضمون الخبر :

ووقعت الجملة بدلاً ، وكانت مُؤَكَّدةً لغرض تقوية مضمون الخبر ، كما في جملة (إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) من قول الله - جل وعلا - : (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) [المؤمنون : 111] بكسر همزة " إن " ، وذلك على قراءة حمزة والكسائي[1].

فالخطاب في الآية الكريمة من الله وموجه إلى الكفار يوم القيامة حيث توزن الأعمال ويأمر الحق - جل وعلا - بإدخال المؤمنين الجنة ، وإدخال الكافرين النار ، فيطلب أهل النار من الله أن يخرجهم منها ثم لا يعودون لكفرهم ، فيقول لهم - جل وعلا - : (اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ(108) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ(110) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (111)) [المؤمنون: 108 - 111] .

فكما هو واضح من سياق الآيات أن المخاطبين هم الكافرون وهم غير منكرين لما آل إليه مصير المؤمنين من الفوز بالجنة لأنهم يرون الحقيقة بأم أعينهم ، ولكن الكلام جاء مؤكداً لتقوية هذا المضمون الذي جملته جملة البدل (إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) وفي تقوية هذا المضمون تعريض بما كان عليه الكافرون من قبل في الدنيا ، فهم كانوا يشكون في وقوع يوم القيامة ، أو ينكرونه ، فحسن التوكيد ليعرض بتلك الحالة التي كانوا عليها ، وليشعروا حين يسمعون هذه الحقيقة - يوم القيامة - بالحسرة فوق حسرتهم ، حيث إنهم يدخلون النار ، وغيرهم قد فاز بالجنة .

---

(1) ينظر : ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، 2 / 247 .

وكان ارتباط هذه الجملة بجملة (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا) وهي الجملة الواقعة مبدلاً منها ، والعلاقة الرابطة بين الجملتين هي علاقة " البيان " ، فقد بينت جملة البدل نوع الجزاء الذي ناله المؤمنون من ربهم ، وهو الفوز بسعادة الآخرة ، وحَسُنَ الترابط بين الجملتين لاتفاقهما في الاسمية ، وتأكيد كل منهما بـ " إنَّ " وكون اسم "إنَّ" الذي هو المسند إليه " ضميراً متصلاً " ، أما المسند في الجملة المبدل منها فهو جملة فعلية : " جزيتهم " ، وفي جملة البدل اسم : " الفائزون " .

فكان مجيء الجملتين اسميتين ليدل ذلك على ثبات الحكم ودوامه في كلٍّ منهما لما تدل عليه الجملة الاسمية في أصل وضعها من الثبوت والدوام ؛ وأفاد ذلك تحقق جزاء الله الحسن للمؤمنين على صبرهم ، وتحقق كون هذا الجزاء أنه الفوز المحقق ، ومع ذلك فإن الفوز ثابت متحقق بدلالة التعبير عنه بمجيء المسند في جملة البدل اسماً: "الفائزون " ، وازداد هذا التحقق بمجيء ضمير الفصل الذي يفيد التوكيد ، أما في جملة المبدل منه فقد جاء المسند جملة فعلية : " جزيتهم " ليدل ذلك على تجدد الجزاء الذي هو الفوز، فإن الجملة الفعلية تدل بأصل وضعها على التجدد ، ويفهم من هذا التجدد قَصْد الإمتاع ، وإبعاد السآمة ، التي قد تحدث بثبات نوع من أنواع الفوز والنعيم على حالة واحدة .

أما مجيء الجملتين مؤكدتين ، وكون التأكيد بـ " " إن " فللدلالة على تأكيد مضمون الخبر في كلٍّ ، وجاء المسند إليه في الجملة الأولى : (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ) ضميراً متصلاً ، وتعريف المسند إليه بالضمير في مقام التكلم هنا إشارة من المولى الكريم ـ جل جلاله ـ إلى عظيم قدر هذا الجزاء ، فإن الشيء يعظم إذا كان منسوباً لعظيم ، فكيف بهذا الجزاء وقد نسبه الله إلى نفسه ، فلا شك أن عظمته تفوق كل عظمة ، وفي هذا دلالة على عظيم قدر المؤمنين الصابرين عند ربهم .

وقريب من هذا يقال عن التعبير بالضمير في جملة البدل (إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ)، فإن المسند إليه الضمير المتصل بـ " إنّ " دلَّ على نوع من تعظيم قدر المخبر عنهم الذين صبروا في الدنيا على طريق ربهم فحكم لهم بالفوز ، وفي مجيء ضمير الفصل " هم "

نوع من تأكيد هذا المعنى بالإضافة إلى ما أفاده من التخصيص ، فكأن الفوز محكوم به لهؤلاء المؤمنين الصابرين لا لغيرهم .

وهذه هي الآيات القرآنية الكريمة التي جاءت فيها جملة البدل مرتبطة بجملة اسمية مثلها [1]:

1 - (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ) [الأعراف : 158] .

2 - (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) [يوسف : 2 - 3)

3 - (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) [المؤمنون : 111] بكسر " إن " الثانية على قراءة حمزة والكسائي .

4 - (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) [فصلت : 40 - 41] .

5 - (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) [الدخان : 3 - 5] .

2 - ربط جملة عطف البيان :

وعطف البيان عند النحويين " التابع الجامد المشبه للصفة في إيضاح متبوعه وعدم استقلاله " [2]، واتفقوا على وقوعه في المفرد ، وجمهور النحويين يرون أن عطف البيان

---

(1) جملة المبدل منه هي الجملة الأولى التي فوق الخط ، وجملة البدل هي الثانية فوق الخط .
(2) ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، 2 / 218 .

لا يكون جملة ، وخالفهم في ذلك أبو على الشلوبين والسيوطي[1] ، أمّا علماء البلاغة فقد أجازوا وقوع عطف البيان جملة ، وهذا هو الرأي الذي يكشف عنه تحليل النصوص ، ويراه الباحث صحيحاً .

وتدخل الجملة التفسيرية تحت باب عطف البيان كما يرى أبوعلي الشلوبين ، واختار هذا الرأي السيوطي ؛ فقول النحويين : إن الجملة التفسيرية لا محل لها ليس على ظاهره ، والتحقيق أنها تتبع ما فسرته ؛ فإن كان المفسر له محل فهي ذات محل ، وإن لم يكن له محل فهي لا محل لها [2]، وذلك كجملة (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) التي جاءت تفسيراً لجملة (وَعَدَ اللَّهُ) ، في قول الحق ـ جل وعلا ـ : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) [المائدة : 9] ، فالجملة التفسيرية في محل نصب .

وللجملة التفسيرية ثلاثة أنواع : أولها ما كانت مجردة من حرف التفسير ؛ كجملة (خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ) التي فسرت (كَمَثَلِ آدَمَ) في الآية الكريمة : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [آل عمران : 59] .

وثاني هذه الأنواع مجيؤها مقترنة بحرف التفسير " أي " ؛ كجملة " أنت مذنب " في قول الشاعر[3] :

وتَرْمَيْنَني بالطرف أيْ أنت مذنبٌ وتقلينني لكنّ إياكِ لا أقلي

وآخر أنواعها ما كانت مقترنة بحرف التفسير " أنْ " ؛ كجملة (أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ) في قول الله ـ تعالى ـ : (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا) [المؤمنون : 27] .

ويكون الترابط معنوياً في النوع الأول ، وذلك عندما تكون الجملة التفسيرية مجردة عن حرف التفسير ، وهذا النوع هو الذي يدخل في البحث هنا ، أما الجملة التفسيرية

(1) ينظر : الأشموني : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، 3 / 89 ، والسيوطي : همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، 1 / 248 .
(2) ينظر : المصدر السابق ، 1 / 248 .
(3) البيت مجهول النّسْبة . ينظر : ابن هشام : مغني اللبيب ، 1 / 139 .

المقترنـة بحـرف التفسير " أَيْ " أَو " أَنْ " فـإن الـرابط لهـا بالجملـة المفسَّـرة هـو حـرف التفسير ، فالرابط في هذه الحالة رابط لفظي ، ولذلك فمثل هذه الجمل ليست محل بحث هنا ، وإنما بحثها في الروابط اللفظية .

ويبدو من البحث في كتب إعراب القرآن وكتب التفسير وكتب البلاغة أن الجمل الواقعة تفسيراً تأتي مفسرة لمفردٍ أو لشبه جملة كثيراً ، وقلما تأتي لتفسر جملة ، ولم أظفر في بحثي بنماذج قرآنية للجملة الاسمية الواقعة عطف بيان ، وإن لم يكشف بحثي هذا عن نماذج لهذا النوع ، فقد يظفر غيري بهذا ، ويظهر له ما لم يظهر لي .

3 - ربط جملة التوكيد :

والتوكيد عند النحويين قسمان : لفظي ومعنوي ، والمقصود باللفظي ما تكرر فيه لفظ المؤكد ، أمَّا المعنوي فله ألفاظ معروفة نحو : عين ، نفس ، وكل وجميع ....إلخ ، وهذا النوع خاص بالمفرد ، أما التوكيد اللفظي فقد يكون في المفردات ، وقد يكون بالجمل ، والمقصود في هذا البحث هو التوكيد بالجملة .

ولهذا التوكيد الجُمْلي نوعان : نوع توافق فيه جملة التوكيد الجملة المؤكدة في ألفاظها ومعناها ؛ كجملة (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) في قول الحق - جل وعلا - : (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) [الانشراح : 5 - 6] ، ونوع آخر توافق فيه جملة التوكيد الجملة المؤكدة في المعنى دون الألفاظ [1] مثل جملة (لا يُؤْمِنُونَ) التي جاءت توكيداً لجملة (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ) في الآية الكريمة الآتية : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) [البقرة : 6] فكل من الجملتين تفيد نفي الإيمان عنهم .

وأجاز النحويون مجيء جملة التوكيد مقترنة بحرف من حروف العطف ، وخصوا ذلك بـ " الفاء وثم " ، وعدوا الحرف في هذه الحالة حرف عطف في الصورة لا في

([1]) ينظر : الأشموني : شرح الأشموني مع حاشية الصبان ، 3 / 80 - 81 ، وابن جني : الخصائص، 3 / 101 وما بعدها .

الحقيقة " لأن الحرف لو كان عاطفاً حقيقياً كانت تبعية ما بعده لما قبله بالعطف لا التأكيد "[1] ، وذلك نحو قول الله ـ تعالى ـ : (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) [القيامة : 34] ، فجملة (فَأَوْلَى) توكيد لجملة (أَوْلَى لَكَ)، وليست معطوفة عليها .

وجاءت الجملة الاسمية توكيداً لجملة اسمية أخرى في الأسلوب الخبري في القرآن الكريم في جمل محدودة معدودة ؛ ويظهر ذلك من البحث في كتب إعراب القرآن ، وكتب التفسير ، وكتب النحو والبلاغة ، كما يتضح ذلك من النظر في النص القرآني ، فلا يكاد يظفر الباحث المتأمل بجملة سوى الجمل التي ذكرها المعربون والمفسرون من قبل ، وفيما يلي ذكر هذه الجمل [2] (*):

1 - (الم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ) [البقرة : 1 - 2] .

2 - (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) [يوسف : 31] .

3 - (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى . ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) [القيامة : 34 - 35] .

4 - (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ (17) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19)) [المرسلات : 15 - 19] .

5 - (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) [الانشراح : 5 - 6] .

وجملة التوكيد الخبرية الاسمية المرتبطة بجملة اسمية أخرى ، وكان ترابطها معنوياً جاءت في القرآن الكريم على ضربين : ضرب ابتدائي ، وضرب مؤكد لغرض تقوية مضمون الخبر .

---

(1) الصبان : حاشية الصبان على شرح الأشموني ، 3 / 81 .

(2) ينظر الجرجاني : دلائل الأعجاز ، ص : 175 ، وأبوحيان الأندلسي : البحر المحيط ، 1 / 405 ، 8 / 488 ، ومحمد عبدالخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن ، 11 / 14 .

(*) الجملة المؤكدة هي الجملة الأولى التي فوق الخط ، والمؤكِدة لها هي الثانية التي فوق الخط .

أ ـ التوكيد الابتدائي :

وجاءت الجملة توكيداً ابتدائياً خالية من المؤكدات وخوطب به خالي الذهن في ثلاث جمل هي (*):

1 - (الم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ) [البقرة : 1 - 2] .

2 - (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى . ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) [القيامة : 34 - 35]

3 - (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ (17) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19)) [المرسلات : 15 - 19] .

ففي الآية الكريمة الأولى جملة (لا رَيْبَ فِيهِ) توكيد لجملة (ذَلِكَ الْكِتَابُ) ، وهو من قبيل توكيد معنى الجملة بمعنى جملة أخرى ، وهذا " بمنزلة أن تقول : هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب . فتعيد مرة ثانية لتثبته ، وليس يثبت الخبر غير الخبر ، ولا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضامّ يضمه إليه وعاطف يعطفه عليه "[1] .

فجملة (لا رَيْبَ فِيهِ) إثبات وتحقيق لكون هذا المشار إليه هو الكتاب العظيم ، وهذا المعنى هو نفسه الذي تحمله جملة (ذَلِكَ الْكِتَابُ) ، فكلتا الجملتين تشير إلى القرآن المكتوب المنزل ، وتبين علو منزلته وشأنه ، فجملة التوكيد ليست شيئاً آخر سوى الجملة المؤكدة ، وهذا ما قصده عبدالقاهر الجرجاني بقوله السابق حين قال : " ولا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضامّ يضمه إليه وعاطف يعطفه عليه " ولأن الجملتين شيء واحد في المعنى لم تعطف أخراهما على أولاهما ، واستغنتا بالترابط المعنوي بينهما عن الترابط بحرف من حروف العطف .

ويفهم من هذه الإشارة اللطيفة التي تضمنها كلام الجرجاني أن الربط المعنوي أصل ، وهو يغني عن الربط اللفظي بحرف من حروف العطف ، كما يشير نص الجرجاني السابق إلى أن شرط الجملة المؤكِّدة أنْ تتفق مع الجملة المؤكدة في نوع أسلوبها ، فالخبر يؤكد بالخبر ، والإنشاء يؤكد بالإنشاء ، وهذا ما عبر عنه الجرجاني بأن " ليس يثبت الخبر غير الخبر " .

والعلاقة الرابطة بين الجملتين كما تبين هي علاقة " التوكيد " ، وهي علاقة معنوية رابطة بين الجمل ، وتصدر عن أحد أمرين : إما توافق لفظي بين الجملتين ، ويكون ذلك بتكرار ألفاظ الجملة المؤكدة ، وإما توافق معنوي بين الجملتين ، كما ظهر في الآية الكريمة السابقة .

---

(1) الجرجاني : دلائل الأعجاز ، ص : 175 .

وتتجلى روعة الترابط بين الجملتين وجماله في إثبات مضمون الخبر " معنى الجملة " بكل وجه ؛ فالجملة الأولى عبرت عن المضمون بأسلوب الإثبات (ذَلِكَ الْكِتَابُ) ، والجملة الثانية عبرت عن مضمونها بأسلوب النفي (لا رَيْبَ فِيهِ) ، فأفادتا معاً أعلى درجات التوكيد ، ونفتا كون هذا الكتاب موضع ريبة وشك ، فهو حق وصدق .

ومن الجمل الواقعة توكيداً ، وكان خبرها ابتدائياً جملة : (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) وهي توكيد : للجملة المماثلة لها التي جاءت قبلها ، وذلك في قول الحق ـ جل وعلاـ : (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ (17) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19)) [المرسلات : 15 ـ 19] ، وكان التوكيد بإعادة ألفاظ الجملة نفسها ، فأفادت الجملة الثانية توكيد الأولى في لفظها ومعناها الذي هو وعيد بالعذاب والخزي لمن كذب بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر[1] .

والترابط المعنوي بين الجملتين قوي لاتفاق الجملتين لفظاً ومعنى ، وكانت علاقة " التوكيد " ، والتوافق بين تينك الجملتين هي العلاقة الرابطة ، وكان توكيد الجملة (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بتكرارها في سورة المرسلات وذلك " مبالغة في الإنكار عليهم وتأكيد لوقوع السّخط والغضب لأجل تكذيبهم ، وحذاراً عن الإتيان بمثل ما أتوا به من إنكار هذا اليوم العظيم" [2] ، ولاشك أن توكيد الوعيد بهذه الصورة التي هي إعادة الجملة أقوى من توكيد الجملة بمؤكد من المؤكدات التي تدخل على الجملة ، فإذا قيل : الحق منتصرٌ، الحق منتصر ، كان ذلك أقوى توكيداً من قول : إن الحق منتصر ونحو ذلك .

ب ـ التوكيد لتقوية مضمون الخبر :

وكانت جملة التوكيد مؤكَّدة لغرض تقوية مضمونها في ثلاث آيات هي :

1 ـ (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) [البقرة : 14].

---

(1) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، 19 / 156 .
(2) العلوي : الطراز ، 2 / 95 .

2 - (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) [يوسف : 31] .

3 - (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) [الانشراح : 5 - 6] .

ففي الآية الأولى جاءت جملة (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) توكيداً لجملة (إِنَّا مَعَكُمْ) ، في الآية الكريمة : (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) [البقرة : 14] حيث إن معنى (إِنَّا مَعَكُمْ) هو: إنا لم نترك دينكم، ومعنى قولهم : (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) هو : إنما نحن نستهزئ بالمسلمين عندما نلقاهم ونقول لهم آمنا ، ويتضح هذا المعنى جلياً من السياق القرآني الكريم ، قال الله - تعالى - : (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) [البقرة : 14].

وهذا التوكيد من قبيل توكيد معنى جملة بمعنى جملة أخرى ، فالجملتان في الآية الكريمة لا تتفقان في الألفاظ ، وإنما الاتفاق في المعنى ، وهذا الاتفاق هو الذي جعل الجملتين مترابطتين ترابطاً معنوياً ، وكانت العلاقة الرابطة هي علاقة " التوكيد " ، التي أكدت المعنى المقصود من الآية هو إن هؤلاء المنافقين لهم وجهان ، وجه مع المؤمنين ووجه مع كبرائهم .

وقد أشار الجرجاني إلى هذا حين قال : " فهو إذن كلام أكد به كلام آخر هو في معناه ، وليس شيئاً سواه . . . وذلك لأن معنى قولهم : (إنا معكم) أنا لم نؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم نترك اليهودية ، وقولهم (إنما نحن مستهزئون) خبر بهذا المعنى بعينه لأنه لا فرق بين أن يقولوا : إنا لم نقل ما قلناه من أنا آمنا إلا استهزاء . وبين أن يقولوا إنا لم نخرج من دينكم وإنا معكم . بل هما في حكم الشيء الواحد ، فصار كأنهم قالوا : إنا معكم لم نفارقكم ، فكما لا يكون (إنا لم نفارقكم) شيئاً غير (إنا معكم) كذلك لا يكون (إنما نحن مستزئون) غيره " [1].

([1]) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 175 - 176 .

ويعد هذا النص الذي قدمه الجرجاني غاية في الدقة حيث إنه وصف واقع العلاقة المعنوية بين الجمل ـ وقد قدم لهذا النص بعبارة أخرى لتكتمل نظرته الدقيقة الناتجة عن التأمل والتحليل ، ومن المفيد إيراد هذه العبارة التي تعد غاية في الأهمية ، يقول الجرجاني : " واعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله فيستغنى بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه ـ وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به وكالتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد ـ كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها وتستغنى بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها "[1] . وترجع أهمية هذا النص إلى أن الجرجاني أصّل فيه لأمرين :

الأول : إن الربط المعنوي أصل يغني عن الربط اللفظي بين الكلمات في الجملة الواحدة ، أو بين الجمل في النص ، وذلك كما هي الحال بين الصفة والموصوف ، والتأكيد والمؤكد ، والبدل والمبدل منه .

الثاني : إن الربط بحرف العطف ربط لفظي يكون في حالة عدم وجود الربط المعنوي، وحصر الجرجاني الربط اللفظي هنا في موضوع " الفصل والوصل " في الربط بحرف العطف الواو .

وبتأمل كلام الجرجاني في النصين السابقين ، والجمع بينهما معاً يمكن أن يخلص الباحث المتأمل إلى أن الربط المعنوي ناتج عن علاقات معنوية تربط بين أجزاء الكلام ، وقد ذكر الجرجاني هنا علاقتي البيان والتوكيد ، وهما علاقتان بارزتان قد كان لهما دور رئيس في ربط الجمل الاستئنافية كما تبين في المبحثين السابقين .

ويبدو لي من البحث في القرآن الكريم أنَّ علاقة التوكيد من العلاقات المعنوية الرابطة بين الجمل القرآنية التي لا تختص بنوع معين من الجمل ، فقد كانت رابطة بين جملة الاستئناف والجملة التي قبلها ، وهي تربط بين جملة البدل والجملة المبدل منها أحياناً ، وربطت هنا بين جملة التوكيد والجملة المؤكدة .

([1]) المصدر السابق ، 174 - 175 .

وقد اختلفت آراء المعربين حول جملة : (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) فمنهم من عدها استئنافاً ومنهم من عدها بدلاً ومنهم من عدها توكيداً ، ورجح ابن عاشور كونها استئنافاً بيانياً ، فهي عنده جواب سؤال مقدر[1] .

والذي يظهر لي أن عدَّها توكيداً لجملة (إِنَّا مَعَكُمْ) هو الأولى ، لأن الجملتين قد اتفقتا في المعنى كما سبق بيانه ، واتفقتا في الغرض الذي هو تأكيد المنافقين لكبرائهم وسادتهم أنهم معهم على دين اليهودية ولم يفارقوه ، فلما كان المعنى والغرض يخدمان التأكيد حسن أن يؤتى بالجملة على وجه التأكيد .

وفي الآية الثانية التي ذكرت سابقاً كانت جملة (إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) توكيداً لجملة (مَا هَذَا بَشَراً) ، والمقصود من هذا التوكيد " إثبات الحسن العظيم ليوسف لسماعهم أنه لا شيء أحسن من الملك " [2]، فالجملة الأولى (مَا هَذَا بَشَراً) نفت كونه بشراً ونفي بشريته يعني دخوله في نطاق جنس آخر ، ويفهم من قرائن الحال الذي قيل فيه هذا الكلام نوع الجنس المراد ، فإن الحال حال تعظيم وتعجب من حُسْن يوسف ـ عليه السلام ـ وجماله ، فدلَّ ذلك على أنهن يقصدن أنه ليس من البشر وإنما هو ملك .

ومن هذا يفهم أن النسوة عندما نفين كونه بشراً أردن وصفه بأنه ملك ، فإن " الجاري في العرف والعادة أنه إذا قيل : ما هذا بشراً ، وما هذا بآدمي ـ والحال حال تعظيم وتعجب مما يشاهد في الإنسان من حسن خَلق أو خُلق ـ أن يكون الغرض والمراد من الكلام أن يقال إنه ملك وإنه يكنى به عن ذلك حتى إنه يكون مفهوم اللفظ ، وإذا كان مفهوماً من اللفظ قبل أن يذكر كان ذكره إذا ذكر تأكيداً لا محالة لأن حدّ التأكيد أن تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك " [3] ، فكان قول : (إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) في الجملة الثانية المؤكِّدة توكيداً لهذا المعنى الذي تضمنته الجملة الأولى.

---

(1) ينظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 1 / 292 .
(2) الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، 2 / 242 .
(3) الجرجاني : دلائل الأعجاز ، ص : 177 .

والترابط بين الجملة المؤكَّدة والجملة المؤكِّدة ترابط معنوي بعلاقة " التوكيد " التي كانت بسبب التوافق المعنوي بين الجملتين ، فإن كل جملة من الجملتين أدت معنى هو عين معنى الجملة الأخرى ، لكنّ اتفاق الجملتين في المعنى لم يكن لمجرد التكرار المعنوي ، وإنما الغرض منه الفائدة الزائدة التي لا يمكن أن تستفاد من كل جملة على حدة ، والفائدة المقصودة هنا التأكيد والمبالغة في إثبات تفوق حُسْن يوسف ـ عليه السلام ـ وجماله على كل حسن وجمال ، وارتفاعه فوق كل تصور ، وما كان لهذا المعنى أن يستفاد من جملة واحدة من الجملتين .

ومن أجل هذه الفائدة الزائدة ، والبلاغة الرائقة للتوكيد أفرد له العلوي فصلاً خاصاً ، قال فيه مبيناً فائدته : " وفائدته إزالة الشكوك ، وإماطة الشبهات عما أنت بصدده ، وهو دقيق المأخذ ، كثير الفوائد " [1]، ثم قال بعد ذلك : " ليس يخفى موقعه البليغ ولا علو مكانه الرفيع ، وكم من كلام هو عن التحقيق طريد ، حتى يخالطه صفو التأكيد ، فعند ذاك يصير قلادة في الجيد ، وقاعدة للتجويد " [2].

ومن بديع التوكيد أن يأتي لفظياً في الصورة ، فيظن الناظر نظرة عابرة أنه مجرد تكرار لألفاظ الجملة ، بينما هو ينطوي على معانٍ لطيفة قد تخفى على من لم يمعن النظر، ومن ذلك جملة (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) [الانشراح : 6] التي جاءت مؤكدة لجملة(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) [الانشراح : 5] ، فإن الجملة المؤكِّدة تكرار لألفاظ الجملة المؤكَّدة ، إلا أنَ هذا التكرار يَفْتَرّ عن درر المعاني .

ومن المعاني اللطيفة في هذه الجملة الكريمة أنها جاءت لتؤكد وتحقق اطراد هذا الوعد بأن اليسر قرين العسر في الدنيا ، والسعة والغنى قرينة الضيقة ، وفائدة التكرير الإطناب والمبالغة[3] ، وهذا المعني اللطيف ، والفائدة البليغة ترجح أنَّ اليسر في الآيتين شيء واحد ، لا يسرين كما ذكر بعض المفسرين ، وقد حقق المسألة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره [4].

---

(1) العلوي : الطراز ، 2 / 94 .
(2) المصدر السابق ، والصفحة نفسها .
(3) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 20 / 107 .
(4) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 30 / 415 .

وذكر أبوحيان أن جملة (وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ) مؤكدة لجملة (لَهَا مَا كَسَبَتْ) وذلك في الآية الكريمة(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ) [البقرة : 141] ، قال في البحر المحيط : " ولكم ما كسبتم : جملة توكيدية لما قبلها ، لأنه قد أخبر أن كل واحد مختص بكسبه من خير وشر "[1] .

ويبدو لي أن ذلك سهو من أبي حيان ، فإن الجملتين مختلفتان في اللفظ والمعنى، فلا وجه للتوكيد ، وذلك لأن جملة (لَهَا مَا كَسَبَتْ) الحديث فيها عن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ وأبنائه ، وهم أمة الإيمان ، وجملة (وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ) الحديث فيها موجه إلى أمة الكفر من اليهود الذين كفروا برسالة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي أمة أخرى ، فكل جملة كان الحديث فيها عن أمةٍ غير التي تحدثت عنها الجملة الأخرى .

وربما يكون أبوحيان قصد أن الآية الكريمة توكيد لآية أخرى جاءت قبلها هي الآية الرابعة والثلاثون ولفظها يتفق مع هذه الآية ، والمعنى فيهما واحد ، لأن الحديث في كلتا الآيتين عن أمة إبراهيم ، قال الله ـ تعالى ـ : (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [البقرة : 134] ، وهي كما لا يخفى تكرير للفظ الآية الحادية والأربعين ومائة ، والمعنى فيهما واحد .

وبناءً على ذلك فإن الأمر هنا يتعلق بتأكيد مجموعة جمل بمجموعة جمل أخرى ؛ فجملة (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ) توكيد لمثيلتها في الآية الأولى ، وجملة (لَهَا مَا كَسَبَتْ) توكيد لمثيلتها ، وجملة (وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ) توكيد لمثيلتها ، وجملة (وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) كذلك ، فهنا أربع جمل أكدت بأربع جمل لفظاً ومعنى .

وقد أشار ابن عاشور إلى ذلك بقوله : " تكرير لنظيره الذي تقدم آنفاً لزيادة رسوخ مدلوله في نفوس السامعين اهتماماً بما تضمنه لكونه معنى لم يسبق سماعه للمخاطبين ، فلم

([1]) أبوحيان الأندلسي : البحر المحيط ، 1 / 401 .

يقتنع فيه بمرة واحدة ومثل هذا التكرير وارد في كلام العرب " [1]، فالغاية إذاً من التوكيد تقرير مضمون الخبر في نفوس المخاطبين وترسيخه اهتماماً بهذا المضمون لغرابته .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الجمل الواقعة توكيداً إذا نُظِر إليها باعتبار لفظها هي دون النظر إلى ما أكدته ، فهي خالية من التوكيد ، وخلوها من المؤكدات يجعل الخبر ابتدائياً ، أو خارجاً عن مقتضى الظاهر لغرض من الأغراض كأن يكون لتنزيل المنكر منزلة غير المنكر ، ونحو ذلك ، لكنه إذا نُظِر إلى الجملة الواقعة توكيداً مع ما أكدته فإن مجموعها يكون في قوة الجملة المؤكدة بأكثر من مؤكِد من مؤكدات الخبر ، وفي هذه الحالة يتغير ضرب الخبر .

ولتقريب الفكرة يمكن أن يُمثّل بجملة : (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) [المرسلات : 15 - 19] التي سبق الحديث عنها ، فإن هذه الجملة جملة اسمية خالية من أدوات التوكيد التي تؤكد مضمون الجملة ، والمخاطب بها هم المكذبون المنكرون للقرآن الكريم وما جاء به الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإذا حُدِّد ضرب الخبر في هذه الجملة فسيكون هو الخروج عن مقتضى الظاهر ، حيث خوطب المنكرون المكذبون بما يخاطب به خالو الذهن ، فلا توكيد في هذه الجملة .

أمّا إذا نُظر إلى هذه الجملة مع الجملة السابقة المؤكَّدة فإن مجموعهما يقدم توكيداً يفوق التوكيد بأداة من أدوات التوكيد ، وبناءً على هذا فإن ضرب الخبر جاء على مقتضى الظاهر ، لأن المخاطبين منكرون ، فجاء الخبر مؤكداً بإعادة الجملة : (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (17) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19)) [المرسلات : 15 - 19] .

إن الامتزاج المعنوي بين الجملة الواقعة بدلاً والجملة المبدل منها ، أو الجملة المؤكِّدة والجملة المؤكدة هو الذي جعل علماء البلاغة يشخصون العلاقة في هذه الحالات ، ويسمونها " كمال الاتصال " ، ويقصدون به اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً ، والامتزاج بين

---

(1) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 1 / 748 .

المعنى فيهما ، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد [1] ، وقد تحقق ذلك في هذا المبحث في ثلاثة أمور هي : البدل وعطف البيان ، والتوكيد .

ويعد هذا المصطلح البلاغي " كمال الاتصال " من أدق مصطلحات البلاغيين في بحثهم لباب " الفصل والوصل " لأنه يدل على المعنى المقصود من غير إيهام ، وآثر البحث هنا أن يسمي هذه الحالة . ربطاً معنوياً ، لتتناغم مع الحالات الأخرى من حالات الربط ، وابتعاداً عن المصطلح المقابل لمصطلح البلاغيين القدماء ، فكمال الاتصال وإن دل على المسمى بدقة كما تقدم ، إلا أنه يفرض نقيضه أي : كمال الانفصال ، ويجر بعد ذلك شبه كمال الاتصال ، وشبه كمال الانفصال ، وقد ظهر عند الحديث عن " ربط الاستئناف " ما يحيط بهذه المصطلحات من إيهام دفع الباحثين إلى البحث عن بدائل تمتاز بالدقة والواقعية ، وتبتعد عن الإيهام والخيال والفروض الفلسفية البعيدة عن واقع النصوص اللغوية الأدبية .

الفصل الرابع

الرَّوابط المعنويَّة بين الجمل الفعليَّة في القرآن الكريم

(1) ينظر : المراغي : علوم البلاغة ، ص 173 .

- **المبحث الأول : ربط جملة الاستئناف المجرد .**
- **المبحث الثاني : ربط جملة الاستئناف الحرفي .**
- **المبحث الثالث : ربط الجملة التابعة .**

تمهيـد

قد كشف البحث في الفصل السابق عن الروابط المعنوية التي ربطت بين الجمل الاسمية القرآنية ، وأوضح طبيعتها ، وخصائصها التي تميزها ، ويسعى هذا الفصل إلى بحث الروابط المعنوية التي تربط الجمل الفعلة القرآنية بغية تحديدها ، والتعرف عليها ، وكشف مميزاتها وسماتها .

ولعله من المفيد ـ قبل الشروع في هذا البحث ـ تقديم موجز مختصر عن الجملة الفعلية في اللغة العربية ، والإشارة إلى أنواعها وخصائصها ، ودلالتها ليكون ذلك مهاداً لدراسة ترابطها .

الجملة الفعلية ما تركبت من جزأين رئيسين هما : الفعل والفاعل أسند أولهما إلى الثاني[1]، وقال ابن هشام في تعريفها : " والفعلية : هي التي صدرها فعل ؛ كقام زيد ، وضُرِبَ اللّصُ ، وكان زيد قائماً ، وظننته قائماً ، ويقوم زيد ، وقم . "[2] .

فقد يكون صدر الجملة الفعلية فعلاً تاماً أو ناقصاً ، والفعل التام هو الفعل الذي يدل على الحدث ويكتفي بمرفوعه[3] ، كما في جملة : جاء الحق ، فالفعل " جاء " دل على حدث المجيء ، واكتفى بمرفوعه الذي هو فاعله " الحقُّ " . أما الفعل الناقص فهو الذي لا يدل على الحدث ولا يكتفي بمرفوعه ككان وأخواتها [4]، فهي تحتاج إلى مرفوع ومنصوب كما في جملة (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [البقرة : 62] ، هذه هي طبيعة الجمل الفعلية وقد بينت ذلك بإيجاز ليكون توطئة لهذا الفصل .

المبحث الأول

ربط جملة الاستئناف المجرد

يتناول هذا المبحث الجملة الفعلية المستأنفة استئنافاً مجرداً عن حروف الاستئناف ، فيبحث ترابطها بجملة فعلية أخرى جاءت قبلها بغية الكشف عن الروابط المعنوية التي ألَفت بينهما ، وسوغت مجيئها بعدها ، وكيف أوجدت هذه الروابط تناسباً وتناسقاً بين الجمل ، جعل النص وحدة لغوية أدبية بليغة .

---

(1) ينظر : عباس حسن : النحو الوافي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ ، 1 / 325، 338 .

(2) ابن هشام : مغنى اللبيب ، 2 / 6 .

(3) ينظر : السيوطي : الأشباه ولنظائر ، 2 / 148 .

(4) ينظر : المصدر السابق .

وبناء على التقسيم المعروف لأضرب الأسلوب الخبري ، فإن الاستئناف الخبري بالجملة الفعلية إما أن يأتي على مقتضى الظاهر ، وإمَّا أن يخرج عن مقتضى الظاهر لغرض من الأغراض البلاغية ، وفيما يلي بيان ذلك .

يأتي الخبر موافقاً لمقتضى الظاهر فيكون ابتدائياً أو طلبياً أو إنكارياً ، فالابتدائي يلقى خالياً من المؤكدات ويخاطب به خالي الذهن ، والطلبي يلقى مؤكداً بمؤكد واحد ، ويخاطب به الشاك المتردد في قبول مضمون الخبر ، أما الخبر الإنكاري فيلقى مؤكداً بأكثر من مؤكد لأن المخاطب به منكر للخبر ، هذه هي الحالات الثلاث التي يأتي فيها الخبر موافقاً لمقتضى الظاهر ، لكنّ اسْتِقْراء النص القرآني يكشف عن وقوع الاستئناف الخبري بالجملة الفعلية المرتبطة معنوياً بما قبلها في حالتين هما : الاستئناف الابتدائي والاستئناف الطلبي .

1 - الاستئناف المجرد الابتدائي :

وجاء الاستئناف المجرد من الحرف ابتدائياً ، وجملته فعلية مخاطب به خالي الذهن فخلا من التوكيد في مجموعة من الجمل القرآنية من ذلك جملة (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ) : في قوله تعالى : (وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ) [آل عمران : 170 - 171] ، فالجملة المستأنفة تخبر أنَّ الشهداء يُسَرُّون ويفرحون بمغفرة الله وإكرامه لهم بالجنة ، والنعيم المقيم ، والفضل العظيم [1].

وارتبطت هذه الجملة المستأنفة ارتباطاً معنوياً بجملة (يُرْزَقُونَ)، ويتبين ذلك من سياق النص القرآني ، قال الحق ـ جل وعلا ـ : (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ) [آل عمران : 169 - 171] . فبعدما أخبر الله ـ سبحانه ـ أن الشهداء

([1]) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 4 / 275 .

أحياء يرزقون جاء بيان أصناف الرزق وألوانه ، فمنه استبشارهم بحال إخوانهم المؤمنين الأحياء المجاهدين في سبيل الله ، ومنه أنهم آمنون لا خوف عليهم ، سعداء لا يحزنون ، ومنه أنهم يسرون ويفرحون بمغفرة الله وجنته ونعميها ، ومزيد فضل الله عليهم ، واختصَّ ذكر البشارة بنعمة الله وفضله بأن يكون كلاماً مستأنفاً .

وقد جاء ذكر أصناف الرزق وألوانه بطرق متنوعة تناسب تنوع ألوان هذا الرزق ، فكان التعبير عن دوام فرحهم بالحال (فَرِحِينَ) ، والتعبير عن استبشارهم بإخوانهم الذين لم يلحقوا بهم بجملة (وَيَسْتَبْشِرُونَ) المعطوفة على الحال(فَرِحِينَ)[1]، وكان التعبير عن نفي الخوف عنهم بـ (أَلاَّ خَوْفٌ عليهم) ، وهذا تنوع في أسلوب التعبير يفيد تنوع المعاني المقصودة من أصناف ما يرزق الله به عباده الشهداء . ومجيء الإخبار عن البشارة بنعمة الله وفضله بأسلوب الاستئناف دون غيره من الأساليب دليل على الاعتناء به .

وأما كون التعبير هنا بالجملة الفعلية ففيه من الدلالة ما فيه ؛ إن التعبير بالجملة الفعلية يدل على التجدد والحدوث ، والتجدد في الفعل المضارع يدل على تكرار حدوثه ووقوعه مرة بعد أخرى[2]، وهذا المعنى هو المراد هنا في : (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ) فإن استبشارهم متكرر متجدد بتكرار إنعام الله عليهم، وبتجدد نعمه وفضله عليهم ، فهم في نعيم دائم متجدد متنوع يأتيهم نوع منه فيستبشرون به فيأتيهم نوع آخر فتتجدد بشارتهم وهكذا دواليك ، وإذا كان الأمر كذلك فإن دقة التعبير القرآني بالجملة الفعلية التي فعلها مضارع هو الذي أدى هذا المعنى .

وتظهر دقة هذا التعبير إذا قارنا بينه وبين جملة مثل : مستبشرون بنعمة من الله، فإن هذه الجملة اسمية ، فالتعبير بـ " مستبشرون " يدل على حدوث الاستبشار على وجه الثبوت والاستمرار ، ومعنى ذلك أن بشارتهم مستمرة على حالة واحدة ، وهذا يلمح إلى أن ما يستبشرون به ثابت لكنه غير متجدد ، ولا شك أن الإنسان إذا تمتع بشيء يحبه ويفرح

---

(1) ينظر : العكبري : التبيان في إعراب القرآن ، 1 / 309 .
(2) ينظر : السيوطي : الإتقان ، 2 / 316 .

به فإن ذلك سيكون مبشراً له ومفرحاً في أول الأمر ، إلا أنه ستحدث له السآمة والملل على عادة الطبيعة البشرية التي لا يعجبها الدوام على حالة واحدة ، ومن هنا كان التعبير بالجملة الفعلية أدعى إلى الترغيب في هذا الاستبشار ، وأدق تعبيراً ، وأصوب بلاغة .

وبعد هذا التحليل الأسلوبي لهذا التعبير القرآني يتضح وجه ارتباط هذه الجملة المستأنفة : (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ) بجملة : (يُرْزَقُونَ) ، وتبرز العلاقة المعنوية الرابطة التي هي " التبيين " ، فقد أفادت جملة الاستئناف تبييناً للون من ألوان ما يزرق به الشهداء عند ربهم ، ووضحت صنفاً من أصناف هذا الرزق .

وقد جاء الاستئناف الخبري بالجملة الفعلية ابتدائياً في جمل قرآنية كثيرة منها(*):

1 - (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) [البقرة : 49] .

2 - (وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ . يَحْزَنُونَ , يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ) [آل عمران : 170- 171].

3 - (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا . يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ) [النساء : 27 - 28]

4 - (تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا) [المائدة : 83]

5 - (وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ) [التوبة:42].

6 - (وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(90) لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(91) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (92) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ

(*) الجملة المستأنفة هي التي فوق الخط .

عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (93) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ) [التوبة : 90 - 94]

7 - (قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى) [طه : 52]

8 - (وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) [النور:55]

9 - (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) [الممتحنة : 1]

10 - (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) [الطلاق : 12]

11 - (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ . يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ)[القيامة: 5-6]

2 - الاستئناف المجرد الطلبي :

قد يكون المخاطب بالجملة المستأنفة استئنافاً مجرداً عن الحرف شاكاً في مضمون الجملة فيحسن توكيد الجملة بأداة من أدوات التوكيد كما جاء في جملة (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا)، وكان استئنافها بعد جملة فعلية أخرى ، قال الله ـ تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا) [آل عمران : 12 - 13] .

فقد أكدت الجملة المستأنفة بحرف التوكيد " قد " ، وهو حرف " إذا دخل على الماضي أو المضارع فلا بد فيه من معنى التحقيق ، ثم إنه يضاف في بعض المواضع إلى هذا المعنى في الماضي : التقريب من الحال مع التوقع " [1]، والمقصود بالتحقيق هنا التوكيد ، أي : تحقيق حدوث الفعل الذي تؤكده ، وتفيد بالإضافة إلى التوكيد تقريب الحدث

(1) الرضي : شرح الرضي على الكافية ، 2 / 223 .

هنا ، فإنها بدخولها أفادت أن الآية والعلامة الدالة كانت قريبة ، والمقصود بالآية ما حدث في يوم بدر عندما انتصر المسلمون على المشركين ، وكان نزول هذه الآية بعد غزوة بدر بعدما رجع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه إلى المدينة[1] ، فالزمن بين الأمرين قريب، ولم تفد " قد " التوقع في هذه الآية ، بل أفادت تحقق الوقوع.

وبناءً على ذلك فإن مضمون هذه الجملة المستأنفة هو : أيها الكافرون إن ما وقع في يوم بدر دليل على أن الله هو الذي نصر الفئة القليلة وأيدهم لأنهم آمنوا به ، وقاتلوا في سبيله ، وهذا الذي حدث عبرة وعظة لكل من يفكر في مناوأة المسلمين ، أو مقاتلتهم فإن مصيره سيكون الهزيمة كما كان مصير المشركين في بدر مع كثرة عددهم وعدتهم ، وقد جاء التوكيد بـ " قد " ليزيل شكوك من يشك في هذه الحقيقة ، أو يتردد في قبولها .

ويمكن أن يتبين للباحث المتأمل لهذه الجملة الفعلية المستأنفة أنها تختص بأمور منها : أن فعلها ناقص ناسخ هو " كان " ، وأن خبر الفعل الناسخ جار ومجرور " لكم " متقدم على اسمه ، وإن اسمه نكرة هو " آية " ، وأن اسم الفعل الناسخ النكرة وُصِفَ بصفة محذوفة تعلق بها " في فئتين " ، فهذه أربعة أمور تميز هذه الجملة الاستئنافية ، ولكل ميزة دلالة معنوية ، فإن مجيء الأسلوب على هذه الطريقة يحمل مجموعة من الدلالات والإشارات البلاغية .

فأما كون الفعل في هذه الجملة (قَدْ كَانَ لَكُمْ آَيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ) فعلاً ناقصاً ناسخاً هو " كان " فإنه يدل على كينونة الآية في الزمن الماضي فحسب من غير الدلالة على الحدث لأن الأفعال الناقصة تدل على الزمن ولا تدل على الحدث[2] ، فالجملة الفعلية هنا تختلف عن الجملة الفعلية التي يكون فعلها تاماً ، فالمعنى في الجملة ـ والله أعلم ـ : لكم آية في فئتين حدث من أمرهما كيت وكيت في الزمن الماضي ، وينبني على ذلك أن معنى " كان " الذي يعادل قولنا : " في الزمن الماضي " قيد للمسند في هذه الجملة وليست هي

([1]) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 4 / 24 .

([2]) ينظر : البابرتي ، أكمل الدين محمد بن محمد : شرح التلخيص ، تحقيق : محمد مصطفى صوفيه ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، الجماهيرية الليبية، ط 1 / 1983 م ،ص277.

المسند ، فالمسند في الجملة هو الخبر " لكم " وجاءت " كان " قيداً له لتحديد زمنه ، والمسند إليه هنا هو " آية " وحقيقية هذه الجملة أنها اسمية دخلت عليها " كان " وعدّها فعلية من باب متابعة المعروف المشهور عند النحويين ، فقد سبق ذكر كلام ابن هشام الذي يدل على أن الجملة المبدوءة بفعل ناقص هي جملة فعلية .

ويبدو لي أن الجملة الاسمية التي يدخل عليها فعل من الأفعال الناقصة ليست كبقية الجمل الفعلة المبدوءة بفعل تام ، لأن الفعل التام يدل على الحدث مع الزمن ، أما الفعل الناقص فيدل على الزمن دون الحدث ، وبهذا تفقد الجملة هذه الدلالة على الحدث المُقترن بالزمن ، وهي تفيد التجدد والحدوث ، فإذا فقدت معنى الحدث ذهبت هذه الفائدة.

وبناء على ما تقدم فإن هذه الجملة المستأنفة تدل على الثبوت والدوام في الزمن الماضي أي : ثبوت حكم الخبر ، فإن مثل هذه الجملة يأخذ من الجملة الفعلية دلالتها على الزمن ، ويأخذ من الجملة الاسمية دلالتها على ثبوت الحكم ، وفائدة ذلك أن هذه الجملة أفادت توكيدها بما تدل عليه الجملة الاسمية من أصل وضعها ، وأفادت كون الآية والعبرة تحققت في الزمن الماضي بما تدل عليه " كان " من اتصاف اسمها بخبرها في الزمن الماضي .

وأمّا الميزة الثانية لهذه الجملة فهي أن خبر " كان " الذي هو " المسند " جاء جاراً ومجروراً متقدماً على المسند إليه : (قَدْ كَانَ لَكُمْ آَيَةٌ) ، وذلك ليدل على تخصيص العبرة والاتعاظ بهذه الحادثة التي هي انتصار المؤمنين على الكافرين المخاطبين ، فكأن ما حدث عبرة لهم لا لغيرهم ، وفي ذلك نوع من تقوية مضمون الجملة ، وهو ما يشعر بالتهديد لهم ، فهم عليهم أن يفكروا ، ويحسبوا ألف حساب قبل أن يقدموا على مقاتلة المؤمنين لأن مصيرهم سيكون الهزيمة كما كان مصير المشركين يوم بدر .

وهناك ميزة ثالثة في هذه الجملة هي مجيء المسند إليه (آَيَة) نكرة ، وهذا يفيد تعظيم هذه الآية ، فهي آية عظيمة الوضوح ، عظيمة الدلالة على أن الفئة المنتصرة على منهج الحق ، وأن الله ينصر عباده المؤمنين ، ويزداد هذا المعنى وضوحاً من السياق

القرآني الكريم : (قَدْ كَانَ لَكُمْ آَيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الْأَبْصَارِ) [آل عمران : 13] .

وتأتي الميزة الرابعة لتزيد المعنى وضوحاً وقوة وتخصيصاً ، وكان ذلك بتقييد المسند إليه : (آَيَةٌ) بـ (فِئَتَيْنِ) وهو جار ومجرور متعلق بنعت [1]، فقُيّد المسند إليه بالنعت هنا ليزداد المعنى تخصيصاً ووضوحاً وتحديداً ، كل هذه المميزات الأسلوبية تنطوي عليها جملة الاستئناف على إيجازها ، فقد حملت من الأسرار البلاغية والخصائص الأسلوبية ما يبهر ويعجز .

وترتبط جملة الاستئناف في السياق القرآني بجملة (سَتُغْلَبُونَ) ، والرابط بينهما رابط معنوي هو " الاستدلال " ، فإن الجملة المستأنفة (قَدْ كَانَ لَكُمْ آَيَةٌ) جاءت كالدليل على تحقق الهزيمة : هزيمة الكافرين المعادين للإسلام إن هم قاتلوا المسلمين ، فتأويل الآية ـ والله أعلم ـ أيها الكافرون إنكم ستغلبون وتهزمون إن قاتلتم المسلمين فلا تغرنكم كثرتكم ، والدليل على أن مصيركم الهزيمة ما حدث للمشركين في غزوة بدر ، فقد كانوا أكثر عدداً وعتاداً من المسلمين لكنهم غُلبوا وانهزموا ورجعوا خائبين .

ويتبين من ذلك أن الجملة المستأنفة إن جاءت تحمل مضموناً استدلالياً على مضمون الجملة المجاورة لها ، الواقعة قبلها فإن الترابط بين الجملتين يكون معنوياً بعلاقة " الاستدلال " ، ولا تحتاج الجملة المستأنفة في هذه الحالة إلى رابط لفظي يربطها بالجملة السابقة لاستغنائها بالرابط المعنوي .

ومن الآيات القرآنية الكريمة التي جاءت فيها الجملة الفعلية مستأنفة استئنافاً طلبياً مخاطباً به الشاك المتردد ما يأتي (*):

---

(1) ينظر : العكبري : التبيان في إعراب القرآن ، 1 / 242 .
(*) الجملة المستأنفة هي الواقعة فوق الخط .

1 - (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آَيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا) [آل عمران : 12 - 13] .

2 - (سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (10) وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (11) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (12) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا (13) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) [الأعلى : 10 - 14] .

3 - (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) [الشمس : 8 - 9] .

وبعد هذا العرض الذي تبين فيه أنَّ مجيء الاستئناف بالجملة الفعلية المرتبطة بجملة قبلها معنوياً يأتي على ضربين من أضرب الخبر هما : الابتدائي والطلبي ، فإن البحث في النص القرآني لم يظفر باستئناف إنكاري ، وما كان مِنْ خبرٍ إنكاري بالجملة الفعلية كان ارتباطه بما قبله برابط لفظي نحو جملة (لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ) [الأنبياء : 57] ، فهذه الجملة جملة فعلية أسلوبها خبري لكنها ليست مستأنفة ، وهي مرتبطة بجملة القسم التي قبلها (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ) ، والرابط هنا رابط لفظي هو اللام المؤكدة ، والترابط هنا بين جملة إنشائية هي جملة القسم وجملة خبرية هي جملة جواب القسم .

وبناءً على ذلك فإن الباحث يستطيع أن يخلص إلى أنَّ الاستئناف الإنكاري بالجملة الفعلية الخبرية في القرآن لا يكون ارتباطه برابط معنوي بالجملة التي قبلها ، وأن الرابط في هذه الجملة يكون لفظياً . كما مُثِّل آنفاً .

3 - خروج الاستئناف المجرد عن مقتضى الظاهر :

وبعد بيان حالتي الاستئناف الخبري بالجملة الفعلية اللتين جاء الاستئناف فيهما موافقاً لمقتضى الظاهر ، يأتي الحديث عن حالات خروج الاستئناف عن مقتضى الظاهر ، وهي حالات كثيرة تتنوع حسب غرض الكلام ، ولكل حالة من هذه الحالات سر بلاغي يقف وراء هذا الخروج عن مقتضى الظاهر ، وفيما يلي بحث هذه الحالات، والكشف عن سر تعبيرها وأسلوبها .

أ ـ تنزيل غير السائل منزلة السائل :

قد يظهر للمتكلم أمر ما ، أو يعنّ له غرض يدفعه إلى أن ينزل المخاطب منزلة السائل مع أنه لم يسأل ولم يستفهم ، وقد يكون هذا الأمر الذي يظهر للمتكلم هو علمه بفراسته أن المخاطب ينوي الاستفهام عن أمر من الأمور التي تتعلق بكلامه ، فيبادر المتكلم بتقديم جوابه عن سؤال مفترض توقع دورانه في ذهن المخاطب ، وذلك رغبة منه في أن لا يقطع المخاطب كلامه ، أو ليكفيه مؤونة السؤال ، أو ليقطع عليه سبيل الجدال ، ولمثل هذه الأضرب من أنواع الخبر شواهد في القرآن الكريم من ذلك الجملة المستأنفة (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) .

فجملة (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) جملة فعلية مستأنفة ، وذلك في سياق قول الله ـ تعالى ـ : (لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) [التوبة : 44 ـ 45] ، وهذا الاستئناف بياني [1] ؛ فهو جواب سؤال مقدر نشأ من الجملة السابقة (لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. . .) ، فكأن المخاطب سأل : فمن ذا الذي يستأذن ؟ فكانت الجملة المستأنفة بياناً وجواباً : (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ) .

والمخاطب بالجملة الكريمة هو الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونُزّل منزلة السائل لما في الكلام السابق من معنى يثير في النفس تساؤلاً كما تبين من تقدير السؤال ، وأكد الاستئناف بـ " إنما " التي تفيد القصر ، وهي تفيد إثبات أمر الإيمان للذين خرجوا مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في معركة تبوك ولم يتخلفوا ، وأثبتت كذلك نفي الإيمان عن الذين استأذنوا في ترك الخروج وهم المنافقون ، وذلك لأن مفهوم " إنما " هو إثبات أمر ، ونفي ما عداه ، وبهذا فإن القصر والتوكيد بها تأكيد للجملة المستأنفة وللجملة التي ارتبطت بها وهي جملة (لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ . . . .) .

---

(1) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 10 / 212 .

والارتباط بين الاستئناف وهذه الجملة ارتباط معنوي بعلاقة معنوية هي " التناظر " ، فإن الجملتين المترابطتين تحملان معنيين متناظرين ، فأما الجملة الأولى فمجمل معناها : إن الذين يؤمنون لا يستأذنون الرسول في القعود والتخلف عن الخروج للقتال في سبيل الله ، وأما الجملة الثانية المستأنفة فمجمل معناها : إن الذين لا يؤمنون هم الذين يستأذنون الرسول في القعود والتخلف ، فالمعنيان متناظران متقابلان .

ويكتسب هذا الاستئناف حسناً وجمالاً من عدة جوانب أسلوبية منها : أَنَّ التعبير بالجملة الفعلية " يستأذنك " يدل على التجدد في طلب الإذن مرة بعد مرة ؛ وهذا تصوير دقيق لحال المنافقين الذين يتكرر منهم الاستئذان في مثل هذه المواقف العصيبة التي يبلو الله ـ تعالى ـ بها الناس ليميز الخبيث من الطيب ، ويفهم من التجدد معنى آخر هو أن المنافقين يتكرر منهم الاستئذان في الموقف الواحد محاولين تبرير تخلفهم عن الخروج والاعتذار لذلك ، ولأنهم ارتابت قلوبهم فإن نفوسهم مضطربة ، ويخشون أن ينكشف أمرهم لذا فهم يحاولون إقناع النبي بكثرة استئذانهم واعتذارهم كما هي حالة الذين اضطربت نفوسهم لكذبهم ، ولعل هذين المعنيين مقصودان هنا ـ والله أعلم ـ بمراده ، ولعل ختام الآية بقول الله ـ جل وعلا ـ (فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) يلمح إلى ما أشرت إليه ويؤكده .

ومن جوانب جمال الاستئناف الأسلوبية في هذه الجملة الكريمة مجيء الفاعل " المسند إليه " اسماً موصولاً ، فالتعريف بالاسم الموصول هنا دلَّ على التعريض بهم ، حيث إن صلة الموصول التي عرّفت الموصول دلت على نفي الإيمان عنهم ، وبمجموع الاسم الموصول وصلته يفهم تخصيص المعرض بهم بصفة هي نفي الإيمان عنهم ، وهذا التخصيص نوع من القصر ، وخلاصة ذلك أن التعريف بالاسم الموصول أفاد وصفهم بعدم الإيمان وكأن هذه الصفة هي الصفة التي تميزهم وبها يعرفون لا بغيرها ، وهذا لون معنوي من القصر يقوي القصر بـ " إنما" في الجملة ، ويؤكده .

وللاستئناف المجرد المنزل فيه غير السائل منزلة السائل جماليات أسلوبية يبرز منها في سياق الحوار والجدال جمالُ الاستئناف البياني الذي يجعل المخاطب أو السامع

جزءاً من الحوار أو الجدل من خلال إشراكه في موضوع الحوار أو الجدل ، ويتجلى ذلك في الإجابة عن الأسئلة التي تدور في ذهن المخاطب ، أو تخطر بخلد السامع ، فيشعر حالة التلقي كأنه يحضر الحوار ويشارك فيه .

ففي قول الله ـ جل وعلا ـ مثلاً : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) [البقرة : 29] . نجد أن من يسمع قول الله ـ تعالى ـ للملائكة : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) سيخطر بباله سؤال مفاده : وماذا قالت الملائكة ؟ ، فتأتي الإجابة عن ذلك : (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) ، فيسأل السامع ثانيةً : وماذا أجابهم الله ـ جل وعلا ـ ؟ ، فتكون الإجابة : (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ).

وهكذا يستمر الحوار بين الله ـ جل وعلا ـ والملائكة ، ويتابعه السامع فتدور بذهنه مجموعة من الأسئلة تستشرف نفسه الإجابة عنها ، فتأتي الإجابة قبل أن يتلفظ بالسؤال فيجعل ذلك منه جزءاً من الحوار ، فيندمج فيه ، ويتواصل معه ، ومثل هذا الأسلوب يُعْنَى بالمتلقي عنايته بالنص ، وهذه العناية لها أهميتها ، حيث إنها تربط بين عناصر الخطاب " النص " ، فعناصر الخطاب : المرسل والنص " الرسالة " ، والمتلقي تتواصل في هذا اللون الأسلوبي الذي أسماه البلاغيون القدماء الاستئناف البياني .

وقد بحث هذا الموضوع الإمام عبدالقاهر ، ومثل له بأبيات من الشعر ، واستشهد عليه بآيات من القرآن ، وقال في ذلك : " واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ قال مفصُولاً غير معطوف ، هذا هو التقدير فيه والله أعلم ، أعني مثل قوله تعالى : " هل أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ . فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ . فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ . فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ " جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم : دخل قوم على فلان فقالوا كذا : أن يقولوا : فما قال

هو ؟ ويقول المجيب : قال كذا أخرج الكلام ذلك المخرج لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه ، وسلك باللفظ معهم المسلك الذي يسلكونه " [1].

فعبد القاهر الجرجاني يضع في هذا النص قاعدةً عامةً مفادها : إن كل جملة فعلية مصدرة بـ " قال " في القرآن الكريم ولم يسبقها حرف عطف هي جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ، وبعبارة أخرى تناسب مصطلحات هذا البحث : إن كل جملة فعلية في القرآن الكريم مصدرة بالفعل " قال " وارتبطت بما قبلها معنوياً هي جملة مستأنفة بيانياً ، وهي جواب عن سؤال مقدر .

وهذه بعض الآيات القرآنية التي اشتملت على جمل فعلية مستأنفة لغرض تنزيل غير السائل منزلة السائل [*] :

1 - (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا . . .) [البقرة : 29] .

2 - (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) [البقرة : 29] .

3 - (فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا) [البقرة : 30 - 31] .

4 - (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) [آل عمران : 37] .

5 - (لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) [التوبة : 44 - 45] .

---

(1) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 185 .
(*) الجملة المستأنفة هي الجملة التي فوق الخط .

6 - (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) [البقرة : 94]

7 - (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (103) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) [النحل : 103 - 105] .

8 - (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) [مريم : 17 - 18] .

9 - (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) [يس : 51 - 52] .

10 - (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ) [ص : 30] .

11 - (فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (47) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا)[غافر : 47 - 48].

ب ـ تنزيل المنكر منزلة غير المنكر :

قد ينزل المنكر منزلة غير المنكر ، فيخاطب كما يخاطب ، فيأتي الكلام خالياً من التوكيد ، وفي ذلك سر بلاغي مفيد ، ومثال ذلك في الأسلوب الخبري بالجملة الفعلية ؛ جملة : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ . لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [الزمر : 3 - 4] .

فالجملة الفعلية المستأنفة خطاب للمشركين الذين يدّعون أنَّ الله اتخذ أبناء ، وأنهم من جملة شركائه ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ فالمشركون يعتقدون أن الشركاء يقربونهم إلى الله لذلك كانوا يعبدونهم ، فجاءت الجملة المستأنفة (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ) رداً على ادعائهم ، ونقضاً لكلامهم، والمعنى : " لو كان الله متخذاً ولداً لاختار من مخلوقاته ما يشاء اختياره ، أي لاختار ما هو أجدر بالاختيار ولا يختار لبنوّته حجارة كما زعمتم لأن شأن الاختيار أن يتعلق بالأحسن من الأشياء المختار منها فبطل أن تكون اللات والعُزى ومناة بنات الله تعالى . . " [1].

فالخطاب في الآية موجه للمنكرين الكافرين المعاندين ، لكنه جاء غير مؤكد ، على غير مقتضى الظاهر ، فمقتضى الظاهر أن يؤكد الكلام الموجه للمنكر ، والسر البلاغي في خلوّ الجملة من التوكيد هو عدم الالتفات إلى إنكارهم لتفاهته ، ومجيء الكلام من غير توكيد على هذه الصورة هادئاً يَنُمُّ عن ثقة المتكلم ـ سبحانه ـ في كلامه ، وعدم التفاته إلى كلام الخصم ، وهذا الأسلوب من الكلام يدفع الخصم إلى التأمل والتفكر في مضمون الخطاب ، ويفسح له المجال لعله يتراجع عن اعتقاده ، ويزول إنكاره ، وهذا الأسلوب يناسب أسلوب الجدل ، وهو هنا أفضل من علو اللهجة ، وارتفاع الصوت بالكلام المؤكد ، فإنَّ التوكيد والكلام المجلجل قد يسبب عناداً من المنكر فلا يفكر في مضمون الخطاب ، ويرفضه عناداً .

وقد ارتبطت الجملة الاستئنافية (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) بجملة فعلية أخرى جاءت قبلها هي جملة : (مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) ، ويتضح ذلك من السياق القرآني الكريم كما يلي : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ . لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [الزمر : 3 ـ 4] ، والترابط بين الجملتين ترابط معنوي ، والمعنى الرابط بينهما هو " النقض " إذ إن الجملة المستأنفة تحمل في مضمونها

(1) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 23 / 325 .

نقضاً لمضمون الجملة المرتبطة بها التي مضمونها ادعاء المشركين أنهم يعبدون شركاء الله الذين هم أولاده ـ في زعمهم ـ فكانت الجملة المستأنفة نقضاً لهذا المعنى بإبطاله بحجةٍ منطقية مفادها أنَّ من يريد أن يتخذ ولداً يصطفي ويختار الأفضل ، وما زعمتم أنهم بنات الله إناث وحجارة صنعتموها بأيديكم وسميتموها بأهوائكم ، وهي أدنى ما خلق ، فليس من المنطق والعقل أن تُتَّخذ أولاداً .

وتتجلى بلاغة الارتباط المعنوي بين الجملتين من وجوه منها : أن الجملة الأولى التي هي مقالة المشركين جاءت مرتفعة الصوت ، بتوكيدها عن طريق أسلوب القصر بالنفي والاستثناء (مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا) ، والمشركون قد أجهدوا أنفسهم في إثبات مرادهم ـ دلَّ على ذلك أسلوب كلامهم ـ أما الجملة الثانية التي هي ردُّ الله ـ جل وعلا ـ عليهم ، ونقضه لكلامهم وادعائهم جاءت هادئة خالية من التوكيد ، فكان ذلك لوناً من ألوان النقض ، إذ إن من يريد نقض ادعاء خصمه يسعى إلى نقض كلامه لفظاً ومعنى بكل وجه ممكن ، وهو يخالفه في كل فعل أو قول ، وهذا أبلغ في النقض ، وهذا هو ما تدل عليه الجملة الثانية المستأنفة .

ومن أوجه البلاغة ـ أيضاً ـ التي تعد من محاسن الترابط المعنوي بين الجملتين أن الجملة الأولى أثبتت عبادة المشركين للأصنام لأجل التقرب ـ كما يزعمون ـ وهذه العبادة متجددة ؛ دل على ذلك التعبير بالفعل المضارع " نعبدهم " ، أمّا الجملة الثانية فقد نفت اتخاذ الله ـ جل جلاله ـ أولاداً أو شركاء ، ودل على ذلك " لو " التي تدل على امتناع الشرط[1] " لو أراد الله أن يتخذ ولداً " ، والامتناع نفي ، وهذا الامتناع امتناع الإرادة في الزمن الماضي ، وهذا تأكيد لنفي الأمر لأن الله ـ جل وعلا ـ إرادته أزلية ، وحكمه قديم لا مبدل له ، فكونه لم يرد في الأزل يعني أنّ هذه الإرادة مستمرة باقية وهذا المعنى تأكيد للنفي .

---

(1) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 1 / 376 - 378 .

وكون الجملة الدالة على قول المشركين مثبتة ،والجملة الدالة على نقض الله لكلامهم منفية فإن هذا لوناً ثانياً من النقض ، ودلالة قول المشركين على التجدد في مقابل دلالة قول الله ـ سبحانه ـ على الثبوت يمثل لوناً آخر من النقض ، فهذه وجوه تبرز أسلوب القرآن في الحوار والجدل ، وتكشف عن خصائص أسلوبية خفية لا تظهر إلا بالتحليل الأسلوبي المعتمد على التأمل والتدبر الواعي ، وبناء على ذلك فإن " النقض " هدف من أهداف الحوار والجدل في القرآن ، ويسعى القرآن إلى تحقيقه باستعمال ألوان أسلوبية شتى ، لفظية ومعنوية تدل في مجموعها على النقض ، وهذه الألوان قد تظهر إذا كانت لفظية ، وقد تخفى إذا كانت معنوية .

جـ ـ تنزيل غير المنكر منزلة المنكر :

قد يُجعل غير المنكر للخبر كالمنكر وذلك إذا ظهرت علامات الإنكار عليه ، أو ظهر من فعله أو قوله ما يدل على بوادر الإنكار ، ويحسن في هذه الحالة توكيد الخبر لدفع هذه العلامات ، وقد ينزل غير المنكر منزلة المنكر ـ كذلك ـ إذا كان غافلاً وغفلته مستحكمة ، أطبقت عليه فنسي الحق ، وذهل عنه فيكون التوكيد في هذه الحالة تنديداً بغفلته ، وتهديداً له على نسيانه الحق وذهوله عنه .

وتتجلى هذه الحالة في صورة اليهود الذين هم أهل كتاب ، والأصل أنهم يؤمنون بالله ، ويؤمنون أنه متصف بصفات الكمال ، لكنّ حبَّ الدنيا أعمى أبصارهم ، وعشق المال طمس بصيرتهم ، فاستحكمت غفلتهم ، وضلّت أنفسهم ، فلما أمرهم الله ـ جل وعلا ـ بالإنفاق في سبيله مما رزقهم ، شحت نفوسهم ، وذهب رشدها فقالوا سفهاً : (إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) ، فأتى إخبار الحق ـ تعالى ـ مهدداً ومتوعداً : (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ . ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) [آل عمران : 181 - 182] .

فالجملـة القرآنيـة (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) استئناف في سياق الحديث عن الترغيب في الصدقات ؛ قال الله ـ جل وعلا ـ : (وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ . . . .) [آل عمران : 180 - 181]

وهذه الجملة الاستئنافية خوطب بها اليهود الذين قالوا هذا القول الفاحش ، وهم لا ينكرون أن الله يسمع ما يقولون لكنهم لما تجرأوا على هذا القول أشبهوا بذلك من يكفر بالله وينكر سماعه وعلمه ، فجاء الاستئناف لذلك مؤكداً " باللام وقد " تنزيلاً للمخاطبين منزلة المنكرين ، وهذه اللام هي لام التوكيد وليست للقسم [1].

وأفاد هذا الاستئناف التهديد والوعيد[2] لهؤلاء المجرمين المعتدين الذين دفعهم بخلهم وحبهم لمتع الدنيا إلى التجرؤ على رب السماوات والأرض ، ومن له ميراث كل شيء ، وقد أفادت " اللام " و " قد " تأكيد وقوع سماع الله لقولهم ، وبالتالي أفادت توكيد التهديد المقصود من الإخبار بسماعه ـ جل وعلا ـ ومجيء هذا التهديد مستأنفاً به على هذه الطريقة إشارة إلى عظم مضمونه ، وأهميته .

وقد ارتبطت الجملة المستأنفة ارتباطاً معنوياً بجملة (وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ) ، وكانت العلاقة الرابطة بين الجملتين هي " التوكيد " ، فمضمون هذه الجملة تهديد اليهود بأن بخلهم ليس خيراً ، وإنما هو شر ووبال عليهم يوم القيامة ، وهذا المضمون هو ذاته الموجود في الجملة المستأنفة فهي تفيد تهديد اليهود بأن الله سيعاقبهم على بخلهم وافترائهم على الله بما قالوه من باطل ، فكلا الجملتين تفيد التهديد والوعيد .

د ـ تقوية مضمون الخبر :

([1]) ينظر : أبوحيان الأندلسي : البحر المحيط ، 3 / 130 .
([2]) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 4 / 183 .

يلقى الاستئناف الخبري أحياناً مؤكداً والمخاطب بـه غير شاكٍ فـي مضـمونه ، ولا منكر لـه ، وفي هذه الحالة لا يلحظ المتكلم حال المخاطـب ، بـل تكـون عنايتـه بـالخبر " الكلام " نفسه ، فيهدف من وراء توكيده تقويـة المضـمون ، ليظهـر فـي صـورة واضـحة لا لبس فيها ، غير محتملة التأويل ، وغير قابلة الصرف عن الظاهر ، ومن ذلك جملـة: (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَـاسٍ مَشْـرَبَهُمْ) [الأعراف : 160] ، فـإن هـذه الجملـة استئناف خبـري مؤكد بحرف التحقيق " قد " ، لتقوية مضمون الجملة ، ويظهر ذلك من السياق الكريم ، قال الله ـ تعالى ـ : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْـهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ) [الأعراف : 160] .

ويلاحظ أن النص القرآني الكريم له خصوصيته في مثل هذه الحـالات ؛ فبالإضـافة إلى أن الغرض من التوكيد هو تقويـة المضـمون لأن المخاطـب مصدق بالمضـمون غير مكذب به ، فإن هناك غرضاً آخر من التوكيد هو إبراز الجملة المؤكـدة بصـورة لا يتطـرق إليها الشك أو الإنكار من أيّ سامع يصل إليه الخبر وإن كان غير المقصود بالخطاب قصداً مباشراً ، فالخطاب في الآية الكريمة السابقة المقصود به الرسول ـ صـلى الله عليـه وسلم ـ والمؤمنـون ، وهم يؤمنـون بمـا يـأتيهم من الله ، فلا حاجـة لتوكيد الكلام لهم ، وإنمـا كـان التوكيد كما تبين عناية بالخبر نفسه ، وتقوية لمضونه ، لكنّ القرآن يسمعه جميع الخلـق ، ويتلـى علـى كـل النـاس ، فيكون التوكيد لغير المسلمين الهدف منـه قطـع طريـق الشـك أو الإنكار على من قد يتطرق إليه شك أو اعتراض ، وبهذا فإن التوكيد قد حقق غرضـين اثنين في آنٍ واحد .

وبتأمل السياق القرآني الشريف الذي جاءت فيـه الجملـة المستأنفة يلاحظ ترابطهـا بسياقها ترابطاً معنوياً ، فقد وقعت في محلها المناسب الذي لو تقدمت عنه أو تـأخرت عليـه لما أدت المعنى المراد ، ولفقد النص حسنه وبهاءه ، وكان ارتباط الجملة المستأنفة بالجملة السـابقة عليهـا بـرابط " البيـان " فأصـاب عين البيـان ، وبلـغ حدّ البلاغـة ، فـإن النظـر إلـى السياق نظرة تأمل يكشف عن أسرار هذا الترابط ، ويسفر عن وجه الحسن فيه ؛ فبعد قول

الحق ـ جل وعلا ـ : (فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) ، جاءت الجملة الاستئنافية : (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ) [الأعراف : 160] .

فأما السر الأول من أسرار ترابط الجملتين فهو أن الجملة الثانية بينت ما عليه حالة المُسْتَسْقين ، وأوضحت موقفهم ، وألمحت إلى حالتهم مع نعم الله عليهم ، بعدما سالت عيون الماء من الحجر الأصم ، فكانت هذه الجملة استئنافاً بيانياً جواباً عن سؤال محتمل توحي به الجملة السابقة ، فإن من يسمع جملة (فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) يرد على فكره سؤال : ماذا فعل المستسقون ؟ أو كيف شربوا ؟ فكانت جملة الاستئناف البياني (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ) كالجواب والبيان لذلك .

وقد عُني علماء البلاغة بهذا النوع من الاستئناف ، وأسموه الاستئناف البياني ، وجعلوه من المواضع التي توجب " الفصل " بين الجمل في باب " الفصل والوصل " ، والأظهر ـ كما قد مرَّ بيانه من قبل ـ أن الجملة الاستئنافية استئنافاً بيانياً ترتبط بالجملة التي توحي بالسؤال ارتباطاً معنوياً بعلاقة " البيان " ونحوها من العلاقات المعنوية ، وهذه العلاقات المعنوية تغني عن الربط بحرف العطف .

وترجع عناية البلاغيين بالاستئناف البياني إلى ما فيه من جمال وحسن ؛ ومظهر هذا الجمال هنا هو إغناء الجملة المستأنفة المخاطب عن السؤال ، فقد أجابت عن سؤال يدور في خلده قبل أن يصرح به ، فكأن ذلك الجواب يخفي تحته أسراراً بلاغية منها: إزالة حيرة المخاطب بالإجابة عن سؤاله الذي يدور في فكره ، ويبحث عن إجابة له ، ومنها أنّ هذه الإجابة البيانية تكفي المخاطب عناء السؤال الذي إن صرح به كان تصريحه قطعاً لكلام المتكلم المسترسل في عرْضِه ، ولا شك أن مثل هذا القطع سيكون دخيلاً على السياق المتصل ، خاصةً إن كان السائل ليس في درجة بلاغة المتكلم ، فإن كلامه الدخيل سيكون كالنشاز لأنه أقل بلاغة ، وأدنى فصاحة .

ثم إن الاستئناف البياني بحذف السؤال يجعل الكلام موجزاً ، وينأى به عن الإطناب الذي لا يقع في محله ، فالإيجاز هنا أندى وأروع ، والذكر يفرض نوعاً من

الإطناب الذي يسمى استطراداً ، ومع أن الاستطراد قد يكون في موضع له من الحسن ماله ، غير أنه لا يحسن في مواضع أخرى ، منها هذا السياق ، لأن سياق الكلام هنا يتحدث عن النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل ، فلم يحسنوا شكرها ، وليس المقام مقام حكاية قصتهم ، وسرد سيرتهم ، فلما كان المقام كذلك حسن الإيجاز في ذكر هذه النعم ، وجَمُل حذف ما لا يتعلق بالغرض تعلقاً مباشراً .

فهذه ثلاثة أسرار بلاغية للاستئناف البياني ـ أقصد : إزالة حيرة المخاطب ، وكونه يكفيه مؤونة السؤال ، وكونه باب من أبواب الإيجاز ـ تمثل مع السر الذي ذكر آنفاً بعض أسرار الترابط المعنوي بين الجمل بعلاقة " البيان " .

وجاء الاستئناف الخبري بالجملة الفعلية لتقوية مضمون الخبر في جمل قرآنية منها :(*)

1 - (فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ) [البقرة : 60] .

2 - (كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [البقرة : 118] .

3 - (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ) [الأنعام : 30 - 31] .

4 - (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ) [الأعراف : 160] .

5 - (لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ) [الممتحنة:3 -4].

(*) الجملة المستأنفة هي التي فوق الخط .

6 - (قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) [الملك : 9].

د - إظهار معتقد النفس :

يؤكد الخبر أحياناً لغرض إظهار المتكلم لمعتقده ، وما يؤمن به ، من غير التفات لحال المخاطب إن كان شاكاً أو منكراً ، والداعي إلى التوكيد في هذه الحالة رغبة المتكلم في إظهار معتقده بصوت مسموع يسمعه هو لتزداد نفسه اطمئناناً ، وليمتلئ قلبه يقيناً ، وذلك كما في قول الفتية المؤمنين أصحاب الكهف : (لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) [الكهف : 14] .

فجملة (لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) جملة فعلية جاءت مؤكدة بمؤكدين هما : اللام ، وقد ، " واللام في لقد لام توكيد ، وإذا حرف جواب وجزاء ، أي لقد قلنا لن ندعو من دونه إلهاً قولاً شططاً أي ذا شطط ، وهو التعدي والجور ، فشططا نعت لمصدر محذوف " [1]، فاللام هنا ليست موطئة للقسم ، وإنما هي لمجرد التوكيد كما يفهم من عبارة أبي حيان السابقة ، وكان توكيد الجملة رغبةً من الفتية المؤمنين في إظهار اعتقادهم بأن الله واحد ، مستحق للعبادة ، فعلى العقلاء أن يعبدوه ويدعوه ، ولا يدعوا غيره ، ولا يسألوا سواه .

وإبراز هذا الاعتقاد في موقف المواجهة مع قومهم الكافرين ، يقوي هذا الاعتقاد في نفوسهم ، ويرسخه في قلوبهم فيزدادوا قوة وثباتاً ، فلا تهتز نفوسهم أمام ظلم الملك ، إذ وقفوا بين يديه حين أمرهم بعبادة الصنم الذي يعبده ، وفي مثل هذه المواقف تحتاج النفس إلى إبراز عقيدتها .

وترتبط جملة (لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) ارتباطاً معنوياً بجملة (لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا) ، والعلاقة المعنوية الرابطة هي علاقة " البيان " لأن الجملة المستأنفة " لقد قلنا إذا شططا " بيان وتوضيح للجملة السابقة ؛ فدعوة غير الله من الآلهة المزعومة الباطلة قول جائر بعيد عن الحق ، مجانب الصواب ، ونفيهم وقوع الدعاء منهم لهذه الآلهة ، يعني أنهم

---

(1) أبوحيان الأندلسي : البحر المحيط ، 6 / 106 .

لم يقولوا قولاً شططاً ، ومن هذا يتبين أن جملة الاستئناف وضحت وبينت حقيقة دعوة غير الله ـ جل وعلا ـ .

وللترابط بين الجملتين وجوه جمالية ، منها اتفاق الجملتين في الخبرية والفعلية ، واختلافهما نفياً وإثباتاً ، فالجملة الأولى : (لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا) نفت الشرك بدعوة الآلهة الباطلة ، والجملة الثانية : (لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) إثبات دعوة آلهة الباطة هو ظلم وبعد عن الحق ، وذلك لم يقع منهم ، والجملتان تدلان على صحة توحيد المتكلمين بهما " الفتية " ، حيث إنهم عبروا عن توحيدهم وعقيدتهم بلونين أسلوبيين هما : النفي بالجملة الأولى ، والإثبات بالجملة الثانية .

ولهذا التنوع الأسلوبي غرضه البلاغي ؛ فإن التعبير عن المعنى بأكثر من طريقة ، والإفصاح عن المضمون بأكثر من أسلوب يزيد ذلك المعنى وضوحاً وتأكيداً ، ويشير إلى أهميته والعناية به .

المبحث الثاني

ربط جملة الاستئناف الحرفي

يسعى البحث في هذا المبحث إلى دراسة الجمل الفعلية الاستئنافية التي جاء استئنافها في القرآن الكريم بحرف من حروف الاستئناف ، الذي يسميه هذا البحث الاستئناف الحرفي ، والهدف من ذلك الكشف عن ترابطها المعنوي بالجمل التي جاءت قبلها في سياق النص القرآني الشريف ، وبيان العلاقات الرابطة لها ، وأوجه التوافق الأسلوبي بين الجملة المستأنفة والجملة المرتبطة بها .

وقد سبق في الفصل الثالث الحديث عن حروف الاستئناف ، وذلك عند الحديث عن الاستئناف الحرفي في الجملة الاسمية ، لكنّ حروف الاستئناف منها ما يدخل على الجملتين الاسمية والفعلية على حدٍ سواء ، ومنها ما يختص بنوع واحد من الجملتين ؛ فالجملة الفعلية يأتي استئنافها الحرفي بمجموعة من حروف الاستئناف هي: الواو ، والفاء ، وبل ، و أو ، و ثُمّ ، وحتى ، وإلاّ .

وبناءً على توكيد الجملة المستأنفة وخلوها من التوكيد فإن الجمل الفعلية المستأنفة استئنافاً حرفياً في القرآن الكريم لها قسمان : قسم جاء على مقتضى الظاهر ، والاستقراء

يُظهر أنه ينحصر في نوع واحد هو " الاستئناف الخبري الابتدائي " ، وهذا يعني أن لا وجود للنوعين الآخرين : الطلبي والإنكاري ، والقسم الثاني هو الذي خرج فيه الاستئناف عن مقتضى الظاهر لغرض من الأغراض ، وفيما يأتي بيان لهذين القسمين مع سرد الآيات الشاهدة على كل قسم .

1 ـ الاستئناف الحرفي الابتدائي :

جاءت الجملة الفعلية المستأنفة بالحرف في القرآن الكريم خبرية غير مؤكدة ، وخبرها ابتدائي في كثير من الآيات ؛ منها ما كان الاستئناف فيها بحرف الواو أو الفاء أو بل التي للإضراب ، أو " أو " التي تفيد الإضراب ، أو " ثم " ، أو حتى " ، ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي :

أ ـ الاستئناف الابتدائي بـ " الواو " :

وتأتي الجملة الفعلية مستأنفة بالواو ، ويكون فعلها ماضياً أو مضارعاً نحو : (وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا) [البقرة : 25] ، ونحو (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) [التوبة: 14] . فالجملة الكريمة الأولى فعلها ماضٍ " أتوا " ، والثانية فعلها مضارع " يتوب " ، وكلتا الجملتين جاءت استئنافية في سياقها .

ففي الجملة الكريمة الأولى جاء الاستئناف بالواو وهي حرف استئناف هنا ، وخلت الجملة من التوكيد ، والمخاطبون بها هم المؤمنون الذين لا يشكون في خطاب الله ولا ينكرونه ، فجاء الخطاب على مقتضى الظاهر غير مؤكد ، وهذا الضرب يعرف عند البلاغيين بالخبر الابتدائي .

ويتضح الاستئناف في الجملة الكريمة إذا عرضت في سياقها ؛ قال الله ـ تعالى ـ : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا) [البقرة : 25] ، فبعدما أخبر الحق ـ جل وعلا ـ أنَّ المؤمنين يرزقون من ثمار الجنة أصنافاً

وألواناً ـ فيقولون : هذا هو الذي رزقنا من قبل ، أخبر سبحانه ـ أنَّ الخدم في الجنة جاءوا بهذه الثمار وقدموها للمؤمنين وهي يشبه بعضها بعضاً لكنها تختلف في الطعم [1].

فالجملة المستأنفة كما ظهر من بيان معناها ترتبط بجملة (قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ) ، لأنها جاءت بياناً لسبب قولهم : هذا الذي رزقنا من قبل ، فتشابه الثمار هو السبب في هذا القول ، ومن هذا التوضيح تظهر العلاقة الرابطة بين الجملتين التي هي " السببية " ، وقد جاءت هذه العلاقة المعنوية الرابطة رابطة للجمل الاسمية كما مرَّ في الفصل الثالث من هذا البحث ، وها هي تأتي رابطة للجمل الفعلية ، وهذا يعني أن علاقة " السببية " من العلاقات المعنوية الرئيسة التي تربط بين الجمل ، ويغني ربطها المعنوي عن الربط اللفظي بحرف من حروف العطف .

وأما الاستئناف بالجملة الفعلية التي فعلها مضارع ، فقد جاء في الجملة الكريمة التي مُثِّل بها آنفاً : (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) ، وذلك في سياق الحديث عن أصناف المشركين ؛ فمنهم من قاتل المسلمين ، ومنهم من حالفهم . . . الخ ، قال الله ـ تعالى ـ : : (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . . . . فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (11) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (12) أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (13) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15)) [التوبة: 1 ـ 15] ، فهذه الجملة المستأنفة لم تعطف على ما قبلها من الجمل أي أنها لم ترتبط برابط لفظي لأنها استئناف؛ قال الصاوي : " قوله (ويتوب الله) بالرفع استئناف ولم يجزم لأن التوبة على من يشاء ليست جزاء على قتل الكفار " [2].

---

(1) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 1 / 240 .

(2) الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، 2 / 141 ، وينظر : الزمخشري : الكشاف ، 2 / 178 .

ومن هذا يظهر أن الواو حرف استئناف ، وليست حرف عطف ، لأنها لو كانت عاطفة لجزم الفعل " يتوب " لأنه حينئذ يكون معطوفاً على جواب الأمر في الآية ، والمعنى لا يصح عندئذ ، لأنه سيكون : قاتلوهم يعذبهم الله . . . ويتوب الله على من يشاء . فتكون التوبة على من يشاء بسبب قتالهم ، ولا يصح هذا المعنى ، وليس الأمر كذلك ، وبناء على هذا فإنه يظهر أن نوع الترابط بين الجمل يتحدد حسب المعنى المراد؛ فيكون الربط لفظياً بالواو ونحوها أحياناً إذا كان المقصود معنى المشاركة بوجه من الوجوه ، ويكون الترابط معنوياً إذا قصد معنى غير المشاركة كالاستئناف والإبدال والبيان ، وفي هذه الحالة تستغني الجملة برابطها المعنوي عن الرابط اللفظي .

وللاستئناف بجملة (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) خصائص أسلوبية منها: التعبير بالجملة الفعلية التي فعلها مضارع يدل على تجدد وقوع التوبة من الله على من يؤمن من المشركين في الزمن المستقبل ، وهذا إخبار بالغيب ؛ فقد أسلم بعض هؤلاء وحسن إسلامهم بعد ذلك ، والذي أفاد هذا المعنى هو التعبير بالجملة الفعلية التي تدل بأصل وضعها على تجدد الحدث في الزمن الذي يحمله الفعل .

ومن خصائص الاستئناف بهذه الجملة التصريح بالفاعل فيها وهو " الله " ، وقد جاءت الجملة التي قبلها مستترة الفاعل : (وينصركم) و (ويشف) و (يذهب)، فالفاعل في كل جملة من الجمل الثلاث ضمير مستتر ، ثم جاءت جملة (وَيَتُوبُ اللَّهُ) مختلفة عن هذه الجمل إشارة إلى أنها ليست داخلة في نطاقها السابق ، كما دخلت الجمل المعطوفة على جملة الجواب ، فقيمة المخالفة " التضاد " الأسلوبي هنا والمتمثل في اختلاف نوع المسند إليه " الفاعل " من حيث الإضمار والإظهار هي التي أفادت عدم دخول جملة " ويتوب " في نطاق الجمل السابقة ، ويظهر هذا ما لقيمة المخالفة من أثر على المعنى كما هو الحال لقيمة " التوافق " .

وذكر الفاعل " الله " الذي هو مسند إليه مع أن المقام يدل عليه ، وكونه لم يأتِ ضميراً مستتراً يدل على ترغيب المشتركين في سلوك سبيل الله ، واتباع دينه ، ففي ذلك

تتحقق توبته ـ جل وعلا ـ على من يرجع إليه وينيب ، كما أنَّ مجيء المفعول به اسماً موصولاً " مَنْ " يدل على عموم توبته على كل من يختار طريق الإيمان ، فالاستئناف هنا يحمل مضموناً مفاده فتح باب ترغيب المشركين في الإيمان ، بفتح باب توبة الله على مصراعيه لكل من يشاء ، ويأتي هذا المضمون مجاوراً للأمر بقتال هؤلاء المشركين ، فيدل ذلك على سعة رحمة الله ، فالقتال ليست غايته القتل والإبادة وإنما الهدف منه قهر الباطل ليلتفت أنصاره إلى الحق .

وكان ارتباط هذه الجملة (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) بجملة فعلية سابقة هي (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) [التوبة : 11] . فجملة الاستئناف كالتتميم لمعنى هذه الجملة ؛ فقد أخبرت الجملة الأولى أن المشركين إن تابوا عن شركهم ورجعوا إلى التوحيد وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فحكمهم في هذه الحالة حكم المؤمنين من حيث المعاملة في الدنيا ، ثم جاءت الجملة المستأنفة لبيان حكمهم مع الله فهو ـ سبحانه ـ يقبل توبتهم وعملهم الصالح ويتوب عليهم وعندما يعلمون ذلك تطمئن نفوسهم إلى مصيرهم في الآخرة ، وبهذا يحصل بمجموع الجملتين معرفة مصيرهم في الدنيا والآخرة ، ويتم المعنى المقصود .

وتبرز هنا علاقة " التتميم " رابطةً بين الجملتين على الرغم من بعد ما بينهما ، فبين الجملتين مجموعة من الجمل التي فصلت بينهما مكانياً مع ترابطهما معنوياً ، ويتبين من هذا الترابط بعلاقة " التتميم " أن هذه العلاقة قد تربط بين الجملتين المتباعدتين ، كما تربط بين الجملتين المتجاورتين .

ومن الآيات الكريمة التي جاء الاستئناف فيها بحرف الواو ابتدائياً الجمل الآتية [1](*):

---

(1) ينظر : محمد عبدالخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، 11 / 291 وما بعدها .
(*) الجملة المستأنفة فوق الخط .

1 - (كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا) [البقرة : 25] .

2 - (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) [البقرة : 26].

3 - (قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) [البقرة : 93] .

4 - (إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) [آل عمران : 47 - 48] .

5 - (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) [الأعراف : 17] .

6 - (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) [الأعراف : 34] .

7 - (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) [التوبة : 14 - 15] .

8 - (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ) [يونس : 54] .

9 - (فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إلا قَلِيلا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ) [هود : 116] .

10 - (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) [إبراهيم : 48] .

11 - (وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) [النحل : 89] .

12 - (ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا) [الكهف : 106]

ب ـ الاستئناف بـ " الفاء " :

ومجيء الفاء حرف استئناف قليل [1] ، فقد ذكر المعربون أن الفاء جاءت استئنافاً في موضعين في القرآن الكريم ن ومن هذين الموضعين موضع جاءت فيه الجملة المستأنفة فعلية مرتبطة بجملة فعلية قبلها ، وكان استئنافها ابتدائياً [2] ، قال الله ـ تعالى ـ : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [إبراهيم : 4] .

فجملة : (فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ) جملة مستأنفة لتفصيل الجملة التي قبلها (لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) [3] ، فالتبيين مهمة المرسلين ، والناس أمام ذلك فريقان : فريق يضل وفريق يهتدي ، والاستئناف ابتدائي كما يظهر ، فهو غير مؤكد بحرف من حروف توكيد الخبر ، والمخاطب في الآية هو الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم .

وجملة الاستئناف (فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ) مرتبطة ارتباطاً معنوياً بجملة (لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) ، والعلاقة المعنوية الرابطة هي علاقة " التفصيل والبيان ، فجملة الاستئناف تفصيل وبيان للجملة التي قبلها المرتبطة بها .

وفي هذا الاستئناف جاء الفعل مسنداً إلى اسم " الله " لتفخيم شأن الإضلال[4] ، ولبيان أنه أمر كبير لا يكون إلا بإرادة الله وميشئته ، وهو خطير لما يترتب عليه من شقاء في الدنيا والآخرة ، ولأجل هذا التفخيم ، وهذا المعنى المهم جاءت الجملة مستأنفة ولم تأتِ معطوفة داخلة في نطاق جملة أخرى ، فإن الاستئناف يدل على الاعتناء الزائد بمضمون الجملة المستأنفة .

جـ ـ الاستئناف بـ " بل " :

([1]) ينظر : سيبويه ، الكتاب ، 3 / 28 وما بعدها .
([2]) ينظر : محمد عبدالخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، 2 / 254 ، والعكبري : التبيان في إعراب القرآن ، 2 / 763 .
([3]) ينظر : الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، 2 / 279 .
([4]) ينظر : الألوسي : روح المعاني ، 13 / 186 .

جاء الاستئناف ابتدائياً في القرآن الكريم بحرف الإضراب " بل " في الجملة الفعلية ، وكان الإضراب انتقالياً أحياناً وإبطالياً أحياناً أخرى ؛ فالإضراب الانتقالي انتقال من جملة إلى أخرى من غير إبطال للأولى ، أما الإبطالي فهو إبطال للجملة الأولى وإلغاء لها ، مع إثبات الجملة المستأنفة بحرف الإضراب " بل " .

وقد يكون الإضراب في كلا القسمين عن جملة موجودة مذكورة في السياق ، وقد يكون عن جملة محذوفة مقدرة ؛ فالإضراب عن جملة مذكورة نحو : (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ . فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) [المدثر : 49 - 50] ، فإن " بل " هنا جاءت للإضراب الانتقالي عن جملة (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) وهي جملة مذكورة في السياق القرآني الكريم ، أما الإضراب عن جملة محذوفة فنحو (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) [البقرة : 170] ، فـ " بل " هنا أضربت عن جملة محذوفة ، والتقدير - والله أعلم - : لا نتبع ما أنزل الله بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا [1].

والترابط في هذه الحالة كان بين جملة الاستئناف (بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) والجملة المحذوفة المقدرة المضْرب عنها، وهي جملة منفية : لا نتبع ما أنزل الله . وجملة الاستئناف مثبتة : نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، وبين الجملتين تقابل ؛ فهم نفوا اتباع ما أنزل الله وأثبتوا اتباع ما وجدوا عليه آباءهم ، وهذان أمران متقابلان لا يجتمعان في وقت واحد ، دلَّ على ذلك النفي في الجملة المحذوفة المقدرة .

إن هذا التقابل هو الذي أوجد مناسبة بين الجملتين ، وبين المعنيين اللذين فيهما ، وهذه المناسبة هي الترابط المعنوي الذي جعل منهما تركيباً مترابطاً متماسكاً ، وبناءً محكماً متجانساً ، والعلاقة المعنوية التي هي " التقابل " هي سبب ذلك وسره .

وهذه مجموعة من الجمل القرآنية الكريمة التي كان الاستئناف فيها ابتدائياً بـ " بل " [2](*):

1 - (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) [البقرة : 170] .

2 - (قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ) [البقرة: 259] .

3 - (وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) [هود : 27] .

---

(1) ينظر : أبوحيان الأندلسي : البحر المحيط ، 1 / 480 .
(2) ينظر : محمد عبدالخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، 2 / 63 و ما بعدها .
(*) الجملة المستأنفة هي الواقعة فوق الخط .

4 - (قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ . قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ) [الحجر: 62 - 63] .

5 - (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا) [لقمان : 21] .

6 - (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ . بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) [الصافات : 11 - 12] .

7 - (بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا . بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا) [الفتح : 11 - 12] .

8 - (وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ . بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ) [ق : 4 - 5] .

9 - (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ . فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ .بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) [المدثر : 49 - 52] .

د ـ الاستئناف بـ " أو " :

والجملة الفعلية المستأنفة بـ " أو " التي تفيد الإضراب جاءت ابتدائية خالية من التوكيد في مجموعة من الجمل القرآنية ؛ منها : (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آَوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) [هود : 80] ، فـ " أو " في الآية الكريمة حرف استئناف[1] تفيد الإضراب الإبطالي ، فقد أُضْرِب به عن جملة (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً) الشرطية وجوابها المحذوف المقدر ، والتقدير : لو أن لي بكم قوة لدفعتكم وفعلت بكم كذا ، ثم أضرب سيدنا لوط ـ عليه السلام ـ عن ذلك لما هو عليه من مقام النبوة ، فقال : (أَوْ آَوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) ، أي بل آوي في حالي معكم إلى ركن شديد ، يقصد الله ـ تعالى[2] ـ يحفظني منكم ويحفظ ضيفي ويدفع عنا كيدكم وضلالكم .

---

(1) ينظر : العكبري : التبيان في إعراب القرآن ، 2 / 710 .
(2) ينظر : أبوحيان الأندلسي : البحر المحيط ، 5 / 247 .

وهذا التفسير يستقيم مع السياق النصي ويناسبه ، كما أنه يناسب معناه مقام النبوة ، لأنه يظهر أنَّ لوطاً ـ عليه السلام ـ كان متوكلاً على الله ، واثقاً به وبوعده في نصر عباده المؤمنين ، وما ذهب إليه بعض المفسرين من أن " أو " تفيد العطف ليس دقيقاً ـ والله أعلم ـ لأن هذا ينتج عنه معنى ينافي التوكل ، ويثبت نسيان لوط ـ عليه السلام ـ لحقيقة التوكل ولوعد الله ، وهذا لا يكون من نبي مرسل ، ولا يستقيم أبداً ، وذلك لأن المعنى يكون عندئذ : لو كان لي قوة وركن شديد أعتمد عليه كقبيلة أو عشيرة لدفعتكم وعاقبتكم على ما تطلبونه من فعل المنكر . وهذا الكلام لا يصدر من نبي مرسل متحقق بالتوحيد يعلم أن قوة الله الذي أرسله أكبر من قوة القبيلة ، وأن الناس جميعاً لا تغني نصرتهم من دون الله شيئاً .

وبهذا يظهر أن حمل " أو " على كونها بمعنى " بل " وتفيد الإضراب ، كما يرى الكوفيون هو الأقرب إلى المعنى والأنسب للسياق ، وقد صرح العكبري بأنها تفيد الإضراب في هذه الآية [1].

وجاءت الجملة المستأنفة (أَوْ آَوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) خالية من التوكيد ، وخوطب بها قوم لوط ـ عليه السلام ـ ، والمخاطبون هنا خالو الذهن من مضمون الخبر ، فالخبر المُلْقَى إليهم ابتدائي وهو ما يقتضيه الظاهر . ويظهر الترابط واضحاً بين هذه الجملة المستأنفة والجملة المضرب عنها : (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً) التي هي جملة الشرط والجواب المقدر ، والجملتان فعليتان . فجملة الشرط التقدير فيها : لو ثبت أن لي بكم قوة لبطشت بكم[2] ، والجملة المستأنفة فعلية فعلها مضارع (آَوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) ، والعلاقة التي ربطت بين الجملتين هي " النقض " .

فبعدما قال سيدنا لوط ـ عليه السلام ـ لقومه : لو ثبت أن لي بكم قوة لبطشت بكم ، نقض هذا الكلام وأضرب عنه فقال بل آوي إلى ركن شديد هو الله ليدفعكم ويفعل بكم ما يشاء ، ويتضح من هذا أن جملة الاستئناف نقضت الجملة المضرب عنها ، وهذا النقض هو العلاقة التي ربطت بين الجملتين معنوياً ، ولأجل هذه العلاقة المعنوية بين الجملتين

([1]) ينظر : العكبري : التبيان في إعراب القرآن ، 2 / 710 .
([2]) ينظر : الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، 2 / 224 .

جاءت الجملتان مترابطتين معنوياً ، فاستغني بهذا الربط المعنوي عن الربط اللفظي بحرف من حروف الربط .

وجاءت الجملة الفعلية الاسئنافية بـ " أو " ابتدائية في الآيات الكريمة التالية[1] :

1 - (قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) [البقرة : 259] .

2 - (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) [النساء : 77] .

3 - (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) [هود : 80] .

4 - (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ) [الإسراء : 54] .

هـ ـ الاستئناف بـ " ثم " :

وقد يكون الاستئناف ابتدائياً بحرف الاستئناف " ثم " ، كما في قول الله ـ جل وعلا ـ : (وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ) [آل عمران : 111] ، فجملة (لا يُنْصَرُونَ) استئناف خبر جديد مفاده أن أهل الكتاب لا ينصرون أبداً ، " ولم يشرك في الجزاء فيجزم لأنه ليس مرتباً على الشرط بل التولية مرتبة على المقاتلة والنصر منفي عنهم أبداً سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا " [2].

والاستئناف هنا ابتدائي لأن المخاطب بالجملة هم المؤمنون ، وذهنهم خالٍ من مضمون الخبر فألقى لهم الخبر على مقتضى الظاهر غير مؤكد ، وهذه الجملة بيان لجملة جواب الشرط : (يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ) فإن تولية الأدبار قد تكون للتحرف لقتال أو للتحيز إلى فئة أخرى ، أو لجمع الصفوف لمعاودة الكرة ونحو ذلك ، وكل هذه الأقسام لا تدل على الانهزام ، فجاءت جملة الاستئناف : (ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ) لتبين نوع التولية ، وتحدد

---

(1) ينظر : محمد عبدالخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، 1 / 581 - 582 .
(2) أبوحيان الأندلسي : البحر المحيط ، 3 / 31 .

قسماً منها هو انتفاء النصر ، وتحقق الهزيمة ، وهذا المعنى هو ما قصده ابن عاشور حين قال : " احتراس أي يولوكم الأدبار تولية منهزمين لا تولية متحرّفين لقتال أو متحيزين إلى فئة ، أو متأملين في الأمر "[1] .

ومن هذا يظهر بوضوح ترابط جملة (لا يُنْصَرُونَ) بجملة جواب الشرط (يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ) ، وهو ترابط معنوي بعلاقة " البيان " ، وهذه العلاقة المعنوية من العلاقات الرئيسة التي تربط بين الاستئناف وما قبله من الجمل ، وتأتي هذه العلاقة لإزالة إبهام في النص ، أو لتخصيص أمر ما ، وذلك كما في الآية السابقة ، فالبيان كان غرضه التخصيص أقصد تخصيص نوع من أنواع التولية ، فقد ذكر آنفاً أن للتولية أنواعاً محتملةً عند من يسمع (يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ) ، فتأتي جملة الاستئناف لتخصص نوعاً من أنواع التولية ولتبين أن المقصود الانهزام وانتفاء النصر .

وجاء الاستئناف بـ " ثم " في القرآن الكريم في ثلاث جمل فعلية ، ولم يأتِ الاستئناف بها في الجملة الاسمية ، وكان الاستئناف بها ابتدائياً مرتبطاً بجملة فعلية في جملتين قرآنيتين هما [2]:

1 - (وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ) [آل عمران : 111] .

2 - (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ . وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا) [الجاثية : 17 - 18] .

و - الاستئناف بـ " حتى " :

وتأتي " حتى " حرف استئناف فتدخل على الجملة الاسمية أو الفعلية[1] ، وجاء الاستئناف بها في القرآن الكريم بالجملة الفعلية ، ولم تأت بعدها الجملة الاسمية . والجمل

---

(1) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 4 / 55 .
(2) ينظر : محمد عبدالخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن ، 2 / 124 .

الفعلية المستأنفة بـ " حتى " في القرآن الكريم وفعلها ماضٍ عددها خمس عشرة جملة[2] ، منها تسع جمل خبرية ابتدائية ، أما الاستئناف بها في الجملة الفعلية التي فعلها مضارع فقد كان في جملة واحدة ـ في قراءة نافع المدني ـ هي قول الله ـ تعالى : (وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) [البقرة : 214] ، فقد قرأ نافع برفع الفعل " يقولُ " ، وذلك على سبيل حكاية الحال التي وجدت في الماضي[3].

والاستئناف على قراءة نافع يناسب ظاهر السياق لأن في الاستئناف حكاية حال القوم المزلزلين ورسولهم الذين قالوا هذا القول : (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) ، وحكاية الحال تجعل تلك الحال كأنها حاضرة ماثلة أمام أعين المخاطبين بهذا النص الذين هم الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ فيكون ذلك الحضور أدعى إلى تثبيتهم ، وتسلية قلوبهم ، وأرسخ للتبشير بتحقق النصر لهم كما تحقق للأمم التي اتبعت الرسل .

وقد ألمح ابن عاشور إلى مناسبة قراءة الرفع لظاهر السياق ، من غير أن يبين السبب ؛ فيقال : " فقراءة الرفع أنسب بظاهر السياق وقراءة النصب أنسب بالغرض المسوق له الكلام ، وبكلا القراءتين يحصل كلا الغرضين " [4]، ويقرُّ ابن عاشور القراءتين ، ويرى أن فيهما تكاملاً ، وأن لكل قراءة معنىً مقصوداً ، وأنَّ كِلا المعنيين مقصود فلا تناقض ولا تعارض بين القراءتين .

ويتبين من تأمل السياق القرآني الكريم أن الترابط المعنوي بين الجملة الاستئنافية والجملة التي قبلها يؤكد التناسب النصي الذي يخدم السياق العام ؛ فجملة الاستئناف (يَقُولُ الرَّسُولُ ...) مرتبطة معنوياً بجملة (مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا) ، والعلاقة المعنوية الرابطة هي علاقة " السببية " .

---

(1) ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب ، 1 / 209 .
(2) ينظر : محمد عبدالخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن ، 2 / 154 .
(3) ينظر: ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، 2 / 171 ، والفخر الرازي : التفسير الكبير ، 21/6 .
(4) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 2 / 316 .

ويظهر هذا الترابط جلياً بعرض سياق النص القرآني الكريم ، قال الله ـ تعالى ـ : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) [البقرة : 214] . فقول الرسول والذين آمنوا معه (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) سببه ما أصابهم من البأساء والضراء والزلزلة التي أرهقتهم ، وترابط السبب بالمسبب أمر منطقي مألوف . وهذا الترابط المعنوي يبرز تماسك النص معنوياً ، ويكشف عن وجه من وجوه الإعجاز المعنوية للسياق القرآني .

وفيما يلي ذكر الجمل الكريمة التي جاءت مستأنفة بـ " حتى " استئنافاً ابتدائياً :

1 - (وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) [البقرة : 214] . برفع " يقولُ " في قراءة نافع .

2 - (فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا) [الأنعام : 34] .

3 - (كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا) [الأنعام : 148] .

4 - (ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا) [الأعراف : 95] .

5 - (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ) [التوبة : 48] .

6 - (فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) [يونس : 93] .

7 - (بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) [الأنبياء : 44] .

8 - (وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ) [الفرقان : 18] .

9 - (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآَبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ) [الزخرف:29] .

10 - (وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) [الحديد : 14] .

وقد يكون الاستئناف بعد " حتى " بالجملة الشرطية المصدرة بـ " إذا " كما في قول الله ـ تعالى ـ : (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ) [آل عمران : 152] ، فـ " حتى " في الآية حرف استئناف ، والجملة التي بعدها شرطية ، ووقع مثل هذا الاستئناف في القرآن الكريم في عدد من المواضع [1]، وكان استئنافها خبرياً في هذه الآيات الكريمة :

1 ـ (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ) [آل عمران : 152] .

2 ـ (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ) [الأنعام : 25] .

3 ـ (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) [الأنعام : 31] .

4 ـ (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ) [يونس : 90] .

5 ـ (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ . حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ) [هود : 39 - 40] .

6 ـ (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) [الزمر : 73] .

ودخول " حتى " الاستئنافية على الجملة الشرطية لا يختلف عن دخولها على الجملة غير الشرطية من حيث إنها تفيد التفريع في الغالب ، مع دلالتها على الغاية التي

---

(1) ينظر : محمد عبدالخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، 1 / 97 .

تستفاد من سياق الكلام ، وقد عبر ابن عاشور عن ذلك بقوله : " وحتى الابتدائية يكون ما بعدها ابتداء كلام ، فليس الدال على الغاية لفظاً مفرداً كما هو الشأن مع (حتى) الجارة و (حتى) العاطفة ، بل هي غاية يدل عليها المقام والأكثر أن تكون في معنى التفرع " [1].

ففي قول الله ـ تعالى ـ : (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ) [الأنعام : 25] ، جاءت جملة (حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ) استئنافاً ابتدائياً ، والجملة بعد " حتى " شرطية مصدرة بـ " إذا " ، وجواب الشرط جملة " يجادلونك " ، و " المعنى : أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك " [2]، والذي يظهر لي أن " حتى " هنا تفيد التفريع مع إفادة الغاية ، فيكون المعنى حينئذ ـ والله أعلم ـ إنه قد بلغ تكذيبهم بالآيات غايةً مذمومة هي الجدال والإنكار ، وما هذا الجدال والإنكار إلا نتيجة مترتبة على تكذيبهم بالآيات الواضحات التي لا يسع العاقل المنصف أن يكذب بها ، فداء التكذيب أوقعهم في داء أعظم هو المجادلة بالباطل .

وتترابط الجملة المستأنفة (إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ) ـ وهي الشرط مع جوابه ـ بجملة شرطية أخرى جاءت قبلها هي جملة : (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا) ، فالسياق القرآني مترابط غاية الترابط ، ومتماسك كالبنيان المرصوص ، ويتضح ذلك من النظر إلى الجملتين المترابطتين في السياق الشريف ، قال الله ـ تعالى ـ : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) [الأنعام : 25] .

فالسياق هنا عن المشركين الذين كذبوا بالقرآن وأنكروا معجزات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والآية الكريمة تحدثت عن حال طائفة من هؤلاء المشركين وهم الذين يستمعون القرآن و " يربأون بأنفسهم عن أن يقابلوا دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمثل ما يقابله به سفهاؤهم من الإعراض التام . . . ولكن هؤلاء العقلاء يتظاهرون بالحلم

([1]) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 18 / 81 .
([2]) الزمخشري : الكشاف ، 2 / 12 ، وينظر : الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، 10/2 .

والأناة والإنصاف ويخيّلون للدهماء أنهم قادرون على مجادلة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإبطال حججه ثم ينهون الناس عن الإيمان " [1].

لكن هؤلاء المشركين يستمعون استماع من يبغي الجدال لا استماع من يريد الوصول إلى الحق ، لذا فإنهم إن رأوا آية بينة تظهر الحق كذبوا بها ولم يؤمنوا (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا) فكان هذا التكذيب ، وترك الإيمان سبباً في وقوعهم في شَرَك الجدال ليصدوا به عامة الناس عن اتباع الحق مع أنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أن جدالهم باطل ، وحجاجهم داحض ، فكانت حالهم تلك كحالة من قال الله فيهم : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) [النمل : 14] .

ويتبين من ذلك أن جملة الاستئناف (إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ) مرتبطة بجملة (لا يُؤْمِنُوا) التي جاءت قبلها ، والعلاقة الرابطة هي " السببية " إذ إن تركهم الإيمان هو سبب الجدال ، وهو الذي أوصلهم لذلك ، والترابط هنا بين الجملة الاستئنافية الشرطية وجملة جواب الشرط في الجملة السابقة ، وكلتا الجملتين فعلية ، وفعلها مضارع : " لا يؤمنوا " و " يجادلونك " واتفاقهما في الفعلية والزمن يدل على قوة الارتباط من جهة ، ويدل على حدوث الفعلين : أقصد : عدم الإيمان والمجادلة مرةً بعد مرة ، وهذا ما تفيده صيغة المضارع من التجدد ، ومعنى التجدد هذا يخدم السياق الذي يتحدث عن تكذيب طائفة من المشركين كلما رأوا آية بينة ، وظهور الآيات يكون مرة بعد أخرى في أوقات متفرقة ، وكذلك الأمر في جدالهم وإنكارهم ، فقد كانت صيغة المضارعة أدق تعبيراً ، وأنسب تصويراً لحالة المخبر عنهم ، وأوفق مناسبة للسياق .

وبعد البحث عن الجمل القرآنية التي جاءت مستأنفة بحروف الاستئناف وكان استئنافها خبرياً تبين أنها تدخل جميعها تحت الاستئناف الابتدائي ، ولا يوجد فيها استئناف طلبي أو إنكاري ، وقد تبين من قبل في الفصل السابق أنَّ الاستئناف الحرفي لم يأت طلبياً

---

(1) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 7 / 178 - 179 .

في الجمل الاسمية إلا في جملة واحدة ، ولم يأتِ إنكارياً في الجمل الاسمية ، وهنا يظهر أن الجمل الفعلية المستأنفة المرتبطة بجمل فعلية قبلها ليس فيها استئناف طلبي أو إنكاري .

إن هذه النتيجة تظهر حقيقة أسلوبية اختص بها أسلوب القرآن وقد كشف عنها البحث مفادها أن الاستئناف الحرفي الخبري استأثر به الضرب الابتدائي .

2 - خروج الاستئناف الحرفي عن مقتضى الظاهر :

تبين فيما سبق أن الاستئناف الخبري يأتي موافقاً لمقتضى الظاهر ، وله في هذه الحالة أضرب ثلاثة هي : الابتدائي ، والطلبي ، والإنكاري ، وقد أسفر البحث في الجمل القرآنية عن الجمل المستأنفة استئنافاً حرفياً ، وظهر أنها تدخل تحت الضرب الابتدائي ، وليس فيها ما هو طلبي أو إنكاري، وبعد تحليل هذه النماذج للاستئناف الابتدائي الموافق للظاهر ينتقل البحث إلى الاستئناف الذي جاء على غير الظاهر لغرض من الأغراض البلاغية .

أ - تنزيل الغافل منزلة خالي الذهن :

ينزل الغافل منزلة خالي الذهن فيخاطب بالاستئناف الخبري كأنه لا علم له بمضمون الخبر ، وفي هذا تعريض بغفلته ، وهذا التعريض الغرض منه تنبيه المخاطب لتزول غفلته ، وذلك كما في قول الله - تعالى - مخاطباً الناس : (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ. حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) [التكاثر : 1 - 2] ، فالمخاطبون هنا يعلمون أنهم سيموتون ويدخلون القبور ، وهذا هو معنى " زرتم المقابر " ، ولكنهم غفلوا عن ذلك فانشغلوا بمتع الدنيا وتكاثر الأموال والأفراد[1] ، ولكنَّ الخطاب هنا جاء لغرض تنبيه الغافلين لتزول غفلتهم فكانت الجملة الاستئنافية (زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) فعلية فعلها ماضٍ لتدل على الحدوث ، وكأن الموت قد وقع فعلاً بالمخاطبين وأدخلوا القبور ، فالتعبير بالفعل الماضي عن ما سيحدث في المستقبل يكون لاستحضار صورة الحدث وفي هذا تمكين للمعنى في النفس .

---

(1) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 20 / 168 - 169 .

وارتباط الجملة المستأنفة كان مع جملة فعلية مثلها هي : (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) ، والرابط المعنوي هو " التنبيه " ، حيث جاءت جملة الاستئناف (زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) تنبيهاً للغافلين المشغولين بالتكاثر عن الموت ، وهذا ما عبرت عنه جملة (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)، وبين الجملتين توافق أسلوبي ؛ فكلٌ منهما فعلية ، والفعل في كلٍ منهما ماضٍ ، والمسند إليه " الفاعل " اسم ظاهر معرف بـ " أل " ، فأما التعبير بالفعل فقد ذكر الغرض منه ، وأمَّا كون المسند إليه في الجملتين اسماً ظاهراً معرفاً بـ " أل " فيدل على لفت نظر المخاطبين إلى " التكاثر " ـ في الجملة الأولى ـ وخطر الانشغال به ، ولفت نظرهم إلى المقابر وضرر الغفلة عنها ، ولفت النظر المستفاد من التعريف بـ " ال العهدية " نوع من التنبيه الذي يقوي الترابط بين الجملتين ، ويؤكد علاقة التنبيه الرابطة .

فالمقام في الآيات مقام تذكير وتنبيه ، هذا هو سياق النص الكريم ، ويأتي التعبير في الجملتين ليتوافق مع ذلك التذكير والتنبيه ، ويزداد ذلك قوة بترابط الجملتين بعلاقة " التنبيه " ، فقد خدم التعبير والترابط السياق من أجل أداء مضمون النص ، ويظهر أن ذلك من خصوصيات الأسلوب في القرآن ؛ فالكلمات ، والجمل وترابطهما يتناغمان مع السياق تناغماً عجيباً ، ويتوافقان معه توافقاً دقيقاً ، وهو ما يكشف عن لون آخر من ألوان الإعجاز البلاغي الذي يمكن أن يسمى " إعجاز الترابط " ، وهو نوع من الإعجاز الأسلوبي في القرآن الكريم .

ب ـ تنزيل الشاك المتردد منزلة خالي الذهن :

في الأصل يلقى الخبر للشاك المتردد مؤكداً بأحد مؤكدات الخبر لكن المتكلم قد يخرج عن هذا الأصل ، ويحيد عن مقتضى الظاهر فيجعل الشاك المتردد كخالي الذهن، فيلقى إليه الكلام خالياً من التوكيد لغايةٍ ما يرمي إليها المتكلم ، أو لأمرٍ يظهر له . فسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ يقول لقومه : (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) [الأنبياء : 63] ، وذلك عندما سألوه عمن حطم أصنامهم ، فأجابهم ـ وهم يشكون في كلامه ـ إجابة من يخاطب خالي الذهن ، فلم يؤكد لهم الكلام . قال الله ـ تعالى ـ : (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إلا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ

إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ . قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ . قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ . قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) [الأنبياء : 58 - 63] .

فالجملة المستأنفة (فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) قد خلت من التوكيد لأن كلام إبراهيم ـ عليه السلام ـ بهذه الجملة ليس على ظاهره ، وليس المقصود تحقق مضمون الخبر ، وإنما يقصد الاحتجاج على قومه بطريقة التنبيه على أن اعتقادهم بأنها آلهة باطل[1] ؛ وذلك لأنهم عندما يسمعون قوله : (فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) سيرجعون إلى عقولهم ويعترفون أن هذه الأصنام لا تنطق ولا تجيب فيكون ذلك اعتراف منهم بعجزها وضعفها وهو ما لا يليق بإله ، فيكتشفوا بذلك بطلان اعتقادهم وفساد عقيدتهم ، لذلك لم يؤكد الخبر لأنه غير مقصود لذاته ، ولا يقصد إثباته عند المخاطب .

ومن بيان هذا المعنى يظهر أن المقام مقام جدل بين إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقومه ، والسياق يعبر عن هذا الجدل بهذا الحوار الذي تعرضه الآيات البينات ، وفي معرض هذا الحوار تأتي الجملة المستأنفة (فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) وترتبط بجملة فعلية مثلها محذوفة والتقدير : لم أفعله بل فعله كبيرهم[2] ، فالترابط هنا بين جملة الاستئناف و الجملة المحذوفة ، والجملة المحذوفة ترتبط بالجملة التي قبلها ، وهكذا فالسياق مترابط ترابطاً معنوياً يخدم الفكرة الرئيسة ، كما يخدم موضوع النص الكريم ؛ فالجدل الدائر بين سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقومه يسعى كل طرف منهما إلى الغلبة ، فإبراهيم يسعى إلى إثبات بطلان عقيدة قومه ليقروا بوحدانية الله ، وقومه غاضبون لتحطم أصنامهم ويسعون إلى إثبات صحة اعتقادهم . وعلاقة " التنبيه " التي ربطت بين جملة الاستئناف والجملة المحذوفة تخدم هذا الجدل ، إذ إنها علاقة معنوية غايتها الغلبة في الجدل ليقر هؤلاء بوحدانية الله ـ جل وعلا ـ .

وتمتاز جملة الاستئناف (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) بخصائص بلاغية أسلوبية أخرى سوى التي أشير إليها آنفاً ، ومن أبرز هذه الخصائص إسناد الفعل إلى مسببه ، وذلك على

(1) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 11 / 299 - 300 .
(2) ينظر : ابوحيان الأندلسي : البحر المحيط ، 6 / 324 .

سبيل المجاز العقلي ، فالذي فعل بالأصنام التحطيم هو إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأنه أغضبه عبادة قومه لهذا الصنم الكبير والأصنام الأخرى من دون الله ، فلما كان الصنم الكبير هو سبب غضب إبراهيم لله وكان ذلك سبب تحطيمه لها أسند إليه الفعل (فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ) وقد أشار الألوسي إلى هذه الخصيصة بقوله : " وقد قصد إسناده إليه بطريقة التسبب حيث رأى تعظيمهم إياه أشد من تعظيمهم لسائر ما معه من الأصنام المصطفة المرتبة للعبادة من دون الله تعالى فغضب لذلك زيادة الغضب فأسند الفعل إليه إسناداً مجازياً عقلياً باعتبار أنه الحامل عليه والأصل فعلته لزيادة غضبي من زيادة تعظيم هذا ، وإنما لم يكسره وإن كان مقتضى غضبه ذلك لتظهر الحجة " [1].

وقد ناسب هذا المجاز الإسنادي السياق حيث إنه يهدف إلى إقامة الحجة عليهم بخطأ اعتقادهم ، فيظهر لهم أن هذا الكبير عاجز عن فعل شيء ، فيعلموا أنه إن كان عاجزاً عن الفعل والنطق فهو ليس بإله ، ولا يصح عبادته ، وفي ذلك لفت لانتباههم ، وتوجيه لهم إلى عبادة الله الحق .

جـ ـ تنزيل غير السائل منزلة السائل :

قد ينزل المتكلم المخاطب منزلة السائل مع أنه لم يسأل وذلك إذا بدا له أن مضمون كلامه يحتمل سؤالاً ، أو أنه ظهر له أن المخاطب يريد أن يسأل عن أمر يتعلق بالغرض ، فيستبق المتكلم المخاطب ، ويستأنف كلاماً يكون كالجواب ، وفي هذه الحالة يلقى الاستئناف الخبري خالياً من التوكيد إذا لم يكن المخاطب شاكاً ولا منكراً، ويؤكد إذا ظهرت أمارات الشك أو الإنكار .

ومثال ذلك جملة (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ) في قول الحق ـ تعالى ـ : (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ . وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ) [الزخرف : 24 ـ 29] ، فالجملة الفعلية (مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ)

([1]) الألوسي : روح المعاني ، 17 / 65 .

استئناف نُزِّل فيه المخاطبون منزلة السائلين ، والمتكلم هو الله ـ تعالى ـ يخبر عن حال المشركين ، والمخاطبون هم المؤمنون ؛ فعندما جاء الإخبار عن حال المشركين بأن الله أمهلهم لعلهم يرجعون عن كفرهم لكنهم لم يفعلوا كان هذا الإخبار يحتمل أن يسأل سامعه : فلِمَ لمْ يعذبهم الله بشركهم ؟ . فجاءت جملة الاستئناف (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ) كالجواب عن هذا السؤال المحتمل ، فنزل المخاطبون منزلة من سأل هذا السؤال المحتمل ، وجاءهم الجواب : " لم يرجعوا فلم أعاجلهم بالعقوبة بل أعطيتهم نعماً أخر غير الكلمة الباقية لأجل أن يشكروا منعمها ويوحدوه فلم يفعلوا بل زاد طغيانهم لاغترارهم "[1] .

وبهذا يتضح الإضراب بـ " بل " أنه عن جملة (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً) ، وهو إضراب انتقالي ، والترابط في هذه الحالة يكون بين الجملة المنتقل منها والجملة المنتقل إليها ، وهو ترابط معنوي بعلاقة " التقابل " ، فالجملة الأولى : (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) إخبار عن ذرية إبراهيم ـ عليه السلام ـ من الموحدين الذين ساروا على منهج إبراهيم وعبدوا الله وحده وتبرؤوا مما سواه ، أما الجملة الثانية التي هي جملة الاستئناف فقد أخبرت عن الذين أشركوا وانحرفوا عن منهج الحق ، فالجملة الأولى حديث عن الموحدين ، والثانية حديث عن المشركين ، فهما متقابلتان في المضمون ، ولهذا التقابل حَسُنَ تجاورهما في سياق واحد .

د ـ تنزيل المنكر منزلة غير المنكر :

قد ينزل المنكر منزلة غير المنكر إذا أعرض المتكلم عن إنكار المخاطب . والدافع وراء هذا الإعراض إما ضعف حجة إنكاره ، وإما عدم اعتداد المتكلم بها ، وفي هذه الحالة يلقى الكلام خالياً من التوكيد ، وقد كان هذا النوع في الآيات القرآنية الكريمة الآتية :

1 ـ (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ . وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) [يوسف : 17 - 18] .

---

(1) المصدر السابق ، 25 / 77 .

1 - (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ . بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً) [الأنبياء : 39 - 41] .

1 - (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ . فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ .بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) [المدثر : 49 - 52] .

في الآية الكريمة من سورة يوسف جاءت الجملة المستأنفة : (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) خطاباً من سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ لأبنائه عندما ادعوا أن الذئب أكل يوسف ـ عليه السلام ـ فهو يخاطبهم مكذباً ادعاءهم ، ويتهمهم بأنهم غير صادقين ، وأنهم فعلوا به أمراً ما ، وهم ينكرون ذلك ، فيردّ إنكارهم من غير توكيد كأنهم غير منكرين ، وسبب مجيء الجملة (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) من غير توكيد هو رغبة يعقوب ـ عليه السلام ـ في تأكيد أن إنكارهم لم يقنعه ، وأن ادعاءهم مردود مدحوض ، وذلك لضعف حجتهم ، ووهن دليلهم .

وفي الآية إيجاز حذف ، فتقدير الكلام ـ والله أعلم ـ : بل سولت لكم أنفسكم أمراً ففعلتموه به . " أي : سهلت لكم أنفسكم أمراً عظيماً ففعلتموه بيوسف وهونتموه في أعينكم "[1] ، وقد زاد هذا الإيجاز الاستئناف بلاغة وحسناً ، وقد فهم من الجملة المستأنفة مع إيجازها معنى كبيراً ، وظهر أنها إضراب عن جملة محذوفة مقدرة يوحي بها الكلام والسياق . وتتضح الجملة المحذوفة بعرض سياق الكلام كاملاً ، قال الله ـ تعالى ـ : (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ . وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ . قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ . وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) [يوسف : 15 - 18] .

ويقدر الكلام ـ والله أعلم ـ : قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على قميصه بدم كذب قال لستم

---

(1) الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، 2 / 237 .

صادقين بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون . وبهذا التقدير يتبين وجه الترابط بين الجملة المستأنفة وسياقها ، فقد كان ترابطها بجملة محذوفة مقدرة هي الجملة المضْرَب عنها والتي قدرت بـ : لستم صادقين ، والارتباط بين الجملتين معنوي بعلاقة " التأكيد " ، فإن الجملتين تؤديان معنى واحداً مفاده تكذيب إخوة يوسف ، فمعنى الجملة المقدرة المحذوفة : أنتم كاذبون ، ومعنى الجملة المستأنفة (سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) ليس شيئاً آخر سوى أنكم كاذبون ، فالمعنيان متفقان وإن اختلفت الألفاظ .

ومجيء الجملة مستأنفة إشارة إلى العناية بمضمونها ، ولإفادة المعنى المقصود بوسائل مختلفة وأساليب متنوعة وفي ذلك زيادة في المعنى تبعاً لزيادة المبنى ، وفي تركيب جملة الاستئناف بالصورة التي جاءت عليها مزيد فائدة ، فقد قيد المسند بالجار والمجرور ، وجاء المفعول به نكرة ، وفي هذا اللون الأسلوبي خصوصية معنوية ، فتقييد المسند " سولت " بالجار والمجرور يفيد أنَّ ما زينته لهم أنفسهم وسولته مقصور عليهم ، وفي ذلك تخصيص لذمّ أنفسهم المسولة المزينة لهم السوء .

وأفاد مجيء المفعول به (أَمْرًا) نكرةً الإبهام الذي يحتمل تقدير عدة أمور سولتها لهم أنفسهم ليؤذوا بها يوسف ـ عليه السلام ـ كالقتل والبيع ، والتغريب ، ودلَّ هذا الإبهام على تهويل تلك الأمور المتوقعة الفعل لإيذاء يوسف ـ عليه السلام ـ [1].

و ـ تقوية مضمون الخبر :

ومن الأغراض التي يخرج الخبر عن مقتضى ظاهره لأجلها تقوية مضمون الخبر ، وفيه ينظر المتكلم إلى الكلام نفسه ، ولا يكون التفاته إلى المخاطب في هذه الحالة ، ومن الجمل المستأنفة التي جاءت مؤكدة لتقوية المضمون قول الله ـ تعالى ـ: (وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) وذلك في الآيات الكريمة (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ . لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) [الحجر : 11 - 13] . فقد أكدت الجملة المستأنفة الكريمة بحرف التوكيد " قد " ، وكان التوكيد لتقوية مضمون

(1) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 12 / 238 - 239 .

الجملة لا لدفع التردد والشك ، و لا للرد على إنكار من المخاطب ، لأن المخاطب هنا هو الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والمعنى أنَّ العادة المألوفة والمصير الذي حلَّ بالأمم السابقة من الذين كذبوا رسلهم سيحلُّ بالمشركين الذين يكذبون الرسول محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذه هي سنة الله في المكذبين [1].

وترتبط الجملة المستأنفة (وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) بالجملة الفعلية المنفية التي جاءت قبلها مباشرة وهي : (لا يُؤْمِنُونَ بِهِ) أي : لا يؤمنون بالرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالترابط بين جملتين فعليتين الأولى فعلها مضارع منفي ، والثانية فعلها ماضٍ مثبت مؤكد بـ " قد " ، وتبرز هنا قيمة " التضاد " الأسلوبي بين طريقة التعبير في الجملتين ، وهي قيمة أسلوبية توحي بمعنى لطيف ، ويتضح الأمر إذا استحضرت قيمة " التناسب " التي تقابل " التضاد " ، فالتناسب الأسلوبي يكون بين جملتين تتناسبان في المعنى ، وتتوافقان في المضامين ، أما التضاد في الأسلوب فيكون بين جملتين بينهما فوارق معنوية ، ولا تتوافقان في المضامين .

إن الجملة الأولى (لا يُؤْمِنُونَ بِهِ) اختلفت في أسلوبها عن الجملة المستأنفة (وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) لأن المضمونين مختلفان ؛ فالجملة الأولى حديث عن الذين لم يؤمنوا بالرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما دعاهم إلى الإسلام في مكة فكان التهديد لهم بقول الحق ـ تعالى ـ : (وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) فالأولون عندما كذبوا رسلهم أنزل الله بهم العذاب العام الشامل فأهلك بعضهم بالريح الصرصر ، وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالغرق ، وقد وقع ذلك فعلاً فناسب التعبير عنه بصيغة المضي المؤكد (وَقَدْ خَلَتْ) ، لكن قريشاً التي لم تؤمن عند نزول هذه الآية من سورة الحجر آمن منهم فيما بعد ذلك جمع كثير خاصة يوم الفتح الأعظم ، واقتضت حكمة الله الكريم أن لا يعاقبهم بالعذاب العام (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) [الأنفال:33] ، فتبين من ذلك أن اختلاف الأسلوبين في الجملتين يوحي باختلاف المضمونين ، وعُلِمَ أن الجملة المستأنفة

---

(1) ينظر : المصدر السابق ، 14 / 25 . والصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، 2 /293.

تهديد وتخويف فحسب لا إخبار بتحقق وقوع العذاب كما كان مع الأمم السابقة ، وكانت إفادة ذلك من التضاد الأسلوبي بين الجملتين.

وبعد هذا العرض لأغراض خروج الاستئناف الخبري عن مقتضى الظاهر تبين أن الجمل الاستئنافية في القرآن الكريم يأتي كثير منها لهذه الأغراض البلاغية التي تخدم السياق النصي ، وتتضافر مع وسائل الربط لإبراز المعنى المراد وإظهار المضمون المقصود في أروع صوره ،وقد أشار السكاكي من قبل إلى جمال خروج الخبر عن مقتضى ظاهره بشيء من الإيجاز حين قال : " وهذا النوع أعني نفث الكلام لا على مقتضى الظاهر متى وقع عند النظار موقعه استهش الأنفس وأنق الأسماع وهز القرائح ونشط الأذهان ، ولأمر ما تجد أرباب البلاغة وفرسان الطراد في ميدانها الرامية في حدق البيان يستكثرون من هذا الفن في محاوراتهم " [1].

ويتميز الأسلوب القرآني بأنه يحقق هذه الأمور التي ذكرها السكاكي من إعجاب النفس وإمتاع السمع ، وهز القرائح ، وتنشيط الأذهان . إن الأسلوب القرآني يحقق كل هذا بصورة أكبر من أي نص أدبي آخر ، وذلك لما يتميز به من خصائص تفوق كُلَّ نص ، ولا تتناهى جماليات هذه الخصائص الأسلوبية ، وهذا ما يزيد الباحث في الأسلوب القرآني انبهاراً إذا أدام التأمل والتفكر .

وقد تبين في النماذج التي تَمَّ تحليلها أنَّ خروج الخبر عن مقتضى الظاهر إنما يكون لغرض بلاغي ، وتبين أن هذا الغرض يتناسب مع السياق ويخدمه ، ويتضافر الغرض البلاغي الذي خرج الخبر له مع الترابط المعنوي ليكونا معاً مجموعة من الخصائص الأسلوبية التي تؤدي المضمون المقصود ، وتعرض المعنى في أجمل صوره ؛ فقد مرَّ في خروج الخبر عن الظاهر أنه قد ينزل الشاك المتردد منزلة خالي الذهن ، ومُثّل لذلك بقول الله ـ تعالى ـ : (قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) [الأنبياء : 63] فنزل إبراهيم ـ عليه السلام ـ قومه الشاكين منزلة خالي الذهن

---

(1) السكاكي : مفتاح العلوم ، ص 163 .

لينبههم إلى خطأ اعتقادهم ، وذلك عندما قال لهم : (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ، ونجد أن الترابط بين هذه الجملة المستأنفة والجملة المحذوفة المقدرة بـ " لم أفعله " ترابط معنوي بعلاقة التنبيه ، فالترابط غرضه البلاغي التنبيه ، وخرج الخبر عن ظاهره لغرض التنبيه كذلك ، هكذا تتضافر الخصائص الأسلوبية لتخدم السياق العام الذي يسعى إلى التنبيه على انحراف العقائد الباطلة التي عبدها الناس من غير الله ، وهذا ما يسعى السياق القرآني في سورة الأنبياء إلى تحقيقه .

وهكذا فإن التحليل البلاغي للأسلوب القرآني كشف عن بعض ألوان الترابط المعنوي بين الجمل الخبرية التي أظهر ترابطها مجموعة من الجماليات الأسلوبية كتعدد علاقات الربط المعنوية وملاءمة كل نوع منها للسياق ؛ فعلاقة " البيان " تربط بين الجمل في سياق بسط الكلام والحاجة إلى الإيضاح والبيان ، وتأتي علاقة " التنبيه " في سياق لفت الأنظار إلى الحقائق ، والتنبيه على الخطأ ، أو لرفع الغفلة ، ونجد علاقة " التقابل " في سياق إثارة العقل للتأمل ودفعه إلى المقارنة ، ونحو ذلك من أساليب التلاؤم والتناسب.

المبحث الثالث

ربط الجملة التابعـة

قد مرَّ الحديث عن التوابع في الفصل الثالث بشيء من الإيجاز ، وتبين أن التوابع في الجمل أربعة أنواع هي : عطف النسق ، وعطف البيان ، والبدل ، والتوكيد ، وأنّ ما يرتبط منها بالمتبوع برابط معنوي ثلاثة أنواع هي : عطف البيـان ، والبدل ، والتوكيد ، وليس منها الجملة المعطوفة بالحرف ، لأنَّ الرابط فيها هو حرف النسق ، وهو رابط لفظي ـ وفيما يأتي بحث هذه الأنواع التي ترتبط معنوياً بالجملة المتبوعة مع كون الجملة التابعة فعلية ، والجملة المتبوعة كذلك .

1 - ربط جملة البدل :

جاءت الجملة الفعلية بدلاً من جملة أخرى في القرآن الكريم ، وكان ارتباطها بالجملة المبدل منها ارتباطاً معنوياً في مجموعة من الآيات القرآنية ؛ فكان أسلوبها الخبري على مقتضى الظاهر أحياناً ، وخرج عن مقتضى الظاهر أحياناً أخرى ، ويمكن تناول هذه الأضرب على النحو الآتي :

أ ـ البدل الابتدائي :

والبدل الابتدائي ما كانت الجملة فيه خالية من التوكيد وخوطب بها شخص خالي الذهن من مضمون الخبر ، فهو لا يحتاج إلى أن يؤكد الكلام له ، وهذا الضرب من الأضرب الثلاثة المعروفة التي يوافق الخبر فيها مقتضى الظاهر ، وقد جاء هذا الضرب في جملة البدل في قول الله تعالى : (وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ) [التوبة : 42] ، فجملة (يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ) بدل من جملة (سَيَحْلِفُونَ) ، وذلك لأن الحلف الكاذب إهلاك للنفس ، فقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع " ، فجملة البدل (يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ) مرادفة للجملة المبدل منها (سَيَحْلِفُونَ) وهو ترادف في المعنى ادعاءً ، وعلى ذلك فالبدل بدل كل من كل[1] .

والارتباط المعنوي بين جملة (يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ) الواقعة بدلاً وجملة (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ) المبدل منها كان بعلاقة معنوية هي علاقة " البيان " ، حيث إن جملة البدل بينت مآل حلفهم ونتيجته وذلك لأنَّ الحلف الكاذب ـ الذي يعتقد المنافقون أنه ينجيهم ـ هو في حقيقة الأمر سيكون سبباً في هلاكهم وعذابهم يوم القيامة عقاباً لهم على نفاقهم وكذبهم .

وإذا تأمل الباحث النص القرآني الكريم الذي وردت فيه الآية ، ونظر في السياق نظرة فاحصة وجد أن الترابط في السياق جاء على صورة بديعة تشابكت فيه مجموعة من العناصر الأسلوبية بطريقة منسجمة تخدم الفكرة العامة ، وتؤدي المعنى . ويمكن التقاط بعض هذه العناصر التي تعد مميزات خاصة لجملتي البدل والمبدل منها هنا ؛ فالجملتان تتفقان في النوع : جملة البدل فعلية خبرية وكذلك الجملة المبدل منها ، والفعل في الجملة

(1) ينظر : الزمخشري : الكشاف ، 2 / 191 ، والألوسي : روح المعاني ، 10 / 107 .

المبدل منها مضارع ، وكذلك هو في جملة البدل إلا أنه في الجملة المبدل منها مقترن بالسين " سيحلفون " وفي الجملة الثانية مجرد عنها " يهلكون " ، وهذا الفرق يفيد قيمة أسلوبية هي " التضاد " ، ولهذه القيمة فائدة معنوية ، ودور خاص في أداء المضمون المقصود ، وهي تأتي وسط مجموعة من القيم الأسلوبية المخالفة لها ، فالانسجام والتناسب بين جملتي المبدل منه والبدل في النوع والزمن يمثل قيمة " التناسب " ، وتأتي قيمة " التضاد " لتخالف هذا التناسب ، لكنها تصور بهذا أمراً لا يمكن أن يصوره التناسب .

إن دخول حرف " السين " على الفعل المضارع " سيحلفون " أفاد الإخبار بحدوث الحلف مستقبلاً ، أي : حدوث الحلف من المنافقين للرسول والمسلمين بعد الرجوع من غزوة تبوك ، والزمن المستقبل في هذه الحالة قريب نسبياً ، أما الفعل المضارع " يهلكون " فقد تجرد من " السين " مع أن حدوث الهلاك في المستقبل البعيد نسبياً الذي يكون بعد الغزوة بزمن ، والمقصود يهلكون أنفسهم يوم القيامة . ومع أن الزمن الأبعد هنا هو زمن الفعل " يهلكون " فإنه لم تدخل عليه السين ، وإنما دخلت على زمن الفعل الأقرب ، وفائدة ذلك أن دخولها على " سيحلفون " أفادت الحدث في المستقبل أعني بعد زمن إخبار الله ـ تعالى ـ نبيه بالأمر أي بعد نزول الآية الكريمة ، كما أن " السين " تفيد التوكيد ، توكيد وقوع الفعل والسياق يحتاج هنا للتوكيد ، أمَّا تجرد الفعل " يهلكون " منها فقد أفاد استحضار صورة ما سيحدث في المستقبل حتى كأنه واقع الآن ، وكون الشيء كالحاضر الواقع الآن يفيد توكيد وقوعه مستقبلاً ، هكذا كان التوكيد مرة بدخول السين " بزيادة مبنى الجملة " ، وكان مرة أخرى بغيرها .

ووقعت الجملة الفعلية بدلاً من جملة فعلية أخرى ، وكان الخبر فيها ابتدائياً مرتبطاً معنوياً بجملة المبدل منها في هذه الآيات الكريمة [1](*):

1 - (وَمِنَ النَّاسِ <u>مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ</u> وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . <u>يُخَادِعُونَ اللَّهَ</u>) [البقرة : 8 - 9] .

---

(1) ينظر : البيضاوي : أنوار التنزيل ، 1 / 416 ، 1 / 504 ، 2 / 157 ، 2 / 186 ، 2 / 337 ، 2 / 469 .

(*) جملة المبدل منه هي الجملة الأولى التي فوق الخط ، وجملة البدل هي الثانية .

2 - (وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ) [التوبة : 42].

3 - (فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا) [يوسف : 77].

4 - (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [الشعراء : 46 - 47].

5 - (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ) [القصص : 4]

6 - (يأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) [الممتحنة : 1].

7 - (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ . يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ) [القيامة : 5 - 6].

ب - تنزيل الغافل منزلة خالي الذهن :

الغافل عن الأمر يشبه خالي الذهن في كون مضمون الخبر ليس حاضراً في ذهنه ساعة إلقاء الخبر إليه ، مع أنه يعلم مضمونه من قبل ، لكنَّ غفلته غيبت عنه ذلك المضمون ، لذلك فقد يعامل معاملة خالي الذهن ويلقى إليه الخبر خالياً من التوكيد تعريضاً به إذ عومل معاملة الجاهل بالأمر ، من ذلك جملة (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا) التي وقعت بدلاً من جملة : (فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ) [1] وذلك في قول الله - تعالى - : (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا) [الأنعام : 99] .

فإن الله - سبحانه وتعالى - يخاطب المشركين الذين كفروا برسالة الإسلام وبالرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وهم يكفرون بالألوهية ، التي هي توحيد الله، ويؤمنون بالربوبية التي تعني أن الله هو الخالق الرازق الذي ينزل الماء ويخرج الزرع والنبات ، فهؤلاء المشركون يؤمنون بالربوبية ، ويكفرون بالألوهية ، فجاءت آيات سورة الأنعام لتشدَّ انتباههم ، وتوقظهم من غفلتهم التي قادتهم إلى إنكار الحق ، فهم إن أقروا بأن الله هو الذي خلقهم، وهو الذي رزقهم ، وأخرج لهم من النبات ما يأكلون وما تأكل أنعامهم

(1) ينظر : العكبري : التبيان في إعراب القرآن ، 1 / 524 .

، فإنه من المنطق والعقل أن يشكروا هذا المنعم بأن يعبدوه ويقروا بوحدانيته ، فالسياق يهدف إلى الاستدلال على ما هو منكر عندهم بما يقرون به.

والآية الكريمة التي جاءت فيها جملة البدل وقعت في هذا السياق ، واختصت بذكر صنف من أصناف النعم التي يعترف بها هؤلاء الناس ، فجاءت الجملة المبدل منها : (فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ) مجملة فهي مشيرة إلى ما يخرج من الأرض من نبات ، وأعقبتها جملة البدل لبيان الإجمال وتفصيل أنواعه[1] . فهي بدل غرضه البيان والتفصيل .

ويعد " البيان " الذي أفادته جملة البدل هو العلاقة المعنوية الرابطة بين جملة البدل والجملة المبدل منها ، وهي من العلاقات المعنوية الرئيسة التي تربط بين الجمل ؛ وقد مرَّ الحديث عن هذه العلاقة رابطة بين الجملة المستأنفة وما قبلها ، وبين جملة البدل والجملة المبدل منها في الجمل الاسمية والفعلية على حدٍّ سواء .

وتتوافق هذه العلاقة الرابطة مع السياق توافقاً عجيباً يظهر لوناً من ألوان الإعجاز البلاغي للقرآن ، فقد ذُكِرَ آنفاً أنَّ السياق يهدف إلى الاستدلال على وحدانية الله بذكر نعمه على عباده ، وهذا الذكر استوجب عدَّ هذه النعم وتفصيل الحديث عنها ، وبيان أنواعها وألوانها ، وأن هذا الهدف الذي يسعى إليه السياق هو ذاته الذي أكده الترابط بين جمل هذا السياق ، بعبارة أخرى إن الترابط بين جملة البدل والجملة المبدل منها جاء بعلاقة البيان والتفصيل ، وهي مظهر أسلوبي يخدم السياق ويتضافر مع بقية عناصر الأسلوب الأخرى لتحقيق الهدف المقصود ، وتقديم المعنى المراد .

إنَّ هذه النتيجة التي أسفر عنها التحليل تثبت أنَّ الترابط المعنوي مظهر أسلوبي له أهمية كبيرة في أداء المعنى ؛ فمنشئ الكلام يتخير نوع الربط المناسب الذي يتوافق مع السياق ، هذا من جهة إبداع النص ، أما من جهة تحليل النص وبيان خصائصه ، فإن من يتصدى لتحليل النصوص يمكن أن يفيد من كشفه عن الروابط النصية في معرفة رسالة النص ، والوصول إلى مضامينه .

---

(1)   ينظر : الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، 2 / 34 .

ومما جاءت فيه جملة البدل الفعلية مرتبطة معنوياً بجملة فعلية قبلها وخوطب بها الغافل جملة (أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ) في قول الحق ـ جل وعلا ـ : (وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) [الشعراء : 132 - 134] .

فالخطاب هنا موجه إلى قوم سيدنا هود ـ عليه السلام ـ الذين غفلوا عن نعم ربهم فكفروا واستكبروا في الأرض فذكّرهم نبيهم ببعض هذه النعم ، فذكر لهم النعم بالإجمال لتهيئة سمعهم لتلقي التفصيل بعد ذلك فكانت جملة : (أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ) مجملة ، ثم جاءت جملة البدل للتفصيل (أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ) (1) .

ونزل الغافلون هنا منزلة خالي الذهن تعريضاً بغفلتهم ، وإشارة إلى جهلهم بحقيقة الأمور ، فإنهم لو تأملوا نعم ربهم التي أنعم بها عليهم لشكروها ولأدركوا أن منعمها الذي خلقهم يستحق أن يعبد ويُتقى ، ولكنهم انشغلوا بالنعمة عن المنعم ، فضلوا السبيل ، وأفسدوا في الأرض .

وجملة البدل هنا من قبيل بدل البعض ؛ فإن فعل " أمدكم " الثاني وإن كان مساوياً لـ " أمدكم " الأول " فإنما صادر بدلاً منه باعتبار ما تعلق به من قوله " بأنعام وبنين " إلى الذي هو بعض مما تعلمون "(2) ، وقد أفادت جملة البدل هنا أمرين : التوكيد اللفظي للجملة المبدل منها ، والتفصيل لما أُجْمِل فيها ؛ أما التوكيد اللفظي فأفيد من إعادة الفعل " أمدكم "، وأما التفصيل فأفيد من تعديد النعم " بأنعام وبنين وجنات وعيون " .

وبناء على ذلك فإن جملة البدل قد تأتي لإفادة أكثر من معنى في آنٍ واحد ، كإفادتها ـ هنا ـ التوكيد والتفصيل ، وهذا ما جعل ابن عاشور ـ رحمه الله ـ يتردد كلامه في إعراب هذه الجملة بين التوكيد والبدل ، والأظهر ـ والله أعلم ـ أنها بدل ، وذلك بالنظر إلى مجموع الجملة أقصد الفعل " أمدكم " وفاعله وما تعلق به لا بالنظر إلى الفعل والفاعل فحسب ، وذلك لأن متعلقات الفعل من تمام الجملة .

---

(1) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 19 / 170 .
(2) المصدر السابق .

وبالنظر إلى الترابط المعنوي بين جملتي البدل والجملة المبدل منها نجد أن الجملتين بينهما ترابط معنوي بعلاقتي " التفصيل " و " التوكيد " ، فإن جملة البدل : (أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ) تفصيل لإجمال الجملة المبدل منها : (أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ) ، وتعد هذه العلاقة المعنوية إحدى العلاقات الرئيسة الرابطة بين الجمل لاسيما في ربط الجملة التابعة في باب البدل ، وقد تقترن هذه العلاقة بمعنى آخر كالتوكيد كما في هذه الآية الكريمة التي نحن بصددها ، وقد تقترن بمعنى البيان كما مرَّ في النموذج القرآني السابق في قول الله ـ تعالى (فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا) [الأنعام : 99] .

ويلاحظ أن علاقة التفصيل ـ التي هي إحدى العلاقات المعنوية الرابطة بين الجمل ـ تتناسب مع السياق الذي تأتي فيه ، فالقرآن الكريم تتضافر فيه كل العناصر الأسلوبية لأداء المعنى المقصود ، ولتحقيق المضمون المراد ، فالترابط وعلاقته يتعاونان مع التقديم أو التأخير ، وهما مع الحذف أو الذكر . . . كل هذه العناصر تتضافر لخدمة السياق وإبراز المعنى ، وبالكشف عن تلك الأمور تنكشف للباحث أوجه من وجوه الإعجاز الأسلوبي .

وتنطبق هذه القاعدة هنا ؛ فإن المتأمل لسياق النص الشريف يجد أنه سياق تفصيل وتعديد ، وبيان وبسط ؛ فالله ـ سبحانه وتعالى ـ : يخبر عن " عاد " الذين كذبوا المرسلين ، ويذكر ـ سبحانه ـ ما دار بينهم وبين نبيهم " هود " ـ عليه السلام ـ عندما دعاهم إلى التوحيد وأمرهم بتقوى الله وطاعته ، ويستمر سياق النص القرآني في بسط الحوار الدائر فيخبر أن " هوداً " دلل على صدقه بأنه لا يريد من دعوته أجراً منهم ، ثم ذكّرهم بما يتمتعون به من قوة ، حيث شيدوا المباني في المرتفعات ، ونحتوا الجبال ، وذكر لهم بطشهم وظلمهم للناس ، وكان عليهم أن يشكروا ربهم ويتقوه، ولا يطغوا ويغفلوا . . وتستمر القصة في تفصيل الأحداث ويتضح من هذا التفصيل أن المقام مقام تفصيل وبسط ، وذلك بخلاف ورود هذه القصة في مواضع أخرى من القرآن الكريم حيث الإجمال والإيجاز .

ولعل ذكر بعض آيات السياق يبرز هذه الحقيقة ، قال الله ـ تعالى ـ : (كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (127) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (131) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (136) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (137) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (138) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ [الشعراء : 123 - 139] .

هكذا يتضح جلياً أن ترابط جملة البدل بجملة المبدل منه في هذا السياق بعلاقة " التفصيل " تتناسب مع سياق التفصيل ، وتتلاءم مع البسط الذي يعرضه النص ، وهذا التناسب والتلاؤم قيمة أسلوبية تَنُمّ عن دقة في التعبير ، وتكشف عن وجه من وجوه الإعجاز الأسلوبي .

وقد جاءت جملة البدل فعلية مرتبطة بجملة فعلية مثلها ، وارتباطها معنوي ، وكانت خالية من التوكيد تنزيلاً للغافل منزلة خالي الذهن في الآيات الكريمة الآتية(1)(*):

1 - (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا) [الأنعام : 99] .

2 - (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [يونس : 22] .

3 - (وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ) [الشعراء : 132 - 133] .

4 - (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا) [الشورى : 49] .

وبعد تحليل هذه النماذج القرآنية يتبين أن جملة البدل ترتبط بالجملة المبدل منها بعلاقات معنوية تغني عن الربط اللفظي بحرف من حروف المعاني ، ويظهر أن أبرز

---

(1) ينظر : أبوحيان الأندلسي : البحر المحيط ، 1 / 194 ، 4 / 189 ، 5 / 139 ، والزمخشري : الكشاف ، 2 / 338 .

(*) جملة المبدل منه هي الجملة الأولى التي فوق الخط ، والبدل هي الثانية .

العلاقات الرابطة في هذه الحالة هي التبيين ، والإيضاح ، والتفسير ، والتفصيل ، والتوكيد ، ولكل علاقة رابطة موضع تليق به وتناسبه ، ولكل منها غرض تلائمه ، ومعنى تؤديه ؛ فعلاقة التبيين والإيضاح والتفصيل والتوكيد تكون في البدل المطابق " بدل الكل " ، وعلاقة التفسير والتفصيل تكون في بدل الاشتمال وبدل البعض ؛ وبناءً على ذلك فإن علاقات التفسير والتفصيل علاقات مشتركة بين أنواع البدل وليست خاصة بنوع محدد ، أما علاقات التبيين والإيضاح والتوكيد فهي خاصة بالبدل المطابق.

ولكل علاقة من هذه العلاقات المعنوية بلاغة وجمال في موضعه لا يكون لغيرها ، وقد ظهر في تحليل النماذج القرآنية شيء من هذا ، فعلاقة التفصيل بعد الإجمال ـ مثلاً تأتي إذا كانت الجملة المبدل منها فيها شيء من الإيجاز فتكون جملة البدل تفصيلاً وبياناً ، وإنَّ هذا الأسلوب الذي يلخص الموضوع ويقدمه بصورة مكثفة مشوقة ثم يفصله ويشرحه يجذب الأسماع ويستميلها ، ويأخذ بالألباب ويأسرها ، لأنه يجعل المتلقي جزءاً من عملية التواصل ، فيصير متفاعلاً مع النص ، ومتصلاً به .

أما علاقة التبيين التي تأتي لإزالة إبهام في الجملة المبدل منها فقد أشار العلوي إلى بلاغتها حين قال : " اعلم أن المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهماً فإنه يفيده بلاغة ، ويكسبه إعجاباً وفخامة ، وذلك لأنه إذا قرع السمع على جهة الإبهام ، فإن السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب ، ومصداق هذه المقالة قوله تعالى : (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ) ثم فسره بقوله : (أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ) [الحجر: 66]، وهكذا في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً) فأبهمه أولاً ثم فسره بقوله (بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا): [البقرة : 26] ، ففي إبهامه في أول وهلة ، ثم تفسيره بعد ذلك تفخيم للأمر وتعظيم لشأنه . . . ألا ترى أنك إذا قلت : هل أدلك على أكرم الناس أباً وأفضلهم فعلاً وحسباً وأمضاهم عزيمة وأنفذهم رأياً ؟ ثم تقول : فلان ، فإن هذا وأمثاله يكون أدخل في مدحته مما لو قلت : فلان الأكرم الأفضل الأنبل " [1].

---

(1) العلوي : الطراز ، 2 / 44 .

ومرجع الجمال في مجيء جملة البدل مرتبطة بجملة المبدل منها بعلاقة التبيين أنه يثير العقل والفكر ، فيذهب كل مذهب ـ كما قال العلوي ـ فإثارة الفكر تجعله يتوقع أموراً كثيرة ثم تأتي جملة البدل لتحدد أمراً معيناً وتوضحه بياناً له .

2 - ربط جملة عطف البيان :

ترتبط جملة عطف البيان معنوياً بالجملة التي تبينها ، وذلك لاستغنائها بقوة العلاقة المعنوية الرابطة عن الترابط بحرف من حروف الربط الأخرى ، وقد سبقت الإشارة في هذا البحث إلى أن جملة عطف البيان تأتي للإيضاح والبيان الذي تحتاج إليه الجملة المتبوعة المتقدمة ، وأنها إحدى الجمل التي تدخل تحت ربط التبعية .

وترتبط جملة عطف البيان الفعلية بجملة فعلية أخرى لتبين المقصود منها ، وتوضح المراد بها، فتأتي تارة تفسيراً وتارة أخرى غير تفسير ، فأما الجملة التي تأتي تفسيراً فهي التي تسمى الجملة المفسرة وقد اختار البحث ـ كما مر سابقاً ـ أنَّ الجملة المفسرة لها موقع إعرابي هو التبعية ، فهي في التحقيق تعرب عطف بيان ، أما الجملة التي تأتي غير تفسير فهي الجملة التي تعارف عليها علماء النحو والبلاغة بجملة عطف البيان ، وبناء على ما تقدم فإن هذا البحث يختار الرأي المعتمد عند علماء البلاغة الذين يقولون إن عطف البيان يقع جملة وليس خاصاً بالمفرد فحسب .

والبحث في النص القرآني الكريم ، وبالرجوع إلى كتب إعراب القرآن ومعانيه ، وكتب القراءات والتفسير يجد الباحث أن الجمل القرآنية الفعلية التي جاءت عطف بيان قليلة تكاد تنحصر في الجمل الآتية [1]:

1 - (لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ) [النساء : 166] .

2 - (حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) [الأنعام : 25] .

---

(1) ينظر : العكبري : التبيان في إعراب القرآن ، 1 / 488 ، وأبوحيان : البحر المحيط ، 4 / 98 .

3 - (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) [النحل : 66] .

4 - (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى) [طه : 120] .

5 - (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ . تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ) [غافر : 41 - 42] .

أ - عطف البيان الابتدائي :

جاءت جملة عطف البيان خبراً ابتدائياً في مجموعة من الجمل القرآنية السابقة ، فكان الخطاب بها موجهاً إلى خالي الذهن ، فخلت الجملة من التوكيد ؛ كما في جملة (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ) في قول الله تعالى - : (لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ) [النساء : 166] ، فجملة (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ) جملة مفسرة بينت جملة (يَشْهَدُ) [1]، وجاءت خطاباً للرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وخلت هنا من التوكيد لأن الخبر ابتدائي .

وحتى يتضح الغرض ، ويتبين الترابط بين الجملتين المقصودتين لابد من عرض النص الكريم ليُنظر إلى الجمل في سياقها ؛ قال الله - تعالى - : (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) [النساء: 165 - 166] . يفهم من النص الكريم أن الله - سبحانه وتعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم - كما أرسل الرسل من قبله تدعو الناس إلى التوحيد ويبشرهم بالفلاح إذا آمنوا ، وينذرهم إذا هم كفروا ، لكنّ فريقاً من المشركين كذبوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم يشهدوا بصدق رسالته ، فأخبر الحقّ - جلّ وعلا - أنه يشهد لنبيه ورسوله بالصدق ، وأن القرآن حق وهو أعلم بذلك

(1) ينظر : أبوحيان الأندلسي : البحر المحيط ، 3 / 399 .

إذ جعله معجزاً في نظمه وأسلوبه الذي يعجز أرباب البلاغة عن معارضته ، ويفحم أعلام البيان عن مضاهاته[1].

وتترابط جملة عطف البيان في السياق الكريم بجملة (يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ) ـ وهي الجملة المبيِّنة ـ ترابطاً معنوياً قوياً بعلاقة " البيان " ، ولا يخفى ما بين الشيء وما يبينه من ترابط ، إذ إنَّ المبيَّن والمبيِّن في الجمل شيءٌ واحد في المعنى وإن اختلفا في الألفاظ ، واتفاقهما في المعنى يجلعهما كالتوكيد في المعنى ، واختلافهما في الألفاظ يجعلهما يختلفان عن المبدل منه والبدل .

وبتأمل الجملتين المترابطتين تتضح أوجه التناسب والتلاؤم بينهما أو أوجه التضاد ، وذلك من الناحية الأسلوبية ، ولهذه العملية أهميتها لأنها تكشف عن الخصائص الأسلوبية التي تنطوي على أوجه التَّمَيُّز التعبيري للنص القرآني الذي يمثل وجهاً من وجوه إعجاز النظم ، وإذا حاول البحث تتبع هذه الخطوات هنا فإنه بذلك يمارس التحليل الأسلوبي ، ويفيد من نظرياته ، ولا يعني ذلك صب النص في قوالب جاهزة ، أو فرض قواعد خارجية على النص ، وإنما تتحقق الفائدة الحقيقية إذا تأمل الباحث النص نفسه وقام بتحليله تحليلاً يعتمد على جانبين : جانب علمي معرفي ، وجانب حسي حدسي ، ولكلا الجانبين أهمية كبرى لأنهما يمثلان معاً التدبر المأمور به في قول الله ـ تعالى ـ : (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) [محمد : 24] .

وبالنظر إلى الجملتين اللتين نحن بصدد تحليلهما نجد أن أوجه التناسب بين جملة (يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ) وجملة (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ) تتمثل في : اتفاقهما في المعنى الإجمالي ، واتفاقهما في الفعلية ، وكون المسند إليه فيهما ضمير الغائب ؛ فأما الاتفاق في المعنى الإجمالي للجملتين فذلك لأن معنى الجملة الأولى هو : يشهد الله بصدق القرآن المنزل إليك ، ومعنى الجملة الثانية هو : أنزل الله القرآن بعلمه[2]. فكون الله أخبر بأنه أنزل القرآن هو نفسه شهادة منه ـ جلّ وعلا ـ بصدق القرآن ، إذاً فالمعنى في الجملة الأولى يتفق من هذه

(1) ينظر : المصدر السابق ، والألوسي : روح المعاني ، 6 / 19 - 20 .
(2) ينظر : المصدران السابقان .

الجهة مع الجملة الثانية ، وهذا الاتفاق وجه من أوجه التناسب الأسلوبي بين الجملتين المترابطتين .

أما وجه التناسب الثاني فهو مجيء الجملتين المترابطتين متفقتين في النوع ؛ فهما جملتان فعليتان ، الأولى فعلها مضارع " يشهد " والثانية فعلها ماض " أنزله " ، ودلالة الفعل المضارع على الحال والاستقبال أفاد تجدد شهادة الله ـ جل وعلا ـ واستمرارها بصدق القرآن وإنزاله ، وفي ذلك أداء للمعنى المراد على صورة تعبيرية دقيقة ، وذلك لأن المراد تأكيد صدق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتصديق ما أنزل عليه وهذا ما عبرت عنه الجملة وأفاده الفعل المضارع الذي يدل بأصل وضعه على التجدد في الحال أو الاستقبال .

أما دلالة الفعل الماضي في الجملة الثانية فإنه يدل على وقوع الحدث وتحقق حدوثه لأنه إخبار بوقوع الإنزال ، ومع اتفاق الجملتين في الفعلية فإنهما اختلفا في الزمن ، فالأول زمنه الحال والثاني زمنه الماضي ، ولهذه القيمة الأسلوبية التي هي " المخالفة " أهميتها في أداء المعنى ، حيث إن تأكيد الشهادة في الحال والاستقبال وإثبات الإنزال للقرآن المشهود بصدق إنزاله ، جعل القضية مثبتة ومحققة في كل زمن: في الماضي والحاضر والمستقبل ، وفي ذلك استغراق لأنواع الزمن ، وهو إثبات للقضية على كل حال وفي كل وقت ، وهذا هو المعنى المراد أداؤه من مجموع الجملتين المترابطتين .

ومن أوجه التناسب الأسلوبي بين الجملتين المترابطتين اتفاقهما في المسند إليه وهو الضمير العائد على " الله " ـ جل وعلا ـ ومجيء الضمير فيهما ضميراً للغائب ، فالجملة الأولى المسند إليه فيها هو الضمير المستتر في الفعل " يشهد " ، والمقدر بـ " هو " ، وفي الجملة الثانية المسند إليه هو الضمير المتصل بالفعل " أنزله " وهو هاء الغائب ، وكون المسند إليه معرفة ضميراً يدل على المقام الذي هو مقام غيبة ، فإن ذلك يناسب ردّ الله ـ جل جلاله ـ على المشركين فهو غائب عن فكرهم ، لذلك ناسب أن يكون الردّ بضمير الغائب ترفعاً عن مباشرة كلامهم وتوجيه الخطاب إليهم . لكن الجملة الكريمة (أَنْزَلَه

إِلَيْكَ﴾ ختمت بضمير الخطاب للنبي التفاتاً ليظهر الفرق بين الكلامين ، فالجزء الأول من الكلام كالرد على المنكرين المشركين .

ب ـ تنزيل الغافل منزلة خالي الذهن :

وتأتي جملة عطف البيان مخاطباً بها الغافل منزلاً منزلة خالي الذهن ، فتكون خالية من التوكيد ، والغافل عادةً ما يعامل معاملة الشاك فيلقى الكلام إليه مؤكداً بمؤكد واحد لكنه عندما ينزل منزلة خالي الذهن لا يؤكد وذلك للتعريض بالمخاطب ، وتوبيخاً له بجعله كالجاهل بالأمر ، من البيان ما جاء في الآية الكريمة ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [البقرة : 49] فإن جملة ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ جاءت عطف بيان بينت جملة ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ ووضحت المقصود منها [1]، فمعنى " يسومونكم " يولونكم ويجشمونكم سوء العذاب [2] ، وهو الإذلال والاحتقار ، وله ألوان وأصناف ، والإخبار به وحده يحتاج إلى بيان أيّ ألوان الإذلال والاحتقار التي فعلها فرعون مع بني إسرائيل ، فكانت جملة عطف البيان ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ توضيحاً وبياناً للون من ألوان الإذلال وصنفاً من أصناف التعذيب ، إذاً فالسياق يحتاج إلى جملة عطف البيان ليتضح الخبر .

والترابط بين جملة عطف البيان والجملة المبيَّنة ترابط معنوي بعلاقة " التبيين " لأن جملة ﴿ يُذَبِّحُونَ﴾ بينت جملة ﴿ يَسُومُونَكُمْ﴾ فهما كالشيء الواحد ، لذلك لم يكن الربط بحرف العطف ونحوه الذي هو من الروابط اللفظية ، لأن الربط بالرابط اللفظي يجعل المعنى غير المعنى المقصود في الآية ، وتتضح المسألة بعقد موازنة أسلوبية بين آيتين : الأولى هي هذه الآية التي كان الترابط فيها بين جملة ﴿ يُذَبِّحُونَ﴾ وجملة ﴿ يَسُومُونَكُمْ﴾ ترابطاً معنوياً ، والآية الثانية جاء الترابط فيها بين الجملتين برابط لفظي هو

---

(1) ينظر : البيضاوي : أنوار التنزيل ، 1 / 55 .
(2) ينظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة " سَوَمَ " .

الواو ، فالآية الأولى هي قول الله تعالى : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) [البقرة : 49] ، والآية الثانية هي : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) [إبراهيم : 6] .

واختلاف نوع الربط في الآيتين أدى إلى اختلاف المعنى ، فالربط المعنوي في الآية الأولى بعلاقة " التبيين " بين جملة (يَسُومُونَكُمْ) وجملة (يُذَبِّحُونَ) يدلُّ على أنَّ المقصود بـ (يَسُومُونَكُمْ) هو نفسه (يُذَبِّحُونَ) ، أما الربط اللفظي بالواو في الآية الثانية فيدل على أن (يَسُومُونَكُمْ) غير (يُذَبِّحُونَ) أي أنّ سوم العذاب كان أمراً غير التذبيح وهو صنف من أصناف الإيذاء ، وأنّ هناك صنفاً آخر من التعذيب هو التذبيح ، وقد فطن الفراء لهذه القيمة الأسلوبية حين قال : " وقوله ههنا : ويذبحون وفي موضع آخر (يذبحون) بغير واو ، وفي موضع آخر (يقتلون) بغير واو . فمعنى الواو أنهم يمسهم العذاب غير التذبيح كأنه قال : يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح ، ومعنى طرح الواو كأنه تفسير لصفات العذاب . وإذا كان الخبر من العذاب أو الثواب مجملاً في كلمة ثم فسرته فاجعله بغير الواو . وإذا كان أوّله غير آخره بالواو " [1].

ويترتب على ذلك أن اختلاف نوع الربط يتبعه اختلاف المعنى ، فالمعنى تبع لأسلوب التعبير ، وهذه النتيجة تبرز أهمية الربط والروابط ، وتكشف عن دورها في أداء المعنى ، وهذه الحقيقة تفيد في فهم كثير من نصوص القرآن التي يعتقد أنها مكررة وهي في الحقيقة ليست كذلك ، وإنما لكل جملة معنى غير معنى الجملة الأخرى .

وبعد هذا التحليل الأسلوبي في جملة عطف البيان الفعلية ، يظهر أن عطف البيان في الجملة الفعلية المرتبطة معنوياً بجملة فعلية أخرى لم يأت في القرآن إلا في جمل قليلة وكان لأمرين : الأول ابتدائي ، والثاني لتنزيل الغافل منزلة خالي الذهن .

3 - ربط جملة التوكيد :

(1) الفراء : معاني القرآن ، 2 / 68 - 69 .

للجملة الواقعة توكيداً لجملة أخرى نوعان : نوع يأتي توكيداً في اللفظ والمعنى، ونوع آخر يأتي توكيداً في المعنى فقط ، وأياً كن نوع التوكيد فإن جملة التوكيد ترتبط معنوياً بالجملة المؤكدة ، وتسوغ العلاقة المعنوية الرابطة تجاور الجملتين في سياق واحد ، وتوجد انسجاماً بينهما .

والجمل الفعلية التي وقعت توكيداً لجمل فعلية قبلها في القرآن قليلة كما يظهر من البحث في النص القرآني وكتب إعراب القرآن وتفسيره ، وفيما يلي عرض للجمل الفعلية الخبرية التي وقعت توكيداً لجمل فعلية مثلها (*):

1 - (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آَمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا) [البقرة : 253] .

2 - (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [آل عمران : 104] .

3 - (وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ) [آل عمرن : 170 - 171] .

4 - (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) [يوسف : 4] .

5 - (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآَنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (17) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (21) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآَنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [القمر : 17 - 22] .

6 - (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) [النبأ : 4 - 5] .

(*) جملة التوكيد فوق الخط الثاني ، وجملة المؤكد هي التي فوق الخط الأول .

7 - (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) [العلق : 1 - 2] .

8 - (كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) [التكاثر : 3 - 4] .

وتنحصر هذه الجمل في ضرب واحد من أضرب الخبر ، هو الخبر الابتدائي ، الذي يخاطب به خالي الذهن ، ولتتبين العلاقات الرابطة بين الجملة المؤكِّدة والجملة المؤكَّدة يتناول البحث هنا نماذج بالتحليل والبحث ، ففي قول الله ـ تعالى ـ : (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا) [البقرة : 253] جاءت (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا) تكريراً لجملة (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) والتكرير للتوكيد[1].

ويلاحظ أن العلاقة الرابطة بين جملة التوكيد والجملة المؤكدة هي علاقة التوكيد، ويبدو أن الجملة الواقعة توكيداً لجملة أخرى لا ترتبط بغير هذه العلاقة المعنوية ، وهذا ما يظهر من تحليل النماذج القرآنية التي تناولها البحث في الفصل السابق وفي هذا الفصل ، على الرغم من أن علاقة " التوكيد " قد تربط بين الجمل الاستئنافية أحياناً ، وقد تربط بين جملة البدل والجملة المبدل منها ، أو بين جملة عطف البيان ، والجملة المبينة .

ويلاحظ التوافق بين الجملتين هنا في التركيب اللفظي ، إلا في المسند إليه ، ففي جملة " اقتتل " ، المسند إليه هو الاسم الموصول " الذين " ، أما في جملة التوكيد فإن المسند إليه هو الضمير المتصل الذي هو " واو " الجماعة ، هذا هو وجه التضاد بين أسلوبي الجملتين ، فأما أوجه التوافق فمنها اتفاق الجملتين في الألفاظ ، ونوع الجملة ، فالجملتان فعليتان خبريتان .

وللتضاد الأسلوبي بين الجملتين قيمة بلاغية كما للتوافق قيمه البلاغية ، فأما قيمة التضاد بين الجملتين فتفيد غرضاً بلاغياً يستفاد من التعبير ؛ فمجيء المسند إليه اسماً موصولاً في الجملة الأولى (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) أفاد تنزيه الرسل عن

(1) ينظر الزمخشري : الكشاف ، 1 / 291 ، وأبوحيان : البحر المحيط ، 2 / 274 .

الاختلاف ، ونسبته إلى الذين جاءوا بعدهم ، وفي ذلك إشارة إلى ذمِّ المختلفين ، وإيماء إلى التعريض بهم ، وازداد هذا المعنى وضوحاً بما جاء عقب الاسم الموصول وصلته وهو قوله ـ تعالى ـ : (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ) أي : ما كان ينبغي أن يختلفوا بعد مجيء الرسل إليهم ، ومجيء الآيات البينات التي تهدي إلى الخير . أما مجيء المسند إليه ضميراً متصلاً في الجملة الثانية في " اقتتلوا " فأفاد الإيجاز لأنَّ استعمال ضمير " واو الجماعة " أغنى عن الاسم الموصول وصلته ، وفي ذلك إيجاز ، هذا من جانب ، كما أفاد أن الحديث عن غائب ، فالمقام مقام غيبة ، أي غياب المخبر عنهم الذين اختلفوا . إن هذه المعاني ما كان لها أن تفهم من السياق لو لم يكن التعبير بالاسم الموصول تارة وبالضمير الغائب تارة أخرى ، وهما اسمان معرّفان، وباختلافهما فهمت هذه الدلالات التي تختفي تحت الظلال : ظلال التعبير .

وإذا كانت هذه هي بعض دلالات التضاد البلاغية ، فإن للتوافق دلالات بلاغية رائعة ، وقيماً جمالية بارعة ، تبعث في النص روح التآلف ، وتمدّه بحسن التناسب والتناغم ، فيظهر النص وحدة واحدة محكمة البناء ، متماسكة الأجزاء ، ومن دلالات التوافق بين الجملتين أن التوكيد كان في اللفظ والمعنى لاتفاق الجملتين في الألفاظ والمعنى ، وقد يكون التوكيد في غير هاتين الجملتين في المعنى دون اللفظ كما مُثِّل فيما سبق ، فجملة (لا يُؤْمِنُونَ) توكيد في المعنى لجملة (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ) في قول الله ـ تعالى ـ : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) [البقرة : 6] .

والفرق بين النوعين : التوكيد في اللفظ والمعنى معاً ، والتوكيد في المعنى فقط هو فرق أسلوبي ، إذ النوع الأول يعتمد على قيمة التوافق الأسلوبي بين الجملتين المترابطتين ، وينبني على هذا التوافق الأسلوبي انحصار العلاقة بين الجملتين في التوكيد ، أمّا النوع

الثاني فيعتمد على قيمة التخالف الأسلوبي " التضاد " الذي ينبنى عليه وجود علاقة معنوية أخرى إلى جانب التوكيد كعلاقة البيان " [1].

ومن الجمل الفعلية التي جاءت توكيداً لجملة فعلية أخرى جملة (كَلا سَيَعْلَمُون) الثانية من قول الله ـ تعالى ـ : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ) [النبأ : 1 ـ 5] ، فإن جملة (كَلا سَيَعْلَمُون) وعيد لمن يكذب باليوم الآخر " النبأ العظيم " ، " ليرتدعوا عمّا هم عليه فإنهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال إذا حلَّ بهم العذاب والنكال ، وقوله تعالى: " ثم كلا سيعلمون " تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ وأشد "[2] ، ومجيء الحرف " ثم " متوسطاً بين الجملة المؤَكَّدة وجملة التوكيد لا يمنع التوكيد لأن " ثم " ليست عاطفة هنا ، فقد أجاز النحويون اقتران جملة التوكيد بالفاء أو ثم [3] .

والتوكيد هنا بالجملة الثانية كان بإعادة ألفاظ الجملة الأولى ، فهو من قبيل التوكيد في اللفظ والمعنى ، وبذلك فالتوافق الأسلوبي بين الجملتين تجرد للترابط بعلاقة التوكيد ، وهو المعنى الذي ربط الجملتين إحداهما بالأخرى ، وأوجد المناسبة في وقوعهما متجاورتين في السياق ، كما أن السياق يحتاج إلى هذا النوع من التعبير وذلك لأن المقام مقام تساؤل وارتياب من جانب المخاطبين ؛ قال الله ـ تعالى ـ : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) فناسب ذلك التساؤل والارتياب تأكيد الجواب : (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ) .

وشبيه بهذا التعبير ما جاء في سورة التكاثر ، في قول الحق ـ جل وعلا ـ : (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) ، فإن

---

(1) ينظر : ص 224 و 296 من هذا البحث .

(2) أبوالسعود ، محمد بن محمد العمادي : تفسير أبي السعود ، المبطعة المصرية ، القاهرة ، مصر ، ط 1 / 1347 = 1928 م ، 5 / 223 .

(3) ينظر : الصبان : حاشية الصبان على شرح الأشموني ، 3 / 81 .

جملة (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) الثانية توكيد للجملة التي قبلها ، والجملتان متوافقتان في الألفاظ والمعنى توافقاً تاماً كما هو الحال في الجملتين السابقتين من سورة النبأ .

إن التوافق بين الجملتين المترابطتين قيمة أسلوبية عني بها علم الأسلوب حديثاً[1] لما لها من أثر في وضوح المعنى ، ودلالة في تحديد المضمون ، وقد فطن علماء البلاغة العربية إلى ذلك وأشاروا إلى أهمية التوافق عند حديثهم عن " الوصل " ، لكنهم لم يفصلوا الحديث في ذلك واقتصروا على الإشارة السريعة ، يقول المراغي : " مما يزيد الوصل حسناً بعد وجود المصحح المجوز للعطف ، اتحاد الجملتين في الكيفية كأن تكونا اسميتين أو فعليتين أو شرطيتين أو ظرفيتين ، ثم في الاسميتين اتفاقهما في كون الخبر اسماً أو فعلاً ماضياً أو مضارعاً ، وفي الفعليتين في اتفاقهما في كونهما ماضويتين (كذا) أو مضارعتين إلا لداع يدعو إلى التخالف " [2].

ركز المراغي في النص السابق على جانب " الحسن " ، فالتوافق بين الجملتين المترابطتين بحرف العطف يزيد من حسن الأسلوب في الوصل ، والوصل هو الترابط بين الجملتين ترابطاً لفظياً بحرف الواو ، وأشار المراغي هنا إلى بعض مظاهر التوافق، فذكر نوع الجملة من حيث الاسمية أو الفعلية أو الشرطية أو الظرفية ، ثم ذكر اتفاق الجملتين الاسميتين في نوع الخبر ، واتفاق الجملتين الفعليتين في زمن الفعل ، وتعد هذه الإشارة ذات أهمية على الرغم من أن المراغي لم يمثل لكلامه ، ولم يأتِ بأمثلة ليحللها ويبين مظاهر الحسن بالتحديد ، ثم إنه ركز على جانب الحسن فحسب مع أن لقيمة التوافق أهمية جمالية ومعنوية ومضمونية بالإضافة إلى الأهمية الأسلوبية .

فمن جوانب الجمال أن التوافق بين جملتين متجاورتين يوجد في النص إيقاعاً وجرساً ينتج من تكرار الكلمات المتماثلة ، ولا شك أن جانب الموسيقا أحد جوانب الجمال الذي يشعر به متلقي النص ، ولهذا الجانب أثر في إيصال المعنى ، أمّا الأهمية المعنوية

---

(1) ينظر : صلاح فضل : علم الأسلوب ، ص 232 وما بعدها .
(2) المراغي : علوم البلاغة ، ص 172 .

فلها صور كثيرة كأن يأتي التوافق لغرض المبالغة مع التوكيد كما هو في جملة (وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) التي جاءت توكيداً لجملة (يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ) في الآية الكريمة من سورة آل عمران ؛ قال الله ـ تعالى ـ : (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) ، " فقوله : " يدعون إلى الخير " عام في كل شيء " ، وإنما كرر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جهة التأكيد والمبالغة " [(1)].

هكذا كان التوافق بين الجملتين غرضه المبالغة في تأكيد المعنى ، فإن الدعوى إلى الخير تشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد ذكر الدعوة إلى الخير أكد معنى الدعوة إلى الخير وبينه ، وزاد في إيضاحه ، وهذا الغرض من التوكيد الذي جاء على صورة التوافق بين جملتي التوكيد والمؤكد .

---

(1) العلوي : الطراز ، 2 / 98 .

الفصل الخامس

تنوع الروابط واختلاف القراءات القرآنية

- المبحث الأول : تنوع الروابط بين الجمل الاسمية واختلاف القراءات.
- المبحث الثاني : تنوع الروابط بين الجمل الفعلية واختلاف القراءات.
- المبحث الثالث : اختلاف أسلوب الجملة وأثره على الروابط .

تمهيـد

أُنزل القرآن الكريم على الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقرأه على الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأقرأ الصحابة التابعين ، وأقرأ التابعون تابعيهم ، وهكذا استمرَّ الأمر حتى وصل إلينا القرآن الكريم في هذا العصر ، وقد تخصص جماعة من الناس لإقراء القرآن وتعليمه في كل عصر من العصور ، فكثر القرّاء والرواة . فلما دوّن العلماء المتخصصون علم القراءات وضوابطه اختاروا من القراء جماعة اشتهروا بالقراءة والإقراء ، وعرفوا بالضبط والإتقان ، وتجردوا لذلك ، وجعلوا القراءة والإقراء علماً مستقلاً له قواعده وضوابطه ، وبرز من هؤلاء جماعة كأبي جعفر يزيد بن القعقاع، ونافع بن عبدالرحمن ، وعبدالله بن كثير ، وحميد بن قيس الأعرج ، وعاصم بن أبي النُّجُود ، وسليمان الأعمش ، وحمزة والكسائي ، وعبدالله بن أبي إسحاق ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعاصم الجُحدَري ، ويعقوب الحضرمي ، وعبدالله بن عامر وغيرهم [1].

وكان من أبرز هؤلاء مجموعة من القراء الذين نقلوا القراءة بالتواتر ، فاختار ابن مجاهد منهم سبعة قراء ، عرفوا بأصحاب القراءات السبع وهم : نافع المدني ، وعبدالله بن كثير المكي ، وأبوعمرو بن العلاء البصري ، وعاصم بن أبي النُّجُود وحمزة والكسائي الكوفيون ، وابن عامر الشامي[2] ، ومن العلماء من جعل القراء عشرة ، فاختار مع السبعة المذكورين : أبا جعفر يزيد بن القعقاع ، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي ، وخلف بن هشام البزار . ومن العلماء من اختار أربعة عشر قارئاً فزاد : ابن محيصن محمد بن عبدالرحمن المكي ، واليزيدي يحيي بن المبارك ، والحسن البصري ، والأعمش سليمان بن مهران [3].

---

(1) ينظر : السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، 1 / 204 وما بعدها .

(2) ينظر : المصدر السابق : 1 / 205 .

(3) ينظر : ابن الجزري : النشر ، 1 / 82 وما بعدها . والبناء ، شهاب الدين أحمد بن محمد : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، تحقيق : علي محمد الضباغ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1422 هـ = 2001 م ، ص 10 وما بعدها .

والرأي عند المحققين أن القراء الضابطين المجيدين أكثر من ذلك إلا أنَّ الاقتصار على المشهورين كان الهدف منه التيسير على المشتغلين بهذا العلم حتى يسهل عليهم جمع القواعد والضوابط الخاصة بالقراءة [1]. وسيقتصر البحث هنا على القراءات الأربعة عشر في معرفة وجوه اختلاف القراءات التي تختص بالروابط بين الجمل ، وذلك لتوفر مصادر هذه القراءات ، ولأن جمع وجوه القراءات جميعها أمر عسير .

وبعد هذا العرض الموجز الذي عَرَّفْتُ فيه بالقراءات القرآنية التي سأعتمد عليها في هذا الفصل ، أشرع الآن في بيان ترابط الجمل الاسمية وتنوع روابطها بسبب اختلاف القراءات ، وهذا ما أبحثه في المبحث الأول من هذا الفصل ، أمَّا المبحث الثاني فهو مخصص لبحث تنوع الروابط بين الجمل الفعلية بسبب الاختلاف في القراءات ، ثم يأتي المبحث الثالث يبحث اختلاف أسلوب الجملة وأثره على الروابط .

---

(1) ينظر : مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ، ط1411/17هـ = 1990 م ، ص 172 وما بعدها .

المبحث الأول

تنوع الروابط بين الجمل الاسمية واختلاف القراءات القرآنية

تتجاور الجمل في النص ويترابط بعضها ببعض حتى تُفيدَ معنى ، وتؤدي مضموناً ، وينتج عن هذا الترابط نصٌّ متماسك الأجزاء ، يكتسب بلاغته من حُسْنِ اختيار الرابط ونوعه ، فلكل موضع رابط يصلح به ، ونوع ينسجم معه ، ولذلك فإن تنوع الروابط ، واختلافها لم يأت اعتباطاً ، ولا يختار المتكلم الرابط كيفما اتفق .

ولمَّا كانت الروابط بين الجمل نوعين : معنوية ولفظية . فإن الباحث في النص القرآني ، المتأمل لآياته يجد أنّ الجملة قد تأتي مرتبطة بما جاورها من الجمل برابط معنوي في قراءة من القراءات القرآنية ، وترتبط الجملة نفسها في قراءة أخرى برابط لفظي ؛ وتنوع الروابط في هذه الحالة ناتج عن اختلاف القراءات القرآنية ، فجملة (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا) ، قرأها حمزة والكسائي وخلف بكسر همزة " إِنَّ " ، وقرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الهمزة وتخفيف النون أي : " أَنْ " ، وقرأ الباقون بفتح الهمزة وتشديد النون [1] . فعلى قراءة كسر همزة " إِنَّ " وتشديدها ترتبط هذه الجملة معنوياً بجملة : (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) وهي أقرب جملة إليها كما يظهر من عرض الآيات ، قال الله ـ تعالى ـ : (وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..... ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا) : [الأنعام: 152 - 153] .

ويلاحظ أن جملة (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُستقيماً) ارتبطت بالجملة التي قبلها المذكورة سابقاً وبجملة أخرى جاءت في الآية السابقة هي جملة (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [الأنعام : 151] ، والترابط هنا كان لجملة الاستئناف بأكثر من جملة ، وذلك لأن مجموع ما وصّى به الله هو المشار إليه بـ" هذا صراطي " ، قال القرطبي: "(وإن

---

(1) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 277 .

هذا) بكسر الهمزة على الاستئناف ؛ أي الذي ذكر في هذه الآيات صراطي مستقيماً " [1] .

فترابط جملة الاستئناف إذاً يكون بجملتين جمعتا الوصايا المذكورة .

والرابط المعنوي لجملة الاستئناف (وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي) بجملتي (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) و (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) هو علاقة " الإجمال "، فبعد ما فصّل الحقُّ ـ جلَّ وعلا ـ معالم الصراط المستقيم في الآيتين السابقتين جاء إجمال هذه المعالم المفصلة مشاراً إليها بأنها " الصراط المستقيم " ، فعلاقة الإجمال إذاً تربط بين جملتين جاءت ثانيتهما مجملة لما فُصّل في أولاهما .

وإذا كان الترابط بين الجملتين هنا معنوياً لأن الجملة الثانية مستأنفة على قراءة كسر " إنّ " ، فإنّ الترابط يصير لفظياً على قراءة فتح " أنّ " ، وذلك لأنَّ التقدير : ولأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، أي : اتبعوه لأنه مستقيم [2].

فالرابط اللفظي هو اللام المقدرة ، وهي رابط لفظي يفيد التعليل ، والواو على قراءة كسر " إنّ " واو الاستئناف ، وعلى قراءة فتح الهمزة ، حرف عطف .

وتنوع الربط بين القراءتين هو الذي أدى إلى وجود معنيين فلكل قراءة معنى ؛ والمعنى على قراءة كسر همزة " إنّ " هو : إن الذي وصاكم به الله ـ تعالى ـ من توحيد ، وترك الإشراك ، والإحسان إلى الوالدين . . . إلخ هو الصراط المستقيم ، وهو الدين القويم ، ولأجل ذلك فعليكم اتباعه ، والذي أفاد التعليل في هذه القراءة " إنَّ " لأنَّ من معانيها " التعليل ".

والمعنى على قراءة فتح همزة " إن " هو : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا . . . وأتل أن هذا صراطي مستقيماً ، وذلك لأن الواو واو العطف ، عطفت جملتها على جملة " أتل " المتقدمة عليها في السياق ، قال الله ـ تعالى ـ : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا . . . . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ) [الأنعام : 151 - 153] .

وعلى قراءة كسر همزة " إن " يكون الوقف على ما قبلها تامّاً ، فَيُقْرأ : (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) فيوقف ثم تستأنف القراءة بـ (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا) [3]، وكان الوقف تاماً على (تَذَكَّرُونَ) لأنه لم يتعلق بما بعده البتة ، أي لم يتعلق به لا من

(1) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 17 / 137 .
(2) ينظر : مكي بن أبي طالب : الكشف ، 1 / 457 .
(3) ينظر : الأشموني : منار الهدى ، ص 289 .

جهة اللفظ ولا من جهة المعنى [1] ، والوقف على (تَذَكَّرُونَ) الذي يسمى عند علماء الوقف والابتداء " تامّاً " هو من قبيل الجواز ، وكذلك الاستئناف بجملة (وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي) ، وذلك لأن الأصل في النص القرآني أنه متصل الأجزاء ، والقراءة كذلك إلا أن الحاجة إلى التنفس هي التي أوجبت اختيار مواضع للوقف ، يقول ابن الجزري : " لما لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة وتعين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة ، وتحتم أن لا يكون ذلك مما يخل بالمعنى ولا يخل بالفهم إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد "[2].

وأمّا قراءة فتح همزة " إن " فيكون الوقف على ما قبلها وقفاً " كافياً " فعند قراءة (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يصح الوقف عليها ثم يقرأ (وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي)، وكان الوقوف كافياً لأن ا لكلام الموقوف عليه متعلق من حيث المعنى بما بعده ، والمعنى الذي علقه بما بعده هو الاشتراك في الفعل " أتل " ، الذي أفاد الاشتراك هو حرف " الواو " العاطف الذي عطف الجملة الثانية على الأولى قال الله ـ تعالى ـ : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ . . . . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا) أي : أتل ما حرم ربكم وأتل أن هذا صراطي مستقيماً .

وواضح من هذا أن وصل الجملتين في القراءة أفضل من الوقف على ما قبل " وأن هذا صراطي " لأنَّ هذه الجملة معطوفة على ما قبلها ، والأَوْلى وصل المتعاطفين، وعدم فصلهما ، والمتعاطفان هنا بينهما ترابط برابط لفظي هو " واو " العطف التي أفادت معنى المشاركة .

وبناءً على ما تقدم فإن اختلاف القراءات القرآنية قد يؤدي إلى اختلاف نوع الرابط ، فيكون على قراءة رابطاً لفظياً ، وعلى قراءة أخرى رابطاً معنوياً ، ويُلاحظ هنا أن تغير نوع الرابط انبنى عليه تغير أسلوب التعبير ، ففي قراءة فتح همزة " إن " كان الربط بين

(1) ينظر : ابن الجزري : النشر ، 1 / 178 .
(2) ينظر : المصدر السابق ، 1 /177 .

أجزاء الجملة الواحدة ، وفي قراءة الكسر كان الرابط بين جملتين ، ويمكن أن يسمى القسم الأول من الربط الحادث بين أجزاء الجملة الواحدة " الربط الجُمْلي " نسبة إلى الجملة ، ويسمى القسم الثاني الحادث بين جملتين " الربط الجُمَلي "نسبة إلى الجُمل .

وتأسيساً على ذلك فإن للربط أقساماً ثلاثة هي : الربط الجُمْلي ، والربط الجمَلي، والربط النصي ، فالربط الجُمْلي يكون بين الكلمات حتى تتكون الجملة ، والربط الجُمَلي يكون بين الجمل لتتكون العبارة ، والربط النصي هو الذي يكون بين جمل النص جميعها، وهذه الأقسام الثلاثة قد تكون لفظية فتسمى الربط اللفظي، وقد تكون معنوية فتسمى الربط المعنوي ، والربط اللفظي يكون بحرف من حروف الربط كالواو العاطفة ، ولام التعليل أو حرف الجر ، أو الفاء ، أو الواقعة في جواب الشرط ونحو ذلك ، أمّا الربط المعنوي فيكون بعلاقات معنوية كالإسناد والإضافة والبيان والتأكيد ، والسببية ونحو ذلك .

ومن الجمل التي تنوع فيها الربط بين الربط الجُمْلي والربط الجُمَلي جملة (قَوْلَ الْحَقِّ) ، ففي قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب (قَوْلَ) فإن كلمة " قولَ " " مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي هذا الإخبار عن عيسى أنه ابن مريم ثابت صدق ليس منسوباً لغيرها أي أقول قول الحق فالحق الصدق وهو من إضافة الموصوف إلى صفته أي القول الحق " [1] ، وعلى هذه القراءة يكون ارتباط (قَوْلَ الْحَقِّ) بالفعل المقدر المحذوف ، وهو ارتباط بين الفعل وقيده " المصدر " ، وهو من قبيل الربط " الجُمْلي " أي ارتباط أجزاء الجملة الواحدة .

أما قراءة جمهور القراء برفع (قَوْلُ) : فإنها تعرب خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير : هو قولُ الحق ، أو هذا قول الحق [2]، وبناء على ذلك فإن الترابط يكون ترابطاً " جُمَلياً " أي بين جملتين : جملة الاستئناف (قَوْلُ الْحَقِّ) ، وجملة (ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) ، وهي جملة اسمية وقعت قبل الجملة المستأنفة مباشرة ، ويظهر وجها الترابط من سياق

---

(1) البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 377 - 378 ، وينظر : العكبري : التبيان في إعراب القرآن ، 2 / 874 .

(2) ينظر : المصدر السابق ، 2 / 874 ، مكي بن أبي طالب : الكشف ، 2 / 88 - 89 .

النص الكريم ، قال الله ـ تعالى ـ مخبراً عن عيسى ـ عليه السلام ـ: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا . وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا . ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) [مريم : 30 ـ 34].

إذاً فالوجه الأول من أوجه الترابط هو الترابط الجُمْلي وهو ترابط معنوي لأن المصدر " المفعول المطلق " أكد الفعل ؛ فكلمة " قولَ " أكدت الفعل العامل فيها المقدر بـ " أقول " ، والعلاقة المعنوية الرابطة هي علاقة " التوكيد " ، وقد دلَّ على هذه العلاقة اتفاق صيغة المفعول المطلق مع الفعل واتفاقهما في المعنى المعجمي(1) .

وفي حالة الترابط الجُمَلي على قراءة رفع " قولُ " يكون لدينا جملة اسمية استئنافية ، والتقدير ـ كما مر سابقاً ـ هو : " هو قول الحق " ، والترابط في هذه الحالة ترابط معنوي كذلك ، وهو ترابط بعلاقة " التوكيد " بين جملة الاستئناف وجملة (ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) ، ووجه علاقة التوكيد الرابطة أن جملة : " هو قول الحق " المستأنفة أثبتت معنى كون عيسى ـ عليه السلام ـ ابن مريم ، وهذا هو المعنى الذي تدل عليه جملة (ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) .

ويلاحظ في هذه الجملة موضوع التحليل أنَّ ترابطها ترابط معنوي في كلتا حالتيها ، أقصد حالة نصب كلمة " قولَ " أو حالة رفعها ، فتنوع الروابط إذاً دائر بين الترابط الجُمْلي والترابط الجُمَلي .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو : ما الفرق بين علاقة التوكيد التي ربطت المفعول المطلق بفعله ، وعلاقة التوكيد التي ربطت جملة الاستئناف بالجملة التي قبلها ؟

إنَّ علاقة التوكيد علاقة معنوية تهدف إلى تثبيت المعنى الذي يحمله المؤكَد عن طريق المجيء بالمؤَكِّد الذي قد يكون بإعادة لفظ المؤكَّد أو بإعادة معناه بألفاظ أخرى ، هذه هي علاقة التوكيد سواء أكان التوكيد لكلمة مفردة ، أم لجملة كاملة ، لكن الفرق بين

---

(1) ينظر : محمد حماسة عبداللطيف : بناء الجملة العربية ، ص 140 .

توكيد الكلمة وتوكيد الجملة أن توكيد الكلمة يفيد توكيد المعنى الجزئي الذي تحمله الكلمة أي توكيد الحدث إن كانت الكلمة فعلاً ، وتوكيد ذات الشيء إن كانت الكلمة اسماً، أما توكيد الجملة فإنه يفيد توكيد المضمون الذي تحمله الجملة أي توكيد المعنى المفيد الذي أفادته الجملة .

وإذا نظر الباحث إلى علاقة التوكيد في كلتا حالتي الآية الكريمة السابقة في ضوء ما قرر آنفاً ، فإنَّ توكيد المفعول المطلق لفعله أفاد في هذه الحالة توكيد الحدث ؛ أي توكيد وقوع القول الموصوف بأنه حق ، وبناءً على ذلك فإنَّ المقصود بالقول الحق حينئذ ـ والله أعلم ـ هو قول عيسى ـ عليه السلام ـ الذي نطق به في المهد ، فالتوكيد متسلط على النص من قول الله ـ تعالى ـ : (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا . وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) [مريم : 30 - 33].

وبناءً على هذا التأويل فإن الخطاب موجه لمشركي العرب الذين يشركون بالله ولا يوحدونه ، فالله ـ سبحانه ـ يقص عليهم قصة عيسى ـ عليه السلام ـ ليبين لهم أنه نبيٌّ موحد يعترف بعبوديته لله : (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ) وهو بشر أوحي إليه : (آَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) وفي هذا دحض لمزاعم الكافرين من المشركين الذين أنكروا وحدانية الله، وأنكروا أن يكون الرسول من جنس البشر . فقد جاء الحق على لسان طفل في المهد معجزةً مبطلة لما يزعمونه من أباطيل . ويؤيد هذا التأويل تفسير ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ لهذه الآية ، فقد قال في تفسير : (قَوْلَ الْحَقِّ) " يريد هذا كلام عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم قول الحق ليس بباطل " [1]، وتقدير الكلام في هذه الحالة : قال قولَ الحق ، أي : قال عيسى قولَ الحق . وخلاصة القول : إن توكيد المفعول المطلق : " قولَ " لفعله المقدر وارتباطهما ببعضهما هو من قبيل الربط المعنوي الجُمْلي ، وأن هذا النوع من الربط أدى إلى إفادة معنى تأكيد صدق كلام عيسى ـ عليه السلام ـ الذي أخبر فيه بأنه عبد الله ونبيه .

---

(1) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 11 / 105 .

أما النوع الآخر من الربط فهو ربط جُمَلي ، وذلك على قراءة رفع (قَوْلُ) لأن الربط حينئذ كان ربطاً معنوياً بعلاقة التوكيد التي تربط بين جملتين ، ويؤدي ذلك إلى إفادة معنى آخر هو : تأكيد كون عيسى ابناً لمريم حقاً وليس ابناً لله ولا ابناً لأحدٍ من الرجال ، وفي هذه الحالة يكون الخطاب موجهاً إلى النصارى ـ الذين ادعوا زوراً أن عيسى ابن الله ـ وموجهاً أيضاً لليهود الذين ادعوا أن عيسى ابن يوسف النجار[1] . وذلك لأن (قَوْلُ الْحَقِّ) تعد جملة مستأنفة ـ كما سبق ذكره ـ مرتبطة بجملة (ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) برابط التوكيد .

وبناءً على ما تقدم فإنه يتضح أنَّ اختلاف القراءات أدى إلى تنوع الروابط وأدى ذلك إلى اختلاف المعنى ، فلكل قراءة معنى ، وهذا يظهر أن نوع الرابط يؤثر في المعنى ، والمعنى المترتب على تنوع الرابط يحدد نوع الوقف ، وذلك لأن أحكام الوقف والابتداء في تلاوة القرآن مبنية على تأدية المعنى وتمامه .

والاختلاف في المعنى بسبب اختلاف القراءات القرآنية ليس اختلاف تنافر وتناقض ، وإنما هو اختلاف تكامل وتوسع ، فكل معنى من المعاني المترتبة على اختلاف القراءة مقصود ـ والله أعلم ـ والسرّ في ذلك هو إرادة الإيجاز الذي هو وجه من وجوه الإعجاز ، " إذ تنوع القراءات بمنزلة الآيات ، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدة ، لم يخفَ ما كان فيه من التطويل ، ولهذا كان قوله (أَرْجُلَكُمْ) منزّلاً لغسل الوجه ، والمسح على الخفّ ، واللفظ واحد ، لكن باختلاف إعرابه " [2]، وقد يكون اختلاف القراءات لتفسير قراءة ما وتبينها ، ومع هذا كله فإنَّ لكل قراءة وجهاً من وجوه البلاغة ، ومظهراً من مظاهر الإعجاز الذي يسهم الكشف عن الربط في ظهوره، وتزيد معرفة نوع الرابط من فصوحه .

ومن الجمل القرآنية التي أدى اختلاف القراءة فيها إلى اختلاف نوع الربط جملة (أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) حيث أدت قراءة كسر همزة " إن " إلى جعل الربط من قبيل الربط "

---

(1) ينظر : المصدر السابق .
(2) السيوطي : الإتقان ، 1 / 227 .

الجُمَلي " ، وقراءة فتح همزة " إن " جعلت الربط من قبيل الربط الجُمْلي " ، وذلك في الآيات الكريمة التي نصها: (أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ. قَالُوا رَبَّنَا ... إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) [المؤمنون : 105 - 111] .

ففي جملة (أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) قراءاتان ؛ الأولى : قراءة حمزة والكسائي فقد قرآ الجملة الكريمة بكسر الهمزة " إنهم " ، والثانية : هي قراءة باقي القراء بفتح الهمزة " أنهم " ، فقراءة الكسر على جعلها استئنافاً ، ومفعول " جزيتهم " الثاني محذوف ، والتقدير : إني جزيتهم اليوم بما صبروا النعيم في الجنة . أما قراءة فتح همزة " إن " فعلى جعل " أنهم هم الفائزون " مفعولاً ثانياً للفعل " جزى " ؛ أي : جزيتهم فوزهم ، أو بتقدير حذف لام الجر، والتقدير: إني جزيتهم لأنهم هم الفائزون أو بأنهم هم الفائزون(1).

فنجد أنَّ القراءة بكسر همزة " إن " تَعُدُّ الكلام جملة مستأنفة ، والرابط في هذه الحالة رابط معنوي ، ربط بين جملة الاستئناف والجملة التي قبلها ، فأما جملة الاستئناف فهي (إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) والجملة التي قبلها هي (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ) ، والعلاقة المعنوية التي ربطت بين الجملتين هي علاقة " البيان " ، وذلك لأن جملة (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ) إخبار من الله ـ تعالى ـ بأنه جزى الصابرين من غير بيان لنوع هذا الجزاء ، فجاءت الجملة الثانية لتبين نوع الجزاء الذي هو الفوز في الآخرة .

وبناءً على ما تقدم فإن القراءة بفتح همزة " أن " تجعل من " أن " واسمها وخبرها جزءاً من الجملة الكبيرة " إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون " ، والربط في هذه الحالة ربط بين أجزاء الجملة الواحدة ، وعلى هذه القراءة تخرج الآية من بحث الروابط بين الجمل ، أمّا القراءة بكسر همزة " إن " فيجعل الترابط ترابطاً بين الجمل ، والفرق بين الحالتين فرق أسلوبي في طريقة التعبير، ولهذا الفرق أثر على المعنى ؛ ففي حالة فتح الهمزة يكون المعنى ـ والله أعلم ـ إني جزيتهم الفوز بسبب صبرهم ، وفي حالة

---

(1) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 406 ، وقاسم الدجوي ومحمد الصادق قمحاوي : قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر ، المطابع الأزهرية ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ ، ص 99.

كسر الهمزة المعني : إني جزيتهم بسبب صبرهم ، ولم يذكر نوع الجزاء ، ثم أخبر عن هؤلاء الذين جزاهم سبحانه : إنهم هم الفائزون في الآخرة .

والفرق البلاغي بين القراءتين هو أن القراءة الأولى بفتح همزة " أن " تفيد معنى محدوداً مباشراً مفاده أن جزاء الله المؤكد لعباده المؤمنين الفوز بالنعيم بسبب الصبر في الدنيا ، فالجزاء معلوم هو الفوز ، والسبب معروف هو الصبر ، والتعبير بجملة واحدة أخصر معنى ، أما التعبير في القراءة بكسر " إن " فيكون التعبير بجملتين ، وزيادة المبنى أفادت زيادة في المعنى ، فأفاد الكلام معنيين هما : تأكيد جزاء الله لعباده المؤمنين بسبب الصبر ، وتأكيد كون هؤلاء المؤمنين هم الفائزون .

وعلى هذه القراءة يكون الكلام أعمق بلاغة ، ومبعث ذلك العمق الإخبار عن الفوز من غير تحديد له ؛ فجملة (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا) جملة مستقلة لكن حذف المفعول الثاني لجزي جعل في الكلام إبهاماً لطيفاً يبعث السامع على التوقع توقع الجزاء ، ويجعله يفكر فيه ، وهذا التوقع والتفكر نوع من إثارة المتلقي إثارة إيجابية ليتفاعل مع النص ، وقد خلت القراءة الأولى من هذه الإثارة اللطيفة .

وكما كان للقراءة بكسر همزة " إن " خصيصة بلاغيةٌ وعمقٌ معنويٌ فإن للقراءة بفتح همزة " إن " خصيصة بلاغية هي الإيجاز حيث كان التعبير عن المعنى المراد بجملة واحدة بينت أن جزاء المؤمنين الفوز بالنعيم ، وسبب هذا الفوز هو الصبر في الدنيا ، فهذا المعنى الكبير أفادته جملة واحدة ، ولا يخفى ما للإيجار من بلاغة في موضعه .

وبالجمع بين القراءتين يستفاد المعنى المراد ، فالقراءات متكاملة ، ولكل قراءة معنى ، وكل معنى من هذه المعاني مقصود لأنه لا تعارض بين القراءات ، ولا تناقض في المعاني المترتبة على اختلاف القراءة ، وهذا التكامل يمثل في حد ذاته لوناً من ألوان البلاغة القرآنية ، وصورة من صور الإعجاز .

ومثل الجمل السابقة جملة : (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) في قول الله ـ تعالى ـ : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ . . . . وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ . فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ .إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) [الطور : 17 ـ 28] . هذه الجملة قرأها نافع والكسائي وأبوجعفر بفتح همزة " إن " ، وقرأها الباقون بكسرها [1]، فعلى قراءة نافع والكسائي وأبي جعفر يكون ترابط الجملة بما قبلها ترابطاً لفظيّاً ، وعلى قراءة الباقين يكون الترابط معنوياً .

وبيان ذلك أن قراءة فتح الهمزة على تقدير حذف اللام أي : لأنه هو البر[2] ، والمعنى تعليل دعاء المؤمنين ، فهم يدعونه لأنه البرّ الرحيم بهم ، فاللام المقدرة التي أفادت معنى التعليل هي التي ربطت جملة (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ) بجملة (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ) ، واللام رابط لفظي ، أما القراءة بكسر همزة " إنّ " فيكون الكلام مستأنفاً ، وفي هذه الحالة يكون ترابط جملة (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ) ترابط معنوي بجملة (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ) ، والعلاقة الرابطة حينئذٍ علاقة معنوية هي " السببية " ، لأن الجملة المستأنفة (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ) سبب وقوع الجملة التي قبلها (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ) ؛ إذ إنّ كونه برّاً رحيماً ـ سبحانه ـ جعلهم يدعونه .

ومن تنوع الروابط ما يجعل الكلام مستأنفاً على قراءة ، وبدلاً على قراءة أخرى، فجملة (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) في قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف وابن محيص والحسن ، تقرأ (رَبِّ) بخفض الباء على أنها بدل من (رَبِّكَ) في الآية السابقة ، قال الله ـ تعالى ـ : (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) [الدخان : 6 ـ 7] . وفي قراءة الباقين من القراء برفع (رَبُّ) على أنها خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير هو : ربُّ السموات والأرض[3].

---

(1) ينظر : البناء ، إتحاف فضلاء البشر ، ص 519 .
(2) ينظر : مكي بن أبي طالب : الكشف ، 2 / 291 وما بعدها .
(3) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 499 . مكي بن أبي طالب : الكشف ، 2 / 264 .

فالقراءة الأولى بخفض الباء من (رَبِّ) يجعل الكلام جملة واحدة ، و " رب " بدل من الاسم المجرور " ربك " أي : رحمة من ربِّك ربِ السموات والأرض ، والربط في هذه القراءة ربط معنوي ، فالبدل مرتبط معنوياً بالمبدل منه ، والعلاقة الرابطة هي " البيان " ، فقوله ـ جل وعلا ـ : " من ربك " يحتاج إلى بيان ، يبين للمشركين والكافرين من هو الربُّ الحق ، فجاء قوله ـ سبحانه ـ : (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) ليبين ذلك ويوضحه .

ويتبين من ذلك أن الربط المعنوي في قراءة خفض "ربّ " على البدلية ، أمَّا رفعها فإن الأمر يختلف ، ويصير الربط ربطاً معنوياً من نوع آخر ؛ ويكون (رَب السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) جملة مستأنفة مستقلة بنفسها ، وليست جزءاً من الجملة السابقة كما في قراءة خفض الباء من " رب " ، وفي قراءة الرفع يبقى الربط ربطاً معنوياً لكنه ليس ربطاً بين أجزاء الجملة الواحدة ، وإنما هو ربط بين جملتين ، والعلاقة الرابطة حينئذ هي علاقة " التوكيد " ، ويبقى لعلاقة البيان دخل في الربط بين أجزاء النص ، فعلاقة " البيان " كانت هي الرابط الوحيد على قراءة خفض الباء من " رب " ، وهي العلاقة الرابطة مع التوكيد على قراءة رفع " ربّ " ، وذلك لأن المشركين عندما يسمعون خطاب الله لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يسألون : من هو ربك ؟ كما سألوا غير مرة : يا محمد صف لنا ربك . فتأتي الجملة الكريمة (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) كالجواب عن هذا السؤال المتوقع وعلى هذا فالجملة الكريمة استئناف بياني .

والرابط المعنوي الآخر بين الجملتين هو " التوكيد " حيث إن استئناف كلام جديد يخبر أن الله رب السموات والأرض بعد ذكر أن الله هو " ربك " أي : رب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو نوع من التوكيد ، فالربوبية مستفادة من قوله ـ جل وعلا : (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ، وجملة (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) توكيد للخبر الأول بربوبيته .

من التحليل السابق للأسلوب القرآني الكريم ظهر أن اختلاف القراءات القرآنية أدّى إلى تنوع الروابط ، وأن ذلك أدى إلى اختلاف المعنى ؛ فالتحليل الأسلوبي وضعنا أمام معنيين نتجا عن القراءتين . والحقُّ الذي لا مراء فيه أنّ كِلتا القراءتين صحيحة ومنزلة على ما أقره العلماء [1]، فإن هذه القراءات منقولة بالتواتر أو بخبر الآحاد وقد ثبتت صحة هذه القراءة بصحة أسانيدها وإجماع الأمة على قبولها ، وهذا يعني أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قرأ بها .

وإذا ثبتت القراءات ، فقد ثبت بالتبعية أن معنى كلّ قراءة منها مقصود مراد ، لأن المعنى تبع للفظ ، وكذلك ثبوت المعنى يتبع ثبوت اللفظ .

فالمقصود إذاً كل المعاني المستفادة من اختلاف القراءات ، ودلل العلماء على صحة ذلك باختلاف القراءات في آية الوضوء ، فمن القراء من يقرأ (وَأَرْجُلِكُمْ) بكسر لامها ومنهم من يقرأ بفتحها ، وذلك في قول الله ـ تعالى ـ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) [المائدة : 6] ، فقراءة الجر تعطف (َأَرْجُلِكُمْ) على (رُءُوسِكُمْ) عطفاً لفظياً ، وهذه القراءة تفيد جواز المسح على الخفين ، وقراءة النصب بالعطف على (أَيْدِيَكُمْ) تعني غسل الرجل في الوضوء وهو الأصل ، ومن مجموع القراءتين أفدنا معنيين ، وفهمنا حكمين هما : غسل الرجل في الوضوء ، والمسح على الخفين ، ولو عَبَّر القرآن عن كل حكم بآية على حدة لم يَخْفَ ما كان في ذلك من التطويل ، ولهذا جاء الكلام موجزاً ، وأفاد الإيجاز المترتب على اختلاف القراءات نوعاً من المبالغة في الإعجاز ، إذ إن تنوع القراءات بمنزلة الآيات [2].

وقد يؤدي تنوع الروابط في القراءات المختلفة إلى تغير نوع الجملة ، فتكون الجملة فعلية على قراءة ، واسمية على قراءة أخرى ؛ ففي قول الله ـ جل وعلا : (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ) [يس : 29] إذا عُدَّت الواو في (وَالْقَمَرَ) واو العطف كانت جملة(وَالْقَمَرُ) جملة اسمية معطوفة على جملة سابقة هي : (وَآَيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ)، والتقدير

---

(1) ينظر : السيوطي : الإتقان ، 1 / 226 وما بعدها .
(2) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 251 ، والسيوطي : الإتقان ، 1 / 227 .

حينئذ : وآية لهم الليل . . وآية لهم القمرُ ، وتكون لفظة " القمرُ " مرفوعة على أنها خبر لمبتدأ محذوف ، والرابط في هذه الحالة رابط لفظي هو " الواو " العاطفة ، التي ربطت بين جملة(وَالْقَمَرُ قَدَّرْنَاهُ) وجملة (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ)، والترابط بـ " واو " العطف بين الآيتين يوافق قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو، وروح بن عبدالمؤمن عن يعقوب ، والحسن واليزيدي ، وقد قرأوا جميعاً برفع (وَالْقَمَرُ) [1].

وقرأ باقي القراء الأربعة عشر بنصب لفظة " القمرَ " [2]، وعلى هذه القراءة تكون الجملة فعلية ، والواو فيها هي واو الاستئناف ، والتقدير حينئذ " وقدرنا القمر قدرناه منازل ، أي ذا منازل " [3] ، وفي هذه الحالة تكون جملة (وَالْقَمَرُ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ) مرتبطة معنوياً بجملة (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) ، والعلاقة الرابطة بين الجملتين هي علاقة " التقابل " ، فإن الجملة الأولى بينت حركة الشمس وذكرت أنها حركة سريعة ، ثم جاءت الجملة الثانية لتوضح حركة القمر ، وذكرتْ أنها بطيئة ، فبين المعنيين تقابل وتناظر ، وهذا التقابل والتناظر هو الرابط المعنوي الذي سوّغ تجاور الجملتين في سياق النص القرآني الشريف ، ويتضح ذلك من تأمل النص تأملاً عميقاً ، ويمكن عرض النص هنا ليتضح ما ذهبت إليه . قال الله ـ تعالى ـ : (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) [يس : 37 - 39] .

نخلص من ذلك إلى أن تنوع الروابط قد يؤدي إلى اختلاف نوع الجملة ، فتكون مترابطة ارتباطاً لفظياً بجملة قبلها وهي جملة اسمية ، فإذا اختلفت القراءة ، وتغير الرابط وصار رابطاً معنوياً كانت الجملة جملة فعلية ، وهذه النتيجة تؤكد أنَّ نوع الرابط يؤثر تأثيراً كبيراً في نوع الأسلوب ، وطريقة التعبير ، ويؤثر في المعنى لأن المعنى تبع للأسلوب .

---

(1) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 467 ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 15 / 29.
(2) ينظر : المصدران السابقان .
(3) مكي بن أبي طالب : الكشف ، 2 / 216 .

ولكي يتضح حجم تأثير الرابط على الأسلوب وتأثير الأسلوب على المعنى فلابد من عقد موازنة أسلوبية بين حالتي الجملة : حالتها الاسمية ، وحالتها الفعلية ، لنتبين أثر ذلك على المعنى ، وحتى نتمكن من المقارنة فلنعرض الجملة في سياق النص القرآني الكريم ، قال الله ـ تعالى ـ : (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) [يس : 37 - 39] .

نجد أن الحالة الأولى تكون الجملة اسمية ، وهي حالة رفع كلمة " القمر " على أنها خبر المبتدأ المحذوف ، والتقدير : وآية لهم الليل . . . وآية لهم القمر ، ولهذه الجملة خصائص أسلوبية منها : إن التعبير بالجملة الاسمية يدل على ثبوت الحكم الذي فيها ، وهذا يعني ثبوت كون القمرِ آيةً للناس ، أمَّا في الحالة الثانية التي تكون الجملة فيها جملة فعلية على تقدير وقدرنا القمر قدرناه منازل ـ نجد أن الجملة الفعلية تدّل على الحدث ، وهذا يعني حدوث نزول القمر في منازله التي قدرها له الله ، وهذا يوافق الواقع ، فالقمر ينزل كلَّ زمن في منزل خاص ، فهو ينزل كلَّ ليلة في منزل من منازله التي عددها ثمان وعشرون منزلاً ، ثم يستتر ليلة أو ليلتين ليطلع هلالاً بعد ذلك في المنزل الأول ليبدأ رحلته من جديد ، وهكذا دواليك ، فهذه الحركة تدل على تجدد نزوله في منازله مرة بعد مرة ، وهذا ما عبرت عنه الجملة الكريمة في حالتها الفعلية .

إذاً فهناك معنيان : الأول يستفاد من اسمية الجملة والثاني يستفاد من فعلية الجملة ، والمعنيان مختلفان ، ولكنهما ليسا متناقضين بل هما مقصودان ؛ لأن كلاً منهما صحيح ، وكل منهما يفيد ما لا يفيده الآخر ، والفرق المعنوي الرئيس بين التعبيرين ـ أقصد التعبير بالجملة الاسمية والتعبير بالجملة الفعلية ـ هو أن التعبير بالجملة الاسمية يركز على كون القمر آية في حد ذاته ، لأنه معطوف في هذه الحالة على : (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ) فالقمر آية كآية الليل دالة على قدرة الله ووحدانيته ، أما التعبير بالجملة الفعلية فإنه يركز إبراز قدرة الله من خلال تقدير إنزال القمر في منازله، كل ليلة في منزل بنظام متجدد مستمر لا يتغير و لا يختل .

ولا يخفى اختلاف المعنيين بعد هذا التوضيح ، والأمر الذي يأسر النفس ويهزها هنا هو أن كل معنى من هذين المعنيين يخدم السياق العام للنص الكريم ، فالسياق يعرض قضية الإيمان بالله ، ويدلل عليها بأدلة مختلفة ، وكل معنى من المعنيين يدل على وجود الله وقدرته العظيمة ، ويبرهن على وحدانيته وهو دليل ساطع على وجوب الإيمان بالله سبحانه ، وصحة ذلك الإيمان ، وبالجمع بين المعنيين يتوفر لدينا دليلان كبيران على وجوب الإيمان وصحته هما : القمر الذي يظهر في المساء هلالاً أول الشهر ثم يزداد حجمه حتى يكتمل بدراً ثم يتناقص حتى يصير محاقاً ، والدليل الثاني هو تغير منزل القمر كل ليلة ، فكل ليلة يطلع على الناس من مكان ليس هو ذات المكان الذي طلع منه الليلة السابقة ، فهو يهلّ في أول الشهر من الغرب ، ويتحرك في منازله حتى يطلع آخر الشهر من الشرق ، ولو راقب الناس مكان طلوعه في اليوم الثاني من الشهر - مثلاً - لوجدوا أنه يطلع في الشهر التالي في يومه الثاني من المنزل نفسه ، وهذا دليل على قدرة من خلقه وقدر له المنازل .

إن هذين الدليلين مقصودان مطلوبان ، ولكل دليل منهما فائدة خاصة ، فأما الدليل الأول فيناسب العربي البدوي الذي ينظر إلى ظاهر الأشياء ، ويعتمد على الملاحظة العابرة ، وأما الدليل الثاني فإنه يناسب العالم الذي يعتمد على الحساب والملاحظة الدقيقة المعتمد على الأجهزة ، وهكذا يتضح لنا أن تنوع الرابط ، واختلاف القراءات بسبب ذلك يؤثر على المعنى ، ويؤدي إلى اختلافه اختلاف تكامل ، وتبين أن تكامل المعنيين وعدم تناقضهما يفيدنا معاني كثيرة من ألفاظ قليلة وهو ما يعرف في البلاغة بالإيجاز ، وأفاد الاختلاف والتكامل والإيجاز إفادة كبيرة في إظهار إعجاز القرآن الأسلوبي ، وأنه حق من عند الحق - جل وعلا - .

وإذا تابع الباحث التأمل في تنوع الروابط وما يترتب عليه فإنه يصل إلى أن تنوع الروابط - وهو تنوع أسلوبي يؤثر عل موضع الوقف ونوعه ، فالوقف يكون حسب المعنى المراد ، ففي النص القرآني الكريم السابق إذا عدّت الواو في(والقمر) رابطاً لفظياً وهي حينئذ حرف عطف فإن الوقف على قول الحق - تعالى - : (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)

ليس وقفاً تاماً ، وإنما يكون الوقف التام عند قوله ـ جل وعلا ـ: (حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) [1]، لأن تمام الكلام يكون بالربط بين المتعاطفين ووصلهما في القراءة .

وأما إذا عدّت الواو حرف استئناف ـ والربط حينئذ يكون ربطاً معنوياً بين الجملة المستأنفة والجملة التي قبلها ـ فإن الوقف على (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) وقف تام [2]، لتمام معناه وعدم تعلقه بما بعده لا لفظاً ولا معنى .

ومن الجمل التي تنوعت الروابط فيها باختلاف القراءات فأدى ذلك إلى تغير الجملة من الفعلية إلى الاسمية جملة (يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا) [الانفطار : 19] بنصب (يَوْمَ) أو رفعها ، فقد قرأ ابن كثير وأبوعمرو ويعقوب وابن محيصن واليزيدي بالرفع على إضمار مبتدأ ، أي : هو يومُ لا تملك نفس لنفس شيئاً ، وقرأ باقي القراء الأربعة عشر بنصب (يَوْمَ) على أنها ظرف ، والتقدير : في يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً [3].

فعلى قراءة نصب " يوم " تكون ظرفاً متعلقاً بفعل مقدر ، وتقدير الكلام : يدانون في يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً [4]، فعلى هذه القراءة تكون الجملة جملة فعلية ، والظرف فيها متعلق بالفعل أي مرتبط به ارتباطاً معنوياً بعلاقة الزمان ، فالظرف هنا ظرف زمان ، وظرف الزمان مقيد من مقيدات الفعل ، وهو يختص بتقييد الحدث الذي يدل عليه الفعل بالزمان الذي يدل عليه الظرف . وبعبارة أخرى ؛ إن الإدانة واقعة في يوم موصوف بأنه لا تملك فيه نفس لنفس شيئاً .

وعلى قراءة رفع " يوم " تكون الجملة اسميةً مستأنفة ، وكلمة " يوم " خبراً لمبتدأ محذوف ، وحينئذ تكون هذه الجملة المستأنفة مرتبطة بجملة (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) ، والعلاقة التي ربطت الجملتين هي علاقة البيان ، وذلك لأن الجملة المستأنفة بيَّنت المقصود بيوم الدين ووضحته ، ويتضح ذلك من تأمل السياق القرآني الكريم ، قال الله ـ

---

(1) ينظر : ابن النحاس : القطع والائتناف ، ص 431 .
(2) ينظر : المصدر السابق .
(3) ينظر : مكي بن أبي طالب : الكشف ، 2 / 364 - 365 ، والبناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 575 .
(4) ينظر : المصدر السابق .

تعالى - : (إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ . يَصْلَوْنَهَا يَوْمُ الدِّينِ . وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) [الانفطار : 13 - 19] .

إنَّ تنوع الربط في جملة (يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا) - من ربط جُمْلي بين الفعل وظرفه ، وربط جمَلي بين جملة وجملة أخرى - يؤدي إلى وجود معنيين ، لكل نوع من نوعي الربط معنى ؛ ففي الحالة الأولى بنصب " يوم " على أنها ظرف يكون التعبير فيه بالجملة الفعلية ، وحينئذ يكون المقصود التركيز على الفعل الذي هو حدث الجزاء والإدانة ، أي : الإخبار بأن الجزاء والإدانة والحساب سيحدث في يوم القيامة ، وذلك لأن التعبير بالجملة الفعلية ليس فيه إلا الإخبار بمطلق الحدث مقروناً بالزمان من غير إرادة المبالغة أو التوكيد[1] ، وقد فهم فعل الإدانة من كلمة " الدين " التي في الآية (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) فإن معنى الدين : الإدانة والجزاء .

ويستفاد من هذه الحالة أن الآية الكريمة تحدثت عن ما يقع في يوم القيامة من الحساب والإدانة ، وأنه يوم لا يملك فيه أحد أن ينفع أحداً أو يضره ، وهذا المعنى بمثابة دحض مزاعم المشركين المكذبين بيوم الدين ، الذين قال بعضهم إن آلهتنا تشفع لنا عند الله إنْ وقع يوم القيامة .

أما المعنى في الحالة الثانية على قراءة رفع (يَوْمُ) فيكون المقصود منه تأكيد وقوع يوم القيامة يوم الحساب ، وذلك لأن الجملة على هذه القراءة جملة اسمية وتقدير الكلام : وما أدراك ما يوم الدين ؟ هو يوم لا تملك فيه نفس لنفس شيئاً ، ويفهم معنى التأكيد من التعبير بالجملة الاسمية التي تفيد التأكيد والثبوت والتحقيق ، وتمكين المعنى في نفس السامع بحيث لا يخالجه فيه ريب ، ولا يعتريه شك [2]. ويستفاد من هذه الحالة أنَّ الآية تركز إخبارها على تحقق وقوع يوم القيامة ، وتأكيد حدوثه .

---

(1) ينظر : العلوي : الطراز ، 2 / 18 .
(2) ينظر : المصدر السابق ، ص 2 / 16 .

وإذا نظرنا إلى السياق العام لسورة الانفطار التي وقعت فيها هذه الجملة التي نحن بصددها سنجد أن السياق كله يركز على أمرين اثنين هما : إثبات وقوع يوم القيامة وتحققه، وذكر ما سيحدث فيه من علامات وما يقع فيه من حساب على الأعمال.

وإذا عُلِمَ ذلك فإنه سيظهر بوضوح أن المعنيين الذين نتجا عن تنوع الروابط لاختلاف القراءتين في الآية الكريمة هما معنيان يتفقان مع السياق العام للسورة ، وينسجمان معه انسجاماً كاملاً ، فالمعنى على القراءة الأولى بنصب " يومَ " الذي يركز على أحداث يوم القيامة يوافق الأمر الثاني الذي يعرضه السياق العام لسورة الانفطار ، والمعنى على القراءة الثانية برفع " يومُ " الذي يركز على تأكيد وقوع يوم الجزاء يوافق الأمر الأول الذي ركزت عليه سورة الانفطار في سياقها .

ويؤكد هذا الأمر عرض بعض آيات السورة الكريمة ، فالسورة افتتحت بذكر بعض أحداث يوم القيامة المهولة المفزعة لتأكد تحقق وقوعه ، مصورة هذه الأحداث أروع تصوير كأنها ماثلة أمام أعين السامعين ، قال الله ـ تعالى ـ : (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ . وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ. وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) [الانفطار: 1 -4].

وجاءت بعد هذه الآيات آيات تبين أن أعمال الإنسان معلومة ، مكتوبة عليه، تكتبها الملائكة ، وأنه مجزي بعمله ، وهذه المعاني توافق المعنى الثاني الذي ركز عليه السياق العام للسورة ، قال الله ـ جل وعلا ـ : (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ...).

وهكذا فإنه يتبين من البحث والتحليل أن الروابط تتغير من قراءة إلى أخرى ، وأن تغيرها يؤدي إلى تغير المعنى ، لكن هذا التغير لا يحدث تنافراً ولا تناقضاً ، وإنما تتكامل المعاني وتتضافر لتقدم مضموناً متسقاً ، وقدظهر كيف أنَّ كل معنى من معاني القراءات يتفق مع السياق العام للنص القرآني الكريم ، ويتسق معه ومع غرضه اتساقاً دقيقاً ، ويتناغم معه تناغماً عجيباً يعد غايةً في الإعجاز والبلاغة .

فالسياق العام في سور القرآن الكريم يعرض الفكرة الرئيسة لكل سورة عرضاً دقيقاً ، حيث إن الجمل التي تشتمل عليها السورة تخدم كل جملة منها تلك الفكرة ، فتكون كل جملة كاللبنة في البناء ، لذلك فإنَّ الباحث في الأسلوب القرآني يجد الفكرة الرئيسة مكونة من مجموع الأفكار الجزئية التي تحملها الجمل ، وهو يجد عناصر تلك الفكرة ، ومفردات ذلك المضمون في كل لون من ألوان البلاغة ؛ يجده في الإسناد الخبري أو الإنشائي ، ويجده في التقديم أو التأخير ، وفي الحذف أو الذكر ، وفي الإيجاز أو الإطناب ، وفي الربط المعنوي أو اللفظي . . . الخ .

فأما وجود جزئيات الفكرة والمضمون في الربط بنوعيه المعنوي واللفظي فإنه يتجلى في كون الربط المعنوي يقع في موضع لا يحسن فيه الربط اللفظي ، وأن الربط اللفظي يأتي في موقع لا يصلح فيه الربط المعنوي ، فإن صحَّ ترابط الجملتين بالرابط المعنوي أو اللفظي في موضع ما على حدٍّ سواء فإنَّ ذلك مع قلته يعود إلى اختلاف القراءات القرآنية ، وهو مع ذلك يمثل إعجازاً فريداً من نوعه ، وذلك لأن منشئ الكلام إذا ربط بين جملتين برابط لفظي ما ، وكان هذا الربط يؤدي معنى صحيحاً بليغاً فإن استبدال هذا الرابط اللفظي برابط معنوي سيؤدي إلى تغير المعنى تغيراً يخرجه عن السياق العام للنص ، هذه هي الحقيقة المطردة في التعبيرات البشرية ، لكننا رأينا الأسلوب القرآني يربط بين الجملتين برابط معنوي في قراءة من القراءات ، ويربط بين الجملتين نفسيهما برابط لفظي في قراءة أخرى يحدث ذلك من غير أن يخرج المعنى في كل قراءة عن السياق العام ، بل إنَّ كل معنى من المعاني المترتبة على اختلاف القراءات يقع موقعه من السياق ، ويخدمه ويتسق معه ، فيكون بين المعنيين تكامل .

وقد ظهرت هذه الحقيقة عند تحليل الترابط وعناصره في جملتي سورة الانفطار بل في تحليل السياق العام للسورة الكريمة ، كما ظهرت هذه الحقيقة عند تحليل النماذج القرآنية التي وردت في هذا المبحث ، ولا يسعُ الإنسان المتأمل لآيات القرآن وجمله إلا أن يقرَّ بأنه نصٌّ بليغ معجز إن رام معرفة درجة إعجازه ، فإن تأمله سيوصله إلى أنَّ النص

الكريم يقع في ذروة الإعجاز الذي لا تطيقه القوى البشرية ، وهذا يثبت أن هذا الكلام هو كلام الله ـ جل وعلا ـ وليس من إنشاء مخلوق من المخلوقات .

وأما إنْ رام الباحث المتدبر معرفة مدى جمال النص القرآني ومدى تأثيره في النفس فإنه سيأسر قلبه ، وسيملك أحاسيسه ، فيحس عند سماعه بطمأنينة وسكينة ، ويشعر بعذوبة وقعه ، وإن أراد الباحث مجرد المعاني والأفكار فإنه سيظفر بأسمى المعاني ، وبديع الأفكار ، والذي يعني الباحث هنا هو ظهور هذه الحقائق ناتجةً عن بحث الترابط وتنوعه .

ولعلّ التدليل على ذلك بسوْق نموذج من الشعر لأحد شعراء العربية المبرزين يظهر مدى صحة ما قُرِّر آنفاً ؛ قال أبو تمام [1]:

زَعَمَتْ هَـواكَ عَفـا الغَـداةَ كمـا عَفَـتْ ... مِنْهـــا طَلُـــول بــــاللِّوى ورُسُـــومُ
لا والـــذي هُـــوَ عـــالمٌ أَنَّ النَّـــوَى ... صَـــبِرُ وَأَنَّ أَبَـــا الحُسَـــيْنِ كَـــرِيمُ
مـا زُلْـتُ عَـنْ سَـنَنِ الـوِدَادِ ولا غَـدَتْ ... نَفْســـي عَلـــى إِلْـــفٍ سِـــواكَ تَحُـــومُ

ففي البيت الثاني ربط أبوتمام بين جملة " وأن أبا الحسين كريم " وجملة " أن النوى صبرُ " برابط لفظي هو " الواو " ، العاطفة ، وقد عاب علماء البلاغة هذا الربط " الوصل " لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى ، وكان الصحيح عندهم أَنْ " يفصل " بين الجملتين فيجعل الجملة الثانية استئنافاً . فهذا الموضع يناسبه الربط المعنوي لا الربط اللفظي ، ولا يصح حمل البيت على نوعي الترابط فيؤدي كلٌّ نوع معنى صحيحاً .

وعلى الرغم من أنّ أبا تمام صاحب بلاغة معروفة ، وبراعة في صياغة الشعر ، ودراية باللغة وتراكيبها فإنه لم يتمكن من صياغة البيت بطريقة يجوز فيها " الوصل والفصل " أي : الربط اللفظي والربط المعنوي ، وهذا يدل دلالة واضحة على صعوبة هذا المسلك ووعورته ، وأنه يحتاج إلى بلاغة تفوق بلاغة البشر .

---

(1) أبوتمام ، حبيب بن أوس الطائي : ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد عبده عزَّام ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الرابعة ، من غير تاريخ ، 3 / 289 - 290 .

وإذا علمنا ذلك أدركنا أن القرآن الذي استطاع بأسلوبه البديع أن يحقق تنوعاً في نوع الربط مع المحافظة على صحة المعنى ، وتكامله علمنا أنه ذو أسلوب بليغ بديع ، وصياغة دقيقة لا يطيقها البشر ، ويعجزون عن مجاراتها .

المبحث الثاني

تنوع الروابط بين الجمل الفعلية واختلاف القراءات القرآنية

بعدما بحثنا في المبحث السابق تنوع الروابط بين الجمل الاسمية ورأينا أثر هذا التنوع في القراءات القرآنية ، والمعنى ، يحاول البحث في هذا المبحث دراسة جانب آخر من جوانب تنوع الروابط هو جانب تنوع الروابط التي تربط بين الجمل الفعلية ، ويهدف من وراء ذلك إلى الكشف عن أثر القراءة القرآنية في تنوع الروابط ، وما ينتج عن ذلك التنوع من معانٍ ، وما تنطوي عليه هذه المعاني من أثر بلاغي في النص .

إن البحث عن تنوع الروابط بين الجمل الفعلية يكشف أنها تندرج تحت حالات ثلاث هي : الحالة الأولى ويكون التنوع دائراً بين الربط بالواو العاطفة في قراءة ، وبين الربط بالاستئناف المجرد عن الواو في قراءة أخرى ، والحالة الثانية يكون الترابط دائراً بين الربط بالاستئناف الحرفي والترابط بالاستئناف المجرد ، والحالة الثالثة يكون الترابط دائراً بين الترابط بالاستئناف الحرفي والترابط اللفظي بحرف العطف .

فهذه حالات ثلاث كشف عنها البحث في النص القرآني ، والترابط يدور فيها بين الترابط المعنوي بالاستئناف المجرد والاستئناف الحرفي كما هو في الحالة الثانية ، ويدور الترابط بين الترابط المعنوي والترابط اللفظي كما في الحالتين الأولى والثالثة ، وفيما يلي بيان هذه الحالات مع ذكر النماذج القرآنية وتحليلها .

- الحالة الأولى :

تتنوع الروابط بين جملة فعلية وجملة فعلية أخرى ؛ فيكون الربط بينهما بالواو العاطفة على قراءة وبالرابط المعنوي على قراءة أخرى وذلك كما في الجملة الكريمة : (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا)، فقد قرأ القراء الأربعة عشر الجملة بإثبات الواو العاطفة في (وَقَالُوا) إلا ابن عامر الشامي قرأها بغير الواو (قَالُوا) على الاستئناف [1]، والنص الكريم الذي جاءت هذه الجملة في سياقه هو قول الله ـ تعالى ـ : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) [البقرة : 113 - 116] .

وبالنظر إلى السياق الكريم الذي جاءت فيه الجملة نجد أنَّ جملة (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) مرتبطة بجملة (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ) والرابط بينهما رابط لفظي هو الواو العاطفة التي أشركت الجملة المعطوفة في حكم المعطوف عليها ، والحكم هنا هو إسناد القول إلى اليهود ، فإن اليهود وقع منهم قول هو : ليست النصارى على شيء ، وقالوا ـ أيضاً ـ : اتخذ الله ولداً ، والربط هنا بالرابط اللفظي الذي يسميه علماء البلاغة " وصلاً " جاء ليفيد معنى خاصاً هو إضافة معلومة أخرى على ما وقع من اليهود الذين يتحدث عنهم السياق القرآني في نص الآيات التي وقعت فيه الجملتان المترابطتان .

إن هذه الفائدة التي تمخضت عن الربط اللفظي تظهر صحة النتيجة التي توصل إليها باحث معاصر من قبل ، حيث إنه أدرك أنَّ الربط المعنوي يختلف عن الربط اللفظي ـ مع أنه أبقى على مصطلحي البلاغة التقليدية ، يقول منير سلطان : " فطبيعة الفصل أن

(1) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 190 ، ومكي بن أبي طالب : الكشف ، 1 / 260 .

يعرض للشيء الواحد مرتين أو أكثر من زوايا مختلفة ، بينا يكون الوصل في إضافة عناصر جديدة على الشيء نفسه ، أو معلومات إضافية ، أو زوايا خفية لم تُمَسُّ " [1]، والدلالة الناتجة عن الربط بالرابط اللفظي في هذه الآية التي نحن بصددها هي إظهار تعنت اليهود وغرورهم وضلالهم ، فبعدما ذكرت الآيات السابقة بعض أقوالهم وأفاعيلهم الدالة على تعنتهم وضلالهم كما يظهر من قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة : 113] ومن قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [البقرة : 114] بعد ذكر هذه الأمور جاءت جملة ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ للمبالغة في إظهار تعنتهم وضلالهم ، فإنَّ الربط بـ " الواو " يفيد تعديد مجموعة من الأمور الدالة على المعنى المراد من النص ، وبهذا الربط تحقق ظهور كثير من الصفات والأقوال التي توحي ببلوغ اليهود درجة عالية من التعنت والضلال ، ويتولد عن ذلك شعور ببغض هذه الصفات والأقوال الباطلة وهذا الأمر هو أحد الأهداف التي يسعى السياق إلى تحقيقها .

وإذا كان هذا هو المعنى المقصود من الربط بالرابط اللفظي ، وهذا هو الهدف المراد منه ، فَتُرى ما المعنى الذي يحمله النص عند الربط بالرابط المعنوي ؟ وما الهدف المراد من السياق حينئذ ؟ للإجابة عن هذين السؤالين ينبغي إعادة النظر إلى النص والسياق في ضوء قراءة ابن عامر ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ من غير " واو " أي بالاستئناف المجرد ، إنَّ النظر إلى النص على هذه الحالة يبرز أنَّ الجملة المذكورة ترتبط معنوياً بمجموع الجمل السابقة التي جاءت قبلها في السياق والتي عددت صفات اليهود وأقوالهم وأفعالهم ، وهذا الترابط ترابط ذهني ، لأن المتلقي بعد أنْ سمع ما مرَّ من عجائب هؤلاء اليهود يخطر له أن يقول : لقد أسمعتنا من مساوئهم أموراً عجيبة فهل انتهت مساوئهم أم لهم مساوئ غيرها ؟ [2] وهنا تأتي الجملة الاستئنافية جواباً عن السؤال المتوقع ، فيقال له : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ أي : لا لم تنته مساوئهم بل إنهم يتصفون بما هو أسوأ وذلك أنهم قالوا : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ واعتقدوا ذلك .

---

(1) منير سلطان : بديع التراكيب في شعر أبي تمام " الجمل والأسلوب " ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، مصر ، ط 1 ، من غير تاريخ ، ص 231 .
(2) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 1 / 683 .

ويظهر من هذا التوضيح أن الترابط المعنوي بين جملة (﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾) والجمل التي قبلها كان بعلاقة " البيان " وذلك لأن جملة الاستئناف جاءت لتبين المراد من عرض مضمون الجمل التي قبلها .

وفائدة مجيء الترابط معنوياً ، وكون الجملة مستأنفة هو القصد إلى جعل مضمون الجملة (﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾) مضموناً مستقلاً بنفسه ، وهذا يظهر اعتناءً خاصاً بهذا المضمون لأهميته ، فقول اليهود " اتخذ الله ولداً " قول كبير ، واعتقادهم بذلك ضلال عظيم ، ولأجل ذلك جاء الترابط معنوياً ليبرز التركيز على هذا المضمون. وكأن المعنى المقصود هو : إنَّ اليهود يتصفون بصفات مشينة ويقولون قولاً باطلاً وهم يتصفون بما هو أعظم وأكبر ويقولون ما هو أخطر وأكذب وذلك هو قولهم : اتخذ الله ولداً .

وبعد بيان المعنى المقصود من الربط اللفظي والربط المعنوي يتضح أن لكل نوع منهما معنى ينتج عنه ، ولكل منهما غرض بلاغي ، والمحصلة النهائية أنَّ كلا المعنيين مقصود ، وإنما تحصل الفائدة التامة المقصودة من النص بمجموع المعنيين ، وهما معنيان غير متعارضين بل إنَّ كل معنى منهما يتسق مع السياق ويخدم الغرض المراد ، والأمر بالنسبة للغرض البلاغي مثل ذلك ، فالغرض من الربط اللفظي بالواو المبالغة في إظهار كثرة الصفات المشينة التي يتصف بها اليهود ليبغضها المتلقي ، أمّا الغرض من الربط المعنوي فهو التركيز على صفة الشرك التي اتصفوا بها ليعلم المتلقي أن الله ينكرها فيبغضها وينفر منها .

والملاحظ أن الغرض البلاغي في كلتا حالتي الترابط هو " تحقق بُغْضِ الصفات الموصوف بها اليهود " مع وجود فارق بين الغرضين ؛ فالحالة الأولى تظهر مع هذا الغرض شدة تعنت اليهود وضلالهم بصورة مشينة ، والحالة الثانية تظهر أن قولهم " اتخذ الله ولداً " قول كبير، (﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾) [الكهف : 5] ، فالحالة الأولى ذمّ لليهود القائلين ، والحالة الثانية ذم للقول نفسه .

ومن الجمل التي ارتبطت بالواو العاطفة تارة وبالاستئناف المجرد تارة أخرى جملة (وَيَقُولُ الَّذِينَ آَمَنُوا) في قول الله ـ تعالى ـ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ . وَيَقُولُ الَّذِينَ آَمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ) [المائدة : 51 - 53] .

فالجملة القرآنية (وَيَقُولُ الَّذِينَ آَمَنُوا) قرأها نافع وابن كثير وابن عامر وأبوجعفر وابن محيصن بغير الواو أي : (يَقُولُ) مع رفع الفعل ، على أن الكلام جملة استئنافية ، وقرأها الباقون بإثبات الواو العاطفة ورفع الفعل إلا أبا عمرو ويعقوب فقد نصبا الفعل بالعطف على " أن يأتي " أو على " فيصبحوا " [1] ، فهذه ثلاث قراءات يكون الربط في إحداها ربطاً معنوياً ، وفي قراءتين يكون الربط لفظياً بالواو العاطفة مع اختلاف في المعطوف عليه بين القراءتين .

وبناءً على قراءة استئناف (يَقُولُ) من غير واو فإن جملة (يَقُولُ الَّذِينَ آَمَنُوا) [المائدة : 53] ، ترتبط ارتباطاً معنوياً بجملة : (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) [المائدة : 52] ، والرابط المعنوي بين الجملتين علاقة " التناظر " ، فالجملة الأولى تعرض موقف المنافقين الذين في قلوبهم مرض ، وموقفهم هو المسارعة إلى موالاة اليهود ومعاونتهم ، أمَّا الجملة الثانية فهي تعرض موقف المؤمنين الذين تبرؤوا من موالاة اليهود[2]، فالموقفان متناظران ، وهذا التناظر أمر معنوي ذهني سوغ تجاور الجملتين ، وأوجد مناسبة بينهما .

وفائدة هذا النوع من الترابط أنه جعل الجملة استئنافاً ، وكون الجملة استئنافاً يعد إشارة إلى الاعتناء بمضمون هذه الجملة اعتناءً خاصاً هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الاستئناف جاء استئنافاً بيانياً أي أنه جواب عن سؤال مقدر يوحي به الكلام السابق الذي

---

(1) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 254 ، مكي بن أبي طالب : الكشف ، 1 /411- 412.
(2) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 6 / 216 وما بعدها .

هو الجملة التي ترتبط بجملة الاستئناف ، والاعتناء بمضمون الجملة اعتناءً خاصاً فيه سر بلاغي تمثل في أنَّ التعبير بـ (يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا) فيه ثناء على القائلين ، وإبراز لهم ولقولهم الذي هو الحق ، وفي مقابل هذا الثناء والاعتناء يفهم ـ حسب مفهوم المخالفة ـ أنَّ الله ـ جل وعلا ـ يذم المقابلين للمؤمنين الذين قالوا خلاف قولهم.

أمّا كون الاستئناف في الجملة استئنافاً بيانياً فإن ذلك يجعل الكلام منطوياً على أوجه من وجوه البلاغة ، منها : أنَّ الاستئناف البياني يوجد نوعاً من التواصل بين النص والمتلقي ، حيث إن الجملة المستأنفة تأتي جواباً عن سؤال مقدر يدور في ذهن المتلقي يبحث له عن جواب ومجيء جملة الاستئناف جواباً تحدث تفاعلاً بين النص والمتلقي ، وتجعل المتلقي مشدوداً إلى النص ، متأثراً به ، كأنه جزء من أجزاء عملية الاتصال .

ومن وجوه البلاغة في الاستئناف هنا مجيء الكلام موجزاً ، وذلك لأنَّ الاستئناف البياني يدل على وجود سؤال مقدر ، ولو صرّح بهذا السؤال لطال الكلام ، وصار فيه إطناب غير ملائم للسياق ، وعند ذلك يكون الكلام قد خرج عن حد البلاغة التي تكمن في مجيء الكلام موجزاً في سياق الإيجاز ، وطويلاً مطنباً في سياق الإطناب ، ولتتضح الصورة أكثر أعرض النص ليتبين السياق ، أوازن بين الحالتين : حالة الإيجاز وحالة الإطناب ، قال الله ـ تعالى ـ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ . وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ) [المائدة : 51 - 53] .

إن المتأمل في هذا السياق يلاحظ أن المقام مقام تشريع ، فالله يشرع لعباده يأمرهم بالتوحد وينهاهم عن موالاة الكافرين يدل على ذلك أسلوب النداء في قوله ـ جل وعلا ـ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) ، فالمقام إذاً مقام تشريع وليس

مقام حوار أو جدل أو عرض لقصة ، ومقام التشريع يقتضي الإيجاز ، لذلك حذف السؤال وجاءت الجملة المستأنفة جواباً بيانياً لتحافظ على الإيجاز الذي يناسب السياق ، أما مقام الحوار أو الجدل أو القصِ فإنه يناسبه الإطناب لعرض تفاصيل الأحداث والكلام .

وببيان هذين الوجهين من أوجه بلاغة الاستئناف البياني في هذه الجملة القرآنية، وبمعرفة دلالة الاستئناف على الثناء والمدح للمؤمنين بهذه الأمور تظهر فائدة الترابط المعنوي بين هذه الجملة وما قبلها ، ويُعلم أن لهذا النوع دلالة معنوية خاصة ، وفائدة معنوية تنطوي على أوجه بلاغية مقصودة .

وإذا تأملنا النص القرآني في ضوء القراءة القرآنية الثانية التي تربط بين الجملتين ربطاً لفظياً بالواو العاطفة فإننا نكتشف أن ثمة معنى لطيفاً ، وفائدة كبيرة لا تقل أهمية عن تلك الفائدة التي انطوى عليها الترابط المعنوي ، فقراءة جملة (وَيَقُولُ الَّذِينَ آَمَنُوا) بالواو عطفاً على جملة : (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ) تجعل الترابط لفظياً بين الجملتين ، وبهذا الترابط تكتسب الجملة الثانية: (وَيَقُولُ الَّذِينَ آَمَنُوا) معنى المشاركة للجملة الأولى ، وذلك بسبب دلالة حرف " الواو " الذي يفيد الجمع والمشاركة .

ويتمثل الجمع والمشاركة بين الجملة المعطوفة والجملة المعطوف عليها في اشتراك الجملتين في التناظر المعنوي بينهما ، وهذا التناظر ناتج عن الأمر الموجه من الله ـ جل وعلا ـ في الآية السابقة ؛ قال تعالى ـ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) [المائدة : 51] فالله ـ جل وعلا ـ ينهى عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء فنتج عن هذا الأمر موقفان : موقف المنافقين الذي عبرت عنه الجملة المعطوف عليها ، والمتمثل في مسارعتهم في موالاة اليهود ومخالفة أمر الله ، والموقف الآخر هو موقف المؤمنين الذي عبرت عنه الجملة المعطوفة والمتمثل في استفهامهم الموجه إلى اليهود : أهؤلاء المنافقون الذين أقسموا بالله يميناً إنهم لمعكم في نصرتكم والوقوف إلى جانبكم إذا قاتلكم الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنون ؟ وهذا القول يدل على

سخرية المؤمنين من اليهود ومن والاهم من المنافقين ، لأن المنافقين تخلوا عن اليهود عندما حاصرهم الرسول والمؤمنون .

إن المقابلة الحادثة بين الجملتين المترابطتين تشير إلى معنى آخر يختلف عن المعنى الذي نتج عن الترابط المعنوي ، لكن هذا الاختلاف بين المعنيين لا نجد فيه تناقضاً ولا تعارضاً .

ومن الجمل التي ارتبطت تارة بالواو العاطفة وتارة بالاستئناف المجرد جملة : (وَقَالَ مُوسَى) فهي ترتبط بجملة (قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى) وذلك في قول الله ـ تعالى ـ : (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الأَوَّلِينَ . وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ . وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي . . .) [القصص : 36 - 38] .

وارتباط الجملتين بالواو العاطفة على قراءة جمهور القراء[1] ، يجعل الارتباط حينئذ برابط لفظي هو " الواو " العاطفة ، وهو من عطف الجملة على الجملة ، " وكأن القصد الجمع بين مقالتهم ومقالة موسى عليه السلام ومقالة فرعون "[2] . وترتبط الجملتان برابط معنوي على قراءة ابن كثير وابن محيصن ، فقد قرآ الجملة بغير واو على الاستئناف : (قَالَ مُوسَى) [3]، والرابط المعنوي في هذه الحالة هو رابط " النقض " ، لأن الجملة المستأنفة نقض لكلام المنكرين من قوم فرعون الذين اتهموا موسى ـ عليه السلام ـ بالسحر ، فردّ عليهم ناقضاً قولهم (قَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى) .

والاستئناف هنا استئناف بياني لأنه جواب عن سؤال مقدر توحي به الجملة السابقة ، فإنَّ السامع إذا سمع كلام قوم فرعون (قَالُوا مَا هَذَا إلا سِحْرٌ مُفْتَرًى) خطر على باله

---

(1) ينظر : ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، 2 / 256 . والبناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص436 .

(2) قاسم أحمد الدجوي وآخر : قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر ، ص 111 .

(3) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 436 .

سؤال مفاده : وما هو ردُّ موسى عليهم ؟ فيأتي الجواب بالجملة الاستئنافية : (قَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ) ، وبناء على ذلك فإن اختلاف القراءات أدى إلى اختلاف نوع الرابط .

- الحالة الثانية :

وبعد بيان الحالة الأولى التي دار الربط فيها بين الربط المعنوي بالاستئناف المجرد والربط اللفظي بالواو العاطفة ، يأتي الحديث عن الحالة الثانية من حالات تنوع الروابط بين الجمل الفعلية أقصد الحالة التي يدور فيها الترابط بين الترابط المعنوي بالاستئناف الحرفي والترابط اللفظي بالحرف ؛ ويدخل تحت هذه الحالة ترابط جملة (حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) بما قبلها وذلك في قول الله ـ تعالى ـ : (أمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) [البقرة : 214] .

فجملة (حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ) مرتبطة بجملة (مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا) ، والعلاقة بين الجملتين علاقة معنوية وهي علاقة " السببية " ، يتضح هذا الترابط جلياً من تأمل سياق النص الكريم ؛ فإن قول الرسول والذين آمنوا معه (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) سببه ما أصابهم من البأساء والضراء والزلزلة التي أرهقتهم .

وتقرأ كلمة (يَقُولُ) بالرفع في قراءة نافع المدني[1] وفي هذه الحالة تكون " حتى " حرف استئناف ، فالترابط في هذه الحالة ترابط معنوي كما سبق ذكره ، ويترتب على هذا النوع من الترابط تناسب بين نوع الربط والسياق ، وذلك لأن هدف السياق تثبيت قلب الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنين الذين معه ، وتسلية قلوبهم ، وتبشيرهم بالنصر كما كان النصر لكل رسول ولمن معه من الأمم السالفة .

ولما كان هذا هو هدف السياق الذي جاءت فيه هذه الجملة فإن ترابط الجملة كان معنوياً ، وكون الجملة مستأنفة يدل على حكاية حال القوم المزلزلين ورسولهم الذين قالوا

(1) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 202 .

(مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) ، وحكاية الحال هذه تجعل تلك الحال كأنها حاضرة ماثلة أمام أعين المخاطبين الذين هم الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه فيكون ذلك الحضور بهذه الطريقة التعبيرية محققاً لما يهدف إليه السياق من تثبيت لقلب الرسول ومن معه ، وتسلية لهم ، والتبشير بالنصر القريب وقد فطن ابن عاشور إلى مناسبة هذه القراءة للسياق فقال : " فقراءة الرفع أنسب بظاهر السياق ، وقراءة النصب أنسب بالغرض المسوق له الكلام ، وبكلا القراءتين يحصل كلا الغرضين " [1].

أما قراءة نصب (يَقُولَ) التي هي قراءة القرَّاء الأربعة عشر عدا نافع المدني [2]، فإن الترابط يصير بين جملة (حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) وجملة (مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ) ترابطاً لفظياً بحرف الجر " حتى " ، وهي بمعنى" إلى " ويكون المعنى حينئذ هو : مست البأساء والضراء الرسول ومن معه وسيستمر ذلك إلى أن يقولوا متى نصر الله ؟ ، وهذا يعني أنّ أمر إصابة الرسول ومن معه بالبأساء والضراء وقع في الماضي وسيستمر إلى أن يستبطئوا نصر الله فيقولون في المستقبل متى نصر الله ؟ وذلك لأن " حتى " يقدر بعدها " أَنْ " المصدرية التي تخلص الفعل للمستقبل ، فيكون الفعل الذي بعدها زمنه المستقبل بالنظر إلى زمن الفعل الذي قبلها وهو هنا زمن المس بالبأساء والضراء والزلزلة[3] ، وعلى كل حال فإنَّ الفعلين : " مستهم " و " يقول " قد وقعا في الماضي وما تخبر به هذه الآية إنما هو حكاية حال ماضية قد وقعت .

والفرق بين المعنى الذي نتج عن الترابط المعنوي بين الجملتين ، والمعنى الذي نتج عن الترابط اللفظي بينهما هو أنَّ الترابط المعنوي يجعل المسّ بالضراء والبأساء والزلزلة غايةً لقول الرسول والذين معه : متى نصر الله ، أمّا الترابط اللفظي فيجعل المسَّ بالضراء والبأساء ، والزلزلة سبباً في قول الرسول ومن معه : متى نصر الله ، وفائدة هذا أنَّ المعنى الأول يوحي بطول زمن الابتلاء بالبأساء والضراء وأنه ممتد إلى غاية استبطاء الرسول ومن معه نصر الله ، ويوحي المعنى الثاني بشدة البأساء والضراء والزلزلة وقوة إيلامها فسبب ذلك أن طلب الرسول ومن معه النصر من الله ، فلكل معنى من المعنيين

---

(1) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 2 / 316 .
(2) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 202 .
(3) ينظر : المصدر السابق .

فائدة ، وهما مرادان مقصودان ، فإنَّ المقصود من النص إظهار مدى طول زمن الابتلاء بالبأساء والضراء ، وإظهار شدة الابتلاء وإيلامه .

- الحالة الثالثة :

وهي الحالة التي يدور ترابطها بغيرها بين الترابط المعنوي بالاستئناف الحرفي والترابط اللفظي بحرف من الحروف الرابطة جملة (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً) التي ترتبط بجملة (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ)، وذلك في قول الله ـ تعالى ـ : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) [الشورى : 51] .

ولهذا الترابط بين الجملتين وجهان : معنوي ولفظي ، فأما الترابط المعنوي فهو بالاستئناف بعدّ (أَوْ يُرْسِلُ رَسُولاً) جملة مستأنفة ، فيرفع الفعل " يرسلُ " وهو ما يوافق قراءة " نافع " ، وأحد وجهي قراءة " خلف " العاشر [1]، وعلى هذه القراءة يكون " أو " حرف استئناف ، وأمّا الترابط اللفظي فهو بحرف العطف " أو" وذلك بنصب " يرسلَ " لأنه منصوب بـ " أَنْ " مقدرة بعد حرف العطف " أو " والتقدير : أوْ أنْ يرسلَ رسولاً، وتكون " أن " وما دخلت عليه معطوف على " وحياً " والتقدير : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أنْ يوحى إليه أو أن يرسل رسولاً ، وتكون " أن " وما دخلت عليه معطوفاً على " وحياً " ، والتقدير حينئذ : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى إليه أو أن يرسلَ رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء [2].

ويظهر الفرق المعنوي بين حالتي الترابط بتأمل كل قراءة ، وبالمقارنة بين القراءتين ، وسنجد أن الربط المعنوي في قراءة نافع وقراءة خلف في أحد وجهي قراءته التي كانت برفع " يرسلُ " سنجد أن المعنى ـ والله أعلم ـ : إنَّ الله ـ تعالى ـ لم يكلم بشراً مباشرة والمكلَّم ينظر إلى ذات الله ويراه ، وإنما يكلم الله نبيه عن طريق الوحي أي : الإلهام أو يكلمه من وراء حجاب فيسمع النبي الصوت ولا يرى ذات الله ـ جلّ وعلا ـ وذلك

---

(1) ينظر : المصدر نفسه ، ص 493 .
(2) ينظر : العكبري : التبيان في إعراب القرآن ، 2 / 1136 ، ومكي بن أبي طالب : الكشف ، 2 / 254 .

حدث مع موسى ـ عليه السلام ـ أو يكلمه بواسطة رسول مَلَك الذي هو جبريل ـ عليه السلام [1]ـ فهذه ثلاث طرق لكلام الله مع أنبيائه ، والطريقتان الأولى والثانية من غير واسطة ، أما الطريقة الثالثة فهي بواسطة الملك وهي تختلف عن الطريقتين الأوليين من حيث وجود الواسطة وعدمها ، ولأن الطريقتين الأولى والثانية متفقتان في عدم وجود الواسطة وبينهما شبه من حيث إن الكلام يأتي من الله إلى نبيه مباشرة حسُن عطف الجملتين إحداهما على الأخرى ، فجاءت جملة (مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) معطوفة على (. . . إلا وَحْيًا) والجملتان محلهما النصب إذ إن التقدير كما ذكر : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أنْ يوحى إليه أو أن يكلمه من وراء حجاب . لكن الجملة الثالثة (أَوْ يُرْسِلُ رَسُولاً) ذكرت طريقة ثالثة تختلف عن الطريقتين السابقتين فلم تعطف على الكلام السابق ، وإنما جاء الفعل " يرسلُ " مرفوعاً مستأنفاً لأن الجملة عبرت عن حالة أخرى فحسن الاستئناف ، وجاء الترابط بين الجملة المستأنفة وجملة (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلا وَحْيًا) ترابطاً معنوياً .

والمعنى على قراءة نصب الفعل " يرسل " التي هي قراءة الجمهور : إن الله ـ تعالى ـ لم يكلم بشراً والمكلَّم ينظر إلى ذات الله ويراه ، وإنما يكلم الله نبيه عن طريق الوحي " الإلهام " أو أن يكلمه من وراء حجاب أو بإرسال الملك . وقراءة نصب الفعل " يرسل " تجعله معطوفاً بـ " أو " على محل " وحياً " الذي معناه " إلا أن يوحى " ، فتكون الجمل الثلاث متعاطفة والتقدير ـ والله أعلم ـ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى إليه أو أن يكلمه من وراء حجاب أو أن يرسل إليه ملكاً .

والمعنى الفارق بين القراءتين هو : أنَّ قراءة رفع الفعل " يرسل " مستأنفاً تشعر بأهمية هذه الطريقة وتبرزها ، وذلك لما يدل عليه الاستئناف عادةً من الاعتناء بالمعنى الذي يحمله ، ويمكن أن تكون الأهمية المقصودة هي أن إرسال الملك هو الطريقة الأبرز والأكثر شيوعاً ، وهذا ما يوافق واقع تلقي الأنبياء عن الله . أما قراءة النصب فهي تشعر بحصر طرق تكليم الله ـ تعالى ـ لأنبيائه في هذه الأساليب الثلاثة المذكورة في الآية

---

(1) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 16 / 53 .

الكريمة، ومن هنا ندرك أن قراءة النصب جاءت لذكر طرق التكليم وحصرها، وأن قراءة الرفع مع حصرها لهذه الطرق فإنها تلفت الانتباه إلى نوع خاص من هذه الطرق .

ويظهر من هذا التحليل بلاغة الترابط برابط الاستئناف ، وفائدة الترابط المعنوي الذي أفاد الحصر وأبرز أهمية طريقة من طرق الوحي المحصورة في الآية .

وبعد هذا العرض لحالات تنوع الروابط بين الجمل الفعلية ، وتحليل مجموعة من النصوص القرآنية فإن البحث قد كشف عن هذه الحالات الثلاث ، وتوصل إلى أن تنوع الترابط بين الجمل الفعلية ينحصر في هذه الحالات الثلاثة لا يتعداها ، فالترابط إما أن يتراوح بين الربط بالواو العاطفة والربط بالاستئناف المجرد ، وإما أن يتراوح بين الربط بالاستئناف الحرفي والربط اللفظي بحرف من حروف الربط غير العطف ، وإما أن يتراوح الربط بين الجملتين بين الترابط بالاستئناف الحرفي والترابط بحرف العطف.

وقد تبين أن هذا التنوع في الربط ناتج عن اختلاف القراءات القرآنية ، وأن هذا الاختلاف في القراءات نتج عنه تعددٌ في المعاني ، ورأينا أن هذه المعاني تتكامل وتتضافر لتقدم المعنى المراد المقصود ، وهذه النتيجة تؤكد حقيقة مفادها أن اختلاف أسلوب التعبير يؤدي إلى اختلاف المعنى ، فالمعاني تبع لطريقة التعبير . ومما يميز القرآن في هذا الجانب أنه تتكامل فيه طرق التعبير ، ولا تتناقض ، ففي تنوع القراءات يظهر وجه من وجوه الإعجاز إذ تقدم كل قراءة معنى يلائم السياق الذي وردت فيه الجملتان المترابطتان ، وبالجمع بين القراءات المختلفة للجملة الواحدة سينتج مجموعة من المعاني كل منها مراد مقصود ، وكلٌّ منها يلائم السياق العام للنص الذي وقعت فيه .

المبحث الثالث

اختلاف أسلوب الجملة وأثره على الروابط

تبين لنا في المبحثين السابقين أن تنوع الروابط الناتج عن اختلاف القراءات القرآنية أدى إلى إثراء المعنى ، وتعدد المضامين ، وعرفنا أن ذلك وجه من وجوه الإعجاز البلاغي في أسلوب القرآن ، ويحاول البحث هنا أن يستكشف وجهاً آخر من وجوه التنوع الأسلوبي ، ذلك الوجه الذي تأتي فيه الجملة القرآنية بأسلوبين مختلفين : بأسلوب خبري في قراءة من القراءات القرآنية ، وبأسلوب إنشائي في قراءة أخرى .

إن اختلاف أسلوب الجملة القرآنية ومجيئها تارة خبرية وتارة أخرى إنشائية يجعل الباحث أمام نص ذي وجهين من الناحية التركيبية ، وبما أَنَّ لكلّ تركيب لغوي معنى فإن على الباحث أن يعمل على كشف معنى كل تركيب . ولأن المنهج المتبع في هذا البحث هو " التحليل الأسلوبي " فإنني أسعى من خلال تحليل الجمل المترابطة إلى بيان معنى كل تركيب ، ثم أحاول أن أكشف عن الفرق المعنوي بين التركيبين ، والعلاقة بين كلا المعنيين ، ومدى توافق كل معنى مع السياق العام للنص الذي وقعت فيه الجملة موضوع البحث .

وقد أسفرت عملية البحث لحصر الجمل المختلفة الأسلوب بسبب اختلاف القراءة عن الكشف عن ثلاثة أقسام لهذا الاختلاف ، وهذه الأقسام هي : قسم يدور الاختلاف فيه بين الخبر والإنشاء بصيغة الأمر ، وقسم يدور الاختلاف فيه بين الخبر والإنشاء بصيغة النهي ، وقسم ثالث يدور الاختلاف فيه بين الخبر والإنشاء بصيغة الاستفهام .

وفيما يأتي بيان هذه الأقسام الثلاثة ، وتحليل النماذج الخاصة بكل منها تحليلاً أسلوبياً من أجل إبراز خصائص كل قراءة ، وكشف أثر اختلاف الأسلوب على نوع الربط والمعنى المستفاد من الجملة .

- القسم الأول :

وهو القسم الذي يكون فيه أسلوب الجملة خبرياً على قراءة ، وإنشائياً على قراءة أخرى ويكون الإنشاء بصيغة الأمر ، ولهذا القسم حالتان : الأولى يكون الأمر بصيغة فعل الأمر، والحالة الثانية يكون الأمر بصيغة الفعل المضارع المقترن بلام الأمر .

فمن أمثلة الحالة الأولى التي دار الأسلوب فيها بين الخبر والإنشاء بصيغة فعل الأمر قول الله ـ جل وعلا ـ : (قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ) [الأنبياء : 112] ، فقد قرأ حفص الفعل " قال " بصيغة الماضي ، وقرأ الباقون الفعل بصيغة الأمر : أي قل(1). فاختلف أسلوب الجملة باختلاف القراءة ، فهي جملة خبرية على قراءة حفص ، وإنشائية على قراءة الباقين .

والمعنى على قراءة الخبر هو : إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال داعياً : ربّ اقضِ بيني وبين المكذبين بالقضاء العدل المقتضى تعجيل العذاب على المكذبين والجملة على هذا حكاية لدعاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم (2)، أما المعنى على قراءة الإنشاء فهو : إن الله ـ جل وعلا ـ أمر نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ " بتفويض الأمر إليه وتوقع الفرج من عنده ، أي احكم بيني وبين هؤلاء المكذبين وانصرني عليهم" (3).

والجملة في حالة قراءتها على الخبر ترتبط بجملة : (وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) ، ويظهر الترابط واضحاً بعرض النص ، قال الله ـ تعالى ـ : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ . قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ . إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ . وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ . قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) [الأنبياء : 107 -112].

(1) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 395 .
(2) ينظر : الألوسي : روح المعاني ، 17 / 108 .
(3) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، 11 / 351 .

والعلاقة الرابطة بين الجملتين هي علاقة " التوكيد " حيث إن جملة (وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ) تدل على أن إمهال الله للمشركين اختبار لهم ، وأن هذا الاختبار له أجل ، فإذا انقضى الأجل وقع بالمشركين المكذبين العذاب الذي توعدهم الله به ، والجملة المستأنفة (قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ) دعاء من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتعجيل هذا العذاب ، والدعاء بتعجيل وقوع العذاب توكيد للوعيد بوقوعه ، وفائدة التوكيد هنا هو إثبات وقوع العذاب بالمشركين ، وزيادة في التهديد والوعيد .

وإذا تأملنا النص الكريم في حالة قراءة الجملة على الإنشاء فإننا سنجد أن جملة (قل رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ) ترتبط ارتباطاً معنوياً بذات الجملة التي ارتبطت بها في حالة قراءتها على الخبر ؛ وهي جملة (وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ) ، والعلاقة الرابطة هي علاقة " التوكيد " ، فتغير أسلوب الآية هنا بسبب اختلاف القراءة لم يؤد إلى تغير جهة الترابط ، ولا نوع الرابط ، والفارق بين حالتي الجملة : الخبرية والإنشائية ، هو أن التعبير بالخبر يدل على وقوع الدعاء من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المشركين المكذبين ، وكون الدعاء قد وقع فهذا يعني أن الرسول أُمِرَ به ، والقراءة الثانية بالإنشاء تدل على أن الدعاء من الرسول لم يقع بعد وأن الله هو الذي أمره بذلك، وبناء على هذا فإن قراءة الجملة على الخبرية تضمنت معنى قراءة الإنشاء .

والقراءتان كما يظهر جلياً متعاضدتان متضافرتان وتؤكدان ذات المعنى الذي هو تحقق وقوع العذاب بالمشركين المكذبين الذين أنكروا الإسلام ، وعارضوا التوحيد .

ومن الجمل القرآنية التي دار أسلوبها بين الخبر والإنشاء بصيغة الأمر الذي أتى بفعل الأمر جملة (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ) : [الزخرف : 24] فقد قرأ ابن عامر وحفص الفعل بصيغة الماضي أي:" قال " وقرأ الباقون بصيغة الأمر أي

" قُلْ"[1]، فعلى قراءة ابن عامر وحفص يكون أسلوب الجملة خبرياً ، وعلى قراءة الباقين يكون أسلوبها إنشائياً .

والمعنى عند من قرأ الجملة بأسلوب خبري هو : " قال لهم النذير : أولو جئتكم." [2] ففاعل " قال " ضمير مستتر تقديره " هو " يعود على " نذير " المذكور في الآية السابقة ، قال الله ـ تعالى ـ : (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) [الزخرف : 23 - 24] .

والمعنى الإجمالي : إن الله كلما أرسل نذيراً في قرية من القرى كان جواب المترفين من أهلها : إنا لن نتبع الرسول النذير وسنقتدي بآبائنا ونتبع ما كانوا عليه ، وكان جواب النذير عليهم : " أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم ؟ قالوا : إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وإن جئتنا بما هو أهدى . " [3].

أما المعنى عند من قرأ الجملة بأسلوب إنشائي فهو : إن الله أمر النذير أن يقول لِمَن أنذرهم أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم وأرشد منه ؟ وبناءً على هذا فإن هذه القراءة " حكاية عن الحال التي جرت من أمر الله جل ذكره للنذير فأخبرنا الله أنه أمر للنذير ، فقال له : قل لهم أولو جئتكم "[4] ، والفرق بين القراءتين أن قراءة " قال " بصيغة الخبر جعلت جملة (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى . . .) جزءاً من الحوار الدائر بين النذير وقومه ، وهذه القراءة تناسب ظاهر السياق ، إذ إن المقصود بـ " النذير " كل نذير خلا في الأمم السابقة ، وقد جاء في تمام الآية ردّ الكافرين : (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) ، فالضمير في " أرسلتم " للجمع يعود على النذير " أي : المنذرين .

---

(1) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 495 .
(2) مكي بن أبي طالب : الكشف ، 2 / 258 .
(3) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 16 / 75 .
(4) مكي بن أبي طالب : الكشف ، 2 / 258 .

أما قراءة " قل " فقد جعلت الأمر لنذير واحد من المنذرين ، وفي هذا التفات من الغيبة إلى الخطاب ، وتحويل لجهة الكلام من حال إلى حال ، وفي هذا التحويل إيقاظ للسامع عن الغفلة ، وتطريب له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر ، ومن أسلوب إلى أسلوب آخر لينشطه ، ويستدعي إصغاءه ، وينفي الملل عنه(1) . هذه هي أسرار الالتفات في هذه القراءة.

والقراءتان متكاملتان ؛ لأن قراءة الخبر (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ) تخبر أنّ النذير بلَّغ قومه ودعاهم إلى الهدى ، وقراءة الإنشاء (قل أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ) تؤكد أن النذير صادق في دعوته لأنه يقول ما أمره الله بقوله ، ويبلغ ما أمر بإبلاغه ، وفي ذلك بيان للذين يكذبون الرسول محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن ما جاء به ليس بدعاً ، وإنماهو رسول الله كالرسل السابقين ، وما جاء به هو من عند الله ، وهذا المعنى هو أحد أغراض السياق في سورة الزخرف ، وبهذا يعلم أن كل قراءة تتمم الأخرى ، وأن كلاً منهما يناسب السياق ، ويؤدي معنى مراداً ، ولكل معنى غرض بلاغي .

وإذا تأمل الباحث السياق الذي جاءت فيه الجملة الكريمة وجد أنها ترتبط بجملة : (قَالَ مُتْرَفُوهَا) في القراءتين ، ولنعرض النص ليزداد الأمر وضوحاً ، قال الله ـ تعالى ـ : (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آَبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) [الزخرف : 23 - 24] . والربط بين الجملتين هو " البيان " على قراءة الخبر .

و" البيان " رابط معنوي ، فجملة (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ) استئناف بياني لأنها جواب سؤال مقدر يوحي به الكلام السابق ، لأن من يسمع كلام الكافرين : (إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) يسأل : وبماذا أجابهم النذير ؟ فتأتي جملة : (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ) جواباً عن ذلك السؤال .

---

(1) ينظر : العلوي : الطراز ، 2 / 72 .

وعلى القراءة بالفعل الأمر (قل أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ) يكون الرابط بين هذه الجملة وجملة (قَالَ مُتْرَفُوهَا . . .) هو علاقة " النقض " حيث إن جملة الاستئناف (قل أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ) تعني أن الرسول النذير يدعو إلى الحق والهدى ، والجملة المرتبطة بها التي هي (قَالَ مُتْرَفُوهَا) تعني أن المترفين الكافرين متمسكون باتباع آبائهم ، فكأنهم قالوا : إن ما وجدنا عليه آباءنا أهدى مما جاء به النذير ، والنذير يقول : إن ما جئت به أهدى مما وجدتم عليه آباءكم فالكلامان متعارضان ، وكلام النذير نقض لكلام المترفين، وردٌّ على ادعائهم .

وبناء على ما تقدم فإنَّ اختلاف أسلوب الجملة الكريمة (قل أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ) بسبب اختلاف القراءة القرآنية أوجد نصاً واحداً ذا دلالتين ، وتمخض عنه ترابط الجملة بعلاقتين معنويتين : لكل قراءة علاقة تختلف عن الأخرى ، ونتج عن كل ترابط من الترابطين معنى ، وبتأمل النص وسياقه نجد أن المعنيين يتكاملان ، وبمجموعهما يتحقق المعنى الكلي المراد ، ويظهر المضمون المقصود .

ومثل هذه الجملة السابقة جملة (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي) فقد قُرِئ الفعل بصيغة الخبر (قَالَ) ، و قُرِئ بصيغة الأمر (قُلْ) ، فأما عاصم وحمزة وأبوجعفر والأعمش فقد قرأوا بصيغة الأمر ، وقرأ الباقون بصيغة الماضي على الإخبار [1]، والسياق الذي وردت فيه هذه الجملة هو قول الله ـ تعالى ـ : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا . وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا . قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا) [الجن : 18 - 20) .

وقراءة (قُلْ) على صيغة الأمر تجعل الجملة مستأنفة ، " والتقدير : أوحي إليَّ أنه لما قام عبدالله إلى آخره قل إنما أدعو ربي "[2] ، وعلى هذه القراءة تكون الجملة إنشائية من نوع " الأمر " ، وترابطها بما قبلها ترابط معنوي لأنها مستأنفة ، والاستئناف يترابط ترابطاً معنوياً بما قبله .

---

(1) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 560 .
(2) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 29 / 243 .

وكان ترابط هذه الجملة المستأنفة : (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي) بجملة(يَدْعُوهُ) ، والرابط بينهما علاقة " البيان " ، وذلك لأن الجملة المستأنفة بينت المقصود بجملة " يدعوه " ، فالرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو الله أي : يعبده [1]، والجملة المستأنفة بينت أن المقصود بـ " يدعوه " أنه يعبد الله ويدعوه موحداً له .

وعلى قراءة الخبر (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي) يكون ارتباط هذه الجملة بجملة (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) ، والرابط بين الجملتين علاقة " النقض " حيث إن المعنى الإجمالي هو أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما دعا العرب إلى التوحيد كادوا يجتمعون عليه ويتظاهرون على إطفاء النور الذي جاء به[2] ، فأجابهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنه يدعو ربه وحده معتمداً عليه ، ولن يترك الدعوة إليه .

وبتأمل معنى كل قراءة ، وبعقد مقارنة بينهما يتبين أن القراءة الأولى بصيغة الإنشاء تقدم معنى يركز على التوحيد أي : توحيد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لربه في العبادة ، ونفي الشرك عنه ، وذلك لأن جملة (قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي) بيان لهذا المعنى ، وهي بيان وتوكيد لجملة " يدعوه " التي تعني التوحيد كذلك . وأما قراءة الخبر فهي تركز على معنى الدعوة إلى التوحيد ، وذلك لأن جملة (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي) معناها : إن الرسول قال : إني لن أترك الدعوة إلى التوحيد .

وبالجمع بين القراءتين ينتج معنيان هما : إن الرسول يعبد الله وحده ولا يشرك به ، وإنه يدعو الناس إلى هذا التوحيد ولن يتخلى عن دعوته ، وكلا المعنيين مقصود ، والمعنى الأول يتناسب مع الجملة التالية التي ختمت بها الآية (وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا)، والمعنى الثاني أنسب للجملة السابقة (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) ، وتُظْهِرُ هذه الحقيقة أن القراءتين تناسبان السياق ، وكون الجملة تأتي على قراءتين تختلفان في الألفاظ ولا يُحْدِثُ ذلك

(1) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 19 / 22 .
(2) ينظر الطبري : جامع البيان ، 29 / 74 .

الاختلاف تنافراً معنوياً ، أو اضطراباً في الأسلوب فإن ذلك دليل على صحة القراءتين من جهة ، ودليل على إعجاز القرآن إعجازاً أسلوبياً بلاغياً .

وأما الحالة الثانية التي يدور أسلوب الجملة فيها بين الخبر والأمر الذي صيغته المضارع المقترن بلام الأمر، فنجده في جملة (وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ) [المائدة : 47] ، فقد قرأها حمزة والأعمش بكسر اللام ونَصْب الميم من " لِيحكمَ " على أنَّ اللام للتعليل ، والفعل " يحكم " منصوب بـ " أنْ " مضمرة ، فتكون الجملة خبرية ، وقرأ باقي القراء بسكون اللام وجزم الفعل " ولْيحكمْ " ، على أن اللام هي لام الأمر والفعل مجزوم [1]، والجملة حينئذ إنشائية.

والجملة في الآية الكريمة استئنافية في الحالتين : في حالة الخبر وحالة الإنشاء ، لأن الواو في " وليحكم " هي واو الاستئناف ، والتقدير في حالة الخبر : وآتيناه - أي : عيسى - الإنجيل ليحكم . . . ، وفي هذه الحالة يكون " ليحكم " متعلق بالفعل المحذوف المقدر بـ " آتى "[2] ، وعلى هذا فإن هذه الجملة : وآتيناه الإنجيل ليحكم مرتبطة ارتباطاً معنوياً بجملة " يحكم " في قول الله - تعالى - : (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة : 44] .

والعلاقة الرابطة بين الجملتين هي علاقة " التقابل " ، حيث إن الجملتين متقابلتان في المعنى ، فالأولى إخبار بأن أهل التوراة يحكمون بما أنزل فيها ، والجملة الثانية إخبار بأن أهل الإنجيل يحكمون بما أنزل فيه .

وفي حالة قراءة الجملة على الأمر : " ولْيحكمْ . . . " فإن الجملة حينئذ ترتبط بجملة : (وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً

(1) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، 253 .
(2) ينظر : الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، 1 / 287 .

لِلْمُتَّقِينَ) [المائدة : 46] ، والرابط بين الجملتين علاقة " التفريع " حيث إن الأمر بالحكم بما في الإنجيل فرع من مجموعة أمور يؤمر بها المؤمنون ، فهم مأمورون بالإيمان بالإنجيل ، والتمسك بأحكامه ، والاتصاف بالأخلاق التي حث عليها، ومأمورون بتلاوته ، والحكم بشريعته . فهذه مجموعة أمور تضمنتها جملة (وَآَتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ) ثم جاءت (وَلْيَحْكُمْ) المستأنفة لتركز على فرع من هذه الأمور ، ولتبرز قضية مهمة من هذه القضايا وهي قضية الحكم به فيما يعرض لهم من قضاء ، والفصل بموجبه فيما يحدث بين أتباع الإنجيل من شجار ونزاع .

- القسم الثاني :

كما دار أسلوب الجملة بين الخبر والأمر فإنه قد يأتي دائراً بين الخبر والنهي ، وذلك كما في جملة (وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) في قول الله ـ تعالى ـ : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) [البقرة : 119] ، فقد قُرِيء الفعل " تُسألُ " بضم التاء ورفع اللام على أن " لا " نافية ، والفعل بعدها مرفوع، وحينئذ تكون الجملة جملة خبرية مستأنفة ، وهذه هي قراءة القراء الأربعة عشر عدا نافع ويعقوب اللذين قرآ الفعل بفتح التاء وجزم اللام منه " لا تَسْألْ " ، و " لا " التي قبل الفعل هي " لا " الناهية [1]، وتكون الجملة في هذه الحالة جملة إنشائية .

والجملة في الآية الكريمة (وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) في قراءة الإخبار جملة مستأنفة[2]، والمعنى أن الرسول محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ لن يُسأل عمن مات ولم يؤمن ، ويؤكد هذا قراءةابن مسعود ، فقد قرأ " ولن تُسألَ " وقراءة أُبيّ الذي قرأ " وما تسأل " ، والمعنى يوافق القراءة بالإخبار التي هي قراءة الجمهور ، وهو نفي أن يكون الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسؤولاً عنهم [3].

وعلى هذه القراءة يكون ترابط الجملة المستأنفة بجملة : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) [البقرة : 119] ، وهذه الجملة هي الجملة الواقعة قبل الجملة المستأنفة

---

(1) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، 191 .
(2) ينظر : المصدر السابق ، والعكبري : التبيان في إعراب القرآن ، 1 / 110 .
(3) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 2 / 93 .

مباشرةً ، والربط بينهما رابط معنوي هو " التنبيه " حيث إن الجملة المستأنفة نبهت على أن مهمة الرسول هي التبشير والإنذار ، وليست مهمته أن يهدي الناس ، ولذلك فإنه لا يسأل عن الذين ماتوا ولم يهتدوا فوجبت لهم النار في الآخرة ، وفي هذا تسرية عن الرسول الذي كان يجهد نفسه في الدعوة حرصاً منه على أن يؤمن الناس .

ونجد أن الأسلوب عندما تغير من الخبر إلى الإنشاء تغير معه الرابط وتغيرت جهته ، فقد ارتبطت الجملة ـ على قراءة الإنشاء ـ بمجموعة جمل سابقة ، وكان الرابط هو رابط " البيان " ، وبيان ذلك أن سياق الآيات عرض مجموعة من صفات الكافرين من أهل الكتاب من اليهود ، والمشركين الذين وجبت لهم النار ، وحق لهم الجحيم ، والآيات التي عرضت ذلك هي : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [البقرة : 113] ، ومن يسمعْ هذه الآيات يسألْ عن مصير هؤلاء من اليهود والنصارى ، وما مآلهم في الآخرة حين يحكم الله بينهم ؟ فتكون جملة (وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) [البقرة: 119] جواباً عن هذا السؤال ، فهي جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً .

والمعنى المقصود من النهي عن السؤال عن حالهم هو تعظيم الأمر المسؤول عنه ، وذلك من باب الكناية ، فالنهي في الجملة " كناية عن فظاعة أحوال المشركين والكافرين حتى إنَّ المتفكر في مصير حالهم ينهى عن الاشتغال بذلك لأنها أحوال لا يحيط بها الوصف ولا يبلغ إلى كنهها العقل في فظاعتها وشناعتها ، وذلك أن النهي عن السؤال يرد لمعنى تعظيم أمر المسؤول عنه نحو قول عائشة : " يصلي أربعاً فلا تَسْأَلْ عن حسنهن وطولهن " [1]، وبناءً على ذلك فإن الجملة ارتبطت بمجموع المعنى الذي يستفاد من الآية السابقة (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [البقرة : 113] .

---

(1) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، 1 / 692 . والحديث بتمامه في : صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب صلاة الليل ، الحديث رقم (738) .

وترتبط الجملة المستأنفة بجملة أخرى سبقتها في السياق هي جملة : (وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فإن هذه الجملة توحي لمن يسمعها بسؤال مفاده : ما حقيقة هذا العذاب العظيم ؟ فتكون جملة : (وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) جواباً عن هذا السؤال ، وترتبط الجملة كذلك بجملة : (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا)، فمن يسمع قول هؤلاء المشركين يسألْ : فما مصيرهم في الآخرة ؟ فيأتي الجواب بالجملة نفسها (وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ).

ومما تقدم يتبين لنا أن الجملة المستأنفة استئنافاً بيانياً قد ترتبط بمجموعة جمل قبلها ، وقد يكون الرابط بينها وبين هذه الجمل علاقة " البيان " ، وهذا يظهر قوة ترابط الجمل في السياق القرآني ، ويؤكد اتساقها وتماسكها لخدمة المضمون العام للنص الذي وردت فيه الجملة .

- القسم الثالث :

وفي هذا القسم تأتي الجملة خبرية على قراءة واستفهامية على قراءة أخرى كما في جملة (أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ) في قول الحق ـ جل وعلا ـ : (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ . مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ , أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ . إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آَيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) [القلم : 10 ـ 15] ، فنافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص والكسائي وخلف العاشر قرأوا (أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ) بهمزة واحدة على الخبر ، وقرأ الباقون بهمزتين على الاستفهام ؛ أي : (أأَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ) [1].

والفرق في المعنى بين القراءتين هو : إن قراءة (أَنْ كَانَ) على الخبر تجعل تقدير المعنى هو : يكفر لأن كان ذا مال وبنين ، وذلك لأن " أن كان " مفعول لأجله والعامل فيه فعل مضمر يدل عليه قوله تعالى : (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آَيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)

---

(1) ينظر : البناء : إتحاف فضلاء البشر ، ص 552 .

[1]، فهذا الكلام معناه : إذا تتلى عليه آياتنا يكفر ، وكان الإخبار بالجملة : يكفر لأن كان ذا مال وبنين .

وقراءة (أأَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ) تجعل المعنى : " ألئن كان ذا مال وبنين يقول إذا تتلى عليه آياتنا : أساطير الأولين ! ! "[2] والاستفهام هنا للتوبيخ ، وبناء على ذلك فإن الجملة في حالة كونها خبراً أفادت أن هذا الكافر يكفر لأجل أنه يملك مالاً وله بنون ، فكأنّ المعنى أنه طغى وكفر بسبب ماله وأولاده فالجملة إذاً بينت سبب كفره ، وفي حالة كون الجملة إنشاءً استفهامياً فإنها تفيد توبيخ هذا الكافر على قوله وكفره .

وبناءً على هذا فإن جملة (أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ) في حالة الخبر ترتبط بجملة " يكفر " المقدرة ، والتي فهمت من قوله ـ تعالى ـ : (قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) ، والرابط بين الجملتين هي علاقة " السببية " لأن الجملة بينت سبب كفره وقوله عن الآيات : أساطير الأولين ، وفي الحالة الثانية التي تكون الجملة فيها استفهامية ، فإن الجملة ترتبط بالجملة المقدرة بـ " يكفر " كذلك ، و العلاقة الرابطة في هذه الحالة هي العلاقة السببية ذاتها ، والفرق الجوهري بين الأسلوبين هو أن الأسلوب الخبري أفاد الإخبار بحال ذلك الكافر فحسب ، أما الأسلوب الإنشائي فإنه وجه الخطاب لذلك الكافر موبخاً له على كفره .

وبعد بيان هذه الأقسام الثلاثة التي اختلف فيها أسلوب الجملة بسبب اختلاف القراءة القرآنية فإن البحث يصل إلى نتيجة مفادها أنَّ اختلاف أسلوب الجملة القرآنية من الخبر إلى الإنشاء يؤدي إلى تغير المعنى ، وينتج عن ذلك معنيان ؛ ويعد هذا نوعاً من الإيجاز حيث عُبّر عن معنيين بجملة واحدة ، وقد ترتب على اختلاف أسلوب الجملة كذلك تغير جهة الربط في أكثر الأحيان ، واختلاف نوع الرابط .

إن هذه النتيجة التي وصل إليها البحث هنا تمكننا من فهم سبب اختلاف المفسرين في بيان معنى بعض الجمل القرآنية ، فكثيراً ما تروي كتب التفسير آراء مختلفة في تفسير

---

(1) ينظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 18 / 236 .
(2) المصدر السابق .

آية ما ، فينسب لابن عباس ـ مثلاً ـ تفسير ، ولابن مسعود تفسير آخر ونحو ذلك ، ومرجع ذلك هو اختلاف قراءة الآية واختلاف جهة الربط ، ونوع الرابط ، فيفسر كل مفسر الآية حسب قراءته ، وحسب تأويله .

الخاتمـــة

الحمد لله الذي تتم بفضله صالحات الأعمال ، وتختم بشكره طيبات الأقوال ، وأصلي وأسلم على نبيه محمد وآله خير آل ، وأصحابه ذوي الأفضال .

وبعد فقد بلغ هذا البحث غايته ، ووصل ذروته ، وحطَّ راحلته ، مع أنه لم تنقضِ أمنيته ، ولم ترْتَوِ غليلته ، ولكن لابد لكل شيء من أجل يبلغه ، كما أن لكل راحل محلاً يصله ، إذ إن طالب العلم كالحال المرتحل ، ولعل بلوغ البحث إلى هذه الغاية يجعله إضافة يسيرة إلى البحوث العلمية في حقل البلاغة العربية .

ويمكن أن أوجز في هذه الخاتمة ما وصل إليه البحث من نتائج ، وما تمخَّض عنه من أفكار ، ولعل ذلك يكون فاتحة بحث جديد في المستقبل إن شاء الله تعالى .

أولاً : فطن بعض علماء النحو والبلاغة والنقد والتفسير بقضية الربط ، فكانت لهم إشارات ولمحات ولكنها لم تظفر بمن يقوم بجمعها في بناء واحد ويطورها ، فلم يأت أحدٌ من الدارسين ـ فيما أعلم ـ ليجمع هذه الإشارات ، وينظم تلك اللمحات مكوناً منها بحثاً متكاملاً يكون خطوة على الطريق نحو نظرية متكاملة تعتمد على " الربط والروابط " وهي نظرية تفيد في دراسة النصوص الأدبية لما تحققه من كشف عن جوانب مهمة كالترابط بين الجمل ، ونوع العلاقة الرابطة ، وملائمة ذلك للسياق العام للنص .

ثانياً : يمثل موضوع الروابط بنوعيها : اللفظية والمعنوية أرضاً بكراً لم تزل تحتاج إلى إعمال الفكر فيها ، وإجالة النظر في مسالكها ، فيمكن للباحث أن يتناول كل نوع من هذين النوعين بالدراسة النحوية الشاملة جاعلاً من فكرة الترابط منطلقاً جديداً لدراسة النحو العربي ، فالترابط يمكن أن يكون أساساً للدراسة النحوية كما كانت نظرية العامل من قبل ، ولهذه الدراسة النحوية أهمية خاصة لأنها يمكن أن تمثل المهاد للبحث في علم المعاني الذي يعتمد في أكثر مسائله على قضايا النحو ومسائله .

ثالثاً : إن دراسة ترابط الجمل تقدم للبلاغة زاداً تطبيقياً ، ومنهجاً تحليلياً يعتمد على الأسلوب وخصائصه بغية الوصول إلى المعاني والمضامين التي يحملها النص .

رابعاً : دراسة النصوص العربية من خلال موضوع الروابط والترابط يمكن أن يحل بعض الإشكالات كقضية عطف الجملة الإنشائية على الجملة الخبرية أو العكس ، تلك القضية التي تناولها علماء البلاغة في باب الفصل والوصل وحاولوا تأويل الكلام بطريقة أخرجته عن حدّ البلاغة .

خامساً : يمدنا التحليل الأسلوبي للروابط بين الجمل وأنواعها وعلاقاتها بحقيقة الخصائص التي يتميز بها النص وهذه الخصائص المميزة هي التي تكشف عن دقائق المعاني ، فنزداد وعياً بأسرار النصوص ، ومعرفةً بأهدافها .

سادساً : تتجاور الجمل في النص القرآني الكريم وتترابط فيما بينها بالروابط المعنوية أو اللفظية ، فينتج عن هذا الترابط نص متماسك الأجزاء ، متجانس العناصر ، تتضافر فيه العلاقة الرابطة مع بقية عناصر النص الأخرى من أجل أداء المعنى المقصود ، وتحقيق المضمون المراد .

سابعاً : بالتحليل الأسلوبي للنص القرآني تبرز مجموعة من العلاقات المعنوية التي تربط بين الجمل القرآنية ، وتستغنى الجمل بهذه العلاقات المعنوية عن الترابط بالعلاقات اللفظية ، ومن أبرز هذه العلاقات المعنوية الرابطة بين الجمل القرآنية: علاقة السببية ، والتناظر ، والتضاد ، والنقض ، والتوجيه ، والتنبيه ، والبيان ، والتوكيد ، والإجمال ، والتفصيل ، والتكامل ، ونحو ذلك مما جاء بيانه في ثنايا هذا البحث .

ثامناً : يكشف التحليل الأسلوبي لعناصر الجملتين المترابطتين عن مجموعة من الخصائص الأسلوبية التي قد تكون داخلة تحت قيمة التوافق الأسلوبي بين الجملتين ، أو داخلة تحت قيمة التخالف والتقابل ، وأياً كان نوع هذه الخصائص فإن أسلوب القرآن البليغ يجعل من هذه الخصائص قيماً أسلوبية تدل على المعنى ، وتكشف عن المراد ، فهذه الخصائص تتوافق توافقاً عجيباً مع السياق الذي وردت فيه ، وتتناسب مع العلاقة المعنوية تناسباً دقيقاً ويُظْهِر هذا الأمر جانباً جديداً من جوانب البلاغة القرآنية ، ويسفر عن وجهٍ من أوجه الإعجاز لم يُشَرْ إليه فيما مضى ، ولم يتناوله الدارسون بالبحث من قبل في أغلب الظن .

تاسعاً : ينحصر الربط المعنوي بين الجمل في حالات محددة ، وهذه الحالات تكون حين تقع الجملة الثانية فيها في مواقع إعرابية معينة ؛ فهي إمّا أن تكون جملة استئنافية أو جملة تابعة ، وللجملة الاستئنافية قسمان : استئنافية مجردة عن حرف الاستئناف ، واستئنافية حرفية ، والجملة التابعة إما أن تقع بدلاً أو عطف بيان أو توكيداً ، وقد تناول البحث هذه الأقسام والأنواع بالبيان والتحليل كما يظهر في الفصلين الثالث والرابع .

عاشراً : إن نوع الرابط يتغير تبعاً لاختلاف القراءات القرآنية ، فقد يأتي الرابط بين الجملتين معنوياً على قراءة ، ولفظياً على قراءة أخرى ، وقد يكون الرابط جُمْلياً ـ أي بين أجزاء الجملة الواحدة ـ على قراءة ، ويكون جُمَلياً ـ بين جملتين ـ على قراءة أخرى ، وهذه النتيجة تظهر أهمية بحث اختلاف القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية .

حادي عشر : قد يختلف أسلوب الجملة القرآنية بسبب اختلاف القراءات ، فتأتي الجملة خبرية على قراءة ، وإنشائية على قراءة أخرى ، ويؤدي هذا الاختلاف في الأسلوب إلى تَغير نوع الرابط والعلاقة الرابطة في بعض الأحيان ، وهذا بدوره يؤدي إلى وجود معنيين للجملة : معنى يستفاد من الأسلوب الخبري ومعنى آخر يستفاد من الأسلوب الإنشائي ، ويمثل هذا الأمر ثراءً معنوياً ، وإيجازاً لفظياً .

ثاني عشر : إنّ اختلاف القراءات القرآنية أدى إلى اختلاف الرابط وأوجد للجملة القرآنية معنيين ، ويجد الباحث أن هذين المعنيين يتكاملان ولا يتعارضان ؛ بل إنهما بهذا التكامل يقدمان وجهاً آخر من أوجه البلاغة ، ذلك الوجه الذي هو الإيجاز ، حيث تعبر الجملة القرآنية عن معنيين بألفاظ محدودة .

وبعرض هذه النتائج التي أسفر عنها هذا البحث يمكن أن ندرك حقيقةً صارت ماثلةً مفادها أن موضوع الربط والروابط موضوع ذو أهمية كبيرة ، وهو باب واسع كبير يحتاج من الباحثين أن يقوموا بسبر أغواره ، والكشف عن أسراره ، لذا فإنني أوصي بتناول هذا الموضوع في دراسات متنوعة ، فيقوم باحث بدراسته دراسة صرفية، وباحث ثانٍ بدراسته نحوياً ، وباحث آخر بتناوله من الوجهة البلاغية وهكذا .

وبعد . . فإن ما قدَّمه الباحث في هذا البحث هو جهد المقل ، وحسبي أنّي قد حاولت ، وعلى الله قد توكلت ، فإن أصبت فبتوفيق الله وفضله ، وله الحمد ، وإن أخطأت فمن

نفسي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله هو ربي عليه توكلت ، وإليه يرجع الأمر كله ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

المصادر والمراجع

★ **القرآن الكريم " رواية حفص عن عاصم " .**

1 ـ إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عن العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، دار الثقافة ، بيروت : لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1981 م .

2 ـ أحمد أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة، مصر ، من غير تاريخ .

3 ـ أحمد سعد محمد : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية " رسالة دكتوراة " ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1421 هـ = 2000م.

4 ـ أحمد محمد قدور : مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ودار الفكر ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الثانية 1419 هـ = 1999 م .

5 ـ أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة ، راجعه : محمود أمين النواوي ، المكتبة المحمودية التجارية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة السادسة ، من غير تاريخ .

6 ـ الأزهري ، أبومنصور محمد بن أحمد : تهذيب اللغة ، تحقيق : احمد عبدالعليم البردوتي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، مصر ، من غيرت تاريخ .

7 ـ الأشموني ، أحمد بن محمد : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ، تحقيق : شريف أبو العلا العدوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1422 هـ = 2002 م .

8 ـ الأشموني ، علي بن محمد : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار إحياء الكتب العربية وعيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

9 ـ ابن أبي الأصبع ، زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالواحد : بديع القرآن ، تحقيق : حفني محمد شريف ، مكتبة نضهة مصر ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

10 ـ الألوسي ، شهاب الدين محمود : روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، من غير تاريخ .

11 - ابن الأنباري ، أبوبكر محمد بن القاسم : إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله ، تحقيق : محيي الدين عبدالرحمن رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ط 1391 هـ = 1971 م .

12 - البابرتي ، أكمل الدين محمد بن محمد : شرح التلخيص ، تحقيق : محمد مصطفى صوفية ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، الطبعة الأولى ، 1983 م .

13 - البخاري ، البخاري ، محمد بن إسماعيل ،الجامع الصحيح مع فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبدالعزيز بن باز ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1416 هـ = 1996 م .

14 - بدوي ، طبانة : أبوهلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1960 م .

15 - بدوي ، طبانة : معجم البلاغة العربية، منشورات جامعة طرابلس ، كلية التربية، الطبعة الأولى ، 1395 هـ = 1975 م .

16 - برند شبلنر : علم اللغة والدراسات الأدبية ، ترجمة : محمد جاد الرب ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ،1991م.

17 - البناء ، شهاب الدين أحمد بن محمد : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق : أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، طبعة ا1422 هـ = 2001 م .

18 - البيضاوي ، ناصر الدين عبدالله بن عامر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1388 هـ = 1968 م .

19 ـ التفتزانـي ، سعد الـدين مسعود بـن عمـر : المطـول شـرح تلخيص مفتـاح العلـوم ، تحقيـق: عبدالحميد هنـداوي ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، لبنـان ، الطبعة الأولى ، 1422 هـ = 2001 ف .

20 ـ أبوتمـام ، حبيـب بـن أوس الطـائي : ديـوان أبـي تمـام بشـرح الخطيـب التبريـزي ، تحقيق : محمد عبده عزام ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الرابعة ، من غير تاريخ .

21 ـ تمـام حسـان: اللغـة العربيـة معناهـا ومبناهـا ، دار الثقافـة ،الـدار البيضـاء ، المغـرب، مطبعة النجاح الجديدة ، من غير تاريخ .

22 ـ ابن تيمية ، أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم : مقدمة في أصـول التفسير ، تحقيـق : أبـي حذيفـة إبـراهيم بـن محمـد ، دار الصـحابة للتـراث ، طنطـا ، مصـر ، الطبعة الأولى ، 1988 م .

23 ـ الجاحظ ، عمرو بن بحر : البيان والتبيين ، تحقيـق : عبدالسـلام محمـد هـارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، من غير تاريخ .

24 ـ الجرجـاني ، عبدالقـاهر بـن عبـدالرحمن: أسـرار البلاغـة ، تحقيـق: محمـد عبدالمنعم خفـاجي وعبـدالعزيز شـرف ، دار الجيـل ، بيـروت ، لبنـان ، الطبعـة الأولى ، 1411 هـ = 1991 م .

25 ـ الجرجاني ، عبدالقاهر بن عبدالرحمن : دلائـل الإعجـاز فـي علـم المعـاني، تصـحيح: محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1409 هـ = 1988 م .

26 ـ الجرجـاني ، علـي بـن محمـد بـن علـي : التعريفـات ، تحقيـق : إبـراهيم الأبيـاري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

27 ـ ابن الجزري ، محمد بن محمد الدمشقي : النشر في القراءات العشر ، تحقيق : زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية، 1423 هـ = 2002 م .

28 ـ ابن جني ، أبوالفتح عثمان : الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، من غير تاريخ .

29 ـ ابن جني ، أبوالفتح عثمان : اللمع في العربية ، تحقيق : حامد المؤمن ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1405 هـ = 1985 م

30 ـ حسن طبل : علم المعاني تأصيل وتقييم ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، من غير تاريخ .

31 ـ الحموي ، ياقوت : معجم الأدباء ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1993 م .

32 ـ أبوحيان ، محمد بن يوسف بن علي : التفسير الكبير " البحر المحيط " ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، من غير تاريخ .

33 ـ الخطيب البغدادي ، ، أبوبكر أحمد بن علي : تاريخ بغداد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

34 ـ ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1367 هـ = 1948 م .

35 ـ رابح دوب : البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1997 م .

36 ـ الـرازي ، محمـد بـن عمـر : التفسـير الكبيـر " مفـاتيح الغيـب " ، المطبعـة البهيـة المصرية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة 1357 هـ 1938 م .

37 ـ الرافعي ، مصطفى صادق : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1421 هـ = 2000 م .

38 ـ ابن رشيق القيرواني ، أبوعلي الحسن: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1955 م .

39 ـ الرضي ، محمد بن الحسن : شرح الكافية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، طبعة / 1405 هـ = 1985 م .

40 ـ الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1477 هـ = 1958 م .

41 ـ الزمخشري ، أبوالقاسم محمود بن عمر : أساس البلاغة ، تحقيق : عبدالرحيم محمود .

42 ـ الزمخشري ، أبوالقاسم محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، طبعة 1385 هـ = 1966 م .

43 ـ الزمخشري ، أبوالقاسم محمود بن عمر : المفصل في صنعة الإعراب ، تحقيق : علي أبوملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1993 م .

44 ـ سامي عياد حنا وشرف الدين الراجحي : مبادئ علم السانيات الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، طبعة : 1991 م .

45 ـ السبكي ، أحمد بن علي بن عبدالكافي : عروس الأفراح " ضمن شروح التلخيص " ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1343 هـ .

46 ـ ابن سعدان ، أبوجعفر محمد بن سعدان الضرير : الوقف والابتداء في كتاب الله " عز وجل " ، تحقيق : محمد خليل الزروق ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي ، الإمارات العربية ، الطبعة الأولى،2002م.

47 ـ سعدون السويح : العلاقة بين جملتي الصلة والصفة " مقال " ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، الجماهيرية العربية الليبية ، العدد الخامس ، 1988 م .

48 ـ أبوالسعود ، محمد بن محمد العمادي : تفسير أبي السعود ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1347 هـ = 1928 م .

49 ـ سعيد حسن بحيري : علم لغة النص " المفاهيم والاتجاهات " ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 2004 م .

50 ـ السكاكي ، يوسف بن أبي بكر بن محمد : مفتاح العلوم ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1937 م .

51 ـ السمين الحلبي ، أحمد بن يوسف : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى ، 1407 هـ = 1987 م .

52 ـ سيبويه ، عمرو بن عثمان : الكتاب ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دار القلم ، القاهرة ، مصر ، طبعة : 1966 م .

53 ـ السيد الشريف ، علي بن محمد الحسيني الجرجاني : حاشية السيد الشريف على الكشاف ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، طبعة : 1966 م .

54 ـ السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

55 ـ السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : الأشباه والنظائر في النحو ، تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة، مصر ، طبعة : 1395 هـ = 1975 م .

56 ـ السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1965 م .

57 ـ السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

58 ـ السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، تصحيح : محمد بدر الدين النعساني ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1327 هـ .

59 ـ شهاب الدين ، أحمد بن محمد بن عمر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، دار الطباعة الخديوية، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى،1283هـ.

60 ـ شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1965 م .

61 ـ الشوكاني ، محمد بن علي : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1348 هـ .

62 ـ الصاوي ، أحمد الصاوي المالكي ، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، راجعه : عبدالعزيز سيد الأهل ، ملتزم الطبع والنشر : عبدالحميد أحمد الحنفي ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

63 ـ الصبان ، محمد بن علي : حاشية الصبان على شرح الأشموني ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

64 ـ صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة ، الكويت ، طبعة / صفر 1413 هـ = 1992 م .

65 ـ صلاح فضل : علم الأسلوب " مبادئه وإجراءاته " ، دار الشروق ، القاهرة مصر ، الطبعة الأولى ، 1998 م .

66 ـ الطبري ، محمد بن جرير : جامع البيان في تفسير القرآن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، مصر ، طبعة / 1954 م .

67 ـ ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، تونس وطرابلس ، الجمهورية التونسية والجماهيرية العربية الليبية ، من غير تاريخ .

68 ـ عباس حسن : النحو الوافي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ.

69 ـ عبدالعزيز عتيق : علم المعاني ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ، طبعة 1405 هـ = 1985 م .

70 ـ عبدالواحد علام : القاعدة والنص دراسة في الفصل والوصل ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

71 ـ عزالدين إسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1986 م .

72 ـ عفت الشرقاوي : بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، طبعة 1981 م .

73 ـ ابن عقيل ، بهاء الدين عبدالله : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا وبيروت، لبنان ، من غير تاريخ .

74 ـ العكبري ، أبو البقاء عبدالله بن الحسين : التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية، 1407 هـ = 1987 م .

75 ـ العلوي ، يحيى بن حمزة بن علي : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، دار الكتب الخديوية ، طبعة المقتطف ، مصر ، القاهرة ، طبعة 1332 هـ = 1914م .

76 ـ العلوي ، يحيى بن حمزة بن علي : الطراز ، تحقيق : عبدالحميد هنداوي ، طبعة المكتبة العصرية ، صيدا وبيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1423 هـ = 2002 م .

77 ـ علي البدري : بحوث المطابقة لمقتضى الحال " القسم الثاني " ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1404 هـ = 1984 م .

78 ـ ابن العماد الحنبلي ، أبوالفلاح عبدالحيّ بن أحمد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

79 ـ ابن فارس ، أبوالحسين أحمد : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1366 هـ .

80 ـ فاضل صالح السامرائي : معاني النحو ، دار الفكر للطباعة والنشر ، عمان ، الأردن ، الطبعة الثانية ، 2003 م .

81 ـ فتحي أحمد عامر : المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، طبعة: 1991 م .

82 ـ فخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل ، دار الأوزاعي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، 1986 م .

83 ـ أبوزكريا الفراء ، يحيى بن زياد : معاني القرآن ، تحقيق : محمد علي النجار وآخرين ، دار السرور ، بيروت ، لبنان ، من غير تاريخ .

84 ـ فرحان بدري الحربي : الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1424 هـ = 2003 م .

85 ـ فردينان دوسوسير : دروس في الألسنية العامة ، تعريب : صالح الفرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ليبيا وتونس ، طبعة : 1985 م .

86 ـ الفرزدق ، همام بن غالب بن صعصعة : ديوان الفرزدق ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، طبعة : 1960 م .

87 ـ الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق : محمد علي النجار ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة، مصر، طبعة : 1387 هـ .

88 ـ الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي : المصباح المنير ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1418 هـ = 1997 م .

89 ـ قاسم الدجوي ومحمد الصادق قمحاوي : قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر ، المطابع الأزهرية ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

90 ـ القاضي عبدالجبار ، أبوالحسن عبدالجبار بن أحمد : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، مصر ، الطبعة السادس عشرة ، من غير تاريخ .

91 ـ القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن ، دار الشام للتراث، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، من غير تاريخ .

92 ـ القزويني ، محمد بن عبدالرحمن بن عمر : تلخيص المفتاح ، تحقيق : ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2002م .

93 ـ القطامي ، عُمَير بن شييم : ديوان القطامي ، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1960م .

94 ـ ابن القيم : أبوعبدالله محمد بن أبي بكر : بدائع الفوائد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، من غير تاريخ .

95 ـ المبرد ، أبوالعباس محمد بن يزيد ، المقتضب ، تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتاب ، بيروت ، لبنان ، من غير تاريخ .

96 ـ مجدي وهبة وكامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، طبعة 1979 م .

97 ـ محمد إبراهيم عبادة : الجملة العربية دراسة لغوية نحوية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، طبعة : 1983 م .

98 ـ محمد حسنين أبوموسى : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

99 ـ محمد حسنين أبوموسى : خصائص التراكيب ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1400 هـ = 1980 م .

100 ـ محمد حماسة عبداللطيف : بناء الجملة العربية ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، طبعة 2003 م .

101 ـ محمد رشاد الحمزاوي : المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، طبعة 1987 م .

102 ـ محمد العبد : اللغة والإبداع الأدبي ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، طبعة 1989 م .

103 ـ محمد عبدالمنعم خفاجي ومحمد السعدي فرهود وعبدالعزيز شرف ، الأسلوبية والبيان العربي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1421 هـ = 1992 م .

104 ـ محمد عبدالخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

105 ـ محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، طبعة 1973 م .

106 ـ محمد فؤاد عبدالباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1406 هـ = 1986 م .

107 ـ محمود أحمد نحلة : صور تأليف الكلام عند ابن هشام ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، طبعة 1994 م .

108 ـ محمود أحمد نحلة : نظام الجملة في شعر المعلقات ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، طبعة 1991 م .

109 ـ المرزوق ، أبوعلي أحمد بن محمد بن الحسن : شرح ديوان الحماسة ، نشره : أحمد أمين وعبدالسلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى /1951م .

110 ـ مسلم ، أبوالحسين مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، من غير تاريخ .

111 ـ المفضل الضبي ، المفضل بن محمد : المفضليات ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية / 1952 م .

112 ـ مكي بن أبي طالب ، أبومحمد القيسي : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، تحقيق: محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة 1428 هـ = 1997 م .

113 ـ ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار لبنان للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، طبعة 1375 هـ = 1956 م .

114 ـ مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السابعة عشر ، 1411 هـ = 1990 م .

115 ـ منير سلطان : بديع التراكيب في شعر أبي تمام " الجمل والأسلوب " ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، الطبعة الأولى ، من غير تاريخ.

116 ـ منير سلطان : بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1993 م .

117 ـ ميشال زكريا : الألسنية " علم اللغة الحديث " المبادئ والأعلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1403 هـ = 1983 م .

118 ـ ابن النحاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل : إعراب القرآن الكريم ، تحقيق : زهير غازي زاهد، عالم الكتاب ومكتبة النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1409 هـ = 1988 م .

119 ـ ابن النحاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل : القطع والائتناف ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1423 هـ = 2002 م .

120 ـ ابن هشام ، أبومحمد عبدالله جمال الدين : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق : إيمل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1977 م . .

121 ـ ابن هشام ، أبومحمد عبدالله جمال الدين : شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

122 ـ ابن هشام ، أبومحمد عبدالله جمال الدين : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق: بركات يوسف هبود ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى 1419 هـ = 1999 م .

123 ـ أبوهلال العسكري ، الحسن بن عبدالله : الصناعتين " الكتابة والشعر " ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد ابوالمفصل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان ، الطبعة 1986 م .

124 ـ ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي : شرح المضل ، تصحيح مشيخة الأزهر ، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، مصر ، من غير تاريخ .

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

فهرس الموضوعــات

الموضـــوع | الصفحة

ــ الافتتاحيــة ....

ـــ الإهـــداء ....

ـــ المقدمـــة .... أ

الفصل الأول
الروابط في الدراسات اللغوية والأدبية والقرآنية 1

ـ **المبحث الأول :** الربط والروابط في الدراسات اللغوية والنحوية 9

ـ **المبحث الثاني :** الربط و الروابط في الدراسات النقدية والبلاغية......... 41

ـ **المبحث الثالث :** الربط والروابط في الدراسات القرآنية 68

الفصل الثاني
الجملة العربية والروابط 97

ـ **المبحث الأول :** مفهوم الجملة العربية وروابطها 99

ـ **المبحث الثاني :** أقسام الجملة العربية 110

ـ **المبحث الثالث :** خصائص الجملة القرآنية 143

الفصل الثالث
الروابط المعنوية بين الجمل الاسمية في القرآن الكريم 158

ـ **المبحث الأول :** ربط جملة الاستئناف المجرد 162

ـ **المبحث الثاني :** ربط جملة الاستئناف الحرفي 192

ـ **المبحث الثالث :** ربط الجملة التابعة 220

الفصل الرابع 242

الروابط المعنوية بين الجمل الفعليــة في القرآن الكريم

ـ **المبحث الأول :** ربـط جملـة الاستئناف المجـرد 242

ـ **المبحث الثـاني :** ربط جملـة الاستئناف الحرفـي 267

ـ **المبحث الثـالـث :** ربـط الجملـة التابعـة 295

الفصل الخامس 316

تنوع الروابط واختلاف القراءات القرآنية

ـ **المبحث الأول :** تنـوع الـروابط بـين الجمـل الاسـمية واخـتلاف القـراءات ... 319

ـ **المبحث الثـاني :** تنـوع الـروابط بـين الجمـل الفعليـة واخـتلاف القـراءات ... 340

ـ **المبحث الثـالـث :** اختلاف أسلوب الجملـة وأثره علـى الـروابط 354

ـ **الخاتمــة** 367

ـ **المصــادر و المراجــع** 371

ـ **فهـرس الموضـوعات** 386